لجنة التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
٠٠٠ — ٤٢١

نشره

أحمد أمين   عبد السلام هارون

القسم الرابع

ومعه الفهارس العامة للكتاب

الطبعة الثانية

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

باب الأضياف

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الأضياف (١)

٦٧٥

قال عُتْبة بن بُجَير الحارثىّ (٢) :

١ ـ ومُسْتنبِحٍ باتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهُهُ إلى كلِّ صَوْتٍ فهْوَ فى الرَّحلِ جانحُ

يَعنى بالمستنبح ضيفاً أَلجأه الضلالُ عن الطريق ليلاً ، أو دَعاه ضِيقُ الوقت وَجهْد السير مُنفضاً إلى أن يتكلف نُباحَ الكلبِ وحكايته ، لتُجَاوِبَه كلاب الحىّ المتوهَّم نزولُهم فى سَمتِه ووِجهته فيهتدِىَ إليهم بصِياحها ، ويَستعينَ بهم على ضُرِّه وَحَيْرَته . وهكذا كان يفعلُه الضالُّ والمقرور فى ظلام الليل . وكانوا إذا قَرُبوا من البيوت المظنونِ دنوُّها ، أو المعلوم حُلولُها ، ربما حملوا رواحِلَهم على الرُّغاء أو البُغام ، إيذاناً بأنفسهم . ولذلك جاء فى الأمثال السائرة : « كفى برُغائها مُنادِياً » . وأصله أنّ بعضَ المتعرِّضين للقِرى أرْغَى ناقته فلم يُتلَقَّ بالاستنزال ، فجعل يذُمّ ، فقيل : لو ناديتهم ليعلموا بك ؟ فقال : « كفى برُغائها منـاديا » .

وقال متمِّم (٣) :

وَضيفٍ إذا أرْغَى طُروقاً بَعيرَه وعانٍ ثوَى فى القِدِّ حتى تَكنَّعَا

وقوله « بات الصدَى يَستَتِيهُه » ، الصدى : صوتٌ يرْجِعُ إليك من الجبل أو مما يَجرى مَجراه فى ردِّ الصوت . يريد : أنه لما استَنْبَحَ صَارَ الصوتُ

(١) وكذا عند ابن جنى فى التنبيه . وعند المقريزى : « باب الأضياف والمديح » .
(٢) التبريزى : «المازنى ، من بنى الحارث بن كعب» . ويبدو أن « المازنى » تحريف .
(٣) فى الأصل : « تميم » ، صوابه فى ل . وقصيدة متمم بن نويرة فى المفضليات رقم ٦٧ .

الراجعُ إليه يَحمِلُه عَلَى أن ينتبه إلى كلِّ صوتٍ يدركُه متبيِّناً للصدى من غير الصدَى لكى يؤدِّيَه ما يَبين له إلى مطلوبه من حىٍّ أو ما سبيلُه سبيلُهم. وجعلَه فى الرَّحلِ مائلاً لغلبة النَّوم عليه، أو لتهيُّئه لإدراك الصوت. ويقال: جَنحَ يَجنَح جُنوحاً، إذا مال. وَمعنى «يستدْيِهِ إلى كلِّ صوتٍ» جعل الفعل مضافاً إلى الصَّدَى لغلبته عليه، وَاعتقاده فى كلِّ صوتٍ أنه هو، فقد صار تائهاً إليه.

٢ ـ فقلتُ لِأهْلِى ما بُغامُ مَطِيَّةٍ وَسارٍ أضافَتْه الكلابُ النوابحُ

٣ ـ فقالوا غريبٌ طارقٌ طرَّحَتْ به مُتُون الفيَافِى والخُطوبُ الطَّوارِحُ

رجعَ إلى أهله فى التعرُّف لِما غشِيَه لِما بُغامُ بعيرِ الطارق، فقال سائلاً: ما بُغامُ مَطيَّةٍ. و «ما» يُستفهَم به عمّا دونَ الناطقين، وعن صِفات الناطقين. فكأنَّه سألَ عن صِفات السارى وعما أدركه من صوت المطِيَّة. وجعل الكلابَ مُضيفةً للسارى لاستنباحه ولإجابتها إيّاه.

وقوله «غريبٌ طارقٌ» هو بيانُ ما سأل عنه من صفة السارِى، واكتفى بوصفه لأنَّ البغامَ وأن سُئل عنه أيضاً فهو من توابع السارى. ومعنى «طرَّحَتْ به» رمَتْ به. ومُتُونُ الفيافِى: جمع مَتْنٍ، وهو ما ارتفع وَغلُظ من الأرض. وكلُّ صلبٍ غليظٍ متينٌ. ويقال: ماتَنْتُ الرَّجُل، إذا فعلتَ من ذلك مايفعله. ومَتَن بالمكان: أقامَ به. وقوله: طَرَّحَت به المُتُون والخطوب، فيه دَلالةٌ قويةٌ على ضَلاله وَضُرِّه وإنفاضه. ويروَى: «طوَّحَت به» و: «الخطوبُ الطوائح». وكان يجب أن يقول: والخطوبُ المطوِّحات فى الجمع بالألف والتاء، لأن اسمَ الفاعل من طَوَّح مُطوِّح، ولكنّه أخرجَ الطوائح على حذف الزيادة من الفعل. ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأرسَلْنا الرِّياحَ لوَاقِحَ﴾، لأن أصلَه أن

يجيء على مَلاقِح أو مُلْقِحات ، لكونها مُلقِحَةً للأشجار . والفعل منه ألقحَ ، فأخرَجَه على حذف الزّوائد فصار لَقح ولواقح . وكذلك « الطوائح » قياسُه أن يكون إذا عُدِلَ عن الجمع بالتاء : مَطاوِحُ . وارتفع « غريبٌ » على أنه خبر مبتدإ محذوف ، كأنه قال : هو غريبٌ طارقٌ . ومعنى طَوّحت به : حملَته على ركوبِ المهالك . والطوائحُ : الهالك ، والذاهِب الفاني . ويقال : تطاوَحْنا الأمرَ بيننا ، كما يقال تطارَحْنا .

٤ – فقُمْتُ ولم أَجثِمْ مكاني ولم تَقُمْ مع النفسِ عِلاّتُ البَخيلِ الفواضحُ

٥ – ونادَيتُ شِبلاً فاستَجَابَ ورُبَّما ضَمِنّا قِرَى عَشرٍ لمن لانصافحُ(١)

يقول : لما بانَ لى أمرُ الضيف الطارق قمتُ من مكانى مستعجلاً غيرَ متلوِّم ، حِرصاً على إصلاح أمره ، وتوطيد مَحَلِّه . ويقال : جَثَمَ مكانَه وفى مكانه بمعنًى . والجُثُوم ، أصلُه إلصاقُ الصدر بالأرض ولزومُها ، ويستعمل كثيراً فى الطيْر والسِّباع . والجُثْمان : الشخص منه اشتُقّ . ومعنى « لم تَقُمْ مع النفس عِلاّت البَخيل » يريد أنّ نفسى لَمّا تهيأَتْ للاضافة وتشمَّرَتْ لم تَقُم معها العِلاتُ التى تفضَحُ أربابَها ، والمعاذيرُ التى تحسِّن التفريط فى اللّوازِم عند مُستَعَدِّها . وجعل العِلاتِ تَفضح لِمَا يتعقَّبها من ذميم القالة ، وتضييق المَعذِرَة وتَجاوُب الناسِ فى الإنكار إذا كانت العللُ كاذبةً ، ووجوه التنصُّل مسودَّة .

وقوله «ونادَيْتُ شِبْلاً » يَعنى بِشِبْل ابنَه ، يستعين به فيما يُقام مِن خدمة

---

(١) التبريزى : « قال أبو العلاء : أشبه ما روى فى هذا البيت : قرى عشر لمن لا نصافح ، بفتح العين ، أى عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحة . وبعض الناس [يرويه] بضم العين ، وله وجه ، أى ربما ضمنا قرى عشر أموالنا لمن لا نعرف . وقد يمكن أن يكون عشر جمع عشير ، وهو الذى يعاشره من الغرباء أو يكون من عشيرته ، مثل ما يقال : صديق وصُدق ، وكريم وكرم . ومن روى : عسر ، بالسين غير معجمة ، فالمعنى أنا نقري الضيف وإن كنا معسرين » .

الضيف ، فذكر أنه استجاب وتخفَّف معه . وذِكر استجاب هاهنا أحسنُ من أجاب ، وذاك أنّ قول القائل : دعوتُ زَيداً فأجابنى ، كقوله : أمرته فأطاعنى . وقوله : دعوتُه فاستجاب لى ، أى تقبل ماقلتُه وطاوَعنى فيه . وعلى هذا يفسِّر أصحابُ المعانى قوله تعالى : ﴿ فلْيَسْتَجِيبُوا لى ولْيُؤْمِنُوا بى ﴾ . وكذلك بيتُ كعب بن سعد :

ودَاعٍ دَعا يامَنْ يُجِيبُ إلى النّدَى فلم يَسْتَجِبْهُ عنـــدَ ذاكَ مُجيبُ

أى لم يُذعِنْ لدعائه أحد. ويقال : استجبتُه واستجبتُ له . وقوله « وربّما ضَمِـنّا قِرَى عَشرٍ » أى التزمنا قِرَى عَشرِ نَسمَةٍ ، ولا معرفةَ بينى وبينهم سابقةٌ ، ولا ما يوجِبُ عند الالتقاء مصافَحةً. والقصد بقوله « ضَمِنَّا » إلى توطينهم النفسَ على توسيع القِرَى لمن لا حُرْمةَ له سِوَى حُرْمةِ الضِّيافة . ولا يمتنع أن يريد بقوله « قِرَى عَشرٍ » قِرَى عَشرِ ليالٍ ، وهُم إن أرادوها بأيَّامها يغلِّبون التأنيث . قال سيبويه : « وتقول: سار خَمسَ عَشْرَةَ من بين يوم وليلةٍ ، لأنكَ ألقيت على الليالى ، فكأنّك قلت خمس عشرة ليلة . وقوله: من بين يومٍ وليلةٍ ، توكيدٌ بعد ما وقعَ على الليالى ، لأنه قد عُلِم أن الأيام داخلةٌ مع الليالى . وعندهم أنَّ الليلَ قبلَ النهار ، فلهذا يؤرِّخون بها . وتقول : أعطاه خمسةَ عشرَ من بَين عَبدٍ وجارية ، لا غير ، لاختلاطهما » . قال سيبويه : « وقد يجوز فى القياس خَمسةَ عَشر من بين يومٍ وليلةٍ ، وليس على حدِّ كلام العرب » .

وقوله « لمن لا نُصافِحُ » يجوز أن يكون من المصافحة المعروفة ، ويجوز أن يكون من صَفَحْتُ الناسَ ، أى نظرْتُ فى أحوالهم .

٦ – فقامَ أبو ضَيْفٍ كريمٌ كأنهُ وقد جَدّ من فرْط الفكاهةِ مازِحُ

٧ – إلى جِذْمِ مالٍ قد نَهكْنا سوَامَهُ وأعرَاضُنا فيـهِ بَواقٍ صَحائحُ

يعني بأبي الضيف نفسَه ، وهذا كما يقال : هو أبو مَثْوَاي ، وهي أمُّ مثواى . وجعله كالمازِح المُفاكِهِ لِمَا أظهرَهُ من التطلُّق والبشاشة ، وإظهار السرور بما يأتي من توفير الضيافة والاحتفال فيه ، وإيناس الضيف والبسط منه ، مُحتفاً بالضيافة (١) . وارتفع « مازح » على أنه خبر كأنَّ . وموضع « وقد جَدَّ » موضعُ الحال ، كأنه قال : يُشابِهُ المازحَ من فرط الفكاهة (٢) وهو جادٌّ ، لأنه قاضي ذِمامٍ ، وباني مكارِم . وَيقال : فا كَهْتُه بمُلَح الكلام ، وهي الفكيهة والفُكاهة (٣) :

وقوله «إلى جِذْمِ مالٍ» تعلَّق إلى بقَامَ ، ويريد بالقيام غير الذي هو ضدُّ القُعود ، وإنما يريد به الاشتغالَ له بما يؤنِّسُه ويرحِّبُ مَنْزِلَهُ وَيطيِّب قلبَه . على ذلك قوله تعالى: ﴿ إذَا قُمْتُم إلى الصَّلاة ﴾ ، لأنه لم يُرِد القيام المضادّ للقعود ، بل أراد التهيُّؤَ والتشمُّر له . والجِذْمُ : الأصل . ومعنى « نَهِكْنَا سوَامَه » أثَّرنا في السائمة من المال بما عوّدناها من النّحر والتفريق . ويقال : نَهِكَهُ المرضُ ، إذا أضرّ به .

وقوله : «وأعراضُنا فيه بَواقٍ صحائحُ » ، أى نفوسُنا باقيةٌ على حَدِّها من الظَّلَفِ والصيانة ، لم تَشِنْها الأفعالُ الذميمة، ولا كسرَتْها التكاليفُ المُبَخِّلةُ ، فهي سليمةٌ لا آفةَ بها ، ولا عارَ يَكتنِفُها ، وإن كانت أموالنا مشفوهةً مُفرَّقةً (٤) .

٨ ــ جعَلناهُ دُونَ الذّم حتى كأنه ... إذا عُدّ مالُ المُكثِرِينَ المَنائحُ
٩ ــ لنا حَمْدُ أربابِ المِئينَ ولا يُرى ... إلى بيتِنا مالٌ مع الليلِ رائحُ

---

(١) ل : « بالصيانة » . (٢) ل : « الصانة » .
(٣) الفكاهة ، بالضم : الاسم ؛ وبالفتح : المصدر .
(٤) المشفوهة القليلة . وأصل المشفوه الماء تكثر عليه الشفاه فيقل .

الضمير من قوله « جعلناه » ، للمال ، أى وقَيْنابه أنفسَنا من لَوْم اللائم ودَرَنِ العائب . وقوله : كأنَّه المنائحُ ، يزيد أنَ إبِلَنا ، وَإن كانت مِلْكا لنا ، فهى كالعوارى عندنا ، لِما يتسلط عليها بأفعالنا من النَّقْلةِ والتغييرات . والمنائح : جمع المَنِيحة وهى الناقة تُدْفَع ليُنتفعَ بلبنها ما دام بها لبنٌ ، فإذا انقطع لبنُها رُدَّتْ . و « إذا عُدّ مالُ المكثِرين » ، أشار به إلى قلة مالِه . والمكْثِرُ : صَاحِبُ الكثير من المال ، أى ما لنا فى جَنْبِ مال المكثِرين كذلك .

وَقوله « جعلناه دُون الذمّ » ، يريدُ صيَّرناه دون الذمّ ، فعلى ذلك يحتمل أن يكون ظرفاً ، وَيجوز أن يكون مفعولا ثانيا ، فيكون معنى دون الذمّ قاصراً عن الذم ، فيَبْعُدُ الذمُّ عنا وَلا يَلحَقنا ، لأنَّ مالنا يحُولُ بيننا وبين الذم .

وَمعنى « لنا حَمْدُ أرباب المِئِينَ » ، أى نكْتسب بما لنا القليل حمْدَ أربابِ المال الكثير ، أى الحمد الذى يكسبه أولئك هذا ولا يُرى مالٌ يَروح إلى بيتنا مع الليل لأنها على قلتّها باركةٌ بالفِناء ، معدّة للنوائب والحقوق ، ولم تبلغ مايصير منها سارحةٌ ورائحةٌ ، وباركة بالفناء وسائمة .

٦٧٦

وقال مُرَّةُ بن مَحْكان(١)

١ — يارَبَّةَ البَيْتِ قُومى غيرَ صاغرةٍ ضُمِّى إليكِ رِحالَ القومِ والقُرُبا(٢)

(١) مرة بن محكان : أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر مقل إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . وكان مرة شريفا جواداً ، وهو أحد من حبس فى المناحرة والإطعام ، أنهب ماله الناس مرة فحبسه زياد لذلك فقال فى الأبيرد الرياحى :

فإن أنت عاقبت ابن محكان فى الندى فعاقب هـداك الله أعظم حاتم

الأغانى (٢٠ : ٩ — ١١) ومعجم المرزبانى ٣٨٣ والشعراء ٦٦٧ والاشتقاق ١٥١ . ومحكان ، بفتح الميم ، فعلان من محك . ومن عجب أن يقول المرزبانى إنه أحد اللصوص . وقال ابن قتيبة : كان مرة سيد بنى ربيع .

٢) انظر الأغانى (٣ : ١٠٢) ، ومراجع الترجمة حيث أنشدت هذه الأبيات .

٢ ـ فى ليلةٍ مِن جُمَادَى ذاتِ أنديةٍ لا يُبصِرُ الكَلْبُ مِن ظلمائها الطُّنُبا

٣ ـ لا يَنبحُ الكلبُ فيها غيرَ وَاحدةٍ حتى يلُفَّ على خُرْطومِهِ الذَّنَبا(١)

خاطبَ امرأته ، وَبعثَها على القيام للاحتفاف بالنازلين من الأضياف . وقوله : « غير صاغرةٍ » ، يقال : صَغِرَ يَصْغَرُ صَغَاراً ، إذا ذلّ وهان ؛ وصَغُر يَصْغُر صِغَراً : ضدّ كَبِر . والقُرُبُ : جمع قِراب ، وهو جراب وَاسِعٌ يُصانُ فيه السِّلاح والثياب(٢) .

وقوله «فى ليلةٍ» ، إن شئت جعلتَ الجارّ متعلّقا بضُمّى ، وإن شئت جعلته متعلقاً بقُومى . والأجود فى الجمع بين الفعلين فى باب الأمر أن يدخل الثانى حرف العطف ، كقول الله عزّ وجلّ : ﴿قُمْ فأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ، وادْنُ فاكتُبْ ، وما أشبهَ ذلك . وهذا قال : قومى غير صاغرةٍ ضُمّى إليك ، ولم يأت بالعاطف فيه ، وهو جائز . وانتصب «غيرَ» على الحال . وجعلَ الليلةَ من ليالى جُمادَى لأنها من شهور البرد ، والمراد فى ليلةٍ [من ليالى(٣)] جمادى ذاتِ أنداءٍ وأمطار . وكانوا يجعلون شهر البرد جُمادَى وإن لم يكن جُمادى فى الحقيقة ، كأنّ الأسماء وضِعَتْ فى الأصل مقسَّمة على عوارض الزمان ، والحرّ والبرد ، والرِّيح والمطر ، وتبدُّل الفصول ، ثم تغيرَت فصارت تُستعار .

وقوله « ذات أندية » ، تكلَّمَ الناسُ فيه ، لأنّ جمع الندَى أنداء . قال الشاعر(٤) :

(١) فى كثير من المراجع وكذا عند التبريزى : على خيشومه » .

(٢) قال أبو عبيدة : « كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا إليهم رحله وبقى سلاحه معه لا يؤخذ خوفا من البيات ، فقال مرة يخاطب امرأته : ضمى إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ، فإنهم عندى فى عز وأمن من الغارات والبيات ، فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لابسا سلاحه » . الاغانى (٢٠ : ١٠) .

(٣) التكملة من ل .

(٤) هو الشماخ . ديوانه ص ٥٠ .

إذا سَقط الأنداء صِينَتْ وأُشعِرَت حَبيراً ولم تُدْرَجْ عليها المعاوزُ

فكان أبو العباس المبرّد يقول : هو جَمع نَدِيّ المجلس . وكان أماثلُ الناسِ وأغنياؤُهم إذا اشتدّ الزّمانُ وجدّ القحطُ وَالجَدْب يَجلسون مجالسَ يدبّرون أمرَ الضّعفاء ، ويفرّقون فيها ما حصل عندهم من فضل الزّاد ، ويَنصبُون الميسرَ ، ويَنحرون الجُزُر متبارِين فيها ومُتباهين . فيريد : في ليلةٍ تُوجِب ذلك وتَقضي به . وقال غيرُه : هو جمع ندًى ، كأنه جمع فَعَلاً على فِعال ، ثم جمع فِعالاً على أفعِلة ، كأنه نَدًى ونِدَاء ، ثم جمع النِّدَاء على الأندية ، ككساء وأكسِية ، ورِوَاق وأرْوِقة . وقيل أيضاً : هو شاذٌّ استُعير ما الممدود للمقصور . وهم يفعلون ذلك في المباني كما يفعلون في الألفاظ . قالوا : ومثلُه قَفاً وأقفيةٌ ، ورَحًى وأرْحِية . وهذا مما حكاه الكوفيّون . وقال بعضهم : هو أفعلَةٌ بضم العين ، كأنه جمع فَعلاً على أفعُلٍ ، كما قيل زَمَنٌ وأزْمُنٌ ، فجاء نَدًى وأنْدٍ ، ثم ألحقَ الهاء لتأنيث الجمع ، كما تقول بعُولةٌ وحجارة ، فصار أندِيةً ، ويكون في هذا الوجه شاذًّا أيضاً .

وقوله : « لا يُبصِر الكلبُ من ظلمائها الطُّنبا » ، وفيه مبالغةٌ في وَصف الظلمةِ وتراكمها . والطُّنُب : حَبلُ البَيت . والكلب قويُّ البصَر ، فإذا بَلغَ أمرُه إلى ما وصفه فذاك لتكامُلِ الظلام وامتداده . لذلك قال الآخر :

أُنَاسٌ إذا ما أنكرَ الكلبُ أهلَهُ حَمَوا جارَهم من كلِّ شَنعاءَ مُعضِلِ (١)

وقد قيل في هذا البيت وجهٌ آخر . وموضع الجملة على الصِّفة لليلة ، فهو جرٌّ ، وساغ ذلك فيها لاحتمالها ضميرها ، وكذلك قوله « لا يَنبحُ الكلبُ فيها غير

(١) كذا في النسختين والتبريزى . وقد سبق بتحريف آخر في ص ٣٧٦ برواية « مظلم » وكلاهما تحريف . وصواب الرواية : « مضلع » ، كما في الأمالي (١ : ٥٥) واللآلىء ٢١٠ ، أو : « مفظع » ، كما في الحيوان (٢ : ٧٠) .

واحدةٍ » . وانتصب « غيرَ » على أنه مصدر ، وأراد غير نَبْحَةٍ واحدة ، ولمّا لم يجئ إلا مُضافاً ولم يكنْ له معنًى إلا مخالفةَ ما يضاف إليه جاز أن يجيء فاعلا ، ومفعولا ، وحالاً ، وظرفا ، ووصفاً ، واستثناءً ، ومصدراً .

وقوله : « حتّى يَلُفَّ » انتصبَ الفعلُ بإضمار أنْ . وحتى بمعنى إلى ، كأنه قال : إلى أن يلفَّ الذنبَ على خُرطومه ، أى لا ينبح إلى أن يلفّ الذنب على خُرطومه ، أى لا ينبح إلى أن يلفّ الذنب إلا نَبحةً . ولو رفعتَ الفعلَ فقُلت : « حتى يَلُفُّ » لجازَ ذلك ، ويُراد به الحال ، والمعنى أن يكونَ الفعلُ الثانى متّصلا بالأوّل ، أى لا ينبح إلا نبحةً فهو يلفُّ الذنَب ، وعلى هذا قولك : سِرْتُ حتى أدخُلُها ، فقَرَنَ السَّير بالدخول ، ومعناه أنه خرَجَ من السّير إلى الدخول ، إلا أنه يُخبر أنه فى حال دخولٍ ، فمعناه كمعنى الفاء إذا قلت : سِرْتُ فأنا أدخلُها ، أى هذا متّصل بهذا .

٤ — ماذا تَرَيْنَ أندْنيهم لأرْحُلِنا فى جانبِ البيْتِ أمْ نَبْنِى لَهُمْ قُببًا
٥ — لِمُرْمِلِ الزّادِ مَعْنِىٍّ بحاجَته مَن كانَ يَكرَهُ ذَمًّا أو يَقِى حَسَبا

أقبل يشاورُها ويستقى الرأىَ من عندها ، ويبعثُها على تعرُّف الحال منهم فيما يوافقُهم ولا يَخرُجُ من(١) مرادِهم ورِضاهم .
وقد تقدم القول فى لفظة « ماذا » مشروحا(٢) .

وتَرَيْنَ : أصله تَرْأَيين ، لأنه تَفْعَلين ، فحذف الهمزة استخفافاً بعد أن أُلقِىَ حركتُها على الراء ، فصار تَرَيينَ ثم قُلبت الياء الأولى ألفاً لتحرُّكها وانفتاحِ ما قبلها فاجتمع ساكنان ، وحذفت الألف منهما فصار تَرَيْنَ .

والمعنى : أخبرينى بعدَ رجُوعِك إليهم ماذا نأتيه فى شأنهم ، وما الذى

(١) ل : « عن » .
(٢) انظر ما سبق فى ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

يَرَوْنهُ فى إقامتهم وظَعْنهم ، فإن أرادوا إطالة اللَّبْث بنَيْنا لهم قِباباً يتفرَّدون فيها ، فذاك آنس لهم ، وأبقى لِحشمتهم ، وإن أرادوا تخفيفَ اللَّبْث خلطْناهم بأنفُسنا ، وأدنيناهم من رِحالنا فى جوانب بيُوتنا ، لأنَّ الصبر مع خِفة التلوُّم منهم على مايعترض مِن أحوالهم مُمكن .

وقوله : « لمُرْمِل الزَّاد » تعلَّق اللام بقوله : ماذا ترين ، كأنه أعاد الذِّكر فقال : وذا السؤال والاستشارةُ من أجلهم ، ولمكانهم . والمُرمِل : الذى قد انقطع زادُه . ويجوز أن يكون « لمرمل الزّاد » بدلا من المضمَرين فى « نبنى لهم » ، وقد أعاد حرف الجرّ معه .

وقوله : « من كان يكره » موضعه رفعٌ بمَعْنيٌّ ، كأنه قال : ذاك منى لمُنقَطِع به ، يعنى بحاجته ، مَن كان كارهاً لذمّ الناس أو صائناً لشرفه . كأنه بيَّن العِلَّة فى العناية به .

٦ ـ وقمتُ مُستنبطِناً سَيفى وأعرَضَ لى ... مِثلُ المجَادِلِ كُومٌ بَرَّكَتْ عُصَبا(١)

٧ ـ فصادَفَ السيفُ منها ساقَ مُتْلِيَةٍ ... جَلْسٍ فصادَفَ منه ساقُها عَطَبا

٨ ـ زَيَّافَةٍ بنتِ زَيَّافٍ مُذَكَّرَةٍ ... لمَّا نَعَوْها لراعى سَرْحِنا انتَحَبا

انتصب « مستبطناً » على الحال من قمتُ ، والمعنى : شغَلتُ رَبَّةَ بيتى بما رتَّبتُ من أمرهم ، وقمتُ أنا حاملا سَيفى ومتقلِّدًا له . ويقال : استبطنتُ فلاناً دونَك ، أى خاصته ، وتبطَّنت كذا : دخلتُ فيه حتى عرفْتُ باطِنه .

وقوله : « وأعرضَ لى » أى أبْدَى عُرْضَها لى نوق كأنها قصورٌ ، كمالَ جسمٍ وبُلوغَ سِمَن . والكُومُ : جمع أَكْوَمَ وكَوماء ، وهى العظام الأسنمة .

وقوله : « بَرَّكَتْ » إنما ضعَّفَ عين الفِعْل على التكثير أو التكرير .

(١) التبريزى « فأعرض لى » .

وجعل إبِلَهُ فِراقاً باركةً لشدّة البرد، كما قال أبو ذؤيب الهذلىُّ:

وأعصوْصَبتْ بَكْراً من حَرْجفٍ ولَها وَسْطَ الدِّيار رَذِياتٌ مرازيحُ(١)

وانتصب «عُصباً» على الحال، وهو جمع عُصْبة.

وقوله: «فصادَفَ السيفُ منها ساقَ مُتْلِيةٍ» أراد: دَرْقبَ ناقةً منها. وَالمُتْلِيَةُ هى التى لها ولدٌ يتلوها، وقيل هى الحامل. والجَلْس: الصُّلْبة المشرِفةُ وقيل هى الواسعةُ الأخْذ من الأرض. ومعنى: «صادَفَ منه(٢)»، أى من السيف(٣). والمعنى أنّ السيف والساق تصادما، فأبانَ السيفُ الساقَ منها.

والزَّيّافة، هى التى تزِيفُ فى مشيتها وتَتبختَر. جعلها بنتَ زَيّافٍ استكراماً لِعرْقها وجوهرِها. والمذكَّرةُ: التى تشبه الذُّكورةَ فى خِلقتها.

وقوله: «لما نَعوْها»، الفاعلون هم الناس ولم يجرِ لهم ذِكر، لكن المراد مفهومٌ فأضمره. أى لمّا ذكر الناسُ ما جرَى عليها لراعى سَرْحنا، أى راعى مالنا السارحةِ بكى بُكاءً فيه نحيبٌ وصوت، ضِنًّا بمثلها(٤)، وتحزُّناً لما فاتَ منها، ولأنّ لبنَها كان يبقى على مُحارَدة الإبل، وشدة اللَّزْبة.

وَالعطَبُ: الهلاك، ويقال: عَطِبَ البعير، إذا انكسر.

٩ ــ أَمْطَيْتُ جازِرَنا أعلى سَناسِنِها فصارَ جازِرُنا من فَوْقِها قَتَبا

١٠ ــ يُنَشْنِشُ اللحمَ عنها وهْىَ باركةٌ كما تُنَشْنِشُ كفّا قاتلٍ سَلَبا

يقال: امتطيتُ البعيرَ، إذا ركبتَ مَطاهُ، وهو الظَّهر، وأمْطَيْتُهُ غيرى. وإنما يَصِفُ إشرافَ الناقة التى وصفَها، فيقول: ركبها جازِرُنا لمّا نحرَها،

(١) ديوان الهذليين (١ : ١٠٨). وبكرا بمعنى بكرة. والحرجف: الريح الشديدة.
(٢) كذا فى النسختين. والوجه «منها».
(٣) والوجه بناء على الوجه السابق أن يكون معنى «منها» من الكوم، أى تلك الإبل.
(٤) ضنا بكسر الضاد فى النسختين، وهى تقال بالكسر وبالفتح أيضا.

إذ كان أعلى سنامها لم تصل إليه يدُه فصار منها لمَّا علاها بمكان القَتَب حتى كأنها مقتَّبة. والسَّناسِنُ: أعالى السَّنام والخارجُ مِن فَقار الظَّهر، واحدتها سِنْسِنة. ومعنى يُنشنِشُ يكشِف ويفرِّق. وقيل: النشنشة معاسَرةُ الشَّىء حتى تأخُذَه كما تريد. يقول: ركب مطاها لما لم يبلغ سنامَها لعظمها ولم يمكنْه أن يكشِط الجلْدَ عنها، فأقبلَ يقطِّع اللحم عنها وينتزِعُه منها، فِعلَ القاتل السالب لثياب المقتول وسلاحه. وهذا تشبيهٌ حسنٌ جاء على حَقِّه. ورواه بعضهم: «كما تُنشْنِشُ كفا فاتلٍ سَلَبا»، وقال: شَبَّهَ نشْنَشته بنشنشةِ فاتلٍ الحبل من السَّلب، وهو نباتٌ يَخرُج على صورة الشمَع وعلى قدْره، فيُجزُّ ويُفتلُ منه الحبل. وبائعها ومتّخذها السَّلَّاب.

هكذا حكاه أبو حنيفة الدِّينوَرىُّ. والرِّواية الأولى أجوَدُ وأكثرُ مَشابِهَ.

١١ ـ وقُلتُ لما غدَوْا أُوصِي قعيدَتنا غَدِّى بَنيكِ فلنْ تَلْقَيهم حِقَبا

١٢ ـ أُدْعى أباهُمْ ولم أُقرِفْ بأمِّهِم وقد عَمِرْتُ ولم أعْرِفْ لهم نَسبا

١٣ ـ أنا ابنُ مُحكانَ أخوالِى بَنو مطرٍ أنْمِى إليهم وكانوا مَعشَراً نجبا

قوله: «لما غَدَوْا» أى همُّوا بالارتحال غدُوًّا، لأنّ «لمَّا» عَلَمٌ للظّرف. و«أوصِى» فى موضع النّصب على الحال، وتقديره: موصياً قعيدَتنا، ومفعول قلتُ قوله «غدِّى بَنيكِ»، والمعنى بالِغِى فى تفقّدِ أضيافك فى هذه الغداة، فإنّ لقاءَهم سيتأخَّر زماناً ممتدًّا، والحِقَب: السِّنون، واحدتها حِقبةٌ، والمعنى غدِّى الإحسانَ إليهم نُهزَةً تفترصينها، وزاداً من الإحسان تدَّخرينها، فإنه لا يَدرى متى تظفَرين بأمثالهم، وهل يكون فيما بَقِىَ من الزمان لهم عودةٌ إلينا

وإنما قال: «أُدْعى أباهم»، لأنه يقال للمضيف: أبو المَثْوَى، وللمضِيفة: أمُّ المثوَى.

« ولم أُقْرَف بأمِّهِم » أى لم أُتَّهم . والقِرفة : التُّهمة . ومعنى « عَمِرْتُ » : بقيت حيًّا . وقصدُ الشاعرِ أن ينبِّه على أنَّه لاعواطف بينهم ، ولا أواصرَ تجمعُهم ، وقد التزَم ما التزمَ لهم تكرُّما واصطناعا . ثم نبَّهَ على طرفَيه فقال : أخوالى بنو مطر أنتمِى إليهم وهم مُنْجِبون ، وأعمامى بالفضل والإفضال معروفون ، و « نَجْلُ الجَوادِ جَرْيَه يتقيَّلُ (١) » .

٦٧٧

آخر :

١ ومُسْتَنْبِحٍ قالَ الصَّدَى مثلَ قوله ... حَضَأْتُ له ناراً لها حَطَبٌ جَزْلُ

٢ـ فقمتُ إليه مُسرِعاً فَغَنِمْتُه ... مَخافةَ قومى أن يَفوزُوا به قبلُ

٣ـ فأوْسَعنِى حَمداً وأوسعتُه قِرًى ... وأرْخِصْ بحَمْدٍ كان كاسِبَه الأكلُ

قوله « ومستنبح » يريد به رجلاً نا كَدَه الزَّمانُ فى سفره ، أو لم تساعدْه الحال فيه على مُؤَنه ، فاستنبح كلابَ الأحياء ليهتدىَ إليهم ، فأقبلَ الصدَى يحاكيه ، ويؤدِّى إليه مثلَ صوته . ومعنى « حضأت له ناراً » فتحتُ عينها لترتفع وتلتهب وقد أُوقِدَتْ بغلاظ الحطَب وكبارِها ، فقمت إلى الضَّيف متعجِّلا ، واستغنمت خدمتَه مُسارِعا لئلَّا أُبادَرَ إليه فيغتنمَه غيرى ، ويفوزَ به سابقًا لى . وقوله « حضأتُ له ناراً » ، جواب رب .

وانتصب « مسرعاً » على الحال ، و « مخافةَ قومى » مفعول له ، أى فعلتُ ما فعلت لهذه العلَّة فأكثرَ الضَّيفُ من إطرائى وتزكيتى ، وشُكرى وتقريظى ، وأكثرتُ القِرى له محتفِلا ومتكثِّرا ، ومتودِّدا ومتكرما ، وما أرخَصَ حمْداً جالِبُه أكْلٌ ، وكاسِبُه إطعام . وقوله « كان كاسِبَهُ أكل » جعل النكرة اسمَ

(١) تقيل الولد أباه : نزع إليه فى الشبه .

كان ، والمعرفةَ خبرا . والإبهامُ الحاصل من التنكير فى هذا الموضع أبلغُ فى المعنى المستفاد . ومثله قول النابغة [(١)] :

كأنَّ مُدامةً من بيت رَأْسٍ ... يكونُ مزاجَها عَسَلٌ وماء

وإن شئت رويتَ : « وأرخِصْ بِحَمْدٍ كان كاسُبهُ الأكل » ؛ وأمْرُه ظاهر .

٦٧٨

آخر :

١ — تركتُ ضَأْنى تَوَدُّ الذئبُ رَاعِيهَا ... وأنهـا لا ترانى آخِرَ الأَبدِ

٢ — الذئبُ يَطْرُقُهافى الدَّهرِ وَاحدَةً ... وكلَّ يَوْمٍ ترانى مُدْيَةٌ بِيَدِى

قوله « تودُّ الذئب راعيها » ، لك أن تقول : عدّى تودّ إلى مفعولين ، ويسوّغ ذلك فيه أنه عطف على مفعوله الأول قوله « وأنها لاترانى آخِرَ الأبد » ، ويكون التقدير لكشفه : وتودُّ أنها لا ترانى أبدا . ويشهد لهذا قول الآخر [(٢)] :

ودِدتُ وما تُغنِى الوَدَادَةُ أنَّنى ... بما فى ضميرِ الحاجبيَّـةِ عَالِمُ

ألا تَرَى أنّ وقوع «أنّ» بعده يقرّب الأمر فى تعدّيه إلى مفعولين ، وأنْ يُجْرَى مجرى أفعال الشّك واليقين ، كما تقول ظننتُ أنَّ زيداً منطلِقٌ ، وأصحابُنا النحويُّون بمثل هذا الاستدلالِ حكَموا على زَعَمْتُ بأنه يتعدى إلى مفعولين . ولا يمتنع أن يكون « راعيها » فى موضع الحال ، والمراد راعياً لها ، وبتعدى تودُّ حينئذ إلى مفعول واحد . والمعنى أنَّ ضأنى تتمنَّى أن يكون مدبّرها فى الرعْيَةِ

(١) كذا فى النسختين . والصواب أنه حسان بن ثابت . ديوانه ص ٣ ومعجم البلدان (بيت رأس) . وبيت رأس : موضع بالشام . ويروى : « كأن سبيئة » .

(٢) هو كثير عزة . الحماسية ٤٩٣ ص ١٢٨٧ .

أعدَى عَدُوٍّ لها ، وتخرج من مِلْكتى ومِلْكى ، حتى لا أراها آخر الدهر ، وذلك أن عدوّها ينفع معه الحَذَر ، بل لا [يكاد(١)] يتمكن من الإضرار بها طُولَ الدهر إلا مرة وَاحدة ، وذلك لعارضِ إهمال(٢) أو اتِّفَاق سَيِّء وإغفالٍ ، أو لما هو عادةُ الزمان فى انتهاء الآماد من الإرصاد ، وهى لا تحترزُ منى إذا أردتُها وإن اجتهدَتْ ، ولا تطيق دَفْعَهَا لى وإن احتفلَتْ .

وقوله « الذئب يطرُقُها » هو بيانُ سببِ تمنيها وكشف العِلة فى تفاديها من أن تكون فى ضِمْن سياستِهِ(٣) لها . وانتصبَ واحدةً على الظرف ، مرة وَاحدة ، ويجوز أن يكون صفةً لمصدرٍ محذوف ، كأنّه أرادَ طَرْقَةً واحدةً . وقوله « وكلَّ يوم » هـ ظرف لقوله « ترانى مديةٌ بيدى » ، وموضع مديةٌ بيدى نصب على الحال ، أى ترانى حاملاً مُدْيَةً لها ، ومتهيئاً بآلةِ ذبحها . وإن شئتَ رويت « مُدْية » ، ويكون بَدَلاً من المضمر فى ترانى ، وهذا البَدَل هو بدل الاشتمال ، أى تَرَى مُدْيَةً . فأما وجهُ الرفع ، فالضميرالذى بيدى استغنى عن الواو المعلِّقة للجُمَل بما بعدها وهى صفاتٌ أو أحوال ، لأن الضمير يُعلِّق كما يُعَلِّق العاطف ، وفى الوجه الثانى وهو البدلُ مثلُه قول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشَّهْرِ الحَرَامِ قتالٍ فيه(٤) ﴾ .

(١) التكملة من ل .
(٢) هذا ما فى ل وفى الأصل : « لعارض لإهمال » .
(٣) ل : « سياسة » .
(٤) قراءة الجر هى قراءة الجمهور . وقرأ ابن عباس والربيع والأعمش : « عن قتال فيه» بإظهار عن ، وهكذا هو فى مصحف عبد الله . وقرىء شاذا : « قتال فيه » بالرفع . وقرأ عكرمة : « قتل فيه قل قتل فيه » بغير ألف فيهما . تفسير أبى حيان (٢ : ١٤٥).

٦٧٩

آخر(١) :

١ ـ ما أنَا بالسَّاعِى إلى أمِّ عاصِمٍ لأضْرِبَها إنى إذًا لجَهُولُ(١)
٢ ـ لَكِ البيتُ إلاَّ فَيْنَةً تُحْسِنِيـنَها إذا حَانَ من ضَيْفٍ علىَّ نُزُولُ

قوله « لأضربَها » اللام منها لام كى . فإن قيل : كيف يكون كذلك وفى صدر الكلام ما النافية ، ولِمَ لا يكون لام الجحود ؟ قلت : لام الجحود تقع بعدما كان وما تصرّف منه ، كقول الله تعالى : ﴿وَمَا كانَ اللهُ لِيعَذِّبَهُمْ وأنتَ فيهِمْ﴾ . وكقولك : ما كنت لأشتُمَك ، لأنه جواب قولِ قائل : كنت ستشتُمنى ، فأُجيبَ : ما كنت لأشتُمِكَ ، ولهذا لم يظهر معه أنْ الناصبةُ للفعل وإن جاز ظهوره مع لام كى . و «إذًا» وقع لَغْوًا لافتقار ما قبلها إلى ما وَقَعَ بَعْدَها . والجهول : الكثير الجهل وبناؤه للمبالغة(٢) . وهذا الكلام خارجٌ على سبب ، كأنه رأى إنسانًا يضرب امرأته ويحول بينها وبين تدبيرها دَارَها ، فنفَى عن نفسه مثلَ ذلك بعدأن اعتقد فيه أنّه يقتدى به حتى كأنه أجاب مَن قال له : أ كنت لتضربَ أمَّ عاصمٍ ؟ فقال : ما أَنا بالسّاعى لذلك . وبَين أَنَّ ذلك يفعله المتناهِى فى الجهل والغَباوة .

وقوله « لكِ البيتُ إلا فَيْنةً » حكى أبو زيد أنَّ قولهم فَيْنةً مما يعتقب عليه تعريفان : أحدها بالوضع ، والآخر بالألف واللام . ومثله شَعوبُ والشَّعُوب ، والمراد به المنيّة ، كما أن المراد بالفَينة الوقت . كأَنه أَقبلَ على امرأته فقال : إليك تدبيرُ البيت ولك الأمرَ فيه نافذا إلا وقتا تُحسِنين فيه ، وهو وقتُ حين نزول الضيف فيه علىّ ، لأنه من أجله يجب أن تُحْسنى إليه فيه ، وتدبِّرى له لا عليه ،

(١) فى التنبيه لابن جنى أن اسمه « مشمت بن عبدة » .
(٢) كذا بالخرم فى النسختين . وعند التبريزى : «وما أنا بالساعى» .
(٣) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « وبناء المبالغة » .

لأنّ البيت كأنّه له ونحن مِن خَوَلِه : وقوله «تحسينها» قدّر الظّرف تقدير المفعولِ الصحيح ، كما قال :

* ويوم شَهِدناهُ (١) *

وما أشبهه . وَروى بعضهم : « إلا فينة تَحْسَبينَها (٢) » أى تظنّين فيها أنّه لغيرك لا لك ، ويكون على هذا قد حُذف مفعولاَ يَحْسِبُ وشُغِل بضمير القَينة . والمعنى فى ذلك : تجعلين النظرَ له والتجمُّل ، والاحتفالَ بسببه . وانتصَب « إلا فينةً » على الاستثناء من واجب (٣) ، كأنّه قال : لكِ البيت كلّ وقت وساعةٍ إلاّ ساعةَ كذا . وهذا الاستثناء من معنى لكِ البيت ، وممّا انطوَى عليه فحوى الكلام . وقوله « إذا حانَ من ضَيفٍ علىَّ نُزول » موضعه نصبٌ على أنّه بدل من فَيْنَةً . وإنّما قال إذا حان لأنّ الاستعداد والاحتشاد يتقدّمان النزول .

٦٨٠

وَقال بعضُ بنى أسد :

١ — وسَوْداءَ لا تُكْسَى الرِّقاعَ نَبيلةٍ لها عِندَ قِرّاتِ العَشِيَّاتِ أَزْمَل

٢ — إذا ما قَرَيناها قِراهَا تَضَمَّنَتْ قِرَى مَنْ عَرانا أو تَزيدُ فتفْضُلُ

(١) البيت بتمامه كما فى الكامل ٢١ ليبسك :

ويوم شهدناه سليماً وعامراً قليلا سوى الطعن النهال نوافله

(٢) التبريزى : « ويروى تحبسينها ، أى تتخلفين فيها عن تيسيرك طعام الضيف . قال أبو العلاء : وإذا رويت قينة احتمل وجهين : أحدهما أن يكون القينة الأمة ، أى أنت المحكمة فى البيت غير حبسك القينة عن القيام بما يجب للضيف . والآخر أن تكون القينة بمعنى الفقارة من الظهر . أى وفرى قرى الضيف عليه ولا تحبسى من الطعام شيئاً عندك فإن تقديمه إليه وهو كثير أجمل » .

(٣) هذا ما فى ل : وفى الأصل : « على استثناء واجب » .

أراد بالسّوداء قِدْرًا ، و « لا تُكْسَى الرِّقاع » فى موضع الصفة لها .

وفى طريقته قول الآخر(١) :

* إذا النيرانُ أُلبِسَت القِنَاعَا(٢) *

وجعلها مكسوّةً قناعا لأنَّ الرُّقعة والرقعتين لا تكفى فى سَتْرها لعِظَمها . وإنما تُستَر القُدورُ لشدة الزّمان ، بل تُعَطَّل وتُرفَض لضيق الأحوال ، وقصور الأيدى عن المراد ، مع اتّساع الغاشيَةِ وتورُّد الطُّلاب .

ويشبه ما ذَكَره من جمع الرِّقاع لعظم القِدْر قول الأعشى ، وقد وصف امرأةً بعظَم العَجِيزة :

* تَشُــدُّ اللفاقَ عليها إزارَا(٣) *

أى تُلَفِّق بين ثوبين حتى يتسع إزاراً لها .

ويجوز أن يريد أنها كبيرةٌ لا يمكن سَتْرُها بالرّقاع ، أو لا تستر ، كما قال :

* ولا تَرَى الضب بها ينْجَحِرْ(٤) *

والمعنى لا ضبّ هناك فينجحر .

وقوله « نبيلة » أى عظيمة الشأن ، وخص قِرات العَشيّات لأنها وقتُ الأضياف . والمراد : لها عند العشيات القَرَّةِ أَزْمَلٌ ، وهو الصوت ، والمراد غليانها . وَالقَرُّ والقُرُّ وَالقِرَّةُ : البرد .

(١) هو أبو زياد الأعرابى الكلابى ، كما سيأتى فى الحماسية ٦٩١ .
(٢) صدره : * له نار تشب على يفاع *
(٣) ديوانه ٣٨ . وصدره :
* فيارب ناعية منهم *
(٤) لعمرو بن أحمر ، كما سبق فى حواشى ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ ، ١٠٧٣ . وصدره :
* لا تفزع الأرنب أهوالها *

وقوله « إذا ما قَرَينَاهَا قِراها » ، يريد إذا ملأناها قِدرًا وأوصالا تضمنتْ لنا الكفايةَ لمن(١) نَابَنَا من حَقٍّ ، وأتانا من ضَيْف ، أو تزيد عن المطلوب فتَفْضِلُ على غيرهم ممن لا يُعَد فى الوقت ولا يُذكَر : ويروى : « فتَفَضَّلُ » بفتح التاء ، وهو ظاهر المعنى ، وَالأوّل أحسن . وَجعلَ المطبوخَ فى القدر قِرًى ليُطابقَ قوله : تضمَّنتْ قِرًى من عرَانا : وعادتُهم فى طباق الألفاظ(٢) ووِفاقِها فى النظام معروفة .

٦٨١

وقال آخر (٣) :

١ — سَلِى الطارِقَ المُعْتَرَّ ياأمَّ مَالكٍ إذا ما أتانى بين قِدْرى ومَجْزِرِى

٢ — أيُسفِرُ وَجْهِى أنه أولُ القِرَى وأبذلُ معروفى له دُون مُنْكَرِى

الطَّارق : الآتى ليلا . وسَلِى أصله اسألِى فحذفت الهمزه وأُلقِي حركتها على السِّين ثم استُغنى عن الهمزة المجتلبة ، لتحرك السين بالفتحة ، فحذفت . والمعتَرُّ : المتعرِّض ولا يَسأل . يقال : عَرَّهُ واعترَّاهُ بمعنًى . وفُسِّرَ فى التنزيل قوله تعالى: ﴿فكلُوا منها وأطعِموا القَانِعَ والمُعتَرَّ﴾ على ذلك ، لأنَّ القانع قيل هو السائل ، والمعترّ الذى يتعرّض ولا يتكلَّم . وقال الأصمعىّ : عراه واعتراه وعَرَّه واعترَّهُ إذا أتاه طالبًا لمعروفه . وقوله « إذا ما أتانى بين قدرى ومجزرى » يريد إذا أتانى فى موضع الضّيافة ودارها بين مَسْقِطِ الجُزُرِ ومَنْصِب القُدور . والمعنى ، سَلِى أضيافى عن أخلاقى معهم ، وكَيفية إكرامى لهم فى مَثْواهم ، وهل أتدرَّجُ فى

(١) كذا فى النسختين . كأنه نظر إلى قوله « وأتانا من ضيف » .

(٢) فى الأصل : « اللفظ » ، صوابه فى ل .

(٣) هو عروة بن الورد . ديوانه ٩٩ . وقد سبقت ترجمة عروة فى ص ٤٢١ . وعند التبريزى : « وقال آخر ، عروة بن الورد » ، وقد تكون زيادة ناسخ .

مدارج الخدمة وأتوصَّل بأنواع التودُّد والقُربة من ابتداء نزولهم، إلى انتهاء ذَهابهم عنّى وخُفوفِهم. وإنَّما خاطب امرأةً على عادتهم فى نسبة الملامات بسبب التَّبذير والإسراف والتوسُّع فى الإنفاق إليهنَّ، وإقامة الحِجاج والجِدال فى الانصباب إلى جوانب الخسارات معهنّ. ويجوز أن يكون التبجُّح عندها بما يُحْمَد من خِصاله، فلذلك خصّها بالخطاب.

وقوله «أيُسْفِرُ وجهى» فى موضع المفعول الثانى لَسلِى، وقد اكتفى به لأنّ فى الكلام إضمارَ أمْ لاَ وساغ حذفُه لما يدلُّ عليه من قرائن اللفظ والحال. وقال سيبويه: «لو قلتَ علمت أَزيدٌ فى الدار لاكْتُفِيَ به من دون إضمار. ولو قلتَ: سواءٌ علىّ، أو ما أُبالى، لم يكن بُدٌّ من ذِكْر أمْ لا بعدها».

ومعنى قوله «أنه أولُ القِرى»، يريد أنّ إظهار البشاشة للضيف وتطلُّق الوجه معه، وإظهارَ السرور بقصده ومَثواه من أوائل قِراهُ. ثم الترحيبَ به وإيناسَهُ من بَعْدُ حتى كأن يُنتظَر كما ينتظر الغائب الآيب، ثم المبالغةَ [1] فى الإنزال وحَطِّ الأثقال، وإظهارَ سَعةِ الرحْل والمكان إلى غير ذلك — ممَّا يَبْسُطُ منه، ويُزيل الحِشمةَ والانقباض عنه؛ لذلك قال:

* وأبذل معروفى له دون منكرى *

لأنَّ قوله «معروفى» دخلَ تحتَه كلُّ محمودٍ من الأفعال والرُّسوم، كما أن قوله «دون منكرى» اشتمل على نَفْيِ كلِّ مذموم من الخصال والأمور. وقيل: إن المنكَر هو أن يَسألَ عن حاله ونسَبه، وقَصدِه فى سفَره، وكيفية مأتاه حينَ نزلَ به؛ لأن جميعَ ذلك مما يجلب عليه حياء، ويُوسعه نفوراً وإمساكاً [2].

والضمير من قوله «أنه أول القِرى» لما يدلُّ عليه قوله «أيُسْفِرُ وَجهى»، لأن

(١) فى الأصل: «ثم أعاتبه»، صوابه فى ل.

(٢) ل: «إمساكا ونفوراً».

الفعل يدلُّ على مصدره . والمراد أنَّ الإسفار أوّلُ القِرى ، وعلى هذا قولُهم : مَن كَذَبَ كان شراً له . وما أشبَهَه .

٦٨٢

آخر :

١ – وإنا لمشّاؤون بَينَ رِحالِنا إلى الضَّيف مِنّاً لاحفٌ ومُنيمُ (١)
٢ – فذو الحِلم منا جاهلٌ دون ضَيفِهِ وذو الجهل مِنا عَنْ أذاهُ حَليمُ

قوله « إنا لمشّاؤون » إبانةٌ عن حسن خِدمتِهم للضيف ، وعن قُربِ مَحَطِّه مِن رحالهم ومَقَارِّهم (٢) وقوله « منا لاحِفٌ ومنيم » يُريد : وَمنّا مُنيم ، فحذف لأنَّ المراد مفهوم . وفي القرآن : ﴿مِنْها قائمٌ وحصيد﴾ . واللاحِف والمنيمُ إنما ينهضان بعد تَقَضِّي الإطعام وَالإيناس . ألا تَرَى قولَ الآخر (٣) :

أُحَدِّثُه إن الحديثَ من القِرَى وتَعلمُ نفسي أنه سوف يَهجَعُ

وَقوله « فذو الحلم منّا جاهل دون ضَيفه » في هذا البيت بعضُ ما في قول الآخر :

* وأبذلُ معروفي له دون مُنكَرِي (٤) *

وإنما يتجاهل الحليمُ دون ضيفه إذا أوذِيَ عند طلب ثأرٍ من جهته أو تخشينَ جانبٍ له بكلامٍ أو فَعال .

وقوله : « وذو الجهل مِنّا عن أذاه حليمُ » ، يريد به وإنْ أخَذَ الضيفُ يؤذينا تَرى الجهول يحتملُه ، ويَغفر زَلَّتَه ، ولا يَطلب مؤاخذته ومكافأته .

(١) ل : « إنا لمشاؤون » بالخرم .
(٢) ل : « ومعارفهم » . وتُراها : « ومقاريهم » .
(٣) هو عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمي ، كما سيأتي في الحماسية ٧٦٣ .
(٤) عجز البيت الثاني من الحماسية ٦٨١ . وفي الأصل : « فما بذل » صوابه في ل .

٦٨٣

وقال ابن هَرْمَةَ (١) :

١ ـ أغْشَى الطريقَ بقُبَّتى ورِواقِها ... وأحُلُّ فى نَشْزِ الرُّبى فأُقِيمُ (٢)
٢ ـ إن امرأً جعَل الطريقَ لِبَيْتِه ... طُنُباً وأنكرَ حقَّهُ لَلَئيمُ

يقارب ما قاله قولُ الآخر :

يَسِطُ البيوتَ لكى يكونَ مَظِنّةً ... من حيثُ توضَعُ جَفْنةُ المُسْتَرْفِدِ (٣)

وقول الآخر (٤) :

ويأبَى الذمُّ لى أنى كريمٌ ... وأن مَحَلِّىَ القَبَلُ اليَفَاعُ (٥)

وذاك أنَّ الكِرَام ينزلون الرَّوابِىَ والإكام (٦) ، ويتوسَّطون الناسَ فى أيام الجدب، وعند اشتمال القَحط ، لكى تهتدى إليهم السابلة والمارّة ، ويشترِكَ فى خيرهم الدّانى والقاصى . واللّئام ينزلون الأهْضامَ وبطون الأدوية ، ويتفرّدون عن الناس إبقاءً على زادهم، وضِنًّا بطعامهم ، وتَفادياً من أن تُعرفَ أماكنُهم فيكثر قَصدُ أبناء السبيل ووطْؤُهم إياهم ، وتنضمَّ الطوائف والفِرق إليهم . لذلك قال المرقِّش :

* وعادَ الجميعُ نجْعَةً للزعانِفِ (٧) *

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٧٠ ص ١٢٤٧ .

(٢) التبريزى : « ويروى : فى قلل الربى » .

(٣) سبق فى ص ٩٦٤ . وهو فى اللسان (وسط ٣٠٩) محرف .

(٤) هو ربيعة بن مقروم . البيت ٧ من المفضلية ٣٩ .

(٥) كلمة « لى » ساقطة من الأصل ، وإثباتها من ل والمفضليات . والقبل ، بفتحتين : ما أستقبلك من الجبل .

(٦) ل : والآكام » . وبجمع الأكمة على أكم بالتحريك، والأكم على إكام ، والإكام على أكم بضمتين ، والأكم على آكام مثل عنق وأعناق .

(٨) البيت ١٢ من المفضلية ٥٠ . وصدره :

* وكان الرفاد كل قدح مقوم *

أى تأوى الفِرق القليلة إلى الجَمْع(١) ، لتعيش بعيشهم . فيقول : إنِّى أنزِلُ عَلَى الطريق وأبنى عليها قُبَّتى ، وقد مُدَّ رِواقُها ورُفِع سَمْكُها لتمتد العيونُ إليها ، ويغشانى ذَوُو الحاجاتِ فيها . وكذلك أحُلُّ التِّلاع والنِّشازَ تشهيرًا لمكانى ، وتعرُّضا لتعليق الآمال بى إذا اشتدّ الزمان ، وأوثِر الخُمولَ والاندفان . والقِبابُ يتّخذها الرؤساء ، فلذلك خَصَّها بالذكر ، ولم يرض بذلك حتى جعل لها رواقاً ممدودا ، وموضعاً له من الطريق مَغشيًّا موطوءًا .

ولمثل ذلك قال أبو تمام :

لولا بنو جُشَمِ بن بكرٍ فيكُمُ   رُفِعَتْ خِيامُكُمُ بغير قِبابِ(٢)

والنَّشْزُ : ما ارتفع من الأرض . والرُّبَى : جمع رُبوة . ولم يَرْض بالحلول حَتى وَصَلَه بالإقامة .

وقوله « إنّ امرأ جعلَ الطريق لبيته طُنُباً » ، أراد جَعَلَ الطريق موضع طُنُبِ بيته ، فحَذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويجوز أن يكون على القَلْب ، أراد : جعل طُنُب بيته للطَّريق ، أى مما يليه ، ثم لم يقمْ بحقِّه ولم يلتزم ما يجب عليه فيه ، لَلئيم . وإنما أعاد هـذا الذكرَ تأكيداً لما يأتيه ، واعترافاً بالواجب فيه . والأطْنَاب : حبال البيوت ، قال الشاعر :

* تُقَطِّعُ أطنابَ البُيوتِ بحاصب(٣) *

وقد تسمّى عروقُ الشجر أطناباً على التشبيه ، وهـذا كما سمِّيت أذناباً وأشطانا . قال :

. . . . تستقى   بأذنابها قبل استقاءِ ا لناجِرِ

---

(١) ل : « الجميع » .
(٢) من قصيدة له فى ديوانه ١٨ — ٢١ يمدح فيها مالك بن طوق التغلبى .
(٣) فى الاصل : بحاصبة » ، صوابه فى ل .

وقال آخر :

* أشطانها فى عِذَاب البَحْرِ تستبِقُ *

٦٨٤

وقال آخر (١) :

١ — ومُستَنْبِحٍ يَستكشِطُ الريحُ ثوبَهُ ليسقُطَ عنه وهو بالثوبِ مُعْصِمُ (٢)

٢ — عَوَى فى سَوَادِ الليلِ بعدَاعتسافِهِ لِيَنبحَ كَلْبٌ أو لِيفزَعَ نُوَّمُ

كَشَطَ واستكشط بمعنًى ، فهو كعجب واستعجب . والكَشْطُ يقارب الكَشف . ويقال : كُشِطَ الجلدُ عن الجَزُور ، ويُستعمَل فى الجزور خاصّة كثيراً وإن أُجْرِىَ على غيره أيضاً . والجلد يقال له الكِشاط ؛ يقال : ارفَعْ عنه كِشَاطَهُ . والمُعْصِم والمستعصم واحد ، وهو المستمسك بالشّىء . وإنَّما أراد أن يصوِّر حال المستنبح وما هو ممنوٌّ به من البرد والريح (٣) .

وقوله «عَوَى فى سَوَاد الليل» أى نبح وصاح . وفى المثل السائر : « لَوْلَكَ عَوَيْتُ لم أعْوِ (٤) » . وأصله المستنبح أجابَه الذئب . ويقال «فلانٌ ما يُعوى ولا يُنْبِح» إذا استضعف . ويقال للدّاعى إلى الفتنة عَوَى ، تشبيهاً له بالكلب وإزراءً به ، فأمَّا قولهم للحازم : «ما يُنْهَى ولا يُعْوَى» ، فالمعنى لا يُثْنَى ولا يُرد . وعوَيتُ الشَّىءَ ولويتُه بمعنًى . والاعتساف : الأخذ فى الطريق على غير هداية . وإنما قال «أو لِيَفزَعَ نُوَّمُ» لأنَّهم إذا انتبهوا لصَوته أجابوه أو تَقَوَّوه أو رفعوا النَّارَ له (٥)

---

(١) هو إبراهيم بن هرمة . البيان (٣ : ٢٠٥) . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (١ : ٣٧٧ — ٣٧٨) .

(٢) التبريزى والحيوان : « تستكشط » .

(٣) يقال مناه بالشىء يمنوه ويمنيه ، أى ابتلاه ، فهو واوى يائى .

(٤) انظر المعمرين للسجستانى ١٤ فى كلام أكثم بن صيفى .

(٥) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « رفعوا لنازله » .

وذلك على حَسَب مكانِه منهم فى القُرب والبُعْد . وجوابُ رُبَّ : عَوَى .

٣ ـ فجاوَبَه مُسْتَنْسِعُ الصَّوتِ للقِرَى ... لَهُ مَعَ إتْيانِ المُهِبِّين مَطْعَمُ

٤ ـ يكادُ إذا ما أَبصَرَ الضيفَ مُقبِلاً ... يُكلِّمُه مِنْ حُبِّهِ وهو أَعْجَمُ

يعنى بمستنسع الصّوت : الكلب . ويقال : استنسع بمعنى سمع ، فهو كاستعجب وعجب . وإنما قال « إتيان المُهِبّين مطعم » لسَعة عيش الكلب فيما يُنْحَرُ للضيف . والمُهِبّون : الأضياف . ويقال : هَبَّ من مَنامه ، وأهببتُه .

وقوله : « يكاد إذا ما أبصرَ الضيف مُقبِلا يكلّمه » ، أى يكاد الكلبُ يكلم الضيف حُبًّا له إذا أَقبلَ ، عَلَى عُجمته . وانتَصَب « مقبلا » على الحال ، والكلبُ ممّا يُوصَف به حُبُّه للضَّيْف ، لذلك قال الآخر :

حَبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ مُناخُه ... بَغِيضٌ إلى الكَوْماءِ والكَلْبُ أَبْصَرُ[(١)]

وحبُّه للظّاعن ، لذلك قيل فى المثل : « أَحبُّ أهل الكلب إليه الظّاعن » وحبُّه لوقوع الآفات فى المال ، لذلك قيل فى المثل : « نعمُ كلْبٍ فى بُؤْسَى أهله[(٢)] » . واللام من قوله « للقرى » يجوز أن يتعلّق بقوله جاوَبه ، أى لهذه العِلّة جاوَبه ، ويجوز أن يتعلّق بقوله مستنسع الصوت .

٦٨٥

وقال سالم بن قُحْفَان[(٣)] :

١ ـ لا تَعْذُلِينى فى العَطَاء ويَسِّرِى ... لِكل بَعيرٍ جاءَ طالبُه حَبْلاَ

(١) البيت من الحماسية ٧٢١ .

(٢) انظر المعمرين للسجستانى ص ١٤ .

(٣) سالم بن قحفان العنبرى ، كما عند التبريزى والقالى (٢ : ٤) واللآلىء ٦٣١ . وكان من خبر الشعر أن سالم بن قحفان أتاه أخو امرأته فأعطاه بعيراً من إبله وقال لامرأته : هاتى حبلا يقرن به ما أعطينا إلى بعيره ، ثم أعطاه بعيراً آخر وقال : هاتى حبلا ، ثم أعطاه ثالثاً فقال : هاتى حبلا . فقالت : ما عندى حبل . فقال : على الجمال وعليك الحبال . فرمت إليه خمارها وقالت : اجعله حبلا لبعضها . فأنشأ يقول هذه الأبيات . انظر للقصة المراجع السابقة.

٢ ـ فإنِّىَ لا تبكى علىّ إفالُها إذا شَبِعَتْ من رَوْضِ أوطانِها بَقْلاَ
٣ ـ فلَمْ أرَ مِثْلَ الإبْلِ مَالاً لِمُقْتَنٍ ولا مِثلَ أيّام العطاءِ لها سُبْلاَ (١)

كانت امرأته عاتبته وأنكرَتْ منه تبذيرَ المال، وقلّة الفكر فى عواقب الأمور وحاضِرِ العِيال، وقال لها اطّرحى اللّوم معى فيما تعودتُه وأُجرِى عليه من البَذْل والسَّخاء، وهيِّئى لكل بعير جاء طالبٌ له حَبْلاً يقتاده به، حتى تكونى شريكاً لى فى العَطاء ومُعيناً، واعلَمِى أنّى إن أبقَيْتُ على مالى وسعيت فى توفيرها وتثميرها، وأهنتُ نَفْسى بإعزازها، فإنها لاتبكى علىّ إفالُها إذا مِتُّ وقد طاعَ لها المَرتَع من قبلُ فشَبِعت من بقول الرياض، وسمنت بالتّوديع وحسن الإرعاء، ولا تذكُرُنى بجميل، وإنما يفعل ذلك من أحسنتُ إليه فى حياتى واصطفيته(٢) بإسدائى، وآثرْته باتخاذ الأيادى إليه، وإكمال النِّعَم عليه.

وقوله « لم أر مثل الإبل مَالاً لمُقْتنٍ » فالمقتنِى: الذى يتّخذها قِنْيَةً للنَّسل والمراد أنّها إذا لم يوجد للاقتناء خيرٌ منها، فلا طريق تُصرف إليه أصلحُ من طُرُق (٣) الحقوق الرّاتبة فيها. وانتصب « بَقْلاً » على التمييز. وإنما قال « لا تبكى علىّ إفالُها » وهى الصغار منها، والواحد أفِيلٌ، إزراءً بها إذْ صارت

(١) التبريزى: « أيام الحقوق ». وبعده عند التبريزى: « فأجابته امرأته:

حلفتُ يميناً يا ابنَ قحفان بالذى تكفّلَ بالأرزاق فى السهل والجبَلْ
تزَالُ حِبالٌ مُحصَدَاتٌ أعِدُّها لها ما مَشَى منها على خُفّه جَمَلْ
فأَعط ولا تبخلْ لمن جاء طالباً فعندى لها خُطمٌ وقد زاحت العِلَلْ

قولها تزال، أى ما تزال. وجاز حذفها لدلالة اليمين عليها. وزاحت بمعنى زالت. وأزحتها: أزلتها ».

(٢) ل: « واصطنعته ».

(٣) ل: « من طريق ».

إرْثاً(١) ، ولم تدخل تحت ما فرّقَهُ فى النوائب الطّارقة ، والفُروض الواجبة(٢).

٦٨٦

وقال آخر :

١ ــ ألا تَرَيْنَ وقد قَطّعْتِنى عَذَلاً ماذا من البُعدِ بين البُخْلِ وَالجُود

٢ ــ إلّا يَكنْ وَرَقٌ غضًّا أُرَاحُ به للمُعْتفِينَ فإنى لَيِّنُ العُودِ

يخاطب امرأةً ويقرِّرها على ما أنكرَتْ عليه فى السّخاء والبذْل ، ويُريها أنّ الصّواب فيما يختاره ويجرى عليه من اكتساب الحمْد ببذل ما تملكه يدَاه ، وابتناء المكْرُمات بالتخرُّق فى العطاء ، فيقول : قد قَطَّعْتِنى لَوْماً ، وحَرَّقْتِنِى توبيخا وعَذْلا ، ومتى راجعتِ نفسكِ ، وناجيتِ عقْلكِ ، وخايرت تجربَتَك عرَفتِ التفاوُتَ بين الإمساك والبذْل ، وبين التسخِّى والبُخْل ، وبان لَكِ أنّ الصوابَ فيما أختارُهُ ، وعلى تغيُّر الأحوال أُراجعُه وأعتاده ، وأنّ الخطأ فيما تبعثين عليه ، وتسُوقين إليه ثم قال : إنْ كان فى مالى قصورٌ عن المراد ، وقعود عند حُضور المرتاد ، فإنّ نفسى سَمْحَةٌ مجيبة ، وَعلى ما تقصر الحالُ عنه متحسِّرة ، وسيعود عُودِى وَرِيقاً ، فحينئذ أرتاحُ للعُفاة بوَرَقٍ غَضًّا طرياًّ ، وأُزِلُّ معروفى موفوراً هنيّا . ويقال : رِحْتُ له أرَاحُ ، أى ارتَحْتُ . وقيل : الأرِيحى أفعَلِيٌّ من هذا . وذِكر الورَق كناية عن المال الكثير فى كلامهم . قال زهير :

وليسَ مانِعَ ذى قُرْبَى ولا رَحِمٍ يوما ولا مُعْدِماً من خَابِطٍ وَرَقا

(١) ل : لرداءتها إذا صارت إرثا » .

(٢) ذكر البكرى أن البيت الثانى من القطعة مأخوذ من قول ضمرة بن ضمرة :

أرأيت إن صرخت بليل هامتى وخرجت منها بالياً أثوابى

هل تخمشن إبلى على وجوهها أو تعصبن رءوسها بسلاب

لما استعار الوَرَق للمال وَصَله بالخابط تشبيعاً (١) للفظه، وتحسيناً لكلامه، وكذلك هذا لمَّا كَنَى عن معروفه بالورَق وصَلَهُ بالعُود. وإذا لانَ العودُ اهتزَّ، وعن الاهتزاز للخير يحصل التَّندّى ويَكرُم الطَّبعُ.

٦٨٧

وقال قَيْسُ بن عاصم (٢):

١ ـ إنِّى امْرُؤٌ لا يَعْترى خُلُقى دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أَفْنُ (٣)

٢ ـ مِن مِنقَرٍ فى بَيْتِ مَكرُمَةٍ والفَرْعُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الغُصْنُ (٤)

٣ ـ خُطباءُ حِينَ يَقُومُ قائلُهمْ بِيضُ الوُجُوهِ مَصَاقِعٌ لُسْنُ

٤ ـ لا يَفْطَنُون لعيْبِ جارِهِمِ وهُمُ لحِفْظِ جِوارِهِ فُطُنُ (٥)

قوله «يفَنِّده» أى يفحِّشه، والفَنَد: الفُحْش. ويقال: أفْنَدَ الرَّجلُ، إذا أتَى بالفُحْش. والأَفْنُ أصلُه فى استخراج اللَّبن من الضَّرع حتى يخلوَ منه، ثم قيل أُفِنَ الرَّجلُ فهو مأفون، إذا زالَ عقله. والمعنى: إنى رجُلٌ لا يتسلَّط على خلقى ما يدِّنسه ويفحشه من تغيُّر وتبدُّل، وتسرُّع إلى الشرّ وتلوُّن، وزَوالٍ عن السَّنن المعهود، وذَهابٍ فى طريقِ (٦) المأفون المَعْتوه، ولكنَّنى أبْقَى

(١) فى الأصل: تشنيعاً»، صوابه فى ل.

(٢) هو أبو على قيس بن عاصم بن سنان المنقرى التميمى، شاعر فارس شجاع، وكان سيداً فى الجاهلية والإسلام، صحب النبى فى حياته وعاش بعده زمانا، وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية بل يزعمون أنه أول من وأد. الإصابة ٧١٨٨ والأغانى (١٢: ١٤٣ ـ ١٥١). وروى ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١: ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالى حينما علم أن ابن أخيه قد قتل ابنه.

(٣) فى أمالى القالى (١: ٢٣٩): «لا يعترى حسبى».

(٤) التبريزى: «والغصن». البيان (١: ٢١٩): «والأصل».

(٥) فى أحد أصول البيان «وهم لحسن جواره». وفطن يقال من باب فرح ونصر وكرم.

(٦) ل: «طرائق».

على حالةٍ واحدة محمودة ، لا أحُول ولا أزول . ثم إننى من بنى مِنْقَرٍ فى بيت من الكَرَم قد فَرَعْتُه ، والفَرْع من شأنه أن يتلفَّ بأغصانه النَّابتةِ حولَه . وهذا مثلٌ ضرَبَه للمحتفِّين به من أقاربه ، والآخِذِين إخذه فى طبائعه ومَذاهبه . ثم وصَفَهم فقال : هم خطباءُ إذا قامَ قائلهم يُبِينُ عن نَفْسه وعن عشيرته ، كِرَامٌ لا يسوِّد وجوهَهم عارٌ فى الأصل ، ولا شَينٌ مكتَسبٌ على وجه الدَّهر . المَصَاقِعُ : جمع مِصقع ، وأصل الصقْع الضَّرب ، وكما وُصفَ به اللِّسان وُصف بالسَّلْقِ والصَّلْق فقيل : خطيب مِصقَع مِصْلَقٌ مِسْلَقٌ سَلاَّق . وفى القرآن : ﴿سَلَقوكُمْ بألْسِنةٍ حِدَادٍ﴾ . واللُّسُن : جمع اللَّسِنِ . ويقال : لَسِنَ يَلْسَنُ لَسناً ، إذا تناهَى فى البَلاغة والفصاحة . ويقال لَسنْتُ فلاناً ، إذا ضايقته فيما يجاذِبه من الكلام . على هذا قوله :

* وإذا تَلْسُنُنِي ألْسُنُها[1] *

وقوله « لا يفطُنون لعيبِ جارهم » ، يقول : هم يُلابِسون الجار على ظاهر أمره ، لايتجسَّسون عليه ، ولايتطلَّبون مشاينه ومَقَابحه ، وإن اتّفق له مايوجب عليهم حِفظَه لِعَقد الجوار فَطِنُوا له ، وحافَظوا عليه . وإنما قال هذا لِمَا سارَ فى النَّاس وجَرَى مجرى الأمثال ، من أنَّ التكرُّمَ مكيالٌ ثُلُثاه حُسن الفِطنة وحِدَّة الذَّكاء فى العارضات ، وأنَّ اللؤمَ مِكيالٌ ثلثاهُ الفطنة واستعمالُ التحرُّز فى الواجبات . والفُطْن : جمع فَطِنٍ ، وهو كخشِنٍ وخُشْنٍ .

---

(١) لطرفة بن العبد فى ديوانه ٦٥ طبع قازان . وعجزه :

* إننى لست بموهون فقر *

٦٨٨

وقال ابن عَنْقاءَ الفزاريُّ (١) :

١ — رآنى على مابى عُمَيْلةُ فاشْتَكَى إلى مَالِه حالى أسَرَّ كما جَهَرْ

٢ — دَعانى فآسانى ولو ضَنَّ لم ألُمْ على حِينَ لا بادٍ يُرَجَّى ولاحَضَرْ (٢)

٣ — فقلتُ له خيرًا وأثنيتُ فعلَهُ وأوفاك ما أسديْتَ مَنْ ذَمَّ أوشكَر (٣)

يقول : رَاعَى حالِى عُميلةُ وتأمَّلَها على ما بها ، فأنهى رثاثتَها واختلالها إلى مالِه ، متحمِّلا الشَّكوى منها على قلبه ونفسِه ظاهراً وباطنا ، ومُسِرًّا ومُعلِنا ، لا يَشُوبه مُدَاجاةٌ ولا نِفَاقٌ ، ولا يتخلّل فِعلَه مخاتَلةٌ ولا رِياء ، بل اعتنَى بها على خلوص نِيَّة (٤) ، واهتمام بإحسان مع نَقَاء طوِيَّة .

وقوله « دعانى فآسانى » ، يقول : ابتدأ فى تغيير حالى ، وإزالةِ ما مَسَّنِى

---

(١) اسمه أسيد بن عنقاء ، كما فى الصحاح (سوم) وأمالى القالى (١ : ٢٣٧) .
وكان من سبب الشعر ماروواه التبريزى ، قال أبورياش: مر عميلة الفزارى على ابن عنقاء الفزارى وهو يحتش لغنمه ، وقيل يحفر عن البقل ويأكله ، فقال : يا ابن عنقاء ، وماأصارك إلى هذه الحال ؟ فقال له ابن عنقاء : تغير الزمان ، وتعذر الإخوان ، وضن أمثالك بما معهم . فقال عميلة : لا جرم والله لاتطلع الشمس غداً إلا وأنت كأحدنا . ثم انصرف كل واحد منهما إلى أهله ، وكان عميلة غلاماً حين بقل وجهه ، فبات ابن عنقاء يتململ على فراشه لا يأخذه النوم اشتغالا بما قال له عميلة ، فقالت له امرأته : ماشأنك ؟ فأخبرها الخبر فقالت : قد خرفت فذهب عقلك حتى تعلق نفسك بكلام غلام حديث السن لا يحفل بما يجرى على لسانه . ويحكى أنه لما أصبح قالت له ابنته : لو أتيت عميلة ، فقد وعدك أن يقاسمك ماله . فقال : يابنية ، إن الفتى كان سكران ، ولا أدرى لعله لم يعقل ما قاله . فبينا هى تراجعه الكلام إذ أقبل عليهم كالليل من إبل وغنم وخيل ، وإذا عميلة قد وقف عليه فقال : يا ابن عنقاء ، اخرج إلى . فخرج إليه فقال : هذا مالى أجمع ، هلم تقتسم ، فقاسمه إياه بعيراً وبعيراً ، وفرساً وفرساً ، وشاة وشاة ، وجارية وجارية ، وغلاما وغلاما ، ثم انصرف . فقال ابن عنقاء هذه الأبيات .
ومثل هذا الخبر فى أمالى القالى .

(٢) التبريزى والقالى : « على حين لا بدو » .

(٣) القالى : « وأوفاك ما بليت » . والبيت آخر الأبيات عند التبريزى .

(٤) ل : « من خلوص نية » .

من فَقْرى من ذات نفسه ، فجبَرَنى وانتاشنى ، ولو سَعَى سَعْى غيره من البُخَلاء لم يَلحقْه منِّى عيْب فى وقتٍ قد تساوَى النَّاسُ فى المَنْع واطِّرَاح الحقوق حتَّى لا ذُو البَدْوِ يُرجَّى ولا ذو الحضَر . وقوله « ولا حَضَر » حَذَف المضافَ وأقام المضاف إليه مَقامه . وهذا كما يقال : الجُودُ حاتم ، يراد جُود حاتم . وكان الوجه أن يقول : ولا حاضر ، مع ذكر البادِى ، ليكون الكلامُ أشَدَّ التئاما ، أَوْ يقول : فلا بَدْوٌ يرجَّى ، مع قوله ولا حضر .

وقوله « فقلت له خيراً » ، يقول : شكرْتُه على اصطناعه ، وأثنيتُ على فِعله ، وكثَّرتُ فى النَّاس ما تكلَّفَه لى وتبرَّع به ونشَرْتُه . وقد وفَّاكَ حَقَّكَ فى الإسداء مَن حمِدك ، كما وفَّاك فى المكافأة مَن أسأتَ إليه ذَمَّك . وكان وجه الكلام أن يقول : وأوفاك ما أسديت أو أسأت من ذَمّ أو شَكر ، فاقتصَر على ذكر الإسداء وإن كان يستعمل فى الخير لا غير . وأصله من السَّدَى وهو نَدَى اللَّيل خاصَّة . يقال : سَدِيَتْ ليلتُنا ، إذا كَثُرَ نداها ، ولا يكاد يُستعمل فى النَّهار . قال :

* فأنت النَّدَى فيما يَنُوبُك والسَّدَى *

وقيل أصله من السَّدْوِ ، وهو التَّذرُّع فى المَشْى اتِّساع الخَطْو . يقال : سَدَى البعيرُ وأسديتُه ، والأوَّل هو الصَّواب .

ومثل قوله « وَافَاكَ ما أسْدَيْتَ مَن ذَمَّ أو شَكَر » قولُ الآخر(١) :

فما أدرِى إذا يَمَّمْتُ أرْضاً أُريدُ الخيرَ أيهما يَلِينِى

لأنَّ المراد أريد الخير وأجتَنِبُ الشرّ ، فاكتفَى بذكر أحدِهما ، ألاَ تَرَى أنَّه قال من بَعْدُ :

أألخيرُ الذى أنا أبتغيه أم الشَّرُّ الذى هو يبتَغينى

(١) هو المثقب العبدى . البيت ٤٤ من المفضلية ٧٦ .

وَقوله « وَأَنفيتُ فِعْلَه » أصله على فِعْله ، فحذف الجارّ وَوَصل الفعل بنفسه .

٤ — غلامٌ رماه اللهُ بالخيرِ مُقبِلاً ... له سِيمِيَاءٌ لا تَشُقُّ على البَصَر(١)

٥ — كأنَّ الثريا عُلِّقَتْ فوق نَحْرِهِ ... وفى أَنفه الشِّعْرَى وَفى خَدِّه القَمَر(٢)

٦ — إذا قِيلَتِ العَوْرَاءُ أغْضَى كأنه ... ذَلِيلٌ بِلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانتَصَر(٣)

قوله « رماه الله بالخير » معناه كساه الخير وَمسحه به مُقبِلاً فيه لا مُدْبِرا . وقد كشف معنى الرّمى بقوله : « له سيمياء لا تَشُقُّ على البصر » ، يريدُ ما عليه من حسن القَبول والتمكّن من النفوس وَالقُلوب ، حتّى إنَّ المبصرين له يجدُون راحةً فى النَّظَر إليه ، فلا تملُّها العُيون ، وَلا تنطبق دونَها الجُفون . ومثل قوله : رماه الله بالخير فى باب الاستعارَة ، قولُه تعالى : ﴿وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى﴾ .

والسِّيمياء أصله العلامة ، ومنه الخيل المُسَوَّمة . ويقال سِيمَاء وسِيمِيَاء جميعا . وانتَصَبَ « مُقبِلاً » على الحال ، وتحقيق معنى سيمياء أى قد وسمه الله تعالى بسيمياءَ حسنة مقبولة ، يلتذُّ النّاظرُ بالنَّظر إليها .

وقوله « كأنَّ الثُّريّا علّقت فوق نحره » [يريد أنَّه قد غشِّىَ من كل جانبٍ بما ينوِّره ، فالثريّا فوقَ نَحرِه(٤)] ، والشعْرى ، يعنى العَبور ، مرْكَزَة فى أنفه والقمر متلألئٌ فى خدّه ، فهو نورٌ على نور .

وقوله « إذا قيلت العَوراءُ أغضى » كأنَّه يصف فيه اجتواءه للخنا والفُحش ، واطِّراحَه لقُبح القول ، ورفضَه لأنواع الهُجْر ، فمتى ذُكِرَتْ عنده فحشاءُ أطرقَ

---

(١) التبريزى : « بالخير يافعاً » .

(٢) ل : « علقت بجبينه » وأشير فى هامشها إلى أنها فى نسخة : « فوق نحره » . التبريزى : « علقت بجبينه وفى خده الشعرى وفى وجهه القمر » .

(٣) بعده عند التبريزى :

ولمَّا رأى المجدَ استُعِيرتْ ثيابُه ... تردَّى رِداءً واسع الذَّيل واتزَرْ

(٤) التكملة من ل .

مغضياً ، عاركاً بجنبه متحلما ، فكأنّه ذليلٌ لتغابيه ، وتركِ المحاسَبة فيه ، ولو شاء لانتقم . وهذا غايةُ ما يكون من حُسن الاحتمال ، ومُصابرة النّاس على أذاهم ، مع التعزُّز والاقتدار .

٦٨٩

آخر (١) :

١ – سَأَشْكُرُ عَمْرًا إنْ تراخَتْ مَنِيَّتِي ... أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإنْ هِيَ جَلَّتِ (٢)

٢ – فَتًى غيرُ محجوبِ الغِنى عن صَديقِه ... ولا مُظهِرِ الشَّكوى إذا النَّعلُ زَلَّتِ

٣ – رأى زَلَّتي من حَيْثُ يُخفي مكانَها ... فكانَتْ قَذَى عينَيْه حتى تَجَلَّتِ

يقول : إنّي سأنشر آلاء عمرو ونِعَمَه عندي إن نُفِّس من عمري ، وتراخت غايةُ المقدار من منيّتي ، فإنها صافية من المَنّ والأذى على جلالتها وفخامتها . وقوله « لم تُمنن » يجوز أن يكون المراد ولم تُقطع وإن عَظُمت ، وقال ذلك لأنَّ الأيادي السَّنيَّة لا تكاد تتناسق . ويقال : حَبْل (٣) مَنين وممنون . وفي القرآن : ﴿ لَهُمْ أجرٌ غيرُ مَمْنُون ﴾ . ويجوز أن يكون المراد به لم يُخلَط بمَنٍّ .

وقوله « فتًى غير محجوب الغِنى » ، أخَذَ يصفُه . وارتفع فتًى على أنه خبر مبتدأ

(١) هو محمد بن سعد الكاتب التميمي ، شاعر بغدادي . معجم الشعراء للمرزباني ٤٢١ . وفي رسائل الجاحظ ٢٣ ساسي أنه « محمد بن سعيد » . وقيل : لأبي الأسود الدؤلي وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، فبينا هو يحدث إذ ظهر كم قميصه من تحت جبته وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب فقال هذا الشعر . وقيل : الشعر لعبد الله ابن الزبير الأسدي ، وأنه أتى عمرو بن أبان بن عثمان فسأله فأعطاه . اللآلىء ١٦٦ . وقيل : لإبراهيم بن العباس الصولي . مجموعة المعاني ٩٦ ومعجم ياقوت (٥ : ١٥٨ مرجليوث) وابن خلكان (٢ : ٢٤٧) . وقيل : لعمرو بن كميل يمدح عمرو بن ذكوان ، وكان قد رآه وعليه جبة بلا قميص ، فتشفع له ، حتى ولي الحرب بالبصرة فأصاب في ولايته مالا عظيما . أو هو رجل من أشراف المدينة أنعم عليه عمرو بن سعيد بن العاص وكان قد ظهر كم قميصه من تحت جبته . شرح التبريزي .

(٢) ويروى : « ما تراخت » ، وهو أوفق .

(٣) في الأصل : « جبل » صوابه في ل .

محذوف ، والمعنى هو فتى يُشْرِكُ صديقَه فى غِناه مدَّةَ مساعدةِ الزَّمان له ، فإنْ تولَّى الأمرُ وزلَّت النَّعلُ تُراه لا يتشكَّى[1] ولا يتألَّم . وهذا مثل قول الآخر[2] :

أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَه على نفسه ومُشيعٌ غِناهْ

ويقال فى الكناية عن نزول الشر وامتحان المرء : زَلَّت القدم به ، كما يقال : زلَّت النَّعل به .

وقوله « رأى خَلَّتى من حيث يخفَى مكانها » زائد على ما تقدَّم من قول ابن عَنْقاء الفَزارى[3] ، وهو :

رآنى على ما بى عُمَيْلةُ فاشتكى إلى مالِه حالى أسرَّ كما جَهَرْ

وذاك لأنَّ هذا قال : « رأى خَلَّتى من حيث يَخفَى مكانها » فكأنَّه أدرك الحال ، من طريق الاستدلال ، والاهتمامِ المبعوث من جَودة التفطن ، وإن كان صاحبُه يتعفَّف عن السُّؤال ويتجمَّل ، وابنُ عنقاءَ شاهدَ الحالَ عِياناً ، فاشتكى إلى ماله سرًّا وجهراً ، وقال هذا بإزاء الاشتكاء : فكانت قَذَى عينيه ، أى من حسن الاهتمام ما جَعَله كالدَّاء الملازم ، حتى تلافاه بالإصلاح ، وإذا كان كذلك فموضعُ الزِّيادة فى كلامه وقَصْدِه ظاهر .

٦٩٠

آخر[4] :

١ — إنْ أجْزِ عَلْقَمةَ بن سيفٍ سعيَه لا أجْزِه بِبَــلاءِ يَوْمٍ واحدِ

(١) هذا الصواب من ل ٨ وفى الأصل : « يتشاكى » وإنما يقال تشاكى القوم : شكا بعضهم إلى بعض .

(٢) المتنخل الهذلى . انظر ٥٢٢ ، ٩٦٩ ، ١٠٧٩ .

(٣) فى الحماسية السابقة .

(٤) هو فدكى بن أعبد البهرانى ، كما عند التبريزى واللسان (لم ٢١ — ٢٢) . وروى المرزبانى فى معجمه ٤٧٥ البيت الأول وتاليه منسوبين إلى المرناق الطائى . والأبيات بدون =

٢ ــ لأَحَبَّنى حُبَّ الصَّبيِّ وَرَمَّنى   رَمَّ الهدِىِّ إلى الغَنِيِّ الواجـدِ
٣ ــ ولقد نَضَحْتُ مَليلَتى فتميَّثتْ   عن آلِ عَتَّابٍ بماء باردِ(١)

يقول : إن رُمْتُ القيام بواجب سَعْيِ عَلقمةَ لى ، وأدَّيتُ الفروض لِحُسن بلائه عندى ، لم أقابله على صنيعةٍ واحدة ، ولا جازيتـه لبلاءِ نعمةٍ فاردة ، لأنَّ أياديَه عندى كثيرةٌ متظاهرة(٢) ، وآلاءه لدىّ متواتِرَةٌ متناصرة ، فوالله أحبَّـنى كما يُحَبُّ الصبىُّ ، وأصلحَ من أمورى ما يُصْلِحُ من شأن العَروس إذا زُفَّتْ إلى المُوسِرِ الغنىّ ، فتضاعَفَ مُؤَنُها ، وتزايد التـكاليفُ فى هِدائها وتحويلها . فقوله لأحبّنى ، اللام جواب يمين مضمرة ، وإنما قال : « حُبَّ الصَّبى » لأنه يخالِط بمحبّته زيادة الشفقة ، وكَفالةُ الترفرفِ عليه والمَرحَمَة .

وسئل بعضُ حُـكَماء العرب(٣) عن أحب أولاده إليه فقال : « الصغير حتَّى يكبَرَ ، والغائبُ حتى يَقْدَم ، والعليل حتى يبرَأ » .

وإذا تأملتَ وجدتَ حَال الغائب والعليل كحال الصَّغير فيما ذكرتُ ، فلذلك جَمَعَهَا فى قَرَن الذِّكر .

وقوله : « ولقد نَضَحت مليلتى » . يريد : ولقد رششت غليلى من آلِ عتَّاب وما امتـلَّه نارُ وَجدى من أحشائى وصدرى بماءٍ بارد ، فسكنَتْ وزالَ حَميمُها ، حتى

= نسبة فى الحيوان (٣ : ٤٦٨) والبيان (٣ : ٢٣٣) .
وكان من خبر الشعر أن فدكياً كان مجاوراً لعلقمة بن سيف العتـابى ، وكان له إبل فسرقت ، سرقها حنش بن معبد أحد بنى ثعلبـة بن حبيب ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من خاربها فلم يوفق . فأخرج هو من ماله مائة بعير وساقها إلى فدكى عوضاً ، فقال هذا الشعر يمدحه .

(١) الحيوان والبيان :
ولقد شفيت غليلتى ونقعتها   من آل مسعود بمـاء بارد

(٢) هذا ما فى ل ، وهو الأفق . وفى الأصل : « ظاهرة » .

(٣) هو غيلان بن سلمه الثقفى ، وكان قد وفد إلى كسرى فسأله : أى ولدك أحب إليك ؟ الأغانى (١٢ : ٤٥) ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٥) .

كأنّها لم تكن . وإنما قال ذلك لأنّ آل عتّاب كانوا وتَرُوه فاشتدّ بَرْح حَمِيّته واتّسع قَرْح وتْرِه ، فأعانه على إدراك الثّأر علقمةُ بن سيف ، وشَفاه من دائه . وإذا تُؤُمِّلَ ما عَدّه من أياديه لَدَيه حصَل فيه الميل والإكرام ، والبِرّ والإنعام ، وإصلاح الحال ، والمؤاساة بالمال ، والشِّفاء من الداء ، والانتقام من الأعداء ، وذلك ما لا مَزِيد عليه . ومعنى تميّثت تذلّلت تذوّبت . ويقال : ميّثْتُ الشَّىْءَ ، إذا مَرَسته . والنَّضْخُ بالخاء المعجمة أبلَغُ من النَّضْح .

٦٩١

وقال أبو زيادٍ الأعرابى (١) :

١ ـ له نَارٌ تَشَبُّ بكل وَادٍ إذا النِّيرانُ أُلبِستِ القِناعا(٢)

٢ ـ ولم يَكُ أكثَرَ الفتْيانِ مالاً ولكِنْ كَانَ أرحَبهم ذِرَاعا

قوله « تُشَبُّ » أى تُوقَدُ ، وموضع الجملة من الإعراب رفع على أن يكون صفة لنار (٣) ، والمعنى أنّ نارَ ضيافته تُوقَد بكلّ وادٍ يَنزل به إذا النّيران فى الآفاق سُتِرت وحُجبت عن الاستدلال بها ، مخافةَ طُرُوق الأضياف . وجواب إذا مُقدَّم عليه ، كأنه قال : إذا النّيران جُعلت كذلك فله نارٌ توقد بكلّ واد . ويجوز أن يكون أوقِدت ناره فى جوانب مَحَله وفى كل وادٍ من أودية فِنائه وداره

(١) هذا ما فى ل . وعند التبريزى : « الأعرابى الكلابى » . وفى نسخة الأصل : « أبو زياد الأعجمى » ، تحريف . والبيتان بدون نسبة فى الحيوان (٥ : ١٣٥) وأبو زياد: أحد الأعراب الذين كانوا يفدون من البادية . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر . قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة وبها مات . وكان شاعراً من بنى عامر بن كلاب . وله من الكتب : النوادر ، الفرق ، الإبل ، خلق الإنسان . ابن النديم ٦٧ .

(٢) التبريزى : « لشب على يفاع » ، ثم أشار إلى الرواية الأخرى .

(٣) ل . « صفة النار » .

وإذا أُخمِدَت نِيرانُ النَّاس ، فلذلك قال تُشبُّ بكلِّ واد ، وهذا يكون منه كإتمامهم الأيسار ، ونيابتهم عن غيرهم إذا عُدِم الشُّركاء .

وقوله « ولم يك أكثر الفتيان » قد تقدم الكلام فى حذف النون من يكُ فى غير موضع . وانتصب « مالا » على التمييز ، وكذلك « ذراعا » . والمعنى : أنّ ما تحمّله وتكلَّفه لم يك السببُ فيه اليسارَ ، وكثرة المال . ولكن كرمه الفائض ، وعِرْقُه الزَّاخِر (١) .

٦٩٢

وقال العَرَنْدَس
أحد بنى أبى بكر بن كلاب (٢)

١ — هَيْنونَ لَيْنونَ أيسارٌ ذَوُو كَرَمٍ سُوّاسُ مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ
٢ — إن يُسْألوا الخيرَ يُعطوهُ وإن خُبِرُوا فى الجَهْدِ أُدْرِكَ منهم طِيبُ أخبارِ
٣ — وإن تودَّدْتَهم لانُوا وإن شُهِمُوا كشفْتَ أذْمارَ شرٍّ غيرَ أشْرارِ

العَرَنْدَس فى اللغة : الأسد العظيم ، وكذلك الجمل . ويقال : هو هَيْنٌ لَيْن

(١) عرقه ، بالعين المهملة والقاف فى النسختين .

(٢) عند التبريزى يمدح بنى عمرو الغنويين ، وكان أبو عبيدة إذا أنشدها يقول : « هذا والله محال ، كلابى يمدح غنويا » . قال البكرى فى التنبيه ٧٣ فى تعليل ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابى يمدح غنويا لأن فزارة كانت قد أوقعت ببنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيئ قيس الندامى الغنوى وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى ببنى أبى بكر ومحارب لكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم فلم يجيبوهم فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » . وقيل : إن الشعر لأبى العرندس . معجم المرزبانى ٣٠٦ . وفى الكامل ٤٧ أنه عبيد بن العرندس الكلابى يصف قوماً نزل بهم . وفى الكامل أيضاً قال : قصد رجل من الشعراء ثلاثة إخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذودا ، فكان يأتى فيأخذ الذود ، ثم أنشد الشعر فى قصيدة طويلة . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (٢ : ٨٩) وديوان المعانى (١ : ٤١) .

وهيِّنٌ ليِّنٌ ، والتَّشديد الأصل ، والتخفيفُ على عادتهم فى الهرب من ثِقَل التضعيف ومايجرى مجراه . والمعنى أنّهم يلزمهم السَّكينةُ والوقارُ فى مجالسهم . ويقال : جاء يمشى هَوْنًا ، وهو المصدر . والأيسار : جمع اليَسَر ، وهم الذين يجتمعون فى الميسر على الجَزور عند الجدْب وَالقَحْط ، فيُجِلون القِداحَ عليها ، ثم يفرِّقونه فى الفقراء وأربابِ الحاجة والضَّرَّاء . وَيقال : يَسَرَ الرجل إذا أجَالَ قِدحَه ، فهو ياسرٌ ويَسَر . قال :

إذا يَسَرُوا لم يورِثِ اليُسْرُ بينهم فَوَاحِشَ يُنْعَى ذِكْرُها بالمصايفِ[(١)]

وقال أبو ذؤيب :

فكأنّهن رِبَابَةٌ وكأنه يَسَرٌ يُفيضُ على القِداحِ ويَصْدَع

والمعنى أنَّهم يرجعون إلى سَجاحةِ خُلُق[(٢)] ، وسَلاسة طبع ، مُوَقَّرون فى مجالسهم ، متكرِّمون فى عاداتهم وشؤونهم ، متعطِّفون على الفقراء زَمنَ الجدْب بميسرهم ، يَسُوسون المكارمَ ويَعْمُرونها بعد ابتنائها ، ولا يَغْفلون عنها ؛ وأنَّ هذه الخصالَ لم يَرِثوها عن كلالَة ، وأنّ آباءهم على ذلك دَرَجُوا وتَقَضَّوْا . ثم قال : إنْ « يُسألوا الخيرَ يُعطُوه » يريد أنَّهم لايتقاعدون عن البذل فى الحقوق والنَّوائب ، ولا يُحوِجُون إلى استخراج ذلك منهم بالْعُنف والاستقصاء بل يُخرِجون منها إلى أصحابها ، والمطالبين بها ، وإنْ جُرِّبوا عند جَهْدِ البلاء ، واشتمال الشِّدَّة والبأساء ، وحُمِّلوا أكثر ممَّا يلزمهم ، وأثقَلَ ممَّا ينهض به حالُهم ، طابتْ أفعالهم ، وحسُنت أنباؤهم[(٣)] ، والأحاديثُ عنهم . ومَن انْتَمَى بِتقرُّب إليهم ، أو توددِ لهم ، لانُوا له ، وانقادوا لما يريده من جهتهم . وإنْ أوذوا

(١) البيت للمرقش . فى المفضلية ٥٠ .
(٢) سجاحة الخلق : لينه وسهولته . وفى الأصل . « شجاعة خلق » صوابه فى ل .
(٣) هذا الصواب من ل . وهو تفسير قوله « طيب أخبار » . وفى الأصل : ابتلاؤهم .

وأحرِجوا انكشفوا عن أذمار شرٍّ — وهو جمع الذِّمر، وهو الشديد لا يُطاق — وإنْ كانوا في أنفسهم وسجاياهم غير أشرار، إلا أنَّهم إذا جُذِبوا إلى الشَّرِّ وأُلجِئوا زادوا على الأشرار.

وقوله «شُهِمُوا» أي هُيِّجُوا. ويقال: فرسٌ شَهْمٌ، أي حديد نشيط ذكيّ، ومنه الشَّيهَم (١). ويقال شُهِمَ الرجلُ، إذا ذُعِرَ أيضاً، ويرجع في المعنى إلى الأوَّل (٢).

٤ — فيهمْ ومنهم يعدُّ الخيْرُ مُتَّلِدًا ... وَلا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ ولا عَارِ (٣)

٥ — لا ينطقون على الفحْشاء إن نَطَقُوا ... ولايُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بإكثارِ (٤)

٦ — مَنْ تلْقَ مِنهُمْ تقُلْ لاقَيتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ التي يسري بها السَّاري

وصفهم بأنَّ الخير مَرْجُوٌّ من جهتهم، ومعدودٌ في خصالهم قديماً وحديثاً، وسَلَفاً وخَلَفا، ولا يُعدّ في أفعالهم مايُخزِي ذِكْرُهُ، والتَّحدُّث به، أو يجلب عاراً عليهم لدَى الكشف عنه والتأمل له، وذلك لخلوص مناقبهم عمَّا يَشينُ ولا يَزين، وحُسْن قُصودهم فيما يتصرَّفون فيه فيتناولونَه بالنقض والإبرام، ثمَّ إنْ تَكلَّموا فليس عَنْ فحشاء يُضمِرونها، ولا عَنْ نكراء ينطوُون عليها، فكانت الأقوال توافق الضمائر وتَقفوها، والظواهر تطابق السرائر وتتلوها، بل يُولُون الكلمة العوراء إذا أدركوها الغُفُولَ عنها، والإغضاء عَلَى القذَى فيها، تحلُّما وترفُّعا. وإن جاذبوا غيرهم وحُمِلوا على لَجَاجٍ في نِزاعِهم رُفِتْ نهايةُ جدالهم، ونَكَتُوا فيما يُدلُونَ به من حِجاجِهم، فقولهم فَصْل، وإمساكُهم قصدٌ وعدْل،

(١) الشيهم: الذكر من القنافذ.

(٢) قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «لأنه إذا تفزع بدا ذكاء قلبه».

(٣) التبريزي والبرد: «يعد المجد».

(٤) وكذا عند المرزباني. وفي التبريزي: «عن الفحشاء». وبدله عن البرد:

* لا يظعنون على العميان إن ظعنوا *

لا إكثارَ ولا إسراف ، إذْ كانَ مَنْ أكْثرَ أهجَر ، ومن أسْرَفَ أفحش ؛ ولأنَّ عادَتَهم الاقتصادُ فيما يخافون أداءه إلى القَبيح ، والامتدادُ إلى أبعد الغايات فيما يَحسُن مَسْمَعُه عند ذَوِى التَّحصيل .

وقوله « من تَلْق منهم » ، يريد أنَّ النباهة تَشمَلُهم ، فكلٌّ منهم يَتَّسِم بسيمَا الرِّياسة ، ويتصوَّر بصُورةِ السِّيادة ، وهم فى الاشتهار والتَّميُّز عن طوائفِ النّاس كالنُّجوم المعروفة النيِّرة ، التى يهتدى بها السابلةُ والمارّة ، ويتفقَّد المعرفةَ بها فى طُلوعها وأُفولها أُولُو النِّحل والمُمارَسات .

وقوله « فيهم ومنهم يُعدّ الخير متَّلدا » يريد ما يَلزَمهم من الخِصال وما يتعدّاهم . وانتصب «متَّلدا» على الحال . ويقال : تَلِد وأتْلَدَ بمعنًى . والنّثا يستعمل فى الخير والشر ، والثناء يستعمل فى الخير لا غير ، ويقال : نثا الخبرَ ينثوه نَثْوًا .

٦٩٣

آخر :

١ ـ رَهَنْتُ يَدِى بالعجز عن شُكر برِّه ... وما فوقَ شُكرى للشَّكُورِ مزيدُ

٢ ـ ولو أنّ شيئا يُستَطاعُ استطعْتُهُ ... ولكنّ ما لا يستَطاعُ شَديدُ

يقول : غَمَرنى برُّه وعَجزَّ حَواملِى نِعمَهُ ، فاعترَفْتُ بالقصور ، والقُعود عن الوفاء بأداء الفروض ، وجعلتُ يَدى مُرتَهَنةً بالعجز ، ولسانى معقولةً عن التصرُّف فى الشُّكر ، وإن كان لا مَزيدَ على ما أتولّاه منه لمُبالغٍ فى الحمد ، ولا فوقَ اجتهادى غايةٌ يَرتقى إليها فى النَّشر والثَّناء مُرْتَقٍ ؛ فإنى لم أُوتَ من تقصير يَلزَمُنى ، أو إقصاء مع قُدرةٍ يدفعنى ، ولكن لكون مِنَنه مُعجِزةً غيرَ داخلةٍ تحت استطاعتى ؛ وما لا يُطاقُ تحمُّله نَييع ، والنُّهوضُ به عَسِرٌ شديد .

٦٩٤

وقال الحُسَيْن بن مُطَيْر[1]:

١ – له يَوْمُ بُؤسٍ فيهِ للنّاس أبؤسٌ ويَوْمُ نَعِيمٍ فيه للنّاسِ أَنْعُمُ
٢ – فيَمطرُ يَوْمَ الجُودِ مِن كَفِّهِ النّدَى ويَمطرُ يوم البأس مِن كَفِّهِ الدّمُ
٣ – ولو أنَّ يوم البأسِ خَلَّى عقابَه على النّاسِ لم يُصبِحْ على الأرضِ مُجْرِمُ[2]
٤ – ولو أنَّ يَوْمَ الجود خَلى يَمينَه عَلى النّاسِ لم يُصبِحْ عَلى الأرض مُعْدِمُ

يقول: أيّامُ هذا الممدوحِ مُقتَسمة بين إنعامٍ وانتقام، مِنْ إحياء وإهلاك، وإفضال وإعدام، فله يومُ بؤسٍ يَشقى بهأعداؤُه، ويوم نعيمٍ يَحيا به ويَسعدُ أولياؤه، فيومُ جودِه يَعمّ نداه مؤمّليه وعفاتَه، ويومُ بُؤسه يَعمّ إهلاكه مُنابذيه وحُسّادَه، ولو أرادَ في اليوم المخصوص بالانتقام أن يجعَلَ عقابَه مُخَلى يتناولُ طبقاتِ النّاس، لم يبق في الأرض مجرمٌ ولا حَسودٌ يُضمِر سوءًا له، ولكن أبَى عَفوُه إلاّ إبقاء؛ كما أنّه لو خَلّى يومَ جودِه مَنافعَ يمينه تعمّ طوائفَ الخَلْق لم يَبقَ في الأرض فقير، ولكن أبى ذلك بُعدُه عنهم، وقُصورُ معرفته بهم.

ويجوز أن يكون المراد بقوله «لم يصبح على الأرض مجرم» أنه كان يُغْنى الخَلْق حتى لا يبقى مجرمٌ وغيرُ مجرم.

(١) التبريزى: «الأسدى». وقد سبقت ترجمته فى الحماسية ٣١٩ ص ٩٣٤.
(٢) التبريزى: «خلى يمينه».

٦٩٥

وقال أبو الطَّمَحَانِ [١] :

١ ــ إذا قيل أيُّ النّاس خيرٌ قبيلةً وأصْبرُ يوماً لا تُوارَى كواكبُهْ [٢]

٢ ــ فإنَّ بَنِى لَأْمِ بنِ عمْرٍو أُرُومَةٌ سَمَتْ فَوْقَ صَعْبٍ لا تُنال مَراقِبُهْ [٣]

٣ ــ أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجَى الليلِ حتى نَظَّم الجزْعَ ثاقِبُهْ

يقول : لو عُمِّمَ النّاسُ بالسؤال عنهم فقيل أيُّهم خير أصلا وسلفاً وأيُّهم أصبر يوماً ومشهَداً تُرى كواكبُه ظُهراً ، لكان يَجىء فى جواب هذا السؤال : بنو لأم ابن عمْرو ؛ ولأنّ لهم مَنصِباً علا شرفا باذِخا ، وعزًّا شامخا لا تُدرك مَراقبُه ، ولا تنال مَطالعه . والغَرَض من الجملة تفضيلُهم على جميع الخَلق . والأرومة : الأصل الثّابت الراسى . وانتصب « قبيلة » ع التمييز ، وكذلك « يوما » . ويَعنى بذكر اليوم الوَقَعات والحُروب . وعلى ذلك قولهم : يوم جبَلَةَ ، ويومُ الكُلاب وما أشبههما . وقوله «لا تُوارَى كواكبه» إن شئت فتحْتَ فرويتَ : « لا تَوَارى كواكبه» ، والمعنى لا تتوارى كواكبه ، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً . ومعنى «لا تُوَارَى» بضم التاء لا تُستر ، والأصل فى هذا ، وهو يجرى مجرى الأمثال ، يومُ حليمة ، وذلك [٤] أنّه سُدَّت عين الشّمس فى ذلك الغُبار الثّائر فى الجوّ فرُئيت الكواكب ظُهراً ، فقيل : « ما يومُ حليمةَ بِسِرٍّ » ، وصار الأمر إلى

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٧٨ ص ١٢٦٦ . وعند التبريزى : « واسمه شرق بن حنظلة » . ونسبة الشعر إلى أبى الطمحان هى كذلك فى الكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ . ونسبه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٩٣) إلى لقيط بن زرارة .

(٢) كذا ضبط بضم التاء فى النسختين ، ويصح أن يقرأ بفتحها على حذف إحدى التاءين كما سيأتى فى الشرح .

(٣) فى الأصل « مناقبه » ، صوابه فى ل والتبريزى .

(٤) ل : « وذاك » .

أنْ قيل فى التوعُّد : لأُ رِينّك الـكوا كبَ ظُهْرا . وأصلُ الصّبر حبسُ النّفس على الشّرّ ، لذلك قيل : قُتِـل فلانٌ صبرا .

وقوله : «سَمَتْ فوق صَعْبٍ » ، يريد : فوقَ جبلٍ صعب يَشُقّ الارتقاء إليه . والمَرَاقب هى المَحَارس ، واحدتها مرْقَبة ، وكل ذلك أمثال .

وقوله « أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم » ، يريد طهارة أنفسهم ، وزَكاء أصولهم وفروعهم ، فهُم بِيضُ الوُجوه نَـيِّرُو الأحساب ، فَدُجَى ليلهم تَنـكَشِفُ مِنْ نور أحسابهم ، حتّى أن ثاقِبَـهُ يُسهِّـل نَظْمَ الجزْعِ فيه لناظمه ، وهذا مَثَلٌ أيضاً . والهاء من « ثاقبه » يعود إلى ما دلّ عليه قوله « أضاءت لهم أحسابهم » ، والثُّقوب : الإضاءة ، ويقال : نار ثاقبة ، وكوكب ثاقب ، [وحَسَبٌ ثاقب[(١)]] ، وقد ثَقَبَ أى اشتدّ ضوءه وتَلأْلُؤُهُ . ومعنى نظّم حمل على النّـظْم وأقْدَرَ ، فهو بمعنى أنظم . ومثْله كَرّم وأكرم . والضمير من « ثاقِبُهُ » يدل على ظاهره صدرُ البيت ، فهو مثل قولهم : مَنْ كَذَبَ كَان شرًّا له ، ومن صَدَقَ كان خيراً له ، يريد كان الـكذب وكان الصِّدق ، فـكذلك هذا ، كـأنّه قال : حتى نَظّمَ ثاقبُ حَسَبِهِم الجزْعَ لناظِمِه .

٦٩٦

وقال آخر(٢) :

١ ــ يأيها المُتَمَنِّى أن يَـكونَ فتًـى مثلَ ابن زيدٍ لَقَدْ خَلّى لَكَ السُّـبلا(٣)

(١) التـكملة من ل .

(٢) التبريزى : « وتروى لمحمد بن بشير الخارجى » . وقد سبقت ترجمته فى الحماسية ٢٦٩ ص ٨٠٨ .

(٣) فى الأصل : « أن تـكون » ، والوجهان صحيحان .

٢ ــ اعْدُدْ نظائرَ أخلاقٍ عُدِدْنَ له ... هل سَبَّ من أحدٍ أو سُبَّ أو بَخِلا[1]

يقول: يا من يَوَدُّ ويشتهى أن تكونَ فتوّته مثلَ فتوّة عروة بنِ زيد الخيل، لقد خَلَّى لك الطُّرُق فى اكتساب مَنَاقب الفتوّة وادّخار أسبابها ومُوجباتِها، فاسْعَ واطلبْ، لأنَّ مَباغيك إن قَدَرْتَ مُعْرِضَةٌ لك، وغيرُ ممتنِعة عليك، وسُبُلُها غير مُنْسَدَّةٍ ولا محجوبة عن ذهابِك واختراقك، ثم قال: هاتِ خصالك واعدُدْ نظائرَ أخلاقِه المعدودة له، وانظرْ هل أنتَ فى اشتمال الكرَم والتحاف العِزّ بحيثُ لا تَسُبُّ أحدًا تَعَلّيًا وارتفاعَ منزلة، وفى نقاء الجَيْب وطهارة الأصل والفَرْع بحيثُ لا يَسبُّك أحد توقّيًا وتعفُّفًا، وهل تقِفُ موقفًا تبعد فيه وتتنزّه عن أن يُقَالَ: ما بَخِلَ بما فى يده، ولا مَنَع أحداً على رجائه به، فإنَّه حينئذٍ يَبِينُ لك تفاوتُ ما بينك وبينه.

٦٩٧

وقال آخر:

١ ــ لم أرَ مَعْشَرًا كبنى صُرَيْمٍ ... تَلُفُّهُمُ التهائمُ والنُّجُودُ[2]

٢ ــ أجَلَّ جَلَالةً وأعَزَّ فَقْدًا ... وأقْضَى للحقُوقِ وهم قُعُودُ[3]

٣ ــ وأكْثَرَ ناشئًا مِخْرَاق حَرْبٍ ... يُعِينُ على السِّيَادَةِ أو يَسُودُ

(١) قال التبريزى: وفيها:

إن تنفق المال أو تَكَلَّفْ مَسَاعِيَه ... يصعُبْ عليك وتفعلْ دون ما فعَلا

لو يُبعَثُ الناسُ أدناهم وأبعدهم ... فى ساحةِ الأرض حتى يحرثوا الإبلا

كى يطلبوا فوق ظهرِ الأرض لم يجدوا ... مثل الذى غيّبوا فى بَطْنِهِ رجلا

وفى اللسان: « حرث الإبل والخيل وأحرثها: أهزلها ».

(٢) الأبيات رواها القالى فى أماليه (١: ٢٣) ورواية الأول: «فلم أر هالكا كبنى صريم».

(٣) القالى: « وأقضى للأمور ».

قوله « تَلُفُّهُمُ التهائم » أى تجمعهم ، وانتصب « جَلَالَة » على التمييز ، وكذلك قوله « فَقْدًا » ، ولا يجوز أن يكون مصدرا ، أعنى قوله جَلَالَةً ، لأنَّ أفعل هذا لا يؤكَّدُ بالمصدر ، فهو من باب شِعْرٌ شَاعِرٌ وموْتٌ مائت ، لأنَّ أصلَه مأخوذ من جلالِ جليل . وانتصب « أَجَلَّ » بفعلٍ مضمر ، كأنه قال : لم أرَ أجلَّ جلالةً منهم ، ولكنه اختَصَر وحَذَفَ . وقوله « تَلُفُّهُمُ التَّهائم » موضعه نَصبٌ لأنَّه صفة لقوله مَعْشَرًا ، والتقدير : لم أر معشراً تلفُّهم الأغوار والأنجاد كبنى صُرَيْمٍ ، ولم أرَ أجلَّ جلالةً منهم أيضاً . وتِهامَةُ من الغَوْرِ ، بل هو أعْمَقُها . ثمَّ بَيَّنَ ما فَضَّلَهم فيه بعد أن أبهم ، وفصَّل ما أجمل ، فقال : هم أَتمُّهم رياسةً وأفخَمُهم فخامة ، وأشدُّهم على النَّاس فَقْداً ، وأحسنُهم فى قضاء الحقوق الواجبة عليهم أداءً ، هذا وهُم قعود . وإنَّما قال ذلك لأنَّ الرئيس ينفُذُ أمرُه فى مَطالبه وإنْ لم يبرح مكانَه . و « أعَزَّ فَقْداً » ، يريد شدَّة حاجةِ النَّاس إلى حياتهم ، لوُفور فضائلهم وإفضالهم .

وقوله « وأكثر ناشئا » يريدُ به الشابَّ المبتدئَ فى اكتساب ما يَعتَلِي به وَيَفُوق أقرانَه . وانتصاب « ناشئا » على التمييز . والمِخْرَاق : بناء الآلة ، فهو كالمِفتاح ، يريد أنَّه يتخرَّق فى الحرب ويسعى سَعياً بليغاً . وأصل المِخْراق هو ما يَتلاعبُ به الصِّبْيان مِن منديلٍ يَفتِلونه ، أو زقٍّ ينفخونه ، أو ما يجرى مَجراها . وسُمِّى مِخراقاً لأنه يَخرِق الهواءَ فى استعمالهم إيَّاه لذلك قال :

* كأنَّ يدِى بالسَّيف مِخْرَاقُ لاعبٍ (١) *

وقوله « يُعينُ على السِّيادة أو يَسُود » جمعَ بينَ الأمرين ، وذلك لأنَّ

(١) فى الأصل : « كأنه مخراق لاعب » صوابه فى ل . والبيت لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٣ ليبسك . وصدره :

* أجالدهم يوم الحديقة حاسرا *

الفضلاء إذا قسِّمُوا ودرِّجوا فى مراتبهم فهم [من (١)] بين سَيِّدٍ يقوم بنفسه ويكمُل بخصاله ، ومِن بينِ مُعِينٍ على السِّيادة يصلح لأن يكونَ تابعاً لا متبوعاً ، ومَسُودًا لا سيِّدا .

٦٩٨

وقال شُقْرانُ مَولَى سَلَامان (٢) :

١ ــ لو كُنْتُ مولى قَيْسِ عَيْلَانَ لم تَجِدْ   علَيَّ لإنسانٍ من الناس دِرْهَمَا (٣)

٢ ــ ولكِنَّنِي مَوْلَى قُضَاعَةَ كلِّهَا   فلستُ أُبَالِي أنْ أدِينَ وتَغرَمَا

يقول : لو كان ولائى فى قيس عَيْلَانَ لاقتديتُ بهم ، واستَنَنْتُ بسنَّتهم فى الكفِّ عن الإنفاق ، وحَبْس النَّفس على شرائط الانقباض والإمساك ، فكنتُ أُرَى خفيفَ الظَّهر فى جميع ما يَعرِض ، فسيحَ الصَّدر بكل ما يَعِنُّ ويسنح ، لم يَركبْنِى دَينٌ فأُستَنزَل (٤) ، ولا عِبْءٌ على قلبى من مُتَقَاضٍ فأتضجَّر ، لكنْ ولائى فى قُضاعة كلِّها فأتبسَّط فى أخْذ القروض إذا استغرقَتْ مِلْكَ يمينى ، وأتوسَّعُ فى إضافة ما لغيرى إلى مالِى ثقةً بأَنهم يتحملون عنِّى الأثقال إذا استحملتُهم ،

(١) هذا من ل .

(٢) التبريزى : « مولى سلامان من قضاعة . شقران علم مرتجل ، وقد يمكن أن يكون جمع أشقر كأحمر وحمران ، وأصلع وصلعان ، غير أنا لم نسمعه إلا علما ، فأما سلامان فشجر واحدته سلامانة . وأما قضاعة فعلم مرتجل ، وهو من قولك تقضع القوم ، إذا تفرقوا » . وشقران : شاعر كان معاصراً لابن ميادة من شعراء الدولتين ، وكان بينهما مهاجاة . الأغانى (٢ : ٢٠٢ ــ ١٠٤) .

وهم بنو سلامان بن سعد هذيم بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

والأبيات نسبها الجاحظ فى البيان (٣ : ٣٠٩) إلى ثروان ، أو ابن ثروان مولى لبنى عذرة . وأنشدها فى (١ : ١٠٨) بدون نسبة . ووردت فى شرح سقط الزند ٩١ منسوبة إلى شقران .

(٣) فى البيان (١ : ١٠٨) : « على لمخلوق » .

(٤) المراد بالاستنزال المطالبة بالدين ، فى الأصل : « فيستنزل » . والأوفق ما أثبتنا من ل .

وأنَّهم يعدُّون الغرامة غُنْماً إذا أحلَّتْ عليهم (١) ، فلا أبالى كيف تَخرَّقت ، وفى أى وجه من وُجوه البر أنفقتُ ، وإن كانت معلومةً من لازم حقٍ أؤدِّيه ، وعارِضِ مَكْرُمَةٍ أوفِّيه ، إلى كلِّ ما يكون التبجُّح به مشترَكا ، واكتسابُ الفَخر والأجْر فيه مُشتمَلا .

وقوله « فلست أبالى » أصله من البلاء النعمة ، وقد تقدَّم القولُ فى شرحه وما حصَل بالاستعمال عليه (٢) .

٣ ـ أولئكَ قَومِى بارَكَ اللهُ فيهِمُ ... على كلِّ حالٍ ما أعَفَّ وأكرَما (٣)

٤ ـ ثِقَالُ الجفانِ والحُلومِ رَحاهُمُ ... رَحَى الماءِ يكتالُون كيلاً غَذَمْذَمَا

٥ ـ جُفَاةُ المَحَزِّ لايُصيبونَ مَفْصِلًا ... ولا يَأكلون اللَّحمَ إلَّا تَخَذُّمَا

أشار بقوله « أولئك قومى » إلى قُضاعة (٤) ، ثم أخبرَ عنهم بأنَّهم كثروا وطابوا ونَمَوا بما جعل الله من البركة فيهم ، فازدادوا . وقوله « على كلِّ حال » تعَلَّقَ بقوله « بارك الله فيهم » ، ومَوْضعه من الإعراب نصبٌ على الحال ، أى بارك الله فيهم متحولينَ فى إبدال الدَّهر وتصاريفه من عُسْرٍ ويُسْرٍ ، وسَعَةٍ وضِيق ، وقِلّةٍ وكثرة ، وانحطاط وارتفاع . ثمَّ قال مستأنفاً : ما أعفَّهم وأكرمَهم ، أى تمَّت عفّتهم ، وكملت أُكرومتُهم فى حالتى الإعسار والإيسار ، والإضافة والإيساع ، والإقلال والإكثار .

وقوله « ثِقال الجفان » أى هم مطاعيم فى الخِصْب والجَدْب ، فجفانُهم ثقيلة ، وأفنيتهم بالوُرّاد والطُّرّاق مأهولة معمورة ، وحلومُهم ثابتة قائمة ، لايستخفُّها

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « أحملت عليهم » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٧١ ، ٢٠١ .

(٣) البيان : « أولئك قوم » ، وأشير فى هامش نسخة فيض الله منه إلى رواية «قومى» .

(٤) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « أى قضاعة » .

جَزع ، ولا يُطغِيها فرَح ؛ وتَرَى رَحاهُم لكثرةِ غاشيَتهم وحشَمِ دُورِهم ، رحى الماء ، إذْ أبَى[1] الاكتفاء بيسير الزَّاد مع العدد الجمّ ، والخير الدَّثْر ، والنِّعَم الغَمْر ، وإذْ كان سائرُ الأرحاء لا يُستَغنَى بها ، ولا يَفِي بالمطلوب [منه[2]] دوَرانها ؛ ثم إذا كالُوا اكتالوا واسعاً لا استقصاءَ فيه ولا مضايقةَ ، فهو يَجرى مَجرى ما يُهالُ هَيْلاً ، أو يُؤخَذ جُزَافاً لا كَيْلاً . والغَذْم : الأكل بسرعة ، ومنه الغَذَمْذَم . وإنْ حَضَروا مَقْسِمَ الجُزُر وتكرَّمُوا بتولّي قَسْمِها ، وَجدْتَهم يُوسِعون الحزّ ، ويُخطِئون المَفصِل ، إذ لم يكن فِعلُ ذلك مِن عادتهم وطبائعهم ، لكونهم ملوكاً ، ولأنّهم متى تأخَّر الخدَم عنهم لم يُحسِنُوا التصرُّف فى شىء من وجوه المِهَن ، ولادَرَوا كيف تُسْلَخُ الجزُر وتُقتسم الأبداء[3] ، وإذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قَطْعاً بالسَّكاكين ، لا نَهشا بالأسنان ، إقامةً للمروءات ، وذهابا عن شنيع العادات .

وقوله « إلَّا تخذُّما » انتصب تخذُّما على أنَّه مصدرٌ فى موضع الحال . والخَذْم : سرعة القطع ، وفى التخذُّم زيادةُ تكلُّف . ويقال : سيف خَذُوم ومِخذَم . وقوله « يكتالون كيلا » وضع كيلا موضع الاكتيال ، كما وضع النَّبات موضع الإنبات ، فى قوله تعالى : ﴿ واللهُ أنبَتَكم من الأرضِ نباتاً ﴾ .

٦٩٩

وقال أبو دَهْبلٍ الجُمَحىّ[4] :

١ ــ إنَّ البيُوتَ مَعادِنٌ فنِجارُهُ ذَهَبٌ وكلُّ بيُوتِه ضَخْمُ

(١) فى النسختين : « إذ أتى » تحريف .

(٢) التكملة من ل .

(٣) الأبداء : جمع بدء ، بالفتح ، وهو النصيب من الجزور . ل : « وتنقسم » . وقال الجاحظ فى البيان : يقول : « هم ملوك ، ولهم كفاة ، فهم لا يحسنون إصابة المفاصل » .

(٤) زاد التبريزى : « قالوا : يمدح النبى صلى الله عليه وسلم » . وقد سبقت ترجمة أبى دهبل فى الحماسية ٢١: ص ١٣١٩ .

٢ - عُقِمَ النِّساء فما يلدْنَ شبيهَهُ   إنَّ النِّساءَ بمثلِه عُقْمُ
٣ - متهلِّلٌ بنَعَمْ، بلا متباعِدٌ   سِيَّانِ منه الوَفْرُ والعُدْمُ
٤ - نزْرُ الكلامِ من الحياء تخالُه   ضَمِناً وليس بجسْمه سُقْمُ

المعادن: جمع المعدِن، وهو مِنْ عَدَن بالمكان إذا أقام عَدْناً وعُدُوناً، وقيل: بل هو من قولهم عَدَنْتُ الحجَرَ، إذا قلعتَه، لأنَّ المعدِن يُقلَع منه ما ضُمِّن، ويُرتَجَع منه ما أودع. وفى القرآن: ﴿جنَّات عَدْن﴾، أي جنات إقامة. والمراد أنَّ بيوتَ النَّاس وأصولهم مختلفة المَسْبَر، متفاوتة المَخْبَر، تتفاضَلُ تفاضُلَ المعادن، ونجار هذا الرَّجلِ أفضلُ النَّجرِ فهو كالذَّهب الإبريز. ويقال: هو من نَجْرٍ كريم ونِجارٍ كريم، أي أصل كريم. وقوله «وكلُّ بيوتِه ضخم» أي [هو[1]] من أطرافه: أعمامِه وأخواله، عظيمُ الشَّأنِ نبيهٌ. وإنما قال ضَخْمٌ لأنَّ المراد بكلٍّ الاتِّحاد، أي كلُّ واحدٍ من بيوته. ومثل كلّ «كِلاَ» لأنَّ كُلاًّ يراد به مرةً الجميع ومرة الاتحادُ، وكذلك كِلاَ يُرادُ به مرّةً التَّثنية ومرة الاتِّحاد. وقد ذكرت أمرها مشروحاً فى غير هذا الكتاب.

وقوله «عُقِمَ النِّساء» أصل العَقْم المنع، ويقال: عُقِمَت المرأة وعُقِمت الرَّحمُ عُقْماً بضم العين فعَقِمَتْ، وهى معقومة بناء على عُقِمت، وعقيم بناءً على عَقِمتْ، ولهذا يجمع عقيم على عُقم، لأنَّه فعيل بمعنى فاعل، ولم يُلحَقْ به الهاء للمؤنَّث لأنَّ المراد به النِّسبة، فهو كقولهم طالق وحائض. ولو كان عقيم كريح وصريع فى أنَّه فعيل بمعنى مفعولةٍ لوَجبَ أن يقال فى الجمع عَقْمَى، كما قيل جَرْحَى وصرعى. ويقال: رجل عقيم، وريحٌ عقيم، والدُّنيا عقيم، والمُلْكُ عقيم.

ومعنى البيت أنَّ هذا الرجل لا شبيهَ له فَضلاً وتفضلاً، وكمالاً وتبرُّعاً،

(١) التكملة من ل.

لأنَّ النساء مُنِعْنَ أنْ يأتين بمثله فعقِمْن ، أى صرن كذلك .

وقوله « متهلل بنَعَمْ » ، يريد بلفظ نعم . وجعل نَعَم اسماً ، أى هو بَشٌ طَلْقُ الوجه قريب المأخذ ، مُجِيبٌ فيما يُسأل ، وعند كلِّ ما يُطلَبُ منه ويُقترح عليه ، بقوله نعم ، وهو متهلِّل ، أى ضاحك مستبشر . قوله « بلا متباعد » أى يتباعد عن كلِّ أحدٍ بأن يصُكَّ فى وجهه فيما يُطلَبُ نيله منه بأنْ يقول لا ، و«لا» جعله كالاسم . فنَعَمْ كأنه اسمُ الإسعاف ، وَلا كأنَّه اسم المَنْع والدِّفاع . وقوله « سِيَّان منه الوَفْرُ والعُدْم » أى مِثْلان عنده الغِنى والفقر لايخِلُّ بالمعهود منه ، ولا يترك عادَته فيه .

وقوله « نَزْرُ الكلام من الحياء » ، أى هو قليلُ الكلام حتَّى كأنَّه مُلْجَمٌ لغَلَبة الحياء عليه ، وحتَّى يَظُنَّ مَن لا يعرفُه أنَّه لآفةٍ يترُك الكلامَ ، ولا آفةَ ثَمَّ ، إنما مانِعُه ما يمتلكه من حَياءٍ ممتزجٍ بالكرم ، ولقلَّة رضاه عن نفسه فى كلِّ ما يَرْتئيه أو يأتيه ، إذْ كانت طباعه لا ترضى عنه بشىء يبلغه ، فالحياء يُمْسِكُه ، والكَرَم يُسكِتُه ، لا تَمَدُّحَ منه ولاتبجُّح ، وَلا تَسَحُّبَ ولا تَعَلِّىَ .

ومثل هذا قولُ الآخر(١) :

* راحوا تخالُهُمُ مَرْضى من الكَرَم(٢) *

والضَّمِنُ : الزَّمِنُ ، ومصدره الضَّمانة .

(١) هو الشمردل . الحيوان (١ : ٩١) .

(٢) صدره * إذا جرى المسك يندى فى مفارقهم *

٧٠٠

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة (١) :

١ – يا أَيُّها السَّدِمُ المُلَوِّى رَأْسَهُ   لِيَقُودَ من أهلِ الحِجازِ بَرِيمَا (٢)

السَّدِم والسَّادم : النَّادم الحزين ، وقيل بل السادم مأخوذٌ من المِياهِ الأسدام ، وهى المتغيِّرة لطول المُكْث. والسَّدِم أيضاً : الفَحل العظيم (٣) الهائج . والسَّدِم أيضاً : اللَّهِج بالشَّىء . وحكى أبو حاتم قال : قلتُ للأصمعى يوماً : إنَّك تحفظ من الرَّجَزِ ما لم يحفظه أحد . فقال : « إنَّه كان هَمَّنا وسَدَمنا » . والبيت يحتمل الوجوه الثلاثة فيه . و « المُلَوِّى رأسَه » يجوز أن يكون مثلَ قول الآخر (٤) :

..... غارزًا رأسه * فى سِنَةٍ (٥) .....

والمراد : كأنَّه مَلَكهُ التحيُّر فهو يلوِّى رأسَه . وتَلوِيَة الرأسِ كما يكون من الفِكر والتحيُّرِ فقد يكون من الكِبْر والتجبّر ، وقلةِ الاحتفال بالمُحْتضِر (٦)

(١) هى ليلى بنت عبدالله بن الرحالة بن كعب بن معاوية ، ومعاوية هو الأخيل بن عبادة ، من بنى عقيل بن كعب . وكانت أشعر النساء لا يقدم عليها غير الخنساء ، وهى صاحبة توبة بن الحمير ، وكان بينها وبين النابغة الجعدى الصحابى مهاجاة ، ولها رثاء فى عثمان بن عفان . ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت فقال لها : ما رأى فيك توبة حين هويك ؟ قالت : ما رآه الناس فيك حين ولوك ! فضحك عبد الملك . وسألت الحجاج أن يحملها إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فحملها البريد ، فلما انصرفت ماتت بساوة فقبرت بها . الشعراء ٤١٢ – ٤٢٠ والخزانة (٣ : ٣١ – ٣٤) وفوات الوفيات (٢ : ١٧٥ – ١٧٧) والأغانى (١٠ : ٧٦ – ٧٩) .

(٢) كذا فى النسختين ، ووجهه « القِطْيَمّ » . انظر اللسان (سلام).

(٣) فى أمالى القالى (١ : ٢٤٨) أن الأصمعى كان يرويها لحميد بن ثور الهلالى . وانظر تنبيه البكرى ٧٨ .

(٤) هو ابن زيابة التيمى . انظر ص ١٤٢ .

(٥) قطعة من بيت هو مطلع حماسية ابن زيابة . وهو بتمامه :

نبئت عمرا غارزا رأسه   فى سنة يوعد أخواله

(٦) المحتضر : الحاضر ، يقال حضره واحتضره وتحضره . وهذا ما فى ل . وفى الأصل : « بالمختصر » ، تحريف .

كقوله تعالى : ﴿ فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو ﴾ فالنغض كالتلوية وإن كان النغض أقرب إلى الحقيقة .

وقولها « ليقود من أهل الحجاز بريما » ، فأصل البريم خيط يفتل من قوى بيض وسود . ويقال : قطيع بريم ، إذا كان فيه خلطان ضأن ومعزى . وقال الدريدي : كل لونين اجتمعا مثل السواد والبياض فهو البريم ، وإنما يتخذون البريم من الخيوط ليشد فى أحقى الصبيان فيدفع به العين . والمراد به هنا جيش متفاوتون أدنياء ، كالبريم وهو الخيط المبرم من عدة ألوان . والقصد فيما ذكرته إلى الإنكار على المخاطب فيما يأتيه ، وتوبيخه فيما حدث به نفسه من قود جيش إلى عمرو بن الخليع ، كما وصفته .

٢ ـ أتريد عمرو بن الخليع ودونه كعب إذا لوجدته مرءوما
٣ ـ إن الخليع ورهطه فى عامر كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما

تقول مقرعة ومقبحة لما أنكرته من مخاطبها وموبخة : أتقصد بما هممت به من جمع الجموع الحجازية عمرو بن الخليع وحوله بنو كعب ، إذا لوجدته معطوفا عليه، محروسا منك ومن لفيفك . أما علمت أن الخليع وعشيرته من بنى عامر بمكان القلب من النفس ، قد التف به الصدر والحزيم ، وحماه الحشا والجوف .

والحزيم والمحزم : موضع الحزام من الصدر . يقال للرجل إذا أريد تشمره : شد حزيمك للأمر ، وحياز يمك وحيزومك . والحيزوم : وسط الصدر . والمعنى : أن مكانه من الحى مكين ، ومحله من جانب المنع منه والدفاع دونه عزيز مصون . ويقال : رأمته أرأمه رأما ورئمانا . والمعنى : كيف يقع فى نفسك نزاعهم ، أو يتصور فى وهمك غلبهم .

ثم أخذت تحذر فقالت : لا تغزونهم ولا تستشعرن ذلك فيهم .

٤ ـ لا تَغزُوَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ ... لا ظالما أبداً ولا مَظلوما[١]
٥ ـ قومٌ رِباطُ الخيْلِ وَسْطَ بيوتِهم ... وأسِنَّةٌ زُرْقٌ يُخَلْنَ نُجُوما
٦ ـ ومُخَرَّقٌ عَنهُ القميصُ تخالُه ... وَسَطَ البُيوتِ من الحياء سقيما
٧ ـ حَتى إذا رُفِعَ اللِّواءُ رأيتَهُ ... تحتَ اللِّواء عَلى الخميس زَعيمَا

نهَتْهُ عن غَزْوِهم على كلِّ حالٍ . وانتصب « ظالما » على الحال . فيقول لا تَقصِدْهم طامعاً فيهم ومحارباً لهم ، لا منتقما ولا مبتدئا ، فإنَّك لا تُطيقهم ، إذْ كان همُّهم الغَزْو ، ومَرْبط خيولهم وَسْطَ بيوتهم ، يضمِّرونها ويتفرَّسون على ظهورها[٢] ، ولا يأتمنون عليها فى سياستها وصَنْعتها[٣] إلَّا أنفسَهم ، فلا ترى إلَّا مَن يهذِّب آلتَه للحرب ويُصلِحها ، فمركوبُه صنيع ، وسِنانُ رمحِه مجْلوٌّ سَنين ، ونفسُه مُبتذَلةٌ فيما يحصِّل به أُكرومةً ، لا يهمُّه مطعومٌ ولا مَلبُوسٌ . ثمَّ لفرط حيائِه وتناهِى كرمِه تحسبه وسطَ بيوتِ الحىِّ سقيماً ، لِقلة كلامٍ ولينِ جانب ، وضَعفِ مجاذَبة ، فإذا نُصبَ لواءُ الجيش مجهزاً لِطَلَبِ وِتْرٍ ، وانتواء غَزو ، أوْ محاماة على ولىّ ، أوْ سدِّ ثغر ، رَأيتَه مهيَّأً للزَّعامة ، معتمَداً للرِّياسة والسِّياسة ، غيرَ مزَاحَمٍ ولا مدافَع .

٧٠١

وقال آخر[٤] :

١ ـ نحنُ الأخايلُ لا يَزالُ غُلامُنا ... حَتَّى يَدبَّ على العصَا مَذْكُورَا[٥]

(١) سيبويه (١ : ١١١) والعينى (٢ : ٤٩) : (لا تقربن) . واستظهر البكرى فى التنبيه ٧٩ أن يكون صواب الرواية : « لا ظالماً فيهم » .
(٢) يقال : هو يتفرس ، إذا كان يرى الناس أنه فارس على الخيل .
(٣) صنعة الخيل : حسن القيام عليها وتعليفها وتسمينها . فى الأصل : (ومنعتها) ، صوابه فى ل .
(٤) هو ليلى الأخيليــة ، كما فى البيان (٣ : ٨٧) والأغانى (١٠ : ٧٦) . وفى اللسان (خيل) : « ويقال : البيت لأبيها » .
(٥) فى الأغانى : « مشهوراً » .

٢ ـ تبكى السُّيوفُ إذا فَقَدْنَ أكُفَّنا جَزَعاً وَتَعْلَمُنا الرِّفاقُ بُحُوراً(١)
وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فى صُدُورِ نِسائِكُمْ مِنكُمْ إذا بَكَر الصُّراخُ بُكُورا

الأخايل جمع، وهى قبيلتها . ويقال للشّاهِينِ الأَخْيَل ، والجميع الأخايل فأمّا قول الشّاعر :

* لهُ بَعْدَ إدْلاجٍ مِرَاحٌ وأَخْيَلُ *

فهو الخُيَلاء ، والفعل منه اختال . ومراد الشاعر : نحن المعروفون المشهورون، كما قال أبو النّجم :

* أنا أبو النَّجم وشِعْرِى شِعْرِى *

أى أصحاب هذا الاسم النّبيه الخطير . ولا يزال غلامُنا أى الغلامُ مِنَّا وَفينا ، مِن وقتِ ترعرُعِه إلى وقت دبيبه ، معتمِداً على عُكازه ، رفيعَ الذِّكْر على الشّأن تقدُّما وتكرُّما . والسُّيوفُ إذا فَقَدتْ أيدينا بَكَتْ حنيناً إليها ، وجزعا على مايفوتُها منها . والمرافقون فى الأسفار لنا تَعلمُنا بُحوراً ، لِمَا يُقَسَّمُ لهم من إفضالنا ، ويَعُمُّهم من تفضُّلنا ، ولحسْن توفُّرنا على الرُّوّاد والورّاد ، ويُمْنِ صُحبتنا على الأدانِى والبُعداء .

وقوله « وَلَنحنُ أوثَقُ فى صدور نِسائكم » ، يريد أنَّهنَّ إذا صُبِّحْنَ بالغارة فارتفعَ لِما يتداخلهُنَّ من الرُّعْبِ الصُّراخُ ، لأنَّهن خِفْنَ السِّباءَ وما يَلْحَقُ من العار ، فقلن : واصَبَاحاه أو واسُوءَ صباحنا ! واسم ذلك الصَّوت الصرخة والصُّراخ . وفى المَثَل : « لهم صَرْخَةُ الحُبْلَى » .

ومعنى البيت أنَّا فى ذلك الوقتِ أوثقُ فى اعتقاد النِّساء ، وفيما يشتمل عليه

---

(١) الأغانى :
تبكى الرماح إذا فقدن أكفنا جزعاً وتعرفنا الرفاق بحورا

ظَنُّهنّ ويعتمده استنامتهنّ منكم ، لما عرَفْن من ذَبِّنا وحمايتنا ، واشتهرنا به من غَيرتنا وحميّتنا .

٧٠٢

آخر (١) :

١ – يُشَبَّهونَ سيُوفاً فى صَرائمهم وطول أنْضِيَةِ الأعناقِ والأمَمِ (٢)

٢ – إذا غدا المسْكُ يَجرى فى مَفارِقهم راحُوا تخالُهمُ مَرضى من الكرَمِ (٣)

يقال : شَبَّهْته كذا وبكذا ، كما يقال نصحتك ونصحت لك . والصَّرائم : العزائم ، والواحدة صريمة . وقال الخليل : الصَّريمة إحكامك الأمرَ وعزمُك عليه . وكان أصله من الصَّرْم : القطع . والأنضِيَة : جمع النَّضِيّ ؛ وهو مركَّب النَّصل فى السَّيف فى الأصل ، والمراد به هنا مركَّب الرّأس فى العنق . ونَضِىُّ السَّهْم : قِدْحُه ، وهو ما جاوز من السَّهم الرِّيشَ إلى النَّصل . وأنشد الخليل فى ذلك :

فَمَرَّ نَضِىُّ السَّهمِ تحتَ لبانه وجالَ على وحْشِيِّه لم يُعتِّمِ (٤)

والأمم : جمع أُمَّة وهى القامة ؛ يقال : ما أحسنَ أُمَّته . وقوله « راحُوا تخالُهمُ مَرضَى من الكرَم » ، أى من الحياء . وصَفَهم بالصَّرامة والنَّفاذ فى

(١) هو الشمردل بن شريك اليربوعى ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، كان فى زمان جرير والفرزدق . الحيوان (٣ : ٩١) والشعراء ٦٧٥ والأغانى (١٢ : ١١٦) واللسان (نضا) . والبيتان بدون نسبة فى الكامل ٣٥ ليبسك والأمالى (١:٢٣٨) والعقد (٦ : ٢٢٨) .

(٢) الحيوان والشعراء : « يشبهون ملوكا من تجلتهم » ، الأمالى والكامل : « فى محلتهم » . الأغانى : يشبهوت قريشاً من تكلمهم » . الكامل والأغانى والعقد : « واللمم» الشعراء : « والقمم » .

(٣) الحيوان : « إذا جرى المسك يندى » . الشعراء : « إذا جرى المسك يوماً » . الكامل : « إذا بدا المسك يندى » . وفيما عدا الحماسة : « راحوا كأنهم » .

(٤) للأعشى فى ديوانه ٩٣ واللسان (نضا) .

الأمور ، فكأنهم السُّيوف ؛ وبطول القَوَام وحُسْن الشَّطاط ، وباستعمال العِطر وكَرَم النَّفس وشِدَّة الحياء بعد الشُّرب ، وبتمام الأُبَّهة والمُروءة في مجالس الأُنْس. وهذا وَإنْ لم يصرِّح به فهو متبيِّنٌ من فَحوَى: إذا غدا المسك راحوا وكأنَّهم مرضى . على ذلك رَسْمُ الاصطباح ، وعادةُ كِرام شُرَّاب الرَّاح .

٧٠٣

وقال آخر :

١ — فإنْ تَكُن الحوادِثُ حَرَّقتْنِي   فلَمْ أرَ هالِكاً كابْنَيْ زيادِ

٢ — هما رُمحانِ خَطِّيَّانِ كانا   من السُّمْرِ المثقَّفة الصِّعادِ

٣ — تُهَالُ الأرض أن يَطَئا عليها   بمثلِهما تسالم أو تُعادي

يقول: إن كانت نوائبُ الزَّمان أثَّرتْ فيّ وأزالت تحمُّلي بالصَّبر[1] ، وتجلُّدي لِرَيْب الدَّهر ، فإنِّي لم أر فيمن شاهدتُهم هالكاً كهذين الرَّجُلين ؛ وابنَا زيادٍ لم يكونا منه بسبيلٍ ، لا قُرْبى ولاقرابة ، ولا آصرةَ ولا وسيلة ، فيكون الكلام تأبيناً والشِّعر مرثِيَة ؛ وإنما كان من جملة مَن تأذَّى بهم ، وساقُوا الشَّرَّ إليه بسَعيهم ، لكنَّه شَهِدَ لهُما بما شَهِد ، مُورِداً الحق ، وتابعاً الصِّدق ، فهو بالمدْح أشبهُ منه بالمراثي ، إذْ كان الرِّثاء من شرطِه التوجع والتَّحزُّن وقد عُدِما هنا ، والثَّناء على العدو ثناءٌ على نفسه . ويجوز أن يكون المراد : لي بهما على فَضْلهما ونفاذِهما وتقدُّمِها ، أُسوةٌ في الرِّضا بما قُدِّر لي ، والصَّبر على ما حُكِم به عليَّ ؛ ولأنَّ الأرضَ لو هابت ماشياً على ظَهرِها ، لكانت تهاب هذين لما أُوتيا من قُدرة ، وأُبلغا من عِزٍّ وقوة . وشبَّههما برُمحين استواءَ خلقةٍ وامتدادَ قامة ، وسُرعةَ

(١) ل : « تجمل الصبر » .

نفاذٍ وحُسنَ توجه . والسُّمْرةُ فى ألوان الرِّماح محمودة . والصَّعْدَةُ : القناة تنبت مستويةً . وقوله « من السُّمر المثقّفة الصِّعاد » . سوّى بينهما فى التّشبيه حتّى لا مخالفةَ ، تنبيهاً على ما يُقصدَ من المبالَغة وتناهِى البراعة .

وقوله « تُهَالُ الأرضُ أن يَطَـئَا عليها » أى لأن يَطَـئَا عليها ، فحذف حرف الجر . يريد : أنّ قوّتَهما بالغة ، ومَشيَهما شديد ، والأرضَ لشدّة وَطئهما لها فى هَولٍ عظيم ، وزِلْزَال فظيع . ويجوز أن يريد بالأرض [أهل الأرض[1]] فحذف المضاف . ثم قال : وبمثلهما تُسالِمُ أو تُعادِى ، يريد أنّهما أهلُ الصَّلاح والفَساد والخير والشّرّ ، والعداوة والصّداقة . و «أو» من قوله « أو تُعادى » أو الإباحة وقد نُقِل إلى الخَبَر .

٧٠٤

آخر :

١ ـ كريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلَ حيائهِ ... وَيدنو وأطرافُ الرِّماحِ دَوَانِ[2]

٢ ـ وكالسَّيفِ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مَسُّهُ ... وحَدّاه إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ[3]

يصفُه بأن خصالَ الكرم قد اجتمعت فيه ، فلِتَناهِى حيائه تراه يَكْسِر طرفَه عند النَّظَر ، فِعْلَ[4] مَن عَمِل ما يُستَحيا منه ، أو لزِمَهُ مِنّةُ مُنعِمٍ توالَى نِعمهُ عليه ، أو قَصَّرَ فى أداء واجبٍ فيخاف عتْبَهُ فيه ؛ ولكمال حَمِيَّته فى الحرب يقتحم على الشّرّ ، فلا يزدادُ والرِّماحُ شارعةٌ نَحوَه إلا قُرْباً منها ، وتهجُّماً عليها .

(١) التكملة من ل .

(٢) البيتان أنشدهما الجاحظ كذلك بدون نسبة . البيان (٢ : ١٧١) . ورواية الجاحظ : « عند حيائه » .

(٣) البيان : « لانَ متنه » .

(٤) ل : « نظر » .

ثم هو فى طباعه أنه السيف متى لاينتَه وجدتَ اللِّينَ فى صفحتيه[١] عند مَلمسه ، ومتى خاشَنْتَهُ وجدتَ القَطْع والخشونةَ فى حَدَّيه ومَضْرِبه .

ومثل هذا قول الآخر[٢] :

ضَرْباً تَرَى منه الغُلامَ الشَّطْبَا[٣] إذا أَحَسَّ وجعا أو كَرْبا
دنا فمــا يَزْدَادُ إلاّ قُرْبا تَحَكُّكَ الجَــرباء لاقَتْ جُرْبا

وَقد مَرَّت مستقصًى شرحُها فى باب الحماسة .

٧٠٥

وقال العُجَيْر السَّلُولى[٤]

١ ـ إنّ ابنَ عَمّى لَابنُ زيدٍ وإنّهُ لَبَلّالُ أيدى جِلَّةِ الشَّوْلِ بالدَّمِ
٢ ـ طَلُوعُ الثَّنَايا بالمطايا وسَابِقٌ إلى غَايَةٍ مَن يَبتَدِرْها يُقَدَّمِ

افتخرَ بابنِ عمه ، وبمكانه من قرابته ، ذاكراً اسمَ أبيه ، وَمكتفياً به لاشتهاره ، ثمّ وصفَه بأنّه أوانَ الجَدْب والقَحط ، وعند إسنات الناس ، ووقتَ طُروق الأضياف ، يُعرقِبُ الإبلَ السِّمان فيَبلُّ أيديَها من دماء عراقيبها .

وقد أَحسن لبيدٌ كلّ الإحسان فى قوله لما سلكَ هذا المسلك :

مُدْمِنٌ يَجْلُو بأطراف الذُّرَى دَنَسَ الأَسْؤُقِ بالعَضْبِ الأَفَلّ

وقوله « طَلُوعُ الثَّنايا بالمطايا » يريد أنّه يعلُو العِقاب وُيشرِفُ عليها

(١) ل : « صفحته » ، بالإفراد .
(٢) هو عبد الرحمن المنى . سبق فى ص ٦٠٣ .
(٣) روايته فيا سبق :
* ترى مع الروع الغلام الشطبا *
(٤) ل : « وقال آخر ، وهو العجير السلولى » . وقد مضت ترجمة العجير فى الحماسية ٣١١ ص ٩١٨ .

مرتبئاً فيها، أو نافضاً طرق الصّيد عليها. ومثله قولهم: طَلّاعُ مَرْقَبة، وطَلّاعُ أَنْجِدَةٍ. إلاّ أنّ هذا زادَ على ما قالوا لقوله «بالمطايا».

وقوله «وسابِقٌ إلى غايَةٍ» مثله قولُ تأبَّط شَرًّا:

* سبَّاقِ غاياتِ مَجْدٍ فى عشيرته(١) *

وَقوله «مَن يبتدِرْها يقدِّم» فى موضع الصفة لغاية، والمعنى: من يبتدر مثلَ تلك الغاية قُدِّم فى أقرانه ونُظَرائه، وسُلِّم السَّبْق له.

٣ – مِن النفَرِ المُدْلينَ فى كُلِّ حُجَّةٍ   بمُسْتَحْصِدٍ فى جَوْلة الرَّأْى مُحْكَمِ

٤ – جَدِيرُونَ ألاَّ يَذكُروكَ برِيبةٍ   ولا يُغرِمُوكَ الدهرَ ما لم تَغرَّمِ

يقال: أدلَى بحُجّته، إذا أظهرها وقام بها؛ وأدلى رداءه فى البئر ليبتلّ، ودلاّه على كذا فتدلى. وقال الهُذَلىّ(٢):

* تَدَلَّى عليها بين سِبٍّ وخَيْطَةٍ(٣) *

وتوسَّعوا فيه فقالوا: دَلاّه بغُرور. فيقول: هذا الرَّجُل من القومِ الذين إذا أوردُوا حُجّةً قوَّموها برأيٍ محْكَم الفتل فيما يَجُول من الرَّأى مُحْصَف. والنفَر يقع على ما بين الثلاثة إلى العشرة، ولذلك صَلَح أنْ يقال ثلاثة نَفَرٍ وأربعة نفر. ونافرةُ الرَّجُل: بنو أبيه الذين يَغضَبون لغضَبه. قال:

لوْ أنَّ حَوْلِى من عُلَيْمٍ نافِرَه   ما غَلبَتْنى هذه الضَّياطِرَه

وقوله «جديرون ألاَّ يذكروك بِريبةٍ»، يريد أنّهم أحِقّاء بألاّ يغتابوك إذا غِبتَ عنهم، لسلامة صُدورهم من الدَّغَل(٤) والغشّ والخيانة، ولا يَقذِفوك

(١) البيت ١١ من المفضلية الأولى. وعجزه:

* مرجع الصوت هدا بين أرفاق *

(٢) هو أبو ذؤيب. ديوان الهذليين (١ : ٧٩) واللسان (سبب، خيط، وكف).

(٣) عجزه: * بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها *

(٤) الدغل، بالتحريك: الفساد. فى الأصل: «الوغل»، صوابه فى ل.

بِرِيبَةٍ تَشِينُك أو يقبُح فى الأُحدوثة بها عنك ، وبألاَّ يُجرُّوا عليك أبداً جريرةً يَثْقُلُ وطأتُها عليك فتحتاجُ أن تَغْرَمَ لها ما لا تَطِيبُ نفسُك به ، ولا تسمحُ بتحمُّلها فى مالكَ .

٧٠٦

ولهُ أيضاً :

١ – أقولُ لِعبدِ اللهِ وَهْناً ودُونَنَا ... مُنَاخُ المَطَايا مِن مِنًى فالمحصَّبُ

٢ – لكَ الخيرُ عَلِّلْنَا بها عَلَّ ساعةً ... تمُرُّ وسَهْوَانٌ من اللَّيل يَذْهَبُ[(١)]

٣ – فقامَ فأدْنَى من وِسَادِي وِسادَهُ ... طَوِى البطنِ ممشُوقُ الذِّرَاعين شَرْحَبُ

٤ – بعيدٌ من الشَّيءِ القليلِ احتفاظُه ... عليْكَ ومَنْزورُ الرِّضَا حين يَغْضَبُ

٥ – هو الظَّفِرُ الميْمونُ إنْ رَاحَ أو غدَا ... به الرَّكبُ والتِّلْعَابَةُ المُتَحَبِّبُ

وَهْناً ، أى بعد ساعةٍ من الليل ؛ ومنه المَوْهِن . ومفعول أقول أوّل البيت الثانى ، وهو « لك الخير » ؛ وموضع « ودوننا مناخ المطايا » موضع الحال . فيقول : أخاطبُ عبدَ الله وقد تقضَّى من اللَّيل بعضُه ، ومَبرَك الإبل من مِنًى فموضعُ الجمار منه بقربٍ منّا[(٢)] : مُلّكْتَ الخير ولُقِّيتَ السَّعادة ، علِّلْنا فى هذه الأرض بأحاديثك لعلَّ ساعةً تمر ترجِع إلينا نَفَسَنا وطائفةً من الليل تمضى نطوِيها على بعض مرادنا ، ولأن التعلُّل بالأحاديث وقطعَ الأوقات به ، للنَّفَس فيه راحة ، ولها به اعتبار . وقوله « وَسَهْوَانٌ[(٣)] » أى طائفة . ويُروَى : «وسهوا» ويقال : لَقِيتُه بعد سهواءٍ من اللَّيل ، أى بعد

---

(١) كتب فوق النون من « سهوان » فى ل : « نا » مع قرنها بكلمة « معا » لتقرأ بالرفع والنصب أيضا .

(٢) كذا فى ل . وفى الأصل : « بقرب منى » .

(٣) ل : « وسهوانا » .

مُضِىّ صَدْره . ويجوز أن يكون فَعلاء من السَّهو ، وتـكون همزتها ملحَقة ، ويجوز أن يكون فعْوَالاً ويكون همزتُها مبدلةً من الواو . فأمَّا سهوان فـكأنَّه أُرِيد به الوَقت الذى يَسهُوا فيه الناسُ عن مَباغيهم ، وعلى ذلك يُحْمَلُ السَّهواء . وفى المثل : « إنّ الموصَّينَ بنو سَهْوَان » ، أى الذين يَسهُون عن الحاجة يُحتاج معهم إلى التَّوصية . ولا يمتنع أن يكون السَّهوانُ فى الوقت مأخوذاً من السَّاهية ، وهو ما استطال واتَّسع من الأرض من غير خَمَر يردُّ العين ؛ فنُـقِل من المـكان إلى الزّمان ، أى طائفة من اللَّيل ممتدَّة واسعة .

وقوله : « فقامَ فأدنَى من وِسَادِى وسادَه » جمَعَ بين فِعلَين قام وأدنى . فيجوز أن يكون «طَوِى البَـطْن » يرتفع بالأوّل منهما ، وهو قام ، ويجوز أن يرتفع بأدنى وقد أُضمر فى قام على شريطة التَّـفسير فاعلُه . والمعنى : فقام به أو منه رجلٌ هكذا فقرَّب مجاسَه من مجاسِى . الشّرجب : الطّويل . والطَّوِى البَـطْنِ : الصغيرُه خلقةً . والممشوق : الطَّويل القليل اللَّحم . وجارِيةٌ ممشوقة : حَسنة القَوام قليلةُ اللَّحم .

وقوله « بعيد من الشىء القليل احتفاظه » أى غضبُـهُ ، يريد أنّه سهلُ الجانب لا يكاد يحتمِى من الشّىء القليل الخطَرِ والموقِع من النُّـفوس ، لـكنَّه قليل الرِّضا إذا غضِب ، لا يكاد يَرجع إذا ذهَبَ عنك بالهُوَيْـنَا . وذِكْر البعد هاهنا يريد النَّـفى ، وهذا كما يُستعمل القليل والأقلُّ ويراد بهما النَّـفْى . والمعنى لا يحتفظ بالشّىء القليل ولا يُؤاخِذ بصغائر الذنوب .

وقوله « هو الظَّفِر الميمون » يصفُ إقبالَه فى متصرّفاته ، وأنّ المَناجِح والسَّعادات فى رِفاقه ولاحِقةٌ لمَطالبه ومَباغيه ، والمَيامِن ترفرف على جوانب آرائه وأهوائه ، ثم هو حَسَنُ البِشْر (١) ، ليِّن العَرِيكة ، ضحَّاك لَعوب . والاحتفاظ :

(١) فى نسخة الأصل : « النشر » ، وما أثبتناه من ل . وأشير فى هامش ل إلى أنها فى « نسخة النشر » .

افتعالٌ من الحِفْظة[1] والحَفيظةِ: الغَضَبِ. والتِّلعابة على بنائه التِّقوالة والتِّلقامة والهاء في آخره للمبالغة. ويقال: نزرْتُ الشيء نَزْرًا، ثم يقال للمَنزور هو نَزْرٌ.

٧٠٧

وقال أبو دَهْبَلٍ[2] في الأزرق[3]:

١ — ماذا رُزِينا غداةَ الخَلِّ من رِمَعٍ … عند التَّفرُّقِ مِن خِيمٍ ومن كَرَمِ

٢ — ظَلَّ لنا واقفاً يُعطِي فأكثرُ ما … قُلْنا وقالَ لنا في وَجْهِهِ نَعَمِ[4]

الخَل: الطَّريق في الرَّمل. ورمع: موضع، وقيل هو جبل باليمن. يقول: أُصِبْنا وفُجِعْنا غداةَ اجتماعنا لتوديع الفِراقِ، بعظيم نبيه من الكرم والخِيم، وهو سَعَةُ الخلق.

وقوله «ظلَّ لنا واقفاً يُعطى» يعنى الأزرق. أى بَقِيَ نهارَه واقفاً ونحن محتفّون به ومجتمعون حولَه، وأكثرُ ما قلناه في وَجهِهِ وخاطَبْناه به، وقال لنا في جوابه «نعم». كأنّ القومَ المعتَرِّين اكتفَوْا بعَرْضِ نفوسِهم عليه من ذكر حاجاتهم لتمام كَرَمه، وكمالِ فِطنته، وهو يَعِدُهم الخيرَ ويقرّب لهم الإسعاف

---

(١) الحفظة، بكسر الحاء وسكون الفاء، مثل الحفيظة. وفي ل: «افتعال من الحفيظة وهى الغضب»، وهى عبارة ناقصة عما في الأصل.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٥٢١ ص ١٣١٩.

(٣) التبريزى: «الأزرق المخزومى». وفى معجم البلدان (رمع): «الأزرق بن عبد الله المخزومى»: وفى الأغانى أن الذى يمدحه أبودهبل إنما هو «ابن الأزرق»، واسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبدشمس بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، كان يقال له «ابن الأزرق»، و«الهبرزى»، وكان عاملا لعبد الله بن الزبير على اليمن. الأغانى (٦: ١٥٧) ومعجم البلدان فى رسم (الخل). وأنشد أبوالفرج أيضاً لأبى دهبل يمدح ابن الأزرق، وكان وفد عليه وهو معزول فأعطاه مائتى ألف دينار:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نزعت … عنه المكارم تغشاه وما نزعا

(٤) الأغانى: «سمى وقال لنا فى قوله».

والبَذْل ، ويقول لـكلٍ منهم : نَعَمْ ، عالمـاً بما يقترحه ، وضامناً لما يطلبه ، وماء الوجوه فى مواضِعها لم تُهرَق .

و نَعَم : حرف إيجاب ، و « يُعطِى » موضعه نصبٌ على الحال .

٣ — ثم انتَحى غَيْرَ مذمومٍ وأعيُنُنا لما تولَّى بدَمعٍ سافِحٍ سُجُمِ[(١)]

٤ — تَحمِلُهُ النَّاقةُ الأدماء معتَجِرًا بالبُرْد كالبَـدر جَلَّى ليـلةَ الظُّلَمِ

٥ — وكيفَ أنساكَ لا نُعماكَ واحِدةٌ عِندِي ولا بالذِي أسْدَيْتَ مِنْ قِدَمِ[(٢)]

يقول : اعتَـمَدَ ، بعدَ الوقوفِ لنا والنَّـظَر فى مآربنا ، لوجهته ، وهو مُمَدَّح بالألسنة ، محبَّبٌ فى الصُّدور والأفئدة ، وأعينُـنا لِنَوازع نفُوسِنا لَمَّا وَلَّى، سَيَّالة بدموعها . ومعنى سافِح : ذو سَفْحٍ ، أى ذو انصباب . والسُّجُم : جمع سَجُوم .

وقوله « تَحمله النَّاقة الأدماء معتجِـراً » ، يريد ملتَـفاًّ . و الاعتجار : لفُّ المِعجَـر ، وهو العِمامة ، فى الرّأس من غير إدارةٍ تحتَ الحَنَك . وقيل : بل المِعْجَر ضربٌ من ثياب اليَمَن ، وشـبَّهها بالبَدْر فى تلألئِه ونُوره . ألا تَرَى أنَّه قال : « جلَّى ليلة الظُّلَم » .

وقوله : « وكيف أنساك » . يريد أنَّ أياديَه عنده تذكره لأنها كثرت وعمّت وغمرَت[(٣)] فلا يعرِّج على مُنْـفِسةٍ إلا كانت منه ، ولا يردِّد نظرهُ فى ذخيرة إلا وكان السببَ فيها ، ولم يأتِ اللَّيالى والأيام عليها فتقادَمَ عهدُها ، وحالَ النِّسيان دُونَها ، بل هى غَضَّة طريّة تُنادى على نُفوسها ، وتَلُوحُ الجِدَّة على صفحاتها ، وتحمِـى من الدُّروس ذِكْرَ مُولِيها .

(١) الأغانى : « بدمع واكف » .
(٢) الأغانى : « لا أريدك واحدة . . . بالذى أوليت » .
(٣) فى النسختين : « وعمرت » .

وقوله « لا أُنعاكَ واحدةً » فى موضع الحال من « لا أنساكَ » وقد تقدَّم القول فى الإسداء وأصلِه .

٧٠٨

وقال أيضاً فيه :

١ ــ ما زلْتَ فى العَفْو للذُّنوب وإطْـــلَاقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ

٢ ــ حتَّى تمنَّى البُرَاةُ أنّهمُ عِنْدَكَ أمسَوْا فى القِدِّ والحَلَقِ

قوله « فى العفو » فى موضع النَّصب على أنه خبر ما زال ، والجارُّ منه تعلّقَ بمضمَر ، كأنَّه قال : ما زلتَ آخذًا فى العَفْو وداخلاً فيه ، إلى أنْ تمنَّى مَن لا جُرْمَ له أن يكون جارماً عليك حتَّى يتوفَّرَ عليه نَظَرُك وإحسانُك .

وألمَّ أبو تمّام بهذا المعنى فقال :

وتَـكَفَّلَ الأيتامَ عن آبائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أنّنا أيتامُ[1]

فعدَّه كثيرٌ من أصحاب المعانى خطأً فيه ، وقالوا : جعلَه لا يعرف مواضعَ الصَّنيعة إذ صار النَّاسُ يتمنَّون منزلةَ الأيتام عنده وحُرُماتِهم لدَيه حتَّى ينالَهم إفضالُه ، ولو ساغَ هذا القول فيما قاله أبو دَهْبَلٍ ، وهو تمنِّى البُراة أن يكونوا أُسَراءَ مصفَّدين لدَيه حتى ياحقَهم إحسانُه ، إذْ لا فَرقَ بين الموضعَين . ولم يُنكِر أحدٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين ما قاله أبو دَهبل ولا قَدَحوا فيه . وقد أحكمْتُ القولَ فى التَّسوية بينهما فى «رسالة الانتصار ، من ظَلَمة أبى تمَّام» ، وبيَّنتُ أن المعنى الذى انتحاه سليمٌ من العَيب صحيح .

والعانِى : الأسير . والغَلِقُ : المتروك لا يُفَكُّ .

(١) من قصيدة له فى ديوانه ٢٧٩ ــ ٢٨٢ يمدح بها المأمون .

٧٩

وقال الفَرزدقُ يمدح عليَّ بن الحسين بن عليّ[١] بن أبي طالب كرم الله وجوههم :

١ — إذا رأتهُ قُرَيشٌ قال قائلُها ... إلى مكارمِ هذا يَنتهِي الكَرَمُ

٢ - هَذا الّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وطأتَهُ ... والبَيتُ يَعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ

٣ — يُكادُ يُمسِكُهُ عِرفانَ رَاحَتِهِ ... رُكنُ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَستَلِمُ

فائدة إلى فى قوله «إلى مكارم هذا» الانتهاء ، والجملة فى موضع المفعول لقال . والمعنى أنّ الكريم إذا انتهى إلى درجةِ مكارم هذا وقَفَ[٢] ، لأنها الغايةُ السَّامية ، والمرتبةُ التى لامُتجاوَزَ منها إلى ما هو أعلَى . ثم قال : «هذا» ، يعنى عليَّ بن الحسين [بن علي[٣]] صلوات الله عليه «الذى تَعرِف البَطحاءُ وَطأتَه» من بين وطَآت النَّاس إذا مشوا عليها وفيها . والبطحاء : أرض مكّة المنبطحة ، وكذلك الأبطح . وبيوت مكَّةَ التى هى للأشرافِ بالأَبْطَح ، والتى هى فى الرَّوابي والجِبال

(١) بعده فى ل : « صلوات الله عليهم » ، التبريزى : « وقال الحزين الحيثى فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام . والحزين الكنانى هو عمرو بن عبد بن وهيب بن مالك بن حريث بن جابر بن راعى الشمس الأكبر بن يعمر بن عبد بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة . ويقال : إنها للفرزدق ، قالها حين قال الشامى لهشام بن عبد الملك : من هذا الذى أعظمه الناس وفرجوا له عن استلام الحجر الأسود ؟ فقال : لا أدرى . فقال الفرزدق : لكنى أعرفه . فقال الشامى : من هذا يا أبا فراس ؟ فقال ...». وصواب « الليثى » هو « الديلى » كما فى الأغانى (١٤ : ٧٧ – ٧٨) ونسبة الشعر إلى الفرزدق فى هشام هى كذلك فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . ونسب إلى الفرزدق فى على بن الحسين عند ابن رشيق (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى أيضاً ، وللعين المنقرى عند ابن رشيق أيضاً ، ولكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . ولداود بن سلم فى قثم بن العباس ، عند ابن رشيق أيضاً . وهو مثل ظاهر لمقدار اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . وسكت الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٣٣) والبيان (١ : ٣٧٠ / ٣ : ٤) وابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ / ٢ : ١٩٦) .

(٢) كلمة « درجة » ليست فى ل . (٣) هذه من ل .

للغُرَباء وأوساطِ الناس . والحَطِيم : الجدار الذى عليه مِيزابُ الكعبة ، فكأنّه حُطِمَ بعضَ حَجَرِه . والأبْطَحُ والبطحاء وإنْ كانا صفتين فإنّهما قد لحقا بالأسماء ، لذلك جُمِعا على الأباطح والبطحاوات . وانتصب « عرفانَ » على أنّه مفعول له[1] أى يكاد يمسكه رُكنُ الحطيم لأن عَرَف راحتَه . ويستلم ، بمعنى يَلمسُ الحجرَ الأسود . يريد : أنّه ابنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى شَرُف به هذه المواضعُ ، فهى عارفةٌ به ، وإذا جاء إلى المُستَلَم يكادُ يتمسَّك به الرُّكنُ تمييزاً لراحتِه عن راحة غيره . وأصل يستلِم[2] تناوَلَ الحجرَ باليَدِ أو بالقُبْلة أو مَسَحه بالكفّ ، فكأنّه من السِّلام : الحجارة . قال الخليل : ولم نسمع أحداً يفردها .

٤ ـ أىُّ القبائلِ ليستْ فى رقابِهِمِ لأَوَّلِيَّةِ هــذا أوْ لَهُ نِعَمُ
٥ ـ بِكَفِّهِ خَيْزُرانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أرْوَعَ فى عِرْنينِه شَمَمُ[3]
٦ ـ يُغْضِى حَيَاءً ويُغضَى مِنْ مَهَابَتِه فما يُكلَّمُ إلّا حِينَ يَبتَسِمُ

يريد : أنّ طوائفَ النّاس مغمورون بنِعَمِه أو نِعَم سلفه ، يعنى النبىّ والوصىّ عليهما السلام ، لأنهم اهتدَوا بدعائهم ، وفارقوا الهُلْك والضلالةَ بإرشادهم ودلالتهم فلا قبيلَ إلّا ورقابُهم قد شُغِلَتْ بما قُلِّدَتْ مِن مِنَنهم ، وذِمَمُهم قد رُهِنَتْ بما حُمِّلت من عوارفهم .

وقوله « بكفِّهِ خيزُرانٌ » يعنى به المِخْصَرَةَ التى يُمسكها الملوكُ بأيديهم

(١) ابن جنى فى التنبيه : « يجوز فيه أوجه : أحدها نصب العرفان على أنه مفعول له ، ورفع ركن الحطيم على أنه فاعل يكاد ، أو فاعل يمسكه عرفان راحته لركن البيت ، ويجوز رفعهما جميعاً ، أى يكاد يمسكه أن عرف راحته ركن الحطيم ، فيرفع العرفان بيكاد أو يمسكه ، ويرفع ركن الحطيم بأنه العارف ، وإذا نصبت عرفان راحته على أنه مفعول له كنت مخيراً فى نصبه إن شئت بيكاد وإن شئت بيمسكه ، ولا يجوز نصب العرفان والركن جميعاً لئلا يبقى الفعل بلا فاعل » .

(٢) ل : « استلم » وكتب فى هامش ل : « نخ : الاستلام : تناول الحجر » .

(٣) التبريزى : « ريحها » . ويروى : « فى كف أروع » .

يتعبَّثون بها [١] . وقوله « ريحه عَبِق » إذا فتح الباء فمخرجه مَخرج المصادر ، كأنّه نفسُ الشيء ، أو على حذف المضاف ، والأصل ذاتُ عَبَقٍ . وإذا كسرت فهو اسم الفاعل ، ومعناه اللاصِق بالشيء لا يفارقه . يريد أنّ رائحته تبقى فهى تُشَمُّ الدَّهر من كفّ أروعَ ، وهو الجميل الوجه والشَّمَم : الطُّول . والعِرنين : الأنف وما ارتفَعَ من الأرض ، وأوَّل الشَّيء ، وتُجعَل العرانينُ كنايةً عن الأشراف والسادة . وإذا قُرِن الشَّمَم بالعِرنين أو الأنف ، فالقصد إلى الكَرَم . لذلك قال حسَّانُ بن ثابتٍ :

* شُمُّ الأُنوف من الطراز الأوَّلِ [٢] *

وقوله « يُغْضِى حياءً » ، أى لحَيائه يغُضُّ طرفَه ، فهو فى مَلَكته وكالمَنْخَزِل [٣] له . و « يُغْضَى من مهابته » أى ويغضَى معه مهابةً له ، فمِنْ مهابته فى موضع المفعول له ، كما أنّ قوله « حياء » انتصَبَ لمثل ذلك ، والمفعول له لا يقام مقام الفاعل ، كما أنّ الحال والتمييز لا يُقام واحدٌ منهما مقام الفاعل .

فإنْ قيل : إذا كان الأمرُ على هذا فأين الذى يرتفع بيُغضَى ؟ قلتَ : يقوم مقامَ فاعِلِه المصدرُ كأنه قال : ويُغْضَى الإغضاء من مَهابته . والدال على الإغضاء يُغضَى ، كما أنّك إذا قلت سِيرَ بزيدٍ يومَين ، لك أن تجعل القائم مقام الفاعل المصدر ، كأنّه قيل : سِيرَ السَّيرُ بزيد يومين ، وهو أحدُ الوجوه التى فيه ، فاعلَمْه.

---

(١) وكذا عند التبريزى . ولم نجد « تعبث » فى المعاجم المتداولة .

(٢) صدره فى الديوان ٣١٠ :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم *

(٣) كذا فى ل . وفى الأصل : « وكالمتحرك » .

٧١٠

آخر :

١ ـ إِذَا انْتَدَى واحْتَبَى بالسَّيْفِ دَانَ لَهُ شُوسُ الرِّجالِ خُضُوعَ الجُرْبِ للطّالِي

٢ ـ كأنّما الطَّيْرُ مِنْهُمْ فوقَ هامِهِمِ لاخَوْفَ ظُلْمٍ ولكنْ خوفَ إجلالِ

انتدى : جلَسَ فى نادى القوم ، وهو مجمعهم . وقوله « احتَبى بالسَّيف » ، أى حضَرَ لعَقْدِ جِوارٍ ، أو فَصلِ أمرِ حربٍ ، أو إيقاعِ حِلْف ، أو تَسويدِ رئيسٍ أو ما يَجرى هذا المَجْرَى . وذلك أن السيف فى أمثالِ هذه الأحوال ربَّما مَسَّت الحاجةُ إليه ، لذلك قال جرير :

ولا يَحْتَبِي عِنْدَ عَقْدِ الجِوارِ بِغَيْرِ السُّيوفِ ولا يَرْتَدِي

وفى غير هذه الأحوال إنما يَحتَبُون بالأردية وأشباهِها . ودانَ له ، أى خضع . وشُوسُ الرِّجال : جمع أشْوَس ، وهو الذى ينظر بمُؤْخِرِ عينه عداوةً أو كِبْرًا . وانتصب « خُضوعَ الجُرْب » على أنَّه مصدرٌ من غير لفظه ، لأنّ معنى دان له ، أى خضَع له . ومثلُه :

* وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعبةً أىَّ إذلالِ [١] *

لأنَّ معنى رُضْتُ أذللت . وانتصب أىَّ إذلال عنه .

وخَصَّ الجُرْبَ لأنَّها إذا هُنِئَتْ بالطِّلاء طابَ لها وطاعَتْ لطالِبِها . لذلك قال امرؤ القيس :

* كما شَغَفَ المهنوءَةَ الرَّجلُ الطَّالى [٢] *

وقوله « كأنما الطَّيْرُ منهم فوق هامهم » ، أراد أنَّ مجالسَهم مَهيبة ، وأنَّ

(١) لامرىء القيس فى ديوانه ٥١ . صدره :

* وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا *

(٢) صدره : * أيقتلنى أنى شغفت فؤادها *

حاضِرِيها لايموجون ولا يتخفَّفون ، بل يتوقّرون ويَسكُنون فكأنَّ على رءوسهم الطَّير ، فإنْ حرّكوا رءوسهم طارت إعظاماً لهـا وتبجيلاً لصاحبهـا . وقوله «لا خوفَ ظلمٍ » ، أى يخافونه لا خوفَ ظُلمٍ وانتقام ، ولـكن خوفَ جلالةٍ واحتشام ، وتوقيرٍ وإعظام . ودلَّ على يَخافونه حتَّى انتصب عنه لا خوفَ ، قولُه كأنما الطَّير منهم فوق هامِهِم . ولما كانَ غيرُ هذا الشَّاعر أراد التهكُّمَ والسُّخرية قال فى وصف قوم :

* كأنّ خُرُوء الطَّير فوق رءوسهم (١) *

وقد مَرَّ ذلك .

٧١١

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ (٢) :

١ – فإنِّى لَمْ أَكَدْ آتيكَ تَهْوِى ... برَحْلِى رَادَةُ الأصْلَابِ نابُ (٣)

٢ – قَرِيحُ الظَّهْرِ يَفرَحُ أنْ يَرَاها ... إذا وُضِعَتْ ولِيَّتُها الغُرابُ

قولها « لم أكدْ آتيك » ، من قولهم : أعطانى الأمير ما لم يكد يُعْطِى ، وسَمَح بما لم يكد يسمح . تقول : لم أكد أزورك وقد زُرْتُك تطير برحلى راحلةٌ وثيقةُ الظَّهْرِ ليِّنته ، قد أخذَت من السِّنّ والقُوَّة بالنَّصيب الأوفر ، دَبِرةُ الظَّهر يَفرحُ الغُـرابُ إذا وُضعت عنها وَدعتُها فنظَر إلى ظهرها ، لأنَّه يَنْقُره ويُدْميه إنْ تُرِكَ .

(١) البيت ٥ من الحماسية ٦٠٨ ص ١٤٥٤ . وعجزه :

* اذا اجتمعت قيس معاً وتميم *

(٢) سبقت ترجمتها فى الحماسية ٦٩٩ ص ١٦٠٧ .

(٣) ابن جنى فى التنبيه : « لو نصب رادة الأصلاب على الحال لأنها وصف نكرة قدمت عليها لكان وجها » .

وقولها « رَادَةُ » مِن راد يرود ، إذا جاء وذهبَ لِلينه ؛ والأصل رائدة ، فحذفت الهمزة تخفيفاً ، كما قيل (١) فى شَائكٍ شَاكُ السِّلاح . ويجوز أن يكون فَعِلَةً بُنِيَتْ منه ، وعلى ذلك قولهم : رجلٌ مالٌ ، كأنه مَوِلٌ . ورواه بعضهم : « رَارَةُ الأصلاب » . وزعم أن عينه ياء ، واحتَـجَّ له بقول الآخر :

* والسَّاقُ مِنِّى باديَاتُ الرِّيْرِ (٢) *

والرَّارُ والرِّيْرُ : المُخّ . وليس الصُّلب بموضعِ مخٍّ ، فاعلَمْه . ومثله على الوجه الأول قولُه :

* فى صَلَبٍ مثلِ العِنانِ المُؤْدَمِ (٣) *

ألا تَرَى أنه شبهه بالعِنان لِلينه .

٧١٢

وقال العُرْيَان (٤) :

١ ـ مررْتُ على دَارِ امرِئِ السَّوءِ وَلَهُ أَبُونٌ كَعَيْدانٍ بحائطِ بُستانِ (٥)

(١) ل : « كما تقول » .

(٢) قبله فى اللسان (رير) :

أقول بالسبت فويق الدير إذ أنا مغلوب قليـل الغير

وإنما قال : « باديات » والساق واحدة لأنه أراد الساقين ، والتثنية يجوز أن يخبر عنها بما يخبر به عن الجمع ، لأنها جمـع واحد إلى آخر ، عن اللسان .

(٣) للعجاج فى ديوانه ٥٩ واللسان (صلب ، أدم) .

(٤) التبريزى : « وقال العريان اسهلة وذم غيره » ، يعنى أنه يمدح « سهلة » . لـكن فى نوادر أبى زيد ٦٥ وكذا فى الخزانة (٢ : ٥٢٢) نقلا عنها ، أن اسم الشاعر هو العريان بن سهلة الجرمى » ، أحد شعراء الجاهلية .

(٥) فى النوادر والخزانة : « عنده ليوث » : قال أبو زيد : « يقال ناقة ليثة » . وفى الخزانة : « والليوث جمـع ليث وهو الأسد ، أراد به الشجعان . وقال الجرمى : هو جمع ليثة ، يقال ناقة ليثة » . ولم يفسروا ناقة ليثة ، ومأخذها من الليث وهو الشدة والقوة . وجمـع ليثة على ليوث من الشاذ ، نظيره صخرة وصخور ، وشعبة وشعوب ، وقنة وقنون . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٧) .

٢ — فقال ألا أضحتْ لَبُونى كما تَرَى كأنّ على لَبَّاتِها طِينَ أفدانِ

٣ — فقلتُ عسى أن يَحْوِيَ الجيشُ سَرْبَهَا ولا واحدٌ يَسْعَى عليها ولا اثنانِ

يعنى بامرئ السَّوْء المُبَخَّلَ الملوَّم ، الذى لا همّ له إلّا تثميرُ ماله وحِفظُها ومَنعها من الحقوق الواجبة فيها . واللَّبُون ، أراد بها الجِنْس ، لذلك قال « حوله لَبُون » . وأصل اللَّبون الإبلُ ذوات [الألبان(١)] . والعَيْدانُ : النَّخل الطِّوال ، واحدُها عَيْدَانةٌ ، وهو فيعالةٌ مِن عَدَن بالمكان ، إذا أقام . ومثله غَيْداقٌ من غَدَق . ويعنى بها الرّاسياتِ الثّابتات على مَرِّ السِّنين . وعنى بالحائط موضع شجر . والبُستان : النّخل . والأصل فى الحائط أنّه اسم الفاعل من حاطَ ، واستُعمِل استعمالَ اسم الفاعل الذى لم يُشتقَّ من الأفعال ، ومثلُه من جنْسه قوله وَالِد وصاحِبٌ ، ومن المصادر : لله دَرُّك . وشبَّه الإبلَ بالعَيدان لطُولها ، ومثل هذا قول الآخر :

طيِّبةُ الأنفُس بالدَّرِّ نُعُسْ (٢) كأنَّها حائطُ نخلٍ مُلتبِسْ

وقوله « فقال ألا أضحتْ لَبونى كما ترى » أخَذَ يتبجَّح عنده بوُفور ماله وسِمَنِها ، وتراكُمِ اللَّحمِ والشَّحمِ على ظهورها ، فأخذ يعجِّبه منها ، ثم شبَّه اللّحمَ للسِّمَن على لَبّاتها بطِين قُصورٍ طُيِّنَت به ، فالإبلُ كالقصور ، وما قُذِفَ به من زِيادة اللَّحم كالطين . وهذا كقول القطامى :

* كما بَطَّنْتَ بالفَدَنِ السِّياعَا (٣) *

(١) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل ، وإثباتها من ل .
(٢) نعس : جمع نعوس ، وهى الناقة تنعس إذا حلبت ، أو تغمض عينيها عند الحلب .
(٣) صدره فى الديوان ، واللسان (سيع) :

* فلما أن جرى سمن عليها *

ورواية « بطنت » ثابتة فى شرح التبريزى واللسان ، وكذا فى الصحاح والعباب ، كما ذكر صاحب التاج ، ويروى أيضاً : « كما طينت » .

وقوله « فقلت عسى أن يحوِىَ الجيشُ » ، هذه أمنيَّة تمنَّاها . أراد كأيدتُه وقلت عسَى أن يقيِّض الله لها جيشاً يحويها ، ويحُول بينك وبين التمتُّع بها ، فلا يسعَى عليها مالكٌ واحد ولا اثنان ، لكنَّها تصير مقسَّمة فى المُغيرين ، موزَّعة فى السَّالبين . ويجوز أن يريد : لا يتفقَّدها مُصلِحاً لها لا واحدٌ ولا اثنان ، لكنَّها تُساق وتُذال بالغارة وتُهان .

٤ ـ ورحتُ إلى دار امرئ الصِّدْق حَوْلَهُ ‏ مَرابطُ أفراسٍ ومَلْعَبُ فِتيانِ (١)

٥ ـ ومَنْحَرُ مِثْناتٍ يُجَرُّ حُوارُها ‏ ومَلْعَبُ إخوانٍ إلى جنبِ إخوانِ (٢)

٦ ـ فقلتُ له إنِّى أتيتُك راغِباً ‏ بذِعْلِبَةٍ تَدْمَى وإنِّى امرُؤٌ عانِ

٧ ـ فقال ألا أهْلًا وسَهْلًا ومَرْحباً ‏ جَعَلْتُك مِنِّى حيثُ أجعلُ أشجانى

٨ ـ فقلت لهُ جادَتْ عليكَ سَحابةٌ ‏ بِنَوْءٍ يُنَدِّى كلَّ نَفْوٍ ورَيحانِ

٩ ـ وقلتُ سَقَاكَ اللهُ خَمْرَ سُلافَةٍ ‏ بماءِ سَحابٍ حائرٍ بين مُصْدانِ

قوله « دار امرئ الصِّدق » ضدُّ قولهم : امرئ السَّوء . والمعنى فيهما نعم الرجل وبئس الرَّجُل . وإذا قُصِد إلى الوصف به فُتح فتميل الصَّدقُ . يقال : رَجُلٌ صَدْقٌ ونساء صَدْقات . والسَّوء يُوصف به فيقال الرَّجل السوء . وقال الخليل : الصَّدْق بفتح الصاد : الكاملُ من كلِّ شىء . فتقول : عدَلْتُ رائحاً إلى دار الرجلِ الكريم الممدَّح بالألسنة ، المرْضِىِّ المحبَّب إلى كلِّ طائفةٍ ، المرزَّأ

(١) رواية أبى زيد « ومررت على دار » ، وفيه الخزم ، وبالزاى المعجمة ، وهو زيادة بعض الحروف فى أول البيت ، انظر أمثال ذلك فى العمدة لابن رشيق (٢ : ٩٢ ـ ٩٤) ، وهم لا يعدون الخزم عيباً . ولم يرو أبوزيد إلا البيت الأول من هذه الحماسية ، ثم هذا البيت ، ثم بيتاً ثالثاً لم يروه أبو تمام ، وهو :

فقال مُجيباً والذى حَجَّ حاتمٌ ‏ أخُونُك عهداً إننى غيرُ خوَّان

(٢) التبريزى : « وموضع إخوان » .

في مالِهِ، المنفاقِ على أضيافه وزُوّاره وحولَه مرابطُ الخيل، وفناؤه مَلعبُ الفِتيان، إذ كان همُّه الاشتغالَ بالفروسيَّةِ وما يَكتسب به فُنونَ الذِّكرِ الجميل وضروبَ المَحْمَدة، ونُدماؤه والفِتيانُ ذَوُو الكرَم والحريَّة، والافتنان في اللَّعبِ والشَّطارة، وبقُرب دارِه مَدارج الكرامات، ومُبَوَّأ الضِّيافات، ومَجْزَر النُّوق العشار الصَّحيحات الرّائعات، فتجرُّ حيرانُها إذا بُعِجَتْ عَنها بُطونها لكِبَرها[1]. يريد أنّ ما يُضَنُّ بأمثالها ويُتَنافَس فيها، هو يَبْتَذِلُها ويَستهينُ بها، وله دار ندامةٍ[2] ووفادة، تُنصَبُ فيها الموائد، وقد رُتِّب عليها الإخوان على سَنَن الدوام، ولا يقع فيه خَلَلٌ ولا تجوُّز، ولا فُتور ولا تخوُّن.

وقوله: «فقلت له إنِّي أتيتُك راغباً» يريد تعرَّضْتُ له وأريتُه رغبتي في مَعروفه، وعرَّفته أنِّي قصدتُه على ناقةٍ سريعةٍ من مكانٍ بعيد، فقد دَمِيَتْ أخفافُها وحَفِيت، وأنِّي رجلٌ مضرور، أسيرُ فاقةٍ وفقرٍ، محتاجٌ من جهته إلى تفقُّدٍ ومُواساة. فقال في جوابي: أتيتَ أهلاً لا غُرَباء، ونزلت سَهْلاً من الجوانب لا حَزْناً، واخترت رُحْباً لا ضِيقاً، فأنتَ في قلبي وصدري بحيثُ أجعل مُهِمّاتي وحاجاتي، تَشمَلُك عنايتي، ويَسَعُك إفضالي، فكُنْ كالشَّريك فيما لَنا، لا تمارُزَ ولا تباين، ولا تمانُعَ ولا تضايُق. فقُلت له في مقابلةِ ما أورَدَه داعياً وشاكراً: هنأَكَ اللهُ ما أعطاك، ومَطَرَ أرضَك ومأواكَ، بجَوْدٍ من سَحابةٍ نشأت بنَوءٍ يُحيي كلَّ نبتٍ ورَيحان، بكلِّ أرضٍ ومكان. وقت أيضاً: داعياً له بالسُّقيا: سقاكَ الله خَمْرَةً صافية رقيقة، ممزوجة بماء مَطرٍ حائرٍ بين المناقع والغُدْران، بعد أن تقذفتْه المَدافعُ والمُسْلان[3]، وتقطَّع بأنضاد الحجر،

(١) التبريزي: «يجر حوارها لأنها تجزر وهو في بطنها فيجره من بطنها».

(٢) ندامة، كذا وردت في النسختين. والمعروف «ندام» بدون هاء مصدر نادمه منادمة.

(٣) المسلان: جمع مسيل، وهو مجرى الماء، وذلك على توهم ثبوت الياء أصلية. انظر اللسان (مسل).

وتَغلغَلَ فى جوانب الحَرِ . والمُصْدَان : جمع مَصاد ، وهى شُقوق الجبال . وقال الخليل : المُصْدان : الهضاب(١) ، واحدها مَصادٌ ، وفى أدنى العَدَد أمصدة ، ومنه سمِّى المَعقل مَصادا . والفَغْو : ماله رائحةٌ طيِّبة من النَّبات ، وكذلك الفاغية . والذِّعْلِبَة يُوصف بها النَّعامة والنَّاقةُ الشَّديدة السريعة . ويقال : اذْلَعَبَّ البعيرُ إذا أسرَع . وسُلافة الخَمرِ : أوّلُ ما يخرج من عَصيرها . وإضافةُ الخَمرِ إليها على طريق التَّبيين . وهذا كما يفيده « من » من قوله : ﴿ فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِن الأَوْثانِ ﴾ .

٧١٣

وقال آخر(٢) :

١ - لَمَسْتُ بكَفِّى كفَّهُ أبتغى الغِنَى ولم أدرِ أنَّ الجودَ مِن كَفِّهِ يُعدِى

٢ - فلا أنا مِنْهُ ما أفادَ ذَوُو الغِنَى أفَدْتُ وأعْدانِى فأتلَفْتُ ما عندِى

قوله « أبتغى الغنى » فى موضع الحال ، وأفدت بمعنى استفدت . يقول : لمّا زُرته صافحتُه واضعاً كفّى فى كفّه ، وملتمساً الغِنَى من عنده ، وراجياً نَيل الخَيرِ فى قَصده ، ولم أعلمْ أنَّ السَّخاء يُعدِى من يده ، فلا أنا استفَدْتُ من جهته ما استفادَه الأغنياءُ منه ، وأعْدانى لَمسُ كفِّه الجودَ فأهلكتُ ما عندى أيضاً .

وقوله « ما أفاد » فى موضع المفعول من قوله أفدتُ .

---

(١) فى الأصل : « النصاب » ، صوابه فى ل . وفى اللسان : « المصاد الهضبة العالية الحمراء ، وقيل : هى أعلى الجبل » .

(٢) التبريزى : « قال أبو هلال : هذا الشعر لعبد الله بن سالم الخياط ، مولى هذيل ، دخل على المهدى فأنشده هذين البيتين ، فأمر له بخمسين ألف درهم ففرقها ولم يرجع إلى منزله منها بشىء » . والبيتان منسوبان كذلك إلى ابن الخياط فى الوساطة للجرجانى ١٧٢ . وذكر أن أبا تمام أخذ أحد هذين البيتين فى قوله :

علمنى جودك السماح فما أبقيت شيئاً لدىّ من صلتك

ونسب أبو الفرج البيتين الى بشار بن برد . الأغانى (٣ : ٢٦) .

٧١٤

وقال آخر (١) :

١ — إذا لاقيتِ قومِي فاسأليهِمْ   كَفَى قوماً بصاحِبِهِمْ خَبِيرا (٢)

٢ — هَلَ اُعْفُو عن أُصولِ الحَقِّ فيهِمْ   إذا عَسِرَتْ وأَقْتَطِعُ الصُّدورا (٣)

يتبجّح قائلُه عند المرأة التى خاطبها ، بسهولة جانبه ، وتركِ المناقشة فى استخراج حُقوقِه ، وسماحةِ نَفْسه بما يملكه ، فيقول : إذا رأيتِ قومى فارجعى إليهم سائلةً عنّى ، ومستخبِرة حالى ومعتمدةً على ما تسمعينه من قِصّتى وأمرى ، فكفى بقومى عالماً بى وبأخلاقى . وقوله « كفى قوماً بصاحبهم » مقلوبٌ وكان الواجب أن يقول : كفَى بقومى خبيراً بصاحبهم ، ويعنى بصاحبهم نفسَه . والخبير : ذو الخبرة التامّةِ والمعرفة الكاملة . وانتصابُه على الحال إن شئتَ ، وإن شئتَ على التّمييز وقد وضع خبيراً موضع خُبْرًا ، ومثله فى القرآن : ﴿ وَحَسُنَ أُولئكَ رَفِيقاً ﴾ . وفاعلُ كفَى قبل القلب « بقومى » وهذا كقوله تعالى : ﴿ كَفَى باللهِ شهيداً ﴾ والباء زائدة .

وقوله : « هَلَ اُعفو عن أُصول الحقِّ فيهم » يريد سَلِيهم هل أُسامِحُ بما يجبُ لى مِن أُصول حقّى ، وهل أَتركُ الاستقصاءَ فى استخراجها ، وهل أُعْنُف بهم إذا تعسَّرَتْ عندَهم ، وهل أَجْبِى (٤) صَدْرَ ما يحلّ لى ويجبُ راضياً به ،

(١) التبريزى : « قال أبو هلال : هو لجثامة بن قيس ، وهو أخو بلعاء بن قيس » . وقد سبقت ترجمة بلعاء فى الحماسية ٨ ص ٥٩ .

(٢) كذا فى الذختين . وعند التبريزى : « كفى قومى » وقال التبريزى : ويروى : قوم وقوما » .

(٣) عسر ، يقال من باب فرح وكرم . وضبطت فى النسختين بكسر السين ، وفى نسخة التبريزى بضمها .

(٤) يقال جبيت الشيء ، إذا خلصته لنفسك . فى الأصل : « أحبى » صوابه فى ل . ولولا اتفاق النسختين على هذا القدر من الحروف لكان صوابها « أجب » بمعنى أقطع .

وغيرَ معرِّج على أواخره وأعجازه ، لئلا أكون مناقِشاً فى الاستقصاء مُضايقا ، ويكون هذا مثلَ قول الآخر :

إنّا إذا شارَبنَا شَرِيبُ له ذَنُوبٌ ولنا ذَنوبُ
فإنْ أَبَى كانت له القَليب[1]

وقيل معنى « أقتطِعُ الصُّدورَ » أراد[2] به مَوَدَّاتِ الصُّدور ، فحذف المضاف . وقيل : بل أراد بالصُّدور الرُّؤساء . والمراد من البيت أنى أسامِح فى مُعاملةِ أوساط قومى لأمتاكهم بذلك ، وأجعلَ رؤساءهم منصبِّين إلىّ وما ئلين نحوى ، لأنّى أقتطعهم[3] عن غيرى ، وأعدِلُ بهم عمَّن سِواى .

٧١٥

وقال عَمْرو بنُ الإطْنابة[4] :

١ ـ إنّي مِنَ القومِ الّذين إذا انْتَدَوْا بَدَءُوا بحــقِّ اللهِ ثمّ النّائِلِ
٢ ـ المانعينَ مِن الخَنَا جاراتِهِمْ والحاشِدِين على طعام النّازلِ
٣ ـ والخالِطين فقِيرَهم بغنيِّهمْ والباذِلينَ عطــاءهم للسّائلِ
٤ ـ والضّارِبين الكبشَ يبرُقُ بَيْضُه ضَرْبَ المُجَهْجِه عن حِياضِ الآبلِ[5]

(١) القليب : البئر العادية القديمة التى لا يعلم لها رب ولا حافر ، تكون بالبرارى ، تذكر وتؤنث . ل : « كان له » .

(٢) ل : « الصدورا يراد به » .

(٣) ل : « أقطعهم » .

(٤) الإطنابة أمه ، ومعنى الإطنابة سير الحزام يكون عوناً لسير آخر إذا قلق ، وسير يشد فى وتر القوس العربية . وهو عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجى ، شاعر فارس من فرسان الجاهلية . معجم المرزبانى ٢٠٣ — ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٢٨) أنه كان ملك الحجاز .

(٥) ل : « الضاربين » بدون واو . التبريزى : « ضرب المهجهج » .

يفتخر بأنه من القَومِ الذين إذا عَقَدُوا مجلسًا للنَّظَر فى أحوال الجيران لشدّة الزمان، ولإصلاح الأمور فى جوانب الحىّ عند فسادها، وكان اليومُ مشهوداً، والتوفُّر على المصالح فى الأباعد بعد الأقارب شديداً، ابتدأوا بإخراج حقِّ الله تعالى جدُّه الواجبِ عليهم فى أموالهم، ثم كرُّوا على النائل مِن بَعْدُ. ويريد بالنَّائل العطايا التى لا تَجِب فى فرائض الدِّين ونوافِلِها[١]، وإنما يُقيمون بها المروءات، ويتطلَّبون بفعلها وجُوهَ التحمُّد والتشكُّر.

وقوله «المانعينَ من الخنا جاراتهم» قَصَدَ فيه إلى تعداد خِصالهم، ورواتبِ سِيَرهم، مع الإفضال التامّ، والبِرِّ العامّ، فقال: يمنعون جاراتِهم [من الفُحش[٢]] ويصونونهنَّ من دَرَن الرِّيبة وقُبْح المقالة، وإذا نَزلَ بهم نازلٌ حَشَدُوا الطَّعامَ له — والحَشْد: ما لا تكلُّفَ فيه[٣] — ذلكَ ليكون أدنَى لانبساطه، وأدعَى إلى إقامته. ولو قال بَدَل الحاشد محتشد أو مُتَحَشِّد لكان لا بدَّ من اقتران الكُلفة بما يأتون به. وتعلّق «على» من قوله «على طعام النَّازل» بالحاشد، كأنَّهم يجتمعون على إعداد الطَّعام له، ويتعاونون فى إزالة الوهم فى أنَّه زِيدَ على الحاضر منه، ليكون أهنأ، وعلى المجموع له أخَفَّ.

وقوله «والخالِطِين فقيرَهم بغنيِّهم»، يريد أنَّهم يسوُّون بين طوائف الأقارب فترى الفقيرَ منهم لا يتميَّز عن الغنىّ ولا ينحطّ فى الإكرام عنه، فينقبض أو يتمعض، ثم يبذلون[٤] للأجانب والغُرباء فُرَّاطهم ووُرَّادِهم[٥]،

(١) كذا فى النسختين، والوجه «ونوافله».
(٢) التكملة من ل.
(٣) فى الأصل: «ما لا يكلف من»، والوجه ما أثبتنا من ل. وكلمة «ذلك» ليست فى ل.
(٤) هذا الصواب من ل: وفى الأصل: «يتذالون».
(٥) الفراط: جمع فارط، وأصل معناه القوم يتقدمون الوراد فيهيئون لهم الأرسان والدلاء ويملؤون الحياض.

لا يَدَّخِرُون مقدوراً عليه ، ولا يعتلون بما يكون سبباً فى حِرمانهم . والمعنى أن حِرمانَهم ليس بمقصورٍ على من يُدْلِى بقُرْبٍ وقَرابة ، بل تَشترك فيه الكافّة .

وقوله « والضّاربين الكبش » ، وَصَفهم بأنّهم يُقاتِلون الرُّؤساء متدجِّجين فى السِّلاح ، فيَضرِبونهم ضَرب المُدافِعِ غرائب الإبلِ عن حياض الآبِلِ . والآبل : صاحب الإبل الكثيرة . وقوله « يبرُق بيضه » فى موضع الحال . والمُجَهْجِهُ والمُهَجْهِجُ : الزّاجر بقوله : هَجْ هَجْ ، وجَهْ جَهْ . وقد حذف مفعول قوله ضَرْبَ المجهجِ .

ويقال : فلانٌ آبَلُ من فلانٍ ، أى أحذَق برَعْى الإبل وتثميرها .

٥ – والقاتِلين لدَى الوَغَى أقرانَهم إنّ المنيَّة مِن وَراء الوائِلِ

٦ – خُزْرٌ عيونُهمُ إلى أعدائِهمْ يَمشُونَ مشْى الأُسْدِ تحتَ الوابلِ

قوله «والقاتِلين لدَى الوغَى أقرانهم » ، أصل الوغى هو الجَلَبة والصَّوت ، ثم كثر استعمالُه فصار كناية عن الحرب ، فيريد أنّهم يَقتُلون نُظراءَهم من الكُماةِ والأبطال فى الوَغَى ، ومَنْ وَأَلَ من أعدائهم فى حالٍ من أحوالهم فالمنيَّةُ من ورائهم ، لأنّهم يُمْهِلون ولا يُهمِلون ، ويَطلُبُون أوتارَهم ولا يضيِّعون .

وقوله « خُزْرٌ عيونهم إلى أعدائهم » ، يريد أنّهم يتخازَرُون إذا نَظَروا إلى أعدائهم ، فِعْلَ المتكبِّر المتوعِّد ، فلا يَلوُون أعينَهم مِنْهم ، ولا يُسوُّون النَّظرَ إليهم ، بل يَتبيَّن فى نَظرِهمْ ما تنطوى عليه قلوبُهم ، وإذا مشَوْا رأيتَهم كالأُسْد تحتَ المَطر الشّديدِ وهى تُبادرُ إلى مواضعها من العَرين .

٧ – والقائِلين فلا يُعابُ كلامُهم يومَ المَقامَة بالقَضاء الفاصِلِ

٨ – لَيسُوا بأَنكاسٍ ولا مِيلٍ إذا مَا الحَربُ شُبَّتْ أَشعَلُوا بالشّاعلِ

أجرى قوله : « القائلين » مُجرى قوله المتكلِّمين والنّاطقين . وكذلك عدّاه

بالباء فقال بالقضاء الفاصل » . ومثله قول عُمَر بن أبى ربيعة :

بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جوابها فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالةُ تُعْذِرُ

أى لم تتكلّم . ومما يدلُّ على ذلك قوله « فلا يُعاب كلامهم » ولم يَقُل قولُهم . ويقال : فلانٌ يقول بالإمامة ، أى يدين بها ويعتقدُها مَذهباً . فيجوز أن يكون قوله على هذه الطريقة . وإنما وصَفَهم بأنّهم مفوَّهون خُطباءُ يَفصلون الأمورَ عند المجامع بالحُكم العَدْل ، والقضاء الفَصْل ، ولا يُتجاوَزُ مرسومُهم ، ولا يُعابُ مَقْضِيُّهم ؛ ثمّ إذا حضروا الحرب وأُوقِدَ نارُها فلَيْسوا فيها بضِعاف العَقْد .

والأنكاس : جمع النِّكْس ، والنِّكْس أصله فى السِّهام ، تكسر فيجعل أسفلُها أعلاها فتَضعُف . والمِيلُ : جمع أمْيَلَ ، وهو الذى لا يستقيمُ على الدَّابَّة . وقوله « أشعلوا بالشَّاعل » يقول أوقَدوا وهَيجوا . والشاعل يجوز أن يُرادَ به يسير الإيفاد ، والإشعال له تقويَتُه ، والباء مُقْحمة ، والمراد أشْعَلُوا الشَّاعل وقوَّوْه وزادوا فيه . ويجوز أن يُرادَ بالشَّاعل ذا الشَّعْل أو الإشعال أو الاشتعال ، ويكون معناه المُشْعِل ، كما يقال : لابِنٌ وتامِرٌ ، وحينئذ يكون الباء داخلًا على حدّه . والمعنى أشعلوها بالمُشْعِل . ويقال : أشْعَلْتُ الخيلَ فى الغارة فشَعَلَت وهى شاعِلة ، وأشعلْتُ النارَ فى الحطَب فاشتعلَتْ .

٧١٦

وقالت حبيبةُ ابنةُ عبدِ العُزَّى (١)

١ — أإلى الفَتَى بَرٍّ تَلَكَّأُ ناقتى فكسا مناسِمَها النَّجيعُ الأسودُ

٢ — إنّى وربِّ الرَّاقصاتِ إلى مِنًى بجُنوبِ مكَّةَ هَدْيُهنَّ مُقلَّدُ

(١) التبريزى : « حبيبة بنت عبد العزى العوراء » . وواضح من اسمها أنها إحدى شاعرات الجاهلية .

٣ ـ أُولِي على هُلْكِ الطَّعامِ أَلِيَّةً أبداً ولـكنِّى أُبِينُ وأَنْشُدُ

تريد أتتكَّأ ناقتى ، أى أتتحبَّس وتتباطأ ، فحذَف إحدى التاءين تخفيفاً ، لأنَّ الإدغام ممتنِـع هنا . وبَرٌّ : اسم الممدوح . والمعنى الإنـكارُ والاستفظاع ، وإن كان اللَّفظ على الاستفهام . وانجرَّ بَرٌّ على البدَل من الفتى ، والمراد أنَّ ذلك لا يكون ، ثم دعت على ناقتها بالعَرقبة فقالت : إن تأخَّرَتْ أو تلوَّمتْ فى المسير فعقَرها اللهُ حتى يسيل دَمٌ أسودُ نجيعٌ على مَناسِمها فيصيرَ كاللِّباس لها . والنَّجيع فى الأصل دم الجوف ، ويقال : تنجَّعَ به ، أى تلطَّخ .

وقولها « إنِّى وربِّ الرَّاقصات إلى مِنًى » أقسمَتْ بالله مالِكِ رواحلِ الحجيج وهى تسيرُ إلى مِنًى مِن جوانب الحَرَم وفيها الهَدْىُ المُقلَّدُ . والهدى : ما يُهدَى إلى البيت ، وكانوا يقلِّدونه ويجعلون فى عُنُقه لِحَاءَ الشَّجر أو الصُّوف المفتول ليـكون علامةً لإهدائها .

وقولها « أُولِي على هُلك الطّعام أَلِيَّةً » هو جواب القَسَم ، أى لا أُولِي ، فحُذف حرف النَّفى ولم يُخَفِ الالتباس ، لأنه لو أريد الإيجاب لوجَبَ أن يقال : لَأُولِيَنَّ باللام وإحدى النونين ، والمعنى لا أحلفُ على أنْ أصـونَ طعامى ولا أُطعِمَ النّاسَ ، مدَّعيةً أنه قد نفِدَ وهَلَك ، ولـكنِّى أظهِرُه وأَنْشُد مَن أُطعِمُه . ويجوز أن يريد بأَنشُد : أقولُ للزَّائر والمارِّ بى : أنشُدُكَ اللهَ أنْ تُفارقَ حتَّى تَطْعَم . وقولها « هديهنَّ مقلَّد » فى موضع الحال للرَّاقصات ، واكتفى بضميرها فى الجملة عن إدخالِ العاطف عليه ، لأنَّ الضمير يعلِّق الحالَ بما قبله كما يعلِّق حرفُ العطف . ومثله فى القرآن : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، والمراد بهَدْيِهِنَّ التـكثير لا الواحد . و « أبدا » فى المستقبل بإزاء قَطُّ فى المُضِىّ .

٤ ـ وَصَّى بها جَدِّى وعَلَّمَنِى أَبِى نَفْضَ الوِعاءِ وكلُّ زادٍ يَنْفَدُ

٥ ـ فاحفَظْ حَمِيتَكَ لا أَبَالَكَ واحْتَرِسْ لا تَخْرِقَنْهُ فَأْرَةٌ أو جَدْجَدُ

تريد أنَّ هذه الأفعالَ التى ذكرْتُها هى موروثةٌ عن الأَسلاف ، ومأخوذة عن عاداتهم ، جَدِّى وصَّى بها أبى ، وأبى علَّمَنِيها فَهُمْ قدْوَتى ، وهذه دأبى وسجيَّتى ، أصُبُّ الزَّادَ صبًّا ، وأنفُضُ وعاءَه بعد أن أُخْلِيَهُ نَفْضًا . والزَّاد كلُّه لا يبقى وإن بُخِلَ به ، فلماذا يُكتَسَبُ الذمُّ فيه . ثم أقبلَتْ على من تَذُمُّه وتبخِّله فقالت متهكِّمة وساخرةً منه : احفَظْ نِحْىَ سَمْنِك لا أبالَك — وهذا بعثٌ وتحضيض — واحذَرْ عليه الفأر والجُدْجُد لا يقطِّعه (١) .

وقد مرَّ القولُ فى قولهم « لا أبالك » وإعرابِه . والفأر مهموز ، ويقال مكان فَئِرٌ ، إذا كثُر فأرُه .

٧١٧

وقال مالك بن جَعْدَةَ (٢) :

١ ـ وأبلِغْ صَلْهَبًا عنِّى ووَعْدًا تحيَّاتٍ مَـآثِرُها سُـفورُ (٣)
٢ ـ فإنَّك يومَ تأتِينى حريبًا تَحِلُّ عَلَىَّ يومَئذٍ نُذورُ
٣ ـ تَحِلُّ عَلَىَّ مُقْرِهةٌ سِنادٌ عَلَى أخْفافها عَلَقٌ يَمورُ
٤ ـ لأُمِّكَ وَيْلَةٌ وعليك أُخْرَى فلا شاةٌ تُنيلُ ولا بَعيرُ

يقول على وجه الإزراء بالمخاطَب والغضِّ منه : أبلِغْ عنِّى (٤) هذين الرَّجُلَين تحيَّات ما يُؤْثَر منها وعنها ، ويُتحدَّث بها ، تتَّسعُ لها وتستغرِقُها سفورٌ إذا

(١) التبريزى : الجدجد صرار الليل ، واسمه شبيه بصوته . وفى مثله قول الراجز :

ما أنت بالسمح ولا بالماجد فاحفظ سقاءيك من الجدائد

(٢) التبريزى : « مالك بن جعدة الثعلبى » ، وفى معجم المرزبانى ٣٦٤ « التغلبى » ، وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية ، هجا المختار بن أبى عبيد فرد عليه الطرماح .

(٣) التبريزى : « فأبلغ » .

(٤) ل : « منى » .

اكتتبت ونسخت . والسُّفور : جمع سِفْر ، وهو الكتاب . ويقال : سِفْر وأسفار وسُفور . وفى القرآن : ﴿ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ . والمآثر ، واحدتها مأثُرَة ، ويجوز أن يريد مكارمها التى تؤثَر ، أى تروَى وتُنسَب ، واضحة كسفُور الصُّبح . ويقال : سَفَر الصُّبحُ وأسفرَ ، وكان الأصمعىُّ يأبى إلّا أسفر .

وقوله « فإنَّك يومَ تأتينى [حريبًا ، أىْ سليبًا ، وانتصابه على الحال . و « يوم » مضاف إلى « تأتينى » [1]] على وجه التبيين ، وهو ظرف لقوله « تحلُّ علىَّ يومئذٍ نذور » . وانتصب « يومئذ » على البدل من يوم يأتينى ، وكأنَّ الشَّاعر عرّاه سائلا لحرمة ، ووعده بما لم يَفِ به له فقال : [إنَّك[1]] إن أتيتنى حَريبًا وجدتَنى لك بخلاف ما كنتَ لى ، وعلىَّ نذورٌ يلزمُنى الوفاءُ بها متى احتجتَ إلىَّ ورأيتُك على الحالة الدَّاعية إلى الإلمام بى ، والقصد لى [2] . ومعنى « تحِلُّ علىَّ » تجبُ محلًّا . والفُرهَة : النّاقة التى تَلِدُ الفُرْهَ من الأولاد . والسِّناد : القويَّة : ويقال للمرتفع فى قُبُل جبلٍ [3] سَنَد وسِناد . أى أعْقِرُ فى جُملة النُّذور لك ناقةً هكذا ، فيمورُ أى يَسيل العَلَقُ ، وهو الدَّمُ على أخفافها .

وقوله « لأمِّكَ ويلةٌ » دُعاء عليه مُصرِّحاً بالذَّم وذاكراً الحرمةَ منه بقوله لأمِّك وَيْلةٌ . وقوله « وعليك أخرى » أى ويلةٌ أخرى . واللام وعلى هنا متقاربان فى المعنى . وقوله « فلا شاةٌ تُنيلُ » لك أن تنصب شاةً بتُنيل ، ويرتفع « ولا بعيرُ » على الاستئناف ، كأنَّه قال ولا بعير مطموعٌ فيه منك ومَنُولٌ . ولك أن ترفعهما جميعاً ، ويكون مفعول تُنيل محذوفاً ، والمراد لا يُرْجى من

(١) التكملة من ل .
(٢) ل : « إلى » .
(٣) قبل الجبل : سفحه . وفى اللسان : « السند ما ارتفع من الأرض فى قبل الجبل أو الوادى » .

جهتك شاة ولا ما فوقها . ويقال : نلتُ الشَّيءَ فهو مَنيلٌ نَيْلًا ، إذا كنتَ تتناولُه بيدك ، وليس هو من التَّناول ، لأنَّ التَّناول من النَّوال ، ويقال منه نُلتُ أنُول . ومن الأوَّل قولُه تعالى : ﴿ولا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ ، ومن الثانى : نَولك أن تفعل كذلك .

٧١٨

وقال عَبدُ اللهِ الحَوالِيُّ(١) :

١ - لَمَّا تَعَيَّا بالقَلُوص ورَحْلِها كَفَى اللهُ كَعْبًا ما تَعَيَّا به كَعْبُ

٢ - دَعَوْنَا لها قَيْنًا رفيقًا بمُدْيَةٍ يُجَزِّئُها فينا كما يُجْزَأُ النَّهْبُ

يقال : عَيِيتُ الأمرَ وعَيِيت بالأمر . والقَلُوصُ فى الإبل ، بمنزلة الجارية فى الناس . يقول : لمَّا أعيا كَعْبًا مزاولةُ القَلوصِ وشدُّ الرحل عليها كفاهُ اللهُ أمرَها ، لأنَّا دعَوْنا لها جزّارًا حاذقًا بسكِّينٍ لينحرَها ويَقْسِمَها فينا كما يُقْسَم النَّهب ، أى المال المُنتَهب . والقَيْن : الحدَّاد فى الأصل ، واستعاره . وهُم فى ذوى المِهن وأسماء الصُّنَّاع يفعلون هذا : ألَا ترى قولَ الآخر(٢) :

* وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إسْكافْ(٣) *

والرَّحْل : مصدر رحلْتُ البعيرَ ، وإنما أعيا كعبًا ما أعياهُ منها لنشاصِها وعِرَضْنَتِها فى سيرتها(٤) . والضمير من قوله « ما تَعَيَّا به » راجع إلى ما . ويقال :

---

(١) التبريزى : « عبد الله الحوالى ، من الأزد » . وبنو حوالة ، كسحابة : حى من العرب ، وهم بطن من الهنو بن الأزد ، من القحطانية .

(٢) هو الشماخ . ديوانه ١٠٣ والمقاييس (٣ : ٩٠) .

(٣) قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : « أراد القواس » .

(٤) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وعرضتها » وتقرأ بكسر العين وفتح الراء وتشديد الضاد ، وهما بمعنى واحد ، وهو الاعتراض فى السير من النشاط .

تعايا عليه كذا ، أى أعياه ، قال أوس :

. . . . كلما تعايا عليه طولُ مَرْقى توَصَّلا(١)

٣ ـ لَعَمْرِى لقد ضَيَّعْتَ يا كَعْبُ ناقةً يَسيراً عليها أنْ يُضرَّ بها الرَّكْبُ

٤ ـ مُوَكلةً بالأوَّلينَ فكلّما رأتْ رُفْقَةً فالأوَّلون لها نَصْبُ

أقبلَ على كعبٍ يوبِّخه فى أمرها ، وذلك أنه كان كَثُرَ شَكْوُه منها فيقول : وبقائى لقد ضيَّعتَ ناقةً يا كعب [يخِفُّ(٢)] عليها وَيقِلُّ فى قوتها إضرارُ القوم بها فى الحمل والرُّكوب والاستحثاث فى السَّير ، فلا تُبالى بما تُحمَّل أو تُكلَّف ، حتَّى أنّها كانت كالموكلة بالسَّابق المتقدِّم ، فكلَّما رأتْ رُفْقةً فالهوادِى منها نَصْبُ عينيها(٣) حتَّى تلحَق بها أو تتقدَّمها . ومعنى التَّضييع أنَّها لم تكن سمينةً ولا مُستصلَحةً للنَّحْر ، وإنما كانت للعمل لا غير .

٧١٩

وقال حُجْر بن خالد(٤) :

١ ـ سَمِعتُ بفِعْلِ الفاعِلينَ فَلَمْ أجِدْ كَمِثْلِ أبى قابُوسَ حَزْماً ونائِلا

٢ ـ فَساق إلهى الغَيْثَ من كل بَلْدَةٍ إليكَ فأضْحَى حَوْلَ بيتِك نازِلا

٣ ـ فأصْبَحَ منه كلُّ وادٍ حلَلْتَهُ مِنَ الأرضِ مَسفُوحَ المَذانِبِ سائِلا

يقول : بلَغَنى سعىُ طالبِى الحمد ، ومدَّخِرى الشَّرف والمجد ، وما عليه مُلوكُ

(١) صدره فى ديوان أوس ٢١ :

* وقد أكلت أظفاره الصخر كلما *

(٢) التكملة من ل .

(٣) ضبطت «نصب» بفتح النون فى النسختين معا فى متن البيت وشرحه ، وهى لغة ضعيفة ، وفى اللسان : « القتيبى : جعلته نصب عينى بالضم ، ولا تقل نصب عينى » .

(٤) بعده عند التبريزى : « يمدح النعمان بن المنذر » . وقد سبقت ترجمة حجر فى الحماسية ١١٨ ص ٣٥١ . وروى الجاحظ الأبيات فى الحيوان (٣ : ٥٨ – ٥٩) .

الأرض فى مَصَارفهم ومَباءَتِهم، وحَزْمِهم ومساعيهم، فَقِسْتُ بعضَه ببعضٍ، فلم أجد كحزْم أبى قابوسَ حَزْماً، ولا كنائله نائلا. ثمَّ دعا له بالسُّقيا ولمحَلِّه بالخِصْب والحَيا فقال: جَمَع الله لك وفى فنائك ما هو مفرَّقٌ فى أطرار الأرض (١)، وجوانب الأفقِ، من سواكب الغَيث، فصار حواليك، فأىُّ وادٍ نزلْتَهُ من الأرض جعله ممطور التِّلاع والمذانب، مُخْصِبَ المَسايل والمدافع، سائلا بصَوبه، مغموراً بنداه وبَرَكته.

وانتصب «حَزْماً» على التمييز، والكاف من «كمثل أبى قابوس» زائدة، ومثله:

لَواحِقُ الأقرابِ فيها كالمَقَق (٢)

أراد فيها المَقَق، كما أنَّ هذا يريدُ: لم أر مثلَ أبى قابوس. وفى القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾، ويروى: «فسِيق إليه الغيثُ فى كلِّ بلدة إليك». وكأنه أخبر فى صدر البيت ثم خاطَب على عادتهم. وقوله «من كلِّ بلدة إليك» أى إليك أمرُها وتدبيرُها، فصرتَ تتولَّاها. وهذا كما يقال: جُعِل بلدُ كذا إلى فلان. والمراد من البيت على هذه الرِّواية: جعل اللهُ الدُّنيا تحت أمرك، ومَنوطة بتدبيرها، ثم ساقَ الغيثَ من آفاقِها وأطرارها كلِّها إلى ما حَولَك فصار محتفًّا ببيتك. ومشتمِلًا على محلِّك. فأينَ تنقَّلت ونزَلْتَ صَحِبكَ الخيرُ وإنساقَ معك الغيث. وعلى هذا يكون قوله «من كل بلدةٍ» عامًّا فى أقطار الأرض (٣) وأبلادها. ورُوِى أيضاً: «فسِيق الغَمامُ الغُر من كلِّ بلدة» وهو ظاهر المعنى. وقوله «فأصبح منه»، أى من الغيث. وقوله «كلُّ وادٍ» وصفَه بقوله «حلَلْتَهُ»

(١) أطرار، كذا وردت فى النسختين هنا وفى س ١٥، وفى اللسان: «وطرة الأرض: حاشيتها». ثم ذكر أن الطرة تجمع على طرر كغرف، وطرار بكسر الطاء.
(٢) لرؤبة فى ديوانه ١٠٦ واللسان (مقق).
(٣) ل: «أقطاع الأرض».

وانتصب « مَسفوحَ المَذانب » على أنَّه خبر أصبح .

٤ ـ مَتَى تُنعَ يُنعَ البأسُ والجُودُ والنّدى ... وتُصْبِحْ قَلوصُ الحَرْبِ جَرْباءَ حائلا(١)

٥ ـ فلا مَلِكٌ ما يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ ... ولا سُوقَةٌ ما يَمْدَحَنَّكَ باطلا

يقول : بَقاء السَّخاءِ والمروءةِ وتقوى الإله والشِّدّةِ ، متَّصِلٌ ببقائك ، لأنها شِيَمُك وطبائعك ، فأنت تُقيمُها وتَرُبُّها ، وتحفظُها عن الذّهاب والدُّروس وتحرسها فإنْ هلكْتَ فقد هلَكَ جميعُها ، ويُصْبِح الاستسْلام والانقياد للهَضِيمة والشَّرّ شاملَين للنّاسِ ، فلا يكون بهم دونها دِفاع ، ولا إباءٌ منها ولا امتناع ، وتصير قلوصُ الحرب سيِّئة الحال يَقتَطِعُها الحِيال عن اللَّقاح ، ويمتلكها ما بنَفْسها من الجَرَب والضَّعف عن النَزْوِ والجِذاب . وهذا مَثَلٌ لما يفارق الناس من العزّ والاقتدار ، ويُلازِمهم من الذُّلِّ والاكتئاب . وضدُّ هذا قول زهير :

. . . . وَتَلْقَحْ كِشافًا ثُمَّ تَحْمِلْ فتُتْئِمِ(٢)

فتُنْتِجْ لكم غِلْمانَ أَشْأَمَ كلُّهم ... كأحْمَرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فتَفْطِمِ

وقوله « فلا ملكٌ ما يدركنَّك سعيهُ » يصفُه بأنَّه لا غايةَ وراء غايتِه لمُرتَقٍ ولا فَوْقَ نهايته نهايةٌ لمُعْتَلٍ ، فكلُّ ساعٍ من الملوك يَقِفُ دونها ، وينحطُّ عن درجتها ، وأن السُّوَقَ وإنْ أسرَفُوا وأفرَطوا فى التقريظ والإطراء ، يَقْصُرون عن بُلوغ حَدِّه بالوصف ، وتصويرِ كُنْهِه عند النَّعت ، بل أحسَنُ أحوالهم أن يقولوا بعضَ ما قيل من الحقّ .

وأدخَلَ النُّون الثّقيلة فى « يمدحنَّك » و « يدركنَّك » لما فى الكلام من معنى النَّفى ، ولأن ما الزائدة للتأكيد لفظُه لفظُ ما النافية . ومثله :

---

(١) ل : « والجود والتقى » . والبريزى : « الجود والبأس والتقى » .
(٢) صدره : ... * فتعرككم عركَ الرحى بثفالها *

* في عضَةَ ما ينبُتَنَّ شَكيرُها [١] *

وبالمٍ ما تختِنَنَّه . وقوله « ما يمدحنَّك باطلا » أراد مدحا باطلا ، فانتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف .

ومثل البيت الأوَّل قولُ النابغة :

فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ رَبيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحَرَامُ
ونأخذْ بعدَه بذِنابِ عَيْشٍ أجَبَّ الظَّهرَ ليس له سَنَامُ

وقول الآخر [٢] :

فإذا وَلَى أبو دُلَفٍ وَلَّتِ الدُّنيا على أثَرِه [٣]

٧٢٠

وقال آخر :

١ – ومُستَنْبِحٍ بعد الهُدُوِّ دَعوتُه بشَقْراءَ مِثْلِ الفَجْرِ ذَاكٍ وَقُودُها
٢ – فَقلتُ لها أهلاً وسهلاً ومَرحَباً بمُوقِدِ نَارٍ مُحمَدٍ مَنْ يَرُودُها
٣ – نَصَبْنَا لَهُ جوفَاءَ ذَاتَ ضَبابَةٍ من الدُّهْمِ مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكودُها
٤ – فإنْ شئتَ أثْوَيْناكَ في الحَيِّ مُكْرَماً وإن شئت بلَّغناك أرضاً تُريدُها

يعني بالمستنبح طالبَ ضيافة ، وقد تقدم الكلام فيه [٤] . ومعنى « دعوته بشقراء » أي رفعت له ناراً شقراءَ حتَّى اهتدَى بها ، فكأنِّي دعوتُه . وجعل النَّار شَقْراء ، وربما قيل صفراء ، لأنَّها أُوقِدَتْ خاليةً من طَرْحِ اللَّحْمِ عليها

(١) تمام إنشاده : « وفي عضة » . وصدره في الخزانة (٢ : ٨٣) :

* إذا مات منهم ميت سرق ابنه *

وأنشد سيبويه عجزه في (٣ : ١٥٣) .

(٢) هو علي بن جبلة . الشعراء ٨٤٠ والاغاني (١٨ : ١٠٣ – ١٠٤) .

(٣) قبله : إنما الدنيا أبو دلف لأبين مبداه ومحتضره

(٤) انظر ما سبق في ص ١٥٥٧ .

فاشتعلَتْ شقراء ، ولو كُبِّبَ عليها اللَّحمُ لالتهبَتْ كُمَيْتَ اللّون من أجل دُخَانها.

لذلك قال الأعشى :

وأوقدْتَها صَفرَاءَ فى رأسِ تَنْضُبٍ وللْـكُمْتُ أَرْوَى للنَّزيلِ وأَشْبَعُ(١)

وذَاكِ وُقودُها ، أى مُضىءٌ اتّـِقادها . فقلت له أهلاً ، انتصب « أهلا » بفعل مضمَر . والباء من قوله « بمُوقد نار » تعلّق بفعل مضمر ، كأنه قال : ينالُ ذلك كله بمُوقِدِ نارٍ يُحْمِدُها مَن يرودُها . ومعنى « مُحمِدٍ مَن يرودُها » أى مصادفٍ الحمد مَن يطلبها . ويقال : أحمدتُ فلاناً ، كما يقال أجْبَنْـتُه وأبْخَلْته .

وقوله « نصبنا له جوفاء » يعنى به قِدْرًا كثيرةَ الأَخْذ ، واسعةَ الجوف . والضَّبابة : ما يَتعقَّب المطرَ من الظُّلمة الرَّقيقة والسَّحاب الركيك . وذِكرُها ها هنا مثل . ورُوى : « ذاتَ ضُبابة » ، وهى البقيَّة ، أى يَفْضُل ما فيها عن الآكلين لعِظَمِها . والدُّهم : السُّود . والمِبْطان : العظيم البَطْن . ومِفْعال بناء المبالغة. وجعلَها طويلَة الركود لأنَّها إذا نُصبت لم تنزلْ إلا بعد لأيٍ لِـكِبَرها ، ولأنه لا يخفّ محمَلُها فيُتناوَل كلَّ وقتٍ .

وقوله « فإن شئت أثوِيناكَ » ، هذا تخييرٌ منهم للضيف بعد إطعامه ، ويقال: ثَوَى بالمَـكان ، ، إذا أقام ؛ وأثْوَاهُ غيره . وانتصب « مُـكرَماً » على الحال . والمعنى : إنْ أردتَ المقام أقمتَ مُـكرمًا مُعظَّمًا ، وإنْ أردتَ التوجُّه فى مَقْصِدِك ، والارتحال لِطِيَّتِـك ، بلَّغناكَ مَقرَّكَ مَحمِيًّا مُشيَّعاً .

(١) كذا . والبيت لم يرد فى ديوان الأعشى . ونسبه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٦٣) إلى الأزرق الهمدانى .

(٢) هذا ضبط الأصل فى « أوقدها » بفتح التاء ، وضبطت فى ل بضمها . وعند الجاحظ : « ونوقدها » .

٧٢١

وقال آخر :

١ — ومُسْتَنْبِحٍ تَهوِى مَسَاقطُ رأسِه إلى كلِّ شَخْصٍ فهو للسَّمع أصْوَرُ
٢ — يُصَفِّقُه أنْفٌ مِن الرِّيحِ باردٌ وَنكْباءُ لَيْلٍ مِنْ جُمادَى وصَرْصَرُ
٣ — حَبيبٌ إلى كَلْبِ الكريمِ مُناخُه بَغيضٌ إلى الكَوْماءِ والكَلْبُ أبصَرُ

يعنى بالمستنبح ضَيفاً . ومَساقط رأسه : جمع مَسْقِطٍ ، ويعنى به المصدر لا اسم المكان . ومعنى تَهوِى تَقصِد وتُسرِع . ويقال فى الفَرَس : إنّه يُساقِط العَدْوَ سِقاطاً . واسْقُط علينا ، أى اقْصِدْنا . وقال :

يُساقِطُ عنــــهُ رَوْقُهُ ضارِياتِها سِقاطَ حديدِ القَيْنِ أخْوَلَ أخْوَلا[1]

أى يُزيلها ويُبْعدها . ومعنى « تَهوى مَساقطُ رأسه » ، أى يُساقِط رأسَه الشُّخوصُ سِقاطاً سريعاً . وقوله « فهو للسَّمع أصْوَرُ » أى مائل . والسَّمْع : مصدر سَمِع . ومعنى البيت : رُبَّ مُستَضِيفٍ بنُباحِه يتسرَّع مَيْلُ رأسِه ومَهواه إلى كلِّ شخصٍ يمْثُلُ له ، فهو مائلٌ للسمع ، ومنظر متى يُجيبه الكلامَ[2] أو يتلقّاه مَن يُنزِله :

وقوله « يصفِّقه » أى يَضْرِبه . والأنْف من الرِّيح : أوله . ومنه استأنَفتَ الأمر . وكَلأٌ أُنُفٌ ، إذا لم يُرْعَ . وقوله « ونكباءُ ليل » يريد : وريح تَنكَّبُ عن مَهابِّ الرِّياح الأربع ، فى لَيلةٍ من ليالِى جُمادَى . وصَرْصَر ، أى وبرد شديد . والصِّرُّ والصَّرصَرُ بمعنًى ، وليس من بناءٍ واحد ، لأنَّ صرصَر رُباعىٌّ وذلك ثُلاثىٌّ . وجُمادى ، يريد به شهراً من شُهور الشِّتاء وإن لم يكن جُمادى

(١) البيت لضابئ البرجمى يصف الكلاب والثور . اللسان (خيل) .
(٢) الكلام ، بالياء فى آخره ، كما فى النسختين .

فى الحقيقة . وإنما وصَفَ ما قد أشرفَ عليه المستنبحُ من أذى الرِّيح والبردِ والمطر ، ليكون ذلك عُذراً فى الاستنباح وطلب النُّزول .

وقوله « حبيبٌ إلى كَلْبِ الكريمِ مُناخه » ، يجوز أن يرتفع حبيبٌ على أنَّه خبرٌ مقدّم ، والمبتدأ مُناخه . ويجوز أن يكون صفةً للمستنبِح . وقد جُعِل خبرَ مبتدأ مضمر ، فيرتفع مناخُه على أنَّه مفعولٌ لم يسمَّ فاعلُه من حبيب . ويقال : أنخْتُ البعيرَ إناخةً ومُناخا فبرك . واستغنَى ببركَ عن ناخ . وإنما حُبِّب مُناخُ الضَّيف إلى الكلْب لأنَّه يَسعَدُ بنُزوله ويَشرَكُه فى القِرَى المهيَّأ له . وأضافَ الكاب إلى الكريم ، لأنَّ كلبَ اللَّئيم يَعقِر السَّابلة والمارَّة ، ولا يَعرِف الاستضافةَ والاستنزال .

وقوله « بغيض إلى الكوماء » لأنَّها تُنحَر . والكوماء : العظيمة السَّنام .

وقوله « والكَلْبُ أبصَر » مما وقَعَ فى أحسنِ موقعٍ وشَرُفَ المعنى بهِ وجاد البيت .

٤ ـ حَضَأْتُ لهُ نارِى فأبصَرَ ضَوءَها ... وما كادَ لوْلا حَضْأَةُ النَّارِ يُبصِرُ

٥ ـ دَعَتْهُ بِغيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إلى القِرَى ... فأسْرَى يَبُوعُ الأرضَ والنَّارُ تَزْهَرُ

٦ ـ فلمَّاأضاءتْ شَخْصَهُ قُلتُ مَرْحبًا ... هَـلُمَّ وللصَّالِينَ بالنَّارِ أبشِرُوا

قوله « حضأْت له نارى » جواب ربَّ المضمَرة فى قوله ومستنبِحٍ . ومعنى حَضأتُ النَّارَ رفَعتُها وهيَّجتها له فأبصرَها واستدلَّ بها ، ولولا رَفْعِى النَّارَ وتهييجى إيَّاها لكان لا يُبصِرُ الطَّريق ولا يَرَى مُستدَلًّا به . وفصل بين كاد وخبره بقوله «لولا حَضْأَة النار» ، وفى كاد ضميرالمُستنبِح ، لولا ذلك لَمَاجاز أنْ يقال : زيد كادَ يخرج ، لأنَّ الفعل لا يلى الفعل .

وقوله « حَضْأَة » ارتفع بالابتداء وخبره محذوف استُغنِيَ بجواب لولا [عنه ، وجواب لولا(١)] فى قوله : وما كاد يُبصِرُ لولا حَضْأَةُ النَّار .

(١) التكملة من ل .

وقوله « دَعَتْهُ بغير اسمٍ » يريد : دعت الضَّيفَ النارُ ، كأنّه سَمَّى استدلالَه بها وتَصَوُّرَ النَّارِ له دُعَاءً منها وإجابةً من الضَّيْف . وقوله « بغير اسم » إنّما نكّره ولم يَقُلْ بغير اسمِه ، لأنّ المدعوّ قد يُدعَى باسمه ، وبكُنيته ، وبلقبٍ له ، وباسمِ جِنْسِه ، وبِصفةٍ له ، كقولك يارجلُ ، ويا فتى ، ويا مُقْبِل ، ويا راكب ، ويا فلان ، ويأبا فلان . والنَّار لم تَدْعُ الضَّيف بشيء من ذلك ، فلذلك قال بغير اسمٍ ، أى بغير اسم يُدْعَى به مثلُه . ويجوز أن يكون قال ذلك لأنَّ دعوتَها بكلام ، وإنما كان علامةً واستدلالا ، كما أنَّ الإجابةَ كانت قَصْدًا وإسراءً . وكذلك قوله « هلُمَّ إلى القِرَى » من ذلك ، لأَنّ النَّارَ لم تتكلَّمْ بهذا الكلام . وهلمّ يجوز أن يكون أصله هاء التنبيه ولُمَّ فِعْلٌ ، وعلى هذا يُثَنَّى ويجمع . ويجوز أن يكون اسمًا للفعلِ ، وحينئذٍ لا يثنَّى ولا يُجْمَع ولا يؤنَّث ، وهذا أفصحُ اللُّغَتَين . وفى القرآن : ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلينا ﴾ . وقوله أسرى ، يقال سَرَى وأسرى بمعنى . ويَبُوعُ الأرضَ أى يقطعها بخَطْوٍ واسع وحركةٍ سريعة . يقال : بُعْتُ الشّيء أبوع بَوْعًا فى هذا . وفرسٌ بَيِّع : واسع الخَطْو . وكما استُعمِل البوْع فى هذا استُعمل الذَّرْع أيضا . ومنه قيل ناقة ذَرِعَةٌ ، إذا كانت واسعةَ الخَطْوِ . وقوله « والنَّار تَزْهَرُ » الواو واو الحال ، وتَزْهَر أى تضىء فى صعود .

وقوله « فلما أضاءتْ شَخصَه قلتُ مَرْحبا » ، أى لمّا دنا منّى وتراءى لى شخصُه بضوءِ النَّار تلقَّيتُه بالترحيب والاستدناء ، وقلت لمَنْ حولَ النّار من المُصْطَلِين ومن الأهل والخَوَل : استَبْشِرُوا بالضّيف فقد طَرَقَ ، وبِرُّ ادِنا فإنَّه حَصَل . ويقال صَلَيتُ بالنَّار ، أى دنوتُ منها ، أصْلَى صِليًّا(١) . وقوله : مَرحَبًا ، هَلُمّ : كلامانِ ، ولم يتوسّطْهما العاطف ، لأن مرحبًا تسليم عليه ، وهلمّ أمرٌ بالدّنوّ ،

(١) بضم الصاد وكسرها .

فكأنّه استأنف هذا الكلام بعد التّسليم بهذا الكلام ، ولم يجمعْهما اللّفظُ به في حالةٍ واحدة .

٧ ـ فجاءَ ومحمودُ القِرَى يَسْتَفِزُّه إليها وداعِي اللّيل بالصّبحِ يَصْفِرُ(١)

٨ ـ تأخّرْتَ حتّى لم تكَدْ تَصطفِي القرى على أهلِه والحقّ لا يتأخّرُ

يقال : جاء الضّيفُ وما هُيِّء له من القِرَى المحمود يجتذِبُه ويهديه إلى النّار الموقَدة والدِّيكُ يَصْفِر مُؤْذِنا بإصباح اللّيل . وإنما قال « ومحمود القِرى » لأنَّ طعامَ الكِرام لا يُستَنكف منه ، ويَستطيبُه كلُّ متناوِلٍ ويستمرئه ، كما يَستكرِم المثوَى عندَهم كلُّ نازلٍ بهم .

وقوله « تأخّرتَ » استبطاء من القاري للضّيف . والمراد أنّك تأخّرتَ عن أوّلِ الليل حتى كأنّكَ لم تكد تطلبُ اختيار صفوِ القِرَى على النّازِلين ، ونحنُ وإنْ فعلتَ ذلك فلكَ الواجبُ من حقّك ، والمفروضُ من قِسْطك ، ولن يتأخّر إن تأخرت . والمعنى أنّا نستأنِفُ لك ونَحتفل ، ونُقيم الرّسمَ ونتكلّف(٢) ، ونُفرِدُك بما يَجبُ لكَ وإنْ تقدّمَك مَن تقدّم . والهاء من قوله « على أهله » يعود إلى القِرى .

٩ ـ وقُمتُ بِنَصْلِ السّيفِ والبَرْكُ هاجِدٌ بَهازِرُهُ والموتُ في السّيف يَنْظُرُ(٣)

١٠ ـ فأعْضَضْتُهُ الطُّولَى سَناماً وخَيْرَهَا بلاءً وخَيْرُ الخَيْرِ ما يُتخَيَّرُ

---

(١) التبريزي : « ويروى وراعي ، فمن روى داعي بالدال أراد ما يصوت سحراً نحو الديك وغيره ... ومن روى : وراعي الليل ، أراد أن الليل مدبر ، أي جاء في آخر الليل . والأصل في ذلك أن الراعي إذا أراد سوق الماشية صفر بها فتنساق لصفيره ، فكأنه قال : والليل قد سبق وطرد » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) في النسختين : « بهازرة » ، صوابه في التبريزي ، وهو ما يقتضيه الشرح من أن في الكلمة ضميراً يعود إلى معنى البرك .

يقول : قُمْتُ مجرِّداً السيفَ ومتجرِّداً لعقرِ ناقةٍ ، والإبلُ الباركة بفنائى نائمة ساكنة ، عِظَامٌ سِمانٌ ، والموتُ ينظرُ فى سَيفى : أيُّها المُعَدُّ والموعود به . وإنما قال « والبَرْكُ هاجد » ولم يقل هاجدة ، ردًّا على لفظه ، لأنّ لفظَه لفظ الواحد وإن أُرِيدَ به الكثرة . ورُدَّ « بهازِرُهُ[1] » على المعنى لا على اللفظ . والهُجُود : النَّوم ، وقال الخليل : هَجَدوا ، أى نامُوا ، هجوداً ، وتهجَّدوا : استيقظوا ، تهجُّداً . والبهازِرُ[2] : السِّمان الصفايا ، واحدتها بهزارٌ فى القياس[3]. والواو من قوله « والموتُ فى السَّيف ينظرُ » واو الحال . وقد حَسُنَ موقع هذا العَجُز من صدر البيت . ويجوز أن يكون المعنى : والموت المركَّب فى السَّيف يَنْتظر ماذا يكون منِّى.

وقوله « أغضَضْنُه الطُّولَى سَنَاماً » أى عرقَبتُها به ، وجعلتُه يَعَضُّ عليها . وانتَصَب « سناماً » على التمييز ، وكان الواجب فى مقابلة الطُّولى أن يقول : والخُورَى بلاءً ، أو خُوراها بلاءً ، فعَدَلَ به الوزنُ عن تخيُّر المقابلة . ومعنى « خَيْرَها بلاءً » يعنى فى العمل والولادة وغَزارة الدَّرّ . وقوله « وخير الخير ما يُتخَيَّر » يريد البَرْك كلَّها خيار ، ثم إنّى اخترتُ مِن بينها خيرَها ، إكراماً للضَّيف ، وخيرَ الخير ما يُتَخَيَّر من الخير.

١١ — فأَوْفَضَ عنها وهْىَ تَرْغُو حُشَاشَةً بذى نَفْسِها والسَّيفُ عُرْيانُ أحْمَرُ

١٢ — فباتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِن لِحَامِها وَفُوهَا بما فى جَوْفِها يَتَغَرْغَرُ

قوله « أوفَضَ عنها » يريد أنَّ البَرْك لمَّا جرى منِّى على صاحبتها التى اخترتُها ما جَرَى من العَرْقبة نفرْن وتفرَّقْنَ عنها ، وهى ، يعنى المعقورة ، ترغُو برُوحها

(١) فى النسختين : « بهازرة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٢) فى النسختين : « البهازرة » ، وانظر ما سبق .

(٣) التبريزى : « بهزورة وبهزرة وبهزار فى القياس » .

حُشَاشَةً ، وقال « بذى نفسها » يريد خالصة نفسها . والحُشَاشَة : البقيَّة من دَمائها ، وقال الخليل : رُوح القلب ، وهو رَمَقٌ من حياة النَّفس . وانتصابه على الحال ، ويجوز أن ينتصب على التمييز ، فيكون ممَّا نُقل الفعلُ عنه ، كأنّه كان وهى ترغو حُشاشتها ، فنُقِل الفعلُ إليها ، فصار تمييزاً كقولك طِبْتُ نفسًا وما أشبهَهَ . وقوله « والسَّيفُ عريانُ أحمر » يريد أنّه متجرِّد من غِمده . ولم يصرف عريانُ ضرورةً ، وجعله أحمرَ ممَّا تلطخ من دمها .

وقوله « فباتَتْ رُحابٌ » يعنى القِدر . ويقال : رحيبٌ ورُحاب ، كما يقال : طويل وطُوال ، وعَجيب وعُجاب ، وهى الواسعة والجَوْنة : السَّوداء . وقوله « من لحامها » خبر باتت ، كقولك أنتَ منِّى . والمعنى : باتت مملوءةً من لِحامها . وقوله « وفوها يتغرغر » أى يسيل ما فى جوفها ، يعنى عندَ غَلَيانِها على النار . ومثله :

إذْ لا تزالُ لكم مُغَرْغِرَةٌ ... تَغْلِى وأعلى لَوْنِها كِتْرُ[1]

والكِتْرُ : السَّنام ، ويكون أبيضَ اللون .

٧٢٢

آخر :

١ ــ وماَ يَكُ فِىَّ مِنْ عَيْبٍ فإنِّى ... جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصيلِ[2]

إنما قال « جَبَانُ الكلبِ » لأنَّه عُوِّد أن يُسالِم الطُّرَّاق لئلا يتأذَّى به الضُّيوفُ إذا وَرَدوا ، فقد أُدِّبَ لذلك ودُرِّبَ عليه ، ولأنَّه بطُول اعتياده لنُزول السَّابلة بِهم أَلِفَهمْ ، فصار لا يَستنفِر منهم . وقال « مهزول الفصيل » لأنَّه

(١) البيت لعنترة فى اللسان (غرر) برواية :« وأعلى لونها صهر » ، وصهر أى حار وضع المصدر موضع الاسم ، وكأنه قال : أعلى لونها لون صهر .

(٢) أنشد الجاحظ هذا البيت فى الحيوان (١ : ٣٨٤) .

يُؤْثِرَ بلبَن أُمِّه غيرهُ أو تُنحَر عنه . ومثله قولُ الآخر :

تَرَى فُضْلانَهُمْ في الوِرْدِ هَزْلَى   وَتَسْمَنُ في المَقَارِى والحِبالِ(١)

٧٢٣

وقال آخر :

١ ــ سَأَقْدَحُ مِنْ قَدرى نصيبًا لجارتى   وَإِنْ كانَ ما فيها كَفافًا على أَهْلِى

٢ ــ إِذَا أَنتَ لم تُشرِكْ رفيقَكَ فى الذى   يَكُونُ قليلًا لم تُشارِكْهُ فى الفَضْلِ

سأَقْدَح ، أى سأغرف من قِدرى نصيبَ الجارة وإن كان ما فيها كَفافًا على أهلى ، أى لا يَفْضُل عنهم ولا ينقُص من حاجَتِهم. وفى طريقته قولُ الآخر :

نُقَسِّمُ ما فيها فإن هى قَسَّمَت   فذاكَ وإنْ أَكْرَتْ فَعَنْ أهلِها تُكْرِى(٢)

قَسَّمَت بمعنى تَقَسَّمت ، ومثله نَبَّه بمعنى تنبَّه ، ووجَّه بمعنى توجَّه . ومعنى أَكْرَتْ نقصَت ، يريد أنَّه يوفِّر نصيب الغريب ولا ينقص منه ، بل يجعل النُّقصان فى نصيب العيال . و كذلك قولُ الآخر(٣) :

ليسَ العطاءُ من الفُضولِ سَماحَةً   حتَّى تجودَ وما لَدَيْكَ قَليلُ

يريد : والذى لديك قليلُ . وقال الرَّاعى :

إِنِّى أُقسِّم قدرى وهى بارزة   إِذْ كلُّ قِدْرٍ عَرُوسٌ ذاتُ جلبابِ

أى مستورة مغطَّاة ، لشدَّة الزَّمان .

---

(١) أنشد فى اللسان (قرا) شاهدا على أن المقارى بمعنى القدور . وقال : « قوله وتسمن فى المقارى والحبال ، أى أنهم إذا نحروا لم ينحروا إلا سمينا ، وإذا وهبوا لم يهبوا إلا كذلك » .

(٢) أنشده فى اللسان (قسم ، كرا) .

(٣) هو المقنع الكندى ، كما سيأتى فى الحماسة ٧٧٤ . وانظر المضنون به على غير أهله ٥٦ . وأنشده ابن فارس فى أبيات الاستشهاد (نوادر المخطوطات ١ : ١٤٠) :

ليس العطاء من الكريم سماحة   حتى يجود وما لديه قليل

٧٢٤

وقال عَمْرو بن الأهتم[١] :

١ـ ذَرِينى فإنَّ الشُّحَّ يا أمَّ هَيْثَمٍ ... لِصَالِحِ أخلاق الرِّجالِ سَرُوق[٢]

٢ـ ذَرِينى وحُطِّى فى هَوَاىَ فإنَّنِى ... على الحسَبِ الزَّاكِى الرَّفيعِ شَفِيقُ

يقول : اتركينى على أخلاق وإن أنكرتِها فإنَّ ما تَبعثين عليه من الإمساك والإبقاء على المال هو البُخل ، والبُخْل مُزرٍ بأخلاق الرِّجال الكريمة ، ومستهلِكٌ متحيِّف لها ، وواضعٌ من عوالى رُتَبها .

« ذرينى وحُطِّى » أى اتركينى واخفضى من كلامك ووَصَاتك فيما أهواه وأُوثِره . وكرَّر « ذرينى » على طريق التأكيد ومظهراً التبرُّمَ بإفراطها . والمراد : انزِلى عن مراكبك فى اللوم واتَّبِعى هوایَ ، فإنِّى مُشفِق على الحسَب الذى رفعتُ بناءه ، إذْ كانت الأحساب متى لم تُتفقَّد بالعمارة استَرمَّ بناؤُها وشيكاً ، وتهدَّمت وبارت أخيراً .

٣ـ ذَرِينى فإنِّى ذو فَعَالٍ تَهُمُّنِى ... نوائبُ يَغْشَى رُزْؤُها وحُقُوقُ

٤ـ وكلُّ كريمٍ يتَّقِى الذَّمَّ بالقِرى ... ولِلحَقِّ بين الصَّالِحين طَرِيقُ

يقول : اترُكينى واختيارى ، فإنِّى قدَّمت مساعىَ تقتضينى مراعاتَها ، وأسَّستُ مبانِىَ تدعو إلى استكمالها وتبعثُ على الزِّيادة فيها ، وعوَّدتُ النَّاسَ مِنِّى عاداتٍ تُوجِبُ علىَّ الصبرَ لها وعليها ، وتَغْشَانى نوائبُ تنُوبنى ، وحقوقٌ يلزمُنى الخروجُ منها . ثم إنَّ الكرام يتَّقون ببذل القِرَى وإقامته على أشرفِ

---

(١) هو عمرو بن سنان بن سمى التميمى . والأهتم لقب أبيه سنان . وفد عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى وفد تميم . وكان سيداً خطيبا شاعراً . الإصابة ٥٧٦٦ ومعجم المرزبانى ٢١٢ .

(٢) الأبيات من قصيدة طويلة فى المفضليات ص ١٢٥ – ١٢٧ وهى المفضلية ٢٣ .

وُجوهِهِ ذَمَّ النُّزَّال ، وشَكْوَ الطُّرَّاق . ولقضاء واجباتِ الحقوق فى الكَرَم والمروءة طريقةٌ مسلوكة معروفة ، متى أُخِلَّ بها ولم تُعْمَر باستطراقها والنَّظَر فى مصالحها والإنفاق فى استبقائها ، دَرَسَتْ وخَفِيت . ويُروى : « وللحمد بين الصَّالحين طريق » ، والمعنى ولكسبِ الحمد . ومعنى « يَغْشَى رُزْؤها » أى يَغْشانى رزؤها ، فحذَف المفعولَ ، أى إصابةُ الناس وانتفاعُهم بى . ويقال منه : هو مُرَزَّأٌ ، إذا كان سخيًّا ينال النَّاسَ إفضالُه .

٧٢٥

وقال عُروة بن الوَرْد[(١)] :

١ — إنى امرؤٌ عَافِى إنائىَ شِرْكَةٌ ... وأنتَ امرؤٌ عافى إنائكَ واحِدُ

٢ — أتهزَأُ منِّى أنْ سَمِنْتَ وأن ترَى ... بوجْهى شُحوبَ الحقِّ والحقُّ جَاهِدُ

٣ — أُقَسِّمُ جِسْمِى فى جُسومٍ كثيرةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ الماء والماءُ بارِدُ

قوله « عَافِى إنائىَ شِرْكَةٌ » أى يأكل مَعِى عِدَّةٌ يشاركوننى فيما فى الإناء ، وأنتَ رجلٌ تأكل وحدَكَ فعافى إنائك واحدٌ . وأصلُ العافى من عفَاه واعتفاه ، إذا طَلَبَ معروفه ، فأعفاه أى أعطاه ، كما يقال : طَلَبَ منه فأطْلَبَهُ ، ومنه عافيةُ الطَّيرِ والسِّباع . وأنشد بعضُهم فيه :

لَعزَّ علينـا ونِعْمَ الفتى ... مَصِيرُكَ يا عَمْرُو للعافيه[(٢)]

أى السِّباع والطُّيور ، وقيل : بل أراد العُوَّاد . وَمثله قول حاتم :

يَرَى البخيلُ سَبيلَ المالِ واحدةً ... إنَّ الجَوَادَ يَرَى فى مَالِهِ سُبُلا

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٤٥ ص ٤٢١ . والأبيات فى ديوان عروة ٨٨ يرد بها على قيس بن زهير .

(٢) أنشده فى اللسان (عفا) .

لأنَّ قوله « سبيل المال واحدة » يريد إنفاقه على نفسه دونَ غيره .

وقوله « أتهزأ منّى أن سَمِنْتَ » أى لأنْ سمِنْتَ ولأنْ ترَى بوجهى شُحوبَ الحق . وأضاف الشُّحوبَ إلى الحقّ لأنّ سَبَبَه كان توفُّره على إقامة الحقوق وأدائها فى وجوهها . وهم يضيفُون الشَّىء إلى الشَّىء لأدنى مناسبة بينهما ، فكأنَّه قال الشُّحوب الذى كان سببه توفُّرى على الحق ، وتوفيرى الأزواد على طُلَّابها . وقوله « والحقُّ جاهد » يريد القيام بالحقّ فى الشَّدائد وأدائه يَجْهَد النُّفوسَ ويغيِّر الألوان ويُنْضى الأبدان .

وقوله « أُقَسِّمُ » أراد قوتَ جِسمى وطُعْمَهُ ، لأنِّى أُوثِرُ به الغَير على نفسى وأجتزىء بحَسْوِ الماء القَرَاح ، وهو البَحْتُ الذى لا يُخالِطه شىءٌ من اللَّبَن وغيره ، والماء بارد ، أى والشِّتاء شاتٍ والبردُ مُتناهٍ . وقال بعضهم : المهزول يجد بَرْدَ الماء أكثرَ ممَّا يجدُه السَّمين . وأنشد :

عافَت الماءَ فى الشِّتاء فقُلْنا بل رِدِيه تُصادِفيه سخينا

أى سَمِنتِ فرِدِيه تُصادِفى حارًّا ما صادفْتِه باردا . قال : وَيدُلّ على أنّه كَنَى عن الهُزَال ببَرْد الماء قولُه :

أتهزأ منِّى أنْ سمِنْتَ وأن ترَى بوجهِى شُحوبَ الحقِّ والحقُّ جاهدُ

٧٢٦

وقال آخر :

١ - أجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إلى الغِنَى وكلُّ غَنِىٍّ فى القُلوبِ جَليلُ(١)

٢ - وليسَ الغِنَى إلا غِنًى زَيَّنَ الفَتَى عَشِيَّةَ يَقْرِى أو غَدَاةَ يُنيلُ

يقول : لما استغنَيْتَ عظُمتَ فى عيون النَّاس فأجلُّوا قَدرَك ورفعوا مكانتك

(١) بين هذا البيت وتاليه أنشدها ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٤١) .

وكذا الأغنياء موافعهم من النفوس عظيمة ، ومحالُّهم فى الأفئدة والقلوب جليلة رفيعة ، وأقدارُهم موقوفة على سَعة أحوالهم ، ومردودةٌ إلى مقادير قُدَرهم ، لكن الغنَى المحمودَ المتفق على فَضْله عند التَّحْصيل هو ما يَزين الفتَى فلا يَشِينه ، ويَكْسِب له الحمدَ والذُّخْرَ فلا يَذيمه ، عشيةَ يَنزلُ الأضيافُ فيُكْرم مَثْواهم ، أو غَداةَ يُنيلُ العفَاةَ ويوسِّع فى فنائه مأواهم .

٧٢٧

وقال المثَلَّمُ بن رياح(٢) :

١ — بَكَرَ العواذِلُ بالسَّوادِ يلمْنَنِي جَهْلًا يَقُلْن ألا ترَى ما تَصْنَع

١ — أفنَيْتَ مَالَكَ فى السَّفاهِ وإنما أَمْرُ السفاهَة ما أمَرْنَكَ أَجْمَعُ

يقول : بكَر اللوائم فى سَواد اللّيل ، ولم تَصْبِرْ إلى وقت الإصباح ، حِرْصًا مِنْ نفوسهنَّ على تقريعى وتوبيخى ، لجهلهنّ وضعفِ رأيهنّ ، وقصور بصائرهنّ عن معرفة ما لهنّ وعليهنّ ، يَقُلْن لى مستعظمات لما آتيه ، ومُستنكِرات لما أُنفقه وأُفرّقه : ألا ترى ما تأتى وما تَذَر . وإنما صَلَح أن يقول بَكَرْن بالسَّواد لأنّ البكورَ الابتداء فى الشيء . ومنه باكُورة الرّبيع ، والبِكْر فى النِّساء .

وهذا كما قال غيره :

* ألا بَكَرَتْ عِرْسِى بلَيْل تَلومُنى *

وقوله « أهلَكْتَ مَالَكَ » هو تفسيرُ ما أبهَمَه قولُه « ألا ترى ما تصنع » والمعنى : صرفْتَ مالَك فيما هو سَفَهٌ وضلال ، وغَباوةٌ وضَياع . ثم قال : وإذا تُؤمِّل الحال فيما يُراوِدْنَكَ عليه فالأمْرُ بالسَّفاهة ما أمَرْنَكَهُ كلُّه . جعل يخاطبُ

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٣١ ص ٣٨٢ .

نفسه بذلك . ويقال : أمرتك كذا وبكذا . قال الشاعر [1] :

* أمَرْتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرتَ به [2] *

فجمع بين الوجهين . وفى القرآن : ﴿فاصْدَعْ بما تُؤمر﴾ . ويجوز أن يكون معنى أمر السَّفاهة الأمر الذى تولَّد عن السفاهة ، ويكون الإضافة فيه إضافة المسبَّب إلى السبب ، كأنَّه جَعلَ السفاهة فيهنّ ومنهنّ . وقوله « ما أمرنك » ما مع الفعل فى تقدير المصدر ، وأجمعُ توكيدٌ له . والسَّفاهةُ والسَّفاهُ [3] والسَّفَهُ : الخفّة والطَّيش . ويقال : زِمامٌ سَفيه كما يقال زِمامٌ عَيَّار [4] : وسَفَهَتِ الرِّيح الغصنَ : حرّكَتْه . وتسفَّهت الرِّياحُ : اضطربت . « ويلمننى » فى موضع الحال . و « جهلا » يجوز أن تكون مفعولًا [له [5]] ، ويجوز أن تكون فى موضع الحال . و « ألَا ترَى [ما تصنع [1]] » فى موضع مفعول يَقُلْنَ . وما من قوله « ما تصْنَعُ » يجوز أن يكون بمعنى الذى ، وقد حُذف المفعول من صلته ، يريد تصنعه . ويجوز أن يكون مفعولًا مُقدَّمًا لتصنع ، أىَّ شىء تَصْنَع .

٣ــ وقُتودُ ناجيَةٍ وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ والطَّيْرُ غاشِيَةُ العَوَافى وُقَّعُ

٤ــ بِمهَنَّدٍ ذى حِلْيَةٍ جَرَّدْتُه يَبْرِى الأَصَمَّ مِنَ العِظَام وَيَقْطَعُ

قوله « وقُتودِ ناجيَةٍ » انجرَّ بإضمار ربَّ ، وجوابه وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ ، والواو من قوله والطّيْرُ واو الحال . فيقول : ربَّ رَحْلِ ناقة سريعةٍ وَضَعْتُهُ بمكان خالٍ وتركتُه ، لأنِّى عَرْقَبْتُها ، والطَّير عوافيها تغشّاها وتقع عليها . و أكثر ما يجىء

(١) هو أعشى طرود ، أو عمرو بن معديكرب ، أو العباس بن مرداس ، أو زرعة بن السائب ، أو خفاف بن ندبة . الخزانة (١ : ١٦٥ — ١٦٦) .

(٢) عجزه : * فقد تركتك ذا مال وذا نشب *

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) عيار : كثير الحركة والتردد . وهذا ما فى ل وفى الأصل : « جبار » ، ولا وجه له .

(٥) التكملة من ل .

المجرور برُبَّ يجيء موصوفا ثم يجيء الجواب ، وهاهنا لم يَصِفْه . وقوله « غاشية العوافى » وجب أن يكونَ فيه ضميرٌ للناقة ، حتَّى يكون بين ذى الحال وبينه تعلق ، فحذف ذلك الضّمير لأن المراد مفهوم ، ولو أتى به لـكان والطّير غاشية العوافِى إيَّاها وُقَّعٌ عليها . والعوافى : جمع عافية ، وهو من قولهم عفَاه واعتفاه ؛ وقد مرَّ ذكره[1] .

وقوله « بمهنّد » تعلّق الباء منه بقوله وَضَعْت بِقَفْرَةٍ ، لانه لم يَحُطَّ الرَّحلَ عن النّاجية ولم يَضَعْها [بالقَفْرة[2]] إلا وقد عَرْقَبها ، فـكأنّه [جَعَل[2]] وضعتُ بقفرةٍ دلالة على العَقْر والعَرْقبة .

وقوله « ذى حِلْيَةٍ » يريد أنّه كان ملطَّخا بالدَّم ، فجعل ذلك الدَّمَ كالحلية لها . وقوله « يَبرِى الاصمَّ من العظام ويقطع » يعنى بالأصمِّ ما ليس بأجوفَ ، وذلك أصلَب ، فإذا بَرَى الأصمَّ فهو المجوَّف أبْرَى .

٥ — لِتَنُوبَ نائِبةٌ فتعلَمَ أنَّنى ممَّن يُغَرُّ على الثَّناء فيُخْدَعُ
٦ — إنى مُقَسِّمُ ما مَلَكْتُ فجاعِلٌ أجْرًا لآخرةٍ ودُنْيا تَنفَعُ

قوله « لتَنُوبَ » تعلّق اللام بفعل مضمَر دلَّ عليه ما تقدَّم ، كأنّه قال فعلتُ ذلك لكَىْ إذا[3] نابتْ نائبة علمتْ أنى أَنهضُ فيها ، وأطلُبُ الأُحدوثة الجميلة فى دَفعها ، وإنِّى أُحمَلُ على الغَرَر ، وأُخْدَعُ عن المال بالثّناء والشُّكر . ثم قال : إنِّى أقسِم ما أملِكُه بين أمرين : مُدَّخَرٍ للآخرة ، ومنتفَعٍ به فى الدنيا . وجعل قوله لآخرةٍ ودُنْيا نكرتَيْنِ ، وقد جاء فى غير هذا المكان دُنْيا فى صورة المعرفة ، قال :

* فى سَعْىِ دُنْيَا طَالَ ما قدْ مُدَّتِ[4] *

(١) انظر ما مضى فى ص ١٦٥٣ .
(٢) التكملة من ل .
(٣) سبق مثل هذا التعبير فى ص ١١٦٩ ، ١٢٧٦ .
(٤) للعجاج فى ديوانه ص ٥ .

ووجه التنكير فيها وفى آخرةٍ أنْ يُرادَ أجرٌ عائدٌ فى أمَدٍ من آماد الآخرة ، ومنفعةٌ فى مثله من الدنيا ، وكان الواجب أن يقول ومنفعةً لدُنْيا حتَّى يكون لِفْقَ الأوّل فيما ساقَهُ من الكلام وتفسيراً لما قَسَمَهُ من مَصَارف المال إلّا أنَّه رَمَى بالكلام على ما تَرَى لمَّا لم يلتَبِسْ .

٧٢٨

وقال أبو البرج القاسم محمد بن حَنْبَل(١) :

١ — أرَى الخُلَّانَ بعدَ أبي خُبَيْبٍ ... وحُجْرٍ فى جَنَابِهِمِ جَفَاءُ(٢)

٢ — منَ البِيضِ الوُجوهِ بنى سِنَانٍ ... لَوَ انَّكَ تَستَضِىءُ بهم أضاءُوا

٣ — لهُمْ شَمْسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ ... ونُورٌ ما يُغَيِّبُهُ العمَاءُ

٤ — هُمُ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ المُعَلَّى ... ومِن حَسَبِ العَشِيرةِ حيثُ شاءُوا

الجنابُ : ناحيــة القَوم . ويقال : فلانٌ رَحْبُ الجناب ، كأنَّه استجْفَى نَبوَتَهم(٣) فعتَبَ عليهم ، ثم أَخَذَ يمدحُهم ويستعطفهم ، فيقول : أجدُ الأصدقاء بعد هذين الرَّجلين يَجفُو جَنابُهم عنِّى وينْبو جانبُهم ، وهم من القَوم الكرام الغرِّ الوجوه ، أذْكر بنى سِنانٍ . فقوله « بنى سِنان » يجوز أن ينتصب على المدح والاختصاص ، ويجوز أن يُجعل مجروراً على البَدَل من البيض الوجوه . وإنما

---

(١) عبارة الإنشاد مطموسة فى الأصل . وفى ل : « أبو الفرج » ، صوابه فى المؤتلف ٦٢ ومعجم المرزبانى ٣٣٣ والقاموس (برج) . وهو شاعر إسلامى ، وهو من بنى سهم ابن مرة بن عوف بن ذبيان . وقال هذا الشعر فى مدح زفر بن أبى هاشم بن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة ، وكان زفر يكنى أبا حبيب .

(٢) خبيب ، بالخاء المعجمة فى الأصل ، وفى ل « حبيب » وأشير إلى أنه فى نسخة أخرى حبيب . وهى بالحاء المهملة عند الآمدى والمرزبانى والتبريزى .

(٣) فى الأصل : « بنوهم » : صوابه فى ل .

وَصَفَهم بنقاء الحسَب وانتفاء العار والعَيب من الذِّم . قال : فلو استضاءتَ بنور وجوههم لأضاءوا فى بُهَم الظُّلَم ، فلهم من نور الكَرَم مثلُ شَمس النَّهار إذا ارتفعت وعَلَتْ ، ومثل نور اللّيل الذى لا يستره ظَلام ، ولا يُخفيه عَماء ، وهو الغَيم الرَّقيق ، وهم حَلُّوا من الشَّرف الذى اكتسبوه ، وبحَميد أفعالهم شيَّدوه ، المُعَلَّى يعنى المُرَفَّع ، إلى أبعد الغايات ، وأقصى النِّهايات . ويجوز أن يكون أراد القِدْحَ المُعَلَّى ، لأنّه أشرفُ القِداح وأكثرها أنْصِباء ، فجعله مثلاً لأرْفَع المدارج وأسنى المراتب . وقوله « ومن حسَب العشيرة » يريد المتوارث ، أى نزلوا منه حيثُ اختاروه وأحبُّوه . ومراده أنّه جَمَع لهم بَينَ المُكْتَسَب والمتوارَث من الشَّرَف والحسب . وأضاف الحسَب إلى العشيرة لأنّهم شركاء فى التايد منه .

وَأزْيدُ مِمَّا قصده فى قوله من « البيض الوجوه بنى سِنان » قولُ الآخر(١) :

٥ ـ بُنَاةُ مَكَارِمٍ وأُساةُ كَلْمٍ ... دماؤُهُم من الكَلَبِ الشِّفاء

٦ ـ فأمَّا بيتُكُمْ إن عُدَّ بيتٌ ... فَطَال السَّمْكُ واتَّسَعَ الفِناء

٧ ـ وأمّا أُسُّـــهُ فَعَلى قديم ... مِن العَادِيِّ إنْ ذُكِرَ البِناء

٨ ـ فلو أنَّ السَّماءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ ... ومَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّماء

البُناة : جمع بَانٍ . والأُساة : جمع آسٍ ، وهذا الجمع يختص بالمعتلِّ كما أنَّ فَعَلَة نحو كَفَرَة وظَلَمَة يختصّ بالصَّحيح . والآسِى : المُداوِى الجراحات . والكَلْمُ : الجرْح . وهذا مَثَلٌ لشدَّة الأهوال واضطراب الأحوال . والمعنى : إذا تفاقَمت الأمورُ ، وحرِجَتْ بما اجتمعت فيها الصُّدور ، فإنّهم يتلافَوْنها بعُنْفهم أو لُطفهم ، وهم مُلوكٌ ففى دِمائهم شِفاءٌ من عضِّ الكَلْبِ الكَلِب ، وهو الذى يَكْلَب بأكْل لُحوم النَّاس ، فيأخذه من ذلك شِبْه الجُنون ، فلا يَعَضُّ إنسانًا إلّا كلِبَ

(١) هو أبو الطمحان القينى . و قد سبق فى الحماسية ٦٩٥ ص ١٥٩٨ .

ويقال : إن مَن عضه يَنبحُ نَبيح الكلاب فينتظَر به سبعة أيام ، فإنْ بَالَ هَنَات [١] على خِلقة الكلاب بَرَأَ ، وإلّا ماتَ بزعمهم . ويقولون : إنَّه لا دواء له أنجعُ من شُرْب دمِ مَلِك . ومثلُه قول الفرزدق :

ولو تَشْرَبُ الكَلْبَى المِرَاضُ دِماءَنَا شَفَتْها وذُو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ

وقوله « فأما بيتكم [إن عُدَّ بيتٌ [٢]] » فإنّه يريد : إذا عُدّت البيوتُ فبَيتُكم طويلُ السَّمْك ثابت الاسِّ ، فسيح الساحةِ والفناء ، واسع الأقطار والأرجاء . والسَّمْك : أعلَى البيت الداخل ، فأمَّا أعلاه الخارج فإنّه الصَّهْوة . والعادىُّ : القديم ، نُسِبَ إلى عَادٍ . فيريد : بناءُ شرفِكم قديمٌ ، ومكانُه وَسيعٌ ، وسُمُوقُه رفيع ، ورسوخُه عميق .

وقوله : « فلو أنَّ السَّماءَ دَنَتْ لمجد » ، يريد لو مَلَكتِ السَّماءُ الدُّنوَّ والانحطاط عن موضعه الذى سُمِكَ فيه ليرتقىَ إليها مجدُهم ، أو ليشاركَ الأرضَ فى إقلالهم وإيوائهم [٣] ، والاحتواء على مكارمهم ، لفعلَتْ ذلك ، ولكنها عاجزةٌ غيرُ مالكة .

٧٢٩

وقال أَرْطَاةُ بن سُهَيَّةَ [٤] :

١ ـ لو أنَّ ما نُعْطِى مِنَ المال نَبْتَغِى به الحمْدَ يُعْطِى مِثْلَهُ زاخِرُ البَحْرِ

٢ ـ لَظَلَّتْ قَوَاقِيرُ صِيَاماً بظاهِرٍ من الضَّحْلِ كانتْ قبلُ فى لُجَجٍ خُضْرِ

قوله « نبتغى » موضعه نصب على الحال ، وموضع « يُعْطِى مِثْلَه » الجملة رفعٌ على أنه خبر أنَّ ، وقد حُذِف الضَّمير العائد إلى ما من قوله نُعطى ، كأنَّه

(١) فى الأصل : « هيئات » ، صوابه فى ل . (٢) التكملة من ل .

(٣) الإقلال : مصدر أقله بمعنى حمله . وقد جعل المرزوقى الضمير العائد إلى « السماء » مرة مذكراً وأخرى مؤنثاً ، لما أن « السماء » تذكر وتؤنث .

(٤) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٣٥ ص ٣٩٧ .

قال : لو أنَّ الذى نُعطيه من المال مُبْتَغِين به الحمدَ يُعطِى مِثْلَهُ طَامِى البحر ومرتفِعُه لظلَّت سفنٌ راكدةً وواقفةً بظاهرٍ من الماء قليلٍ ، كانت مِن قَبْلُ فى مَعاظمِ من البحر خُضْرٍ كثيرة . وقوله « ظَلَّتْ » جواب لَوْ . وقوله « كانت قبل » من صفة القراقير ، وهى السفن ، والواحدُ قُرْقُورٌ . وقد فَصَلَ بين الصفة والموصوف بخبر لظلَّتْ وهو قوله « صياماً » . يريدُ أنَّ السُّفن التى كانت فى الماء فى بحرٍ تَعودُ بمثل العطايا منه إلى أن تكون واقفةً فى ضَحْلٍ ، إذ كان ماؤه لا يقوم مع الاعتراف منه لما يقوم له مالُنا على الإسراف العظيم منه . والضَّحل : الماء القليل ، والجمع الضُّحول . وأَتانُ الضَّحْلِ : صخرة بعضُها فى الماء المغمور وبعضها ظاهرٌ مكشوف ، فيصلُب ويَمْلاسُّ . واللُّجَج : جمع لُجَّة ، وهى مُعْظَم الماء . ويقال : التجَّ البحرُ . والصِّيام : القيام . والزَّاخر من البحور : الطامى الماء ، المرتفعُ الموج . وإذا جاشَ القومُ لنَفِيرٍ أو حَرْبٍ ، قيل زَخَرُوا .

٣ ـ ولا نَكْسِرُ العظْمَ الصَّحِيحَ تَعَدُّرًا وَنَغْنَى عن المَوْلَى ونَجْبُرُ ذا الكسرِ

٤ ـ غَلَبْنَا بَنِي حوَّاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا ولكننا لم نَسْتَطِعْ غَلَبَ الدَّهرِ

يصفُ كرمَهم فى عشيرتهم ، وأنهم يتعطَّفون على الضِّعاف الفقراء منهم ويتحدَّبون ، فيجبرون كَسْرَهُم ، ويسدُّون مَفاقِرَهم ، ويُظهِرون الغَنى عن مواليهم ، فلا يُصلِحون أحوالَ أنفسهم بل يوفِّرونهم على مصالح أمورهم ، ويُخَلُّونهم واختياراتِهم فى مَباغيهم ومكاسبهم ، ومَن كان مستقيمَ الأمر واسعَ المراد يقوم برَمِّ عَيْشِه ، وينهضُ بتدبير تجمُّله ، لا يُلِحُّون عليه فى نوائبه ، ولا يُضاعِفُون المُؤَنَ فى مَصَارِفه ، متوصِّلين بذلك إلى الغضِّ منهُ والحطِّ من قَدْرِه ، وجلاله ومكانه ، لحسدِهم واستعلائهم .

وقوله « غلَبنا بَنِي حوَّاء » يريد أنَّا قهرْنا النَّاسَ على طبقاتِهم وتباينُ منازلهم رياسةً وشرفا ، فلمَّا جاء الدَّهرُ يَغْلِبُنا على ما نريدهُ من استبقاءٍ وبقاء ،

واستصلاحٍ وصَلاح ، لم نَستطِعْ دَفعَه ، ولم نُطِقْ غَلَبته ومَنْعه . وانتصب قوله « تعزُّزًا » على أنه مصدر فى موضع الحال ، ولا يمتنع أن يكون مفعولًا له .

٧٣٠

وقال حُجْر بن حَيَّةَ :

١ ـ ولا أُدَوِّمُ قِدْرِى بعْدَ ما نَضِجَتْ بُخْلًا لتَمْنَعَ ما فيهـا أثَافِيها

٢ - لا أَحْرِمُ الجَارةَ الدُّنْيا إذا اقتَرَبَتْ ولا أقومُ بها فى الحىِّ أُخْزِيها

٣ ـ ولا أُكَلِّمُها إلّا عَلانِيَـةً ولا أُخَبِّرُها إلّا أُناديها

قوله « لا أُدَوِّم » يريد لا أطيل إدامةَ قِدْرى بعد إدراكها على الأثافىّ ، بُخْلًا بما فيها ، ولتَمنَعها عن طلّابها أثَافيها . جعَلَ المنع للأثافى ، لأنها لما لم تُغرَف ما دامت منصوبةً على الأثافى جَعَلَ الفعلَ لها ، كأنها هى المانعة . وانتصب « بُخْلاً » على التمييز أو على الحال إن شِئت . ويقال : أَدَمْتُ الشّىء ، مكَّنته ودوَّمتُه أيضاً . والماء الدَّائم : الساكن الذى لا يَجْرِى ، وكأنّ البخيلَ منهم يفعَلُ ذلك ليُرِى أنّ القدْرَ لم تُدرِكْ ، وأنَّ ما فيها لم ينضَجْ ، انتظارًا لمن تأخَّرَ عنه ويُوجِب الحال حُضُورَه .

وقوله « لا أحرِمُ الجارةَ الدنيا إذا اقتربَتْ » ، يريد أنه يُشْرِكُها فى فَضْل نعمته[1] بعد دنوِّها من داره ، وأنه لا يطلب عَثَرَاتِها ولا يقبِّحُ آثارَها ، فلا يقوم بذكرها فى الحىِّ مُخْزِيًا لها . وقال بعضهم : أراد لا أحكى عليها قبيحاً . يقال : قام بى فلانٌ وقعَدَ ، أى نَثَا[2] عَنِّى قبيحا : وقوله « أُخزيها » يجوز أن يكون ألف النَّمل دخلَ على خَزِىَ خِزْياً من الهَوَان ، ويجوز أن يكون دخل على خَزِى

(١) فى الأصل : « نعمتها » ، صوابه فى ل .

(٢) هنا ما فى ل . وفى الأصل : « وقعد بى نثا » .

خَزَايةَ من الاستحياء ، وذاك لأنها ذُكِرَتْ بالقبيح أو شُهِرَتْ بما تَستُرُه وكُشِفَت ، فقد تستحي كما تذلُّ ، أو تذل كما تستحي .

وقوله « ولا أُكلِّمها إلا عَلَانيةً » انتصب علانيةً على أنه مصدر فى موضع الحال ، وكذلك قولُه « إلا أناديها » الجملة فى موضع الحال ، ونِظام الكلام يقتضيه أن يقول : ولا أخبِّرُها ، إلَّا أنه لمَّا كان الغرض إلَّا منادياً لها ، ناب الفعلُ عن المصدر . ولا يجوز فى علانيةً أن يكون تمييزاً ، بدلالة أن الصدر يجب أن يكون حكمه حكمَ العجُز ، ومن الظاهر أنَّ أُناديها فى موضع الحال ، والمعنى [أنه(١)] لا يَقِفُ ، لسَلامةِ طريقته وتكامُل عِفَّته ، الجارةَ فى مواقف التُّهْمة ، فلا يُخفِى مُكالمَتَها ، ولا يُخاطِبُها مخبراً لها إلا برفْع صوتٍ ونداءٍ عال . كلُّ ذلك هرباً من قِرفة تَحصُل(٢) ، أو تُهْمة تَتوجَّه ، وهذا هو الغايةُ فى العفاف ، والدَّرجة القاصية فى التوقِّى من العار .

٧٣١

وقال المُساوِرُ بن هند بن قَيس بن زُهير(٣) :

١ — فِدًى لبَنِي عَبْدٍ غَدَاةَ دَعَوْتُهُمْ ... بِجَوٍّ وَبَالَ النَّفْسُ والأبَوَانِ(٤)

٢ — إذا جارةٌ شُلَّتْ لسَعْدِ بن مَالكٍ ... لهـــا إبلٌ شُلَّتْ بها إبِلَانِ

خبر المبتدإ الذى هو « فدًى » قوله « النفس » ، و « جوُّ وَبال » أضاف الجوَّ إلى وبال ، وهو اسمُ ماء . وإنما دعا لبنى عَبْدٍ بالتَّفدية لأنَّه وجدَهم عندَ الظَّن [بهم] لمَّا استنصرَهم على أعدائه بجوِّ وبال .

(١) هذه من ل .

(٢) القرفة بكسر القاف : التهمة .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٥٥ ص ٤٥٨ .

(٤) التبريزى وياقوت فى رسم (وبال) : « لبنى هند » .

وقوله « إذا جارة » ظرف لقوله « شلّت بها إبلان » ، وهو جوابه . وتلخيص الكلام : إذا شُلّتْ إبل لجارةٍ لسعدِ بن مالك شُلَّتْ بسببها ولمكانها إبلان ، وذلك لكَرَم محافَظَتهم ، وللعزِّ اللاحِقِ فى مُعاقَدة جوارِهم . ومعنى شُلَّتْ : طُرِدَت ، شَلًّا . وقد فَصَل بين المرتفع به[1] وهو إبل ، وبينه بقوله « لسعد بن مالك » ، ولولا أن حكمَه حكمُ الظُّروف وقد توسَّعوا فيها ، لكان ذلك غير جائز ، لأن الفصلَ بين الفِعل وبين المبنىِّ عليه بأجنبىٍّ لا يجوز عندنا . ألا ترى أنَّهم امتنعوا من جواز قول القائل : « كانَتْ زيدًا الحمّى تأخُذ » ، وإنْ جوَّزوا : كان فى الدار زيدٌ واقفاً ، لكون الحائل هنا ظَرْفا وفى ذاك غيرَ ظرف . وأمَّا قوله « لها إبل » فموقع لها أنْ يكون بعد إبل . لأنَّه صفةٌ لها ، والصفةُ لا تتقدَّم على الموصوف ، كما أنَّ الصِّلة لا تتقدَّم على الموصول ، لكنَّها قُدِّمت على أن تكون حالًا ، والحال كما يتأخَّرُ يتقدَّم إذا لم يمنَعْه مانع ، فهو كقول الآخر[2] :

لميَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ كأنَّ رسُومَها الخِلَلُ[3]

وتقدُّم « لها » على « إبل » كتقدُّم موحِشاً على طلل .

وقوله « إبلٌ » اسمٌ صيغ للجمع ، ويتناول الكثير دون القليل . وقد ثُنِّىَ هاهنا على معنى فِرقتان ، فقيل إبلان . وهذا كما يقال قومانِ وعشيرتانِ وأهلان . وقوله « شُلَّتْ بها » أى مِن أجلها وبسببها . ويروى : شُلَّتْ لها إبلان » ، ويرجع معناه إلى معنى الباء ، وذلك لأنَّه فى معنى المفعول له ، أى شُلَّت عِوَضاً عما شُلَّ منها ، فيكون « لها » الأولى فى موضع الحال كما قلت لكونه صفةً متقدِّمة ، وضميرُها يرجع إلى الجارَة لا غير ، أى إبل متملَّكة

(١) فى الأصل : « بين مالم يقع به » ، صوابه فى ل .
(٢) هو كثير عزة . شواهد العينى (٣ : ١٦٣) .
(٣) الرواية المشهورة : « يلوح كأنه خلل » .

لجارةٍ لقبيلة سعدِ بن مالك . و « لها » الثانية تكون فى موضع المفعول له ، والضمير منها يعود إلى الإبل إن شئت ، وإن شئتَ إلى الجارَة . فاعرف الفَصْل بينهما إنْ شاء الله .

٣ — إذا عَقَدَتْ أفناء سَعْدِ بنِ مالكٍ   لها ذِمَّةً عَزَّتْ بكلِّ مكانِ
٤ — إذا سُئِلوا ما ليسَ بالحقِّ فيهمُ   أبَى كلُّ مُجْنِيٍّ عليــه وجَانِ
٥ — ودارِ حِفاظٍ قد حَلَلْتُمْ مُهانَةٍ   بها بَيْنُكُمْ والضَّيْفُ غيرُ مُهَانِ (١)

قوله « إذا عقدَتْ أفناء سعد بن مالك » يصفهم بحُسْن التعاوُن والترافُد فيما بينهم ، وانتفاء التخاذُل والتبايُن عن سِيَرَهم وأخلاقهم ، فإنهم يدٌ واحدةٌ على مَن سواهم ، لا استبدادَ للكبير فيهم ، ولا انحطاطَ للصغير منهم ، بل كلٌّ يرضَى فِعلَ صاحبِه ، واختصاصُ النَّفر (٢) منهم فى الأمور كفعل الجُمهور ، فمتى دخَلَ واحدٌ من أفنائهم فى الأمر العظيم وتكفَّلَ به أعانَه الرُّؤساء حتَّى يَخرجَ منه ، لا يُهملون أمرَه ، ولا يَستهينون بشأنه . وإن عقدَتْ أوساطُهم أو المتأخِّرون منهم ذِمَّةً لها عزَّتْ تلك الذِّمَّة وغَلَبَتْ فى الأماكن كلِّها ، وجب الوفاء فيها عليهم بأَسْرِهم ، لا اختلال (٣) منهم فى دَفْعها ، ولا انفكاكَ لهم من ملازمتها .

وقوله « إذا سُئِلوا ما ليسَ بالحقِّ فيهم » ، يريد أنهم إذا سِيمُوا خُطَّةَ الضَّيم اجتمعوا على اجتوائها والتَّسخُّط لها ، واتِرين كانوا أو موتورين ، وطالبين كانو أو مطلوبين ، لِمَا يفرِضونه على أنفسهم من إباء الدَّنيَّة ، والتشارُك فى طُروق البليَّة ، إلى أن تنقَضِيَ بمدافعتهم لها ، وبالانتقامِ من جالبيها .

وقوله : « ودارِ حِفاظٍ قد حَلَلْتُم » ، يعنى أنهم إذا نزَلوا دارَ المحافظة على

(١) فى الأصل : « قد حللت ... بها بينكم » ، صوابه فى ل والتبريزى .
(٢) فى الأصل : « النظر » ، صوابه من ل .
(٣) ل : « لا اعتلال » .

الشرَف رأوْا مراغمةَ الأعداء لَدَى الصَّبرِ على الكُلَفِ ، وحَسُنَ ثباتهم[١] ، وكَرُمَ بلاؤهم ، وطابت أخبارُهم ، وكَثُرت غاشيتهم ، لأنهم يُهِينون كرائمَ أموالِهم ، ويُعِزّون مقارَّ ضيوفهم . وهذا كما قال الآخر[٢] :

وَدارِ حِفاظٍ أطَلْنا المُقامَ ... بِها فَحَلَلْنا مَحَلًّا كريما[٣]

إذا كان بعضُهمُ لِلهَوانِ ... خَليطَ صَفاءٍ وأُمًّا رءُوما

٧٣٢

وقال[٤] :

١ — جزَى اللهُ خيرًا غالبًا من عشيرةٍ ... إذا حَدَثانُ الدَّهرِ نابَتْ نوائبُهْ

٢ — فكم دافَعوا من كُرْبةٍ قد تَلاحَمَتْ ... عَلَيَّ ومَوْجٍ قد عَلَتْنِي غوارِبُهْ

يقول مُتشكِّرًا وداعيًا : جزَى اللهُ غالبًا من بين العشائر خيراً أشدَّ ما كان حاجةً إلى[٥] مَن يكافئه على مستحدَث بلائه الحسَن في أضيَق أوقات النُّوَب ، فكم مَرَّةٍ دافَعوا دوني واشتَلَوْني[٦] من كُرَبٍ انضمَّتْ عَلَيَّ ، وأطبقَتْ لها الدنيا بظلامها لدَيَّ ، فكأنِّي غريقٌ تتلاعَبُ الأمواج بي ، وتُقامِسني[٧] في غِمارها ، وتُرادُّني في لُججها .

(١) في الأصل : « نباتهم » ، ووجهه من ل .

(٢) هو ربيعة بن مقروم الضبي . المفضلية رقم ٣٩ .

(٣) المفضليات : « ودار هوان أنفنا المقام » .

(٤) هذا يشعر بأن قائل هذا الشعر هو قائل سابقه . لكن عند التبريزي : « وقال آخر » .

(٥) « إليه » .

(٦) هذا الصوب من ل . يقال اشتلاه ، إذا استنقذه من الهلكة . وقال حميد الأرقط :

* قد اشتلانا عفوه وكرمه *

وفي الأصل : « واستلوني » مع ضبط التاء واللام بالفتح .

(٧) تقامسني بمعنى تغامسني . والقمس : الغمس . وفي الأصل : « تقاسمني » ، تحريف صوابه من ل . وفي حاشية ل : « خ : تقامسني » إشارة إلى أنها كذلك في نسخة أخرى .

وقوله : « حَدَثان الدَّهر » ، مصدر حَدَث . وَالكُرْبة : الاسم من الكَرْب ، وهو الغمّ الذي يأخُذُ بالنفْس . والمُتلاحم : اللازم بعد أن كان متبايناً . وَيقال : التحَمَ وتلاحَمَ بمعنًى . والغارِبُ : أعلَى الموج ، وأعلى الظَّهر . ومنه قولهم : حَبلُكِ عَلَى غارِبك . وكم موضعه من الإعراب نَصْبٌ على الظَّرف ، والمعنى فمراراً كثيرة دافعوا دوني .

٣ - إذا قاتَ عُودُوا عادَ كلُّ شَمَرْدَلٍ أَشَمَّ من الفِتْيانِ جَزْلٍ مَوَاهِبُهْ[(١)]

٤ - إذا أخذَتْ بُزْلُ المَخاضِ سِلاحَها تَجَرَّدَ فيها متلِفُ المالِ كاسِبُهْ

يقول : إذا عُرِضَ على كلِّ واحدٍ من بنى غالب مُعاودةُ الحروبِ والكرور فيها عادَ منهم كلُّ رجلٍ تامّ الخلْقة ممتدّ القامة ، كريم النَّفْس ، كثير العطيَّة . وأصل الشَّمم ارتفاع الأنف . ولك أن تروى : أَشَمُّ جَزْلٌ ، وأَشَمَّ جَزْلٍ ، فالرَّفع على كلٍّ والجرُّ على شمردل . والشَّمردل : الطويل . والشَّمم [كناية[(٢)]] عن الكرم .

وقوله « إذا أخذَتْ بُزْلُ المَخَاضِ سلاحَها » فالمراد بسلاحها مَحاسنُها وأمارات عِتقِها وكَرَمِها ، كأنَّها تتجلَّى بتلك المحاسِنِ فى عين أربابها حتَّى تَحلَى ، فيصير ذلك سبباً للضِّنِّ بها . وقوله «مُتْلِفُ المالِ كاسِبُهْ» هو كقولهم : مُفِيدٌ مُفِيتٌ ، ومِخْلاف مِتلاف ، ومُخْلِف مُتلِف . والبُزْلُ : جمع بازل ، وهو المتناهِى قُوَّةً وشبابا . وأصل البزْل الشَّقّ . والمَخاض النُّوق الحوامل ، وهو اسمٌ مصوغ للجَمع كالقوم والنِّسوة . ومعنى « تجرَّد فيها » أى تشمَّرَ فى عَقْرِها ونحرِها ، يريد أنَّ تحسُّنها بسِلاحها فى عَينه لا يُجْدِى عليها نفعاً ، ولا يَدفعُ عنها مكروهاً ، لما بِهِ من إكرام الضيوف ، ويُوجِب على نَفْسه من قَضاء الحقوق .

(١) التبريزى : « ولك أن تروى أشم وجزل ، وأشم وجزل . فالرفع على كل ، والجر على شمردل » .

(٢) التكملة من ل .

٧٣٣

وقال آخر (١)

١ ـ أيا ابنةَ عبدِ الله وابْنةَ مالِكٍ ... ويا ابنةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ

٢ ـ إذا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فالتمِسِى لَهُ ... أَكِيلا فإنِّى لستُ آكِلَهُ وَحْدِى

٣ ـ أخاً طارِقاً أو جارَ بَيْتٍ فإنَّنى ... أخافُ مَذَمَّاتِ الأَحاديثِ مِنْ بَعْدِى

٤ ـ وإِنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دامَ نازِلاً ... وما فِىَّ إلاَّ تِلْكَ مِنْ شِيَمِ العَبْدِ

حَسُنَ تكرير ابنةٍ وإن كانَ المرادُ واحدةً لاختلافِ المضاف إليه، والقصدِ إلى تفخيم أمرها وتعظيم شأنها. والذى يدلُّ على أنَّ المرادَ واحدة قوله «إذا ما صَنَعْتِ الزَّاد فالتمسى». ويعنى بذى البُرْدين عامرَ بن أُحَيمِرِ بن بَهْدَلَة. وكان من حديث البُرْدَين حتَّى لُقِّبَ به، أنَّ وفود العرب اجتمعَتْ عند المنذِر بن ماء السماء ــ وهو المُنذر بن امرئْ القيس، وماءُ السَّماء أُمُّه نُسِبَ إليها لشَرَفها. وقيل: ماء السَّماء لُقِّبَتْ به لصفاء نَسَبها، وقيل لنَقاء لونها، يُراد أنَّها كماء السماء لم يَحْتمِلْ كُدورة ــ فأخرج المنذرُ بُرْدَينِ يوماً يبلُو الوُفود، وقال: ليقُمْ أعزُّ العَرَبِ قبيلةً فليأخذْهما. فقام عامرُ بن أُحَيمِرٍ فأخذَهما واتَّزر بأحدهما وارتدَى بالآخَر، فقال له المنذر: بِمَ أنتَ أعَزُّ العربِ قبيلةً؟ قال: العِزُّ والعَدَد فى مَعَدٍّ، ثمَّ فى نِزار، ثمَّ فى مُضَر، ثم فى خِنْدِف، ثمَّ فى تميم، ثمَّ فى سعد، ثمَّ فى كعب، ثمَّ فى عوف، ثمَّ فى بَهْدَلة، فمنْ أنكرَ هذا فلْيُنافِرْنى! فسكَتَ النّاس، فقال المنذر: هذه عشيرتك كما تزعُمُ، فكيفَ أنتَ فى أهل بيتكَ وفى نفسك؟ فقال:

(١) هو حاتم الطائى يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله. كما ذكر التبريزى. ولم ترد الأبيات فى ديوان حاتم.

أنا أبو عشرة، وخالُ عَشَرة، وعمٌّ عشرة (١)؛ وأمّا أنا فى نَفْسى فشاهِدُ العِزِّ شاهِدى. ثمَّ وضع قدمَه على الأرض فقال: مَنْ أزالَها عن مكانِها فله مائةٌ من الإبل! فلم يَقُمْ إليه أحدٌ من الحاضرين، وفاز بالبُرْدَين.

وقوله «إذا ما صنَعْتِ الزاد»، يريدُ إذا فَرَغْتِ من اتِّخاذ الزّاد وإعداده فاطلُبِى من أجله يؤا كلنى، فإنِّى لم أُعوِّدْ نفسى التفرُّدَ فى الأكل. وهذا الذى أَنِفَ منه حتى تبرّأَ من الرِّضا به قد ورَدَ (٢) فى الخبر ما يقوِّى استقباح العربِ له، وتزييفَهم إيَّاه فيما يختارونَه من كرَم الطِّباع، وإقامة المروءات. ألَا ترى أنَّه قال صلَّى الله عليه وسلم، فيما روى عنه: «ألَا أخْبِركم (٣) بِشَرِّ الناس؟ مَنْ أكل وحده، ومَنَع رِفْدَهُ، وضربَ عبده».

وموضع «وَحْدِى» من الإعراب نصبٌ على المصدر، والتقدير لست آكله وقد أوحدت نَفْسِى فى أكلِه إيحادًا، فوضع وحدَه موضع الإيحاد. والكوفيُّون يجعلون وحدِى فى موضع الحال، وإن لفظُه معرفةً، يجعلونه من باب: جاءوا قَضَّهم بقَضِيضِهم، وكلَّمته فاهُ إلى فِيَّ، وما أشبهه.

وجواب إذا قولُه «فالتمِسِى له أكيلا». وأكِيلُ الرَّجل وشَرِيبه ونديمُه وجليسه، يقال كلٌّ مِنها فيمن عُرِف بالصِّفة. لا يقال لمَنْ أكلَ مع صاحِبِه مرّةً واحدة هو أَكِيله، ولا لمن شربَ معه مرّةً واحدة هو شَرِيبه. وعلى ذلك قولهم: هو جليسه، لا يُطلَق إلَّا على من عُرِف بهذه الصِّفة فتكرَّرت منه.

فإن قيل: كيف نَكَّره وقال التمسى له أكيلًا؟ وهلَّا قال أكيلى؟ قلتَ: لا يمتنع أنْ يكون قد عُرِفَ بموا كلته عِدّةٌ، فأراد التمسِى من أجله بعدَ ما هيَّأتِه

(١) وكذا عند التبريزى. وفى حواشى ل: «نخ: عشيرة فى الثلاثة المواضع»، اشارة الى أنها فى نسخة «عشيرة» بدل «عشرة» فى المواضع الثلاثة.

(٢) هذا الصواب من ل. وفى الأصل «حتى تبرأ من الرضى فقد ورد».

(٣) هذا ما فى ل. وفى الأصل: «ألا أبشركم».

واحداً من المعروفين بهوا كاتى ، ألا ترى أنّه قال مفصِّلا لما أجمله ، وشارحًا لما أبهمه : «أخًا طارقًا أو جارَ بيتٍ» ، فأبدل من الأوّل وهو أكيلا ما أبدل . والمراد : التمسى أكيلًا من أحد هذين النّوعين طارقًا آخيْناه ، أو جارَ بيته باسَطْناه . وقوله : «فإنّى أخافُ مذَمّاتِ الأحاديث من بعدى» ، بيانُ علة امتناعِه من التفرُّد فى الأكل . يريد : أخشى ما يَلْحَقُ من العار فى الأكل منفرداً إذا افتُقِدَتْ أو ذُكِرَتْ أحولُ الناس ، واستُعرِضت عاداتُهم ، فاستُهجِن الهَجين منها ، واستُكرِم الكريم . والمَذَمّة بالفتح : الذّمّ ، وجمعها مذَمّات . والمَذِمّة بالكسر : الذِّمام . وأضاف المَذَمّات إلى الأحاديث ليُرِىَ أنّ خوفه ممّا يبقى من الذّمّ فيما يُتحَدّث به بعده .

وقوله : «وإنّى لعبدُ الضّيفِ ما دام ثاويا» ، ويُروى : «نازلا» . ويقال : ثَوَى بالمكان وأثْوَى بمعنًى . يريدُ أنّى أتكلّف من خدمة الضّيف ما يتكلّفه العَبيد ، لا أستنكف ولا آنَف ، وليس لى من أخلاق العبيد وطبائعهم إلّا تلك ، يريد إلّا تلك الخدمةَ ، أو تلك الخليقة . وموضع «مادام» نصبٌ على الظّرف أى مدّةَ دوامِ ثَوَائه عندى . وموضع «من شِيَمَ العَبد» رفعٌ على أن يكون اسم ما ، وخبره «فِىَّ» . و«إلّا تلك» استثناء مقدّم ، وفائدة «مِنْ» التّبيين فهو كمِن الذى فى قوله : ﴿فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ﴾ ، لأنّ الأوثانَ كلَّها رجس ، وليس يريد التّبعيض بذكر مِن ، لكنّ المراد اجتنِبوا الرِّجْسَ من الضّرب ، إذ كان الأهمَّ فيما يجب اجتنابُه .

٧٣٤

وقال آخر :

١ ــ لَيسَ فَتَى الفِتيَانِ مَن كُلُّ هَمِّهِ صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَى فَفَضْلُ غَبُوقِ[1]

(١) التبريزى : «وليس» بالتمام ، وفى النسختين : «ليس» بالخرم .

٢ ـ وَلَكِنْ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا ... لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

يقول : ليس المختارُ من الفتيان والكاملُ الفُتوّة فيهم مَن إذا أصبح كان معظم همّه ما يشرب به صباحا ، وإذا أمسى كان معظم همّه ما يشرب به مساءً . والصَّبوح : ما يُصطَبح به ، اسماً له . والغَبوق : ما يُغتبَق به . يريد أنّ الفتوّة ليس فى إعداد الأطعمة والأشربة ، وإعطاء النّفس مُناها منهما ، لكنّ الفُتوّةَ هو السّعىُ غُدوًّا ورَواحاً فى جرّ ضررٍ على مُنابذٍ مُداجٍ ، أو جلب نَفعٍ إلى ناصحٍ مُواخٍ .

٧٣٥

وقال حَزازُ بن عمْرو ، من بنى عبد مناف (١)

١ ـ لَنَا إِبِلٌ لَمْ تُهِنْ رَبَّهَا ... كَرَامَتُهَا وَالفَتَى ذَاهِبُ

٢ ـ هِجَانٌ تَكَافَأُ فِيهَا الصَّدِيقُ ... وَيُدْرِكُ فِيهَا المُنَى الرَّاغِبُ (٢)

٣ ـ وَنَطْعَنُ عَنْهَا نُحُورَ العِدَى ... وَيَشْرَبُ مِنَّا بِهَا الشَّارِبُ

قوله « لنا إبلٌ لم تُهِن ربَّها كرامتُها » يريد : أنّا نؤثر إكرامَ النّفوس (٣) وصيانَتَها على إكرام المال وصيانته ، لأنّ الأموال إذا لم تُجعَلْ واقيةً للنّفس جلبت العارَ وكَسبَت الشّنار ، فنحن نُهينها ونبتذلها صَوْناً للنّفس ، ولئلّا يكون المال كالمالك لنا ، إذ كان عُمْرُ الفتى عاريةً مستردّةً ، فهو هالكٌ وإن أُمهِلَ مدّةً ، وما يُقدّمه يذكر به ، فصيانةُ مروءتنا من أن ترثّ أو تَهُون ، أجْدَى وأوجَبُ من صيانة المال وتثميرها والضّنّ بها (٤) . وقد اعترض بقوله « والفتى ذاهب »

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٣٥٣ ص ١٠١٧ .

(٢) التبريزى : « ويكافأ منها الصديق » ، ولكن نص شرح التبريزى لا يساير نص متنه ، إذ يقول : « ومعنى يكافأ منها الصديق يماثل ، من الكفء : المثل فى المال والحسب وغيرهما » .

(٣) ل : « نفوسنا » .

(٤) ل : « وتثميره والضن به » . والمال يذكر ويؤنث . وأنشد لحسان :

المال تزرى بأقوامٍ ذوى حسبٍ ... وقد تسود غير السيد المال

بين الصفة والموصوف ، لأنّ قوله هِجَانٌ من صفةَ الإبل ، كما أنّ «لم تُهن رَبَّها» من صفتها أيضاً . ولولا تأكُدُ الجملة به لكان يَقْبُح مافَعَلَ ، لكون الاعتراضِ أجنبيًّا مما قبله وبعده . والهِجان يَقَع على الواحد والجميع ، وذلك أنّ فِعالًا كما يكون جمعاً لفعيل ، نحو ظريف وظِراف ، وكريم وكِرام ، وكبير وكِبار ، كسَّرُوا عليه فِعالًا أيضاً ، فقالوا : دِرْعٌ دِلَاص وأدْرُع دِلَاص ، وبعيرٌ هِجان وإبل هجان ، لأنّ فعيلا وفِعالًا مُتَواخيان فى أنّهما من الثلاثى ، وفى موقع الزائد منهما ، وفى عدد حُروفِهما ، فيتشاركان فى أحكامهما ، وإذا كان كذلك فهجَان وهو للواحد ، كضِناكٍ وكِنَازٍ وماأشبههما ، وهجان وهو للجميع ، كظِراف وكِبار . قال سيبويه : يدلُّك على أنّ هجاناً ليس كالمصادر التى وُصِف بها نحو ضَيْفٍ وجُنُبٍ وزَوْرٍ وما أشبههما ، أنّك تقول هجانان فتثنّيه ، وإذا كان مُرْصَداً للتّثنية فهو للجمع كذلك . ومعنى «تَكافَأُ فيها الصَّديق» تماثَلَ ، من الكُفْء المِثْلِ فى المال والحَسَبِ وغيرها . والمراد بالصَّديق الجِنْس ، يريد يتساوَوْن فيها ، لا استئثار منَّا بشىء منها دُونَهم ولا تفرُّد ، بلْ كُلٌّ مِنّا ومن الأصدقاء يتصرّف فيه على مرادِهِ نافذاً أمرهُ ، وبالغاً حُكْمُهُ . وقوله «ويُدْرِك فيها المُنَى الراغب» ، أراد الرّاغبين . أى إنّ العُفاةَ وطُلّابَ الخير إذا نزَلوا بساحتنا [١] نالُوا أمانِيَّهم منها كاملةً لا يتخلّلها خَرْم ، ولا يتسلّط عليها ثَلْم .

وقوله «ونطعُن عنها نُحورَ العِدَى» ، لمّا عَدَّد الوجوهَ التى ذكر أنهم يَصرِفون أموالَهم إليها ، ويقتسمونها فيما ذَكَر فى أثنائها أنّهم يُدافعون عنها الأعداء فعليها حافظٌ من محافظتهم ، ودونَها دافع [٢] من مدافَعتهم ، لا يطمع الأعداء فى الإغارة عليها ، ولا فى احتجان شىء منها ، بل يمتلكها وجهان : مَثُوبةٌ أو صنيعة

(١) ل : «بساحتنا» .

(٢) ل : «ودونها نع ما» .

وقوله « ويَشرب منّا بها الشّارب » ، أراد أنّهم يَسبَؤُون بها الخمر ويجعلونها فى أثمانها . فهو فى هذا وفيما سَلَكه كقول الآخر (١) :

نُحَابِى بها أكْفاءنا ونُهِينُها ونَشْرَبُ فى أثمانها ونُقامِرُ

٤ ــ ونُؤْلِفُهَا فى السِّنِينَ الكُلُولَ إذَا لم يجِدْ مَكْسَبًا كَاسِبُ

٥ ــ ولم تَكُ يَوْمًا إذا رُوِّحَتْ عَلَى الحىّ يُلْفَى لها جَاذِبُ

٦ ــ حَبَانَا بها جَدُّنا والإلهُ وضَرْبٌ لنا خَذِمٌ صَائبُ

قوله : « ونؤْلفها فى السِّنينَ الكُلولَ » يعنى بالسِّنين الأعوامَ التى تَقِلُّ الأمطارُ فيها وتَشملُ النّاسَ الآفاتُ لها . يقال : أصابتهم السَّنةُ . وقد أسْنَتَ الرّجلُ ، إذا أصابه القَحطُ والجَدْب . وأراد بالكُلُول مَنْ كان كَلاًّ على صاحبه وعيالًا لمعِيله ، لا يُحْسِنُ التّوجُّهَ لكسبٍ ، ولا يهتدى لارتزاء خيرٍ وترقيح عيش ، كالأيتام والأراملِ وذَوِى العاهة . وقوله « إذا لم يجد مَكْسَبًا كاسِبُ» بَدَلٌ من قوله فى السنين . أى إذا اشتدّ الزمان وتضايقت الخطوبُ بما يَعمُّ من القَحْط ، وأعْوَزَ الكاسبينَ كسبُهم فلزمُوا مقارّهم آيسِين من إقبال الزّمان وأهلِه جعلْنا إبلَنا يألفها كُلُولُ النّاس فينالون منها ، ويعيشون فيما يَعُود عليهم من ألبانها ومنافعها .

وقوله « ولم يَكُ يَوْمًا إذا رُوِّحَت » ، يريد رُدّت فى مراعيها رَواحًا فورَدَتْ على الحىّ لم يُوجَد لها غائب يَعيبُها ، أى لم يُوجَد لأربابها مَنْ يعيبُهم فيرميهم بالبُخْل والإمساك . وإنما قال « يُلْفَى لها » لأنه يريد يُلْفَى مِن أجلها . والجاذِب : العائب . كأنّ (٢) المرادَ اتفاقُ النّاسِ على حَمْدهم ، ونَفْىُ [العيبِ على (٣)] العِلّاتِ كلِّها عن أخلاقهم ، وتسليمِ الفضلِ والإفضال لهم .

(١) هو سبرة بن عمر الفقعسى . انظر الحماسية ٦٠ ص ٢٣٩ .
(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « لأن » . (٣) التكملة من ل .

وقوله « حبانا بها جَدُّنا والإله » أشار بالجَدِّ إلى استسعادهم بالزّمان ، فهم محظوظون فيه ، وأنّ الله عزّ وجلّ خَصَّهم بالغنى لما عَرَفه من استحقاقهم ، ومِن طَوْلِهم إذا مُكِّنُوا ومُلِّكوا . وقال « والإله » فأتى به على الأصل ، وقلَّما يَعدِلون عن لفظة الله تعالى إلى الإله ، إذْ كان جاريًا مجرى الأعلام بعد لزوم الألف واللام له عِوَضًا من المحذوف منه .

وأشار بقوله « وضربٌ لنا خَذِمٌ صائب » إلى ما نالوا من الأعداء وإيقاع الغارات بهم . والخَذْمُ : القَطْع . ويقال : سيفٌ مِخْذَمٌ وخَذُوم . ومعنى صائب ذُو صَواب ، وأخرجه مَخرجَ النَّسب . ويجوز أن يكون مِن صابَ المطر ، إذا وَقَع ، صَوْبًا . فإن جعلتَه من الصّواب كان المعنى ضربٌ يقع على حَدِّه من الاستحقاق والقَصد ، وإذا جعلته من الصَّوْب فالمعنى واقعٌ موقعَه عند الحاجة إليه .

وهذه الأبيات يزيد تفاصيلُها على جُمَلِها عند الفَحْص عنها . وقد وقع دُونَ غايتِها قولُ الآخر(١) وقد سلَكَ مسلَكه في تَعداد مَصارفِ أموالهم :

ثلاثة أثلاثٍ فأثمانُ خَيْلِنَا وأقواتُنا وما نَسُوق إلى القَتْلِ

وإن اختلفت الطَّريقتان . وكُلٌّ يدعُو إلى نَفْسه في حُسْنه وشُمُوله واستيفائه .

٧٣٦

وقال منصور بن مِسْجاحٍ(٢)

١ ـ ومُختَبِطٍ قَدْ جاءَ أو ذِي قَرَابةٍ فما اعتَذَرت إبْلِي عَلَيْهِ ولا نَفْسِي

٢ ـ حَبَسْنا ولَمْ نَسرَحْ لكَيْ لا يَلُومَنا عَلَى حُكْمِهِ صَبْرًا مُعَوَّدةَ الحَبْسِ

(١) هو عمرو بن كلثوم . الحماسية ١٦٠ ص ٤٧٦ .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٦٠٧ ص ١٤٥١ .

٣ ـ فطافَ كما طافَ المُصدِّقُ وَسْطَهَا يُخَيِّرُ منها فى البَوَازِلِ والسُّدْسِ

أصل الاختباط فى الوَرَق . يقال : خبطتُ الورقَ واختبطْته ، إذا نفضْتَه من الشجر ؛ والمنفوضُ خَبَط ومختَبَط . وكما يستعار الوَرَق فيُكْنَى به عن المال يستعارُ الخَبط فيُكْنَى به عن طَلَبِه . على ذلك قولُ زهير :

ولَيسَ مانِعَ ذى قُرْبَى ولا رَحِمٍ يومًا ولا مُعْدِمًا من خابِطٍ وَرَقَا

وكأنّ الاختباط يختصُّ بفعل من يسأل مِن عُرُضٍ ، ولا يَقِف على تحرُّم أو توسُّل أو تذرُّع ، ولكنْ يكون به السُّؤالُ وبَذْلُ الوَجْه كيف جاءَ . وفى الافتعال زيادةُ تكلُّف ، فلذلك اختَصَّ هذا الاختصاص : وعلى هذا قولهم الاكتساب والكَسْبُ . وقوله « أو ذى [قرابة » ، خصَّ من يمتُّ بالنسب أو السَّبب فيقول : رُبَّ سائلٍ تعرَّضَ لنا ، أوْ ذِى[1]] نَسَبٍ اعتمدنا ، فلانفسى احتجزَتْ عنه بمَنْعٍ ، ولا إبلى اعتذرتْ عليه بعُذْر . كأنَّ عُذْرَ الإبلِ تأخُّرُها عن مَباءتها ، أو ذِكْرُ وقوعِ آفةٍ فيها أو تسلّطِ جدبٍ عليها . واحتجازُ النَّفس: بُخْلُها بها ، وإقامةُ المَعاذير الكاذبةِ دونها ، وما يَجرِى هذا المجرى .

وقوله « حَبَسْنا ولم نَسْرَح » جواب رُبَّ مُخْتَبِط ، وبيانُ ما تَلقّاه به عند استقباله من القَبول . ويقال : سَرَحْتُ الماشيةَ بالغداة ، إذا أخرجتَها إلى مراعيها ، وأرَحْتَها إذا رددتَها رواحًا إلى أفنيتها . ومفعول « حبسنا » قوله « معوَّدَةَ الحَبْس » ومفعول « لم نَسْرَح » محذوف ، أى لم نَسْرَحْها .

وقوله « على حُكْمه » تعلّق بحبَسْنا . وانتصب « صبراً » على أنه مصدر من غير لفظه ، لأنّ معنى حبَسْنا وصبَرْنا واحدٌ . وتقدير البيت : حبَسْنا على حُكْم هذا المختبِط العافى أو النَّسيب إبلاً جُعِلَ من عادتها الحبسُ بالفِناء صَبْراً ، ولم نُخْرِجْها إلى المرعَى لئلا يَجدَ طريقًا إلى لَوْمِنا فيما يقدِّره عندنا . ويجوز أن

(١) التكملة من ل .

ينتصب «صبراً» على أنه مصدرٌ لعلّة، أى لصَبْرِنا على ما نَمُونه ونتحمَّلُه للعُفاة فعلنا ذلك. ويجوز أيضاً أن يكون انتصاُبه على الحال، لأنّ المصادر تقع مَواقع الأحوالِ، أى صابرين على ذلك لهم.

وقوله «فطاف كما طاف المُصَدِّق»، يريد أنّ هذا الطالبَ مكَّنَّاه من إبلنا المحبوسة فى الفِناء فطاف فيها متخيِّرًا منها فى خِيارِها وكرائمها، وإذا كان متخيِّرًا فى بوازِلها وسُدسها وهى أكرمُ الإبل وأقواها، فما دونَها أولى أن يكون مخيَّرًا فيها. وتشبيهُهُ إياه بالمصدِّق وهو طالب الصَّدَقة تحقيقٌ لتحكُّمه وتبسُّطه وتسحُّبه (١). يريد أنّ إدلالَه إدلالُ مَن يستخرج حقًّا واجبًا لله تعالى.

وقوله «يخيِّر منها»، إعرابه نصبٌ فى موضع الحال مِن طاف الأوّل. ومعنى يخيَّرُ، يُجعل له الاختيارُ منها. وهذا تحكُّمٌ ثان سِوَى ما سوَّغَتْه نفسُه بإدلاله.

٧٣٧

وقال عامر بن حَوْطٍ، من بنى عامر (٢):

١ ـ ولقد عَلِمْتُ لتَأْتِيَنَّ عَشِيَّةٌ ... ما بعدَها خوفٌ عَلَيَّ ولا عَدَمْ

٢ ـ وأَزُورُ بيتَ الحقِّ زَورَةَ ماكِثٍ ... فعلامَ أَحفِلُ ما تَقَوَّضَ وانهَدَمْ

٣ ـ فَلأَتْرُكَنَّ السَّامِلينَ حِياضَهُم ... ولأَحْبِسَنَّ عَلَى مكارِمِ النَّعَمْ (٣)

قوله: «ولقد علمت» يَجرِى على القسَم، ولذلك أجابه بلتأتينّ. ويعنى بالعشيّة آخر النهار من يوم موته. فيقول: تيقّنْتُ والله أنه يأتى علىَّ عشيّةٌ من

(١) تسحب عليه تسحباً: أدل عليه إدلالا. وهو يتسحب عليه، أى تتدلل.

(٢) التبريزى: «من بنى عامر بن عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة».

(٣) التبريزى: «ولأتركن للساملين» ثم قال: «ويروى: فلأتركن الساملين».

يومٍ قد تخليت فيه من الدُّنيا وانقطعت الأسبابُ بيني وبينها ، فلا أكونُ من الفَقْر على رِقْبة . ولا من حوادث الدَّهر على خِيفةٍ ، وأزور القبرَ الذى هو «بيتُ الحقّ» وأضاف البيت إلى الحقّ لأنّه لا سُكْنَى بَعْدَه ، فكأنَّه الموضع لذى يُؤوِي إليه الحقُّ ويُفضِي إليه مَن أنزلَهُ الموتُ نازلاً من دار إلى دار . وقوله « زَورةَ ما كث » أى أزورُه زيارةَ المُتَيم المنتظر لذى لا عجلةَ به ، فلماذا أُبالِى بما تقوَّض منه أو انهدم . والمعنى أنّ تدبيرَ أمرِه يصير إلى غيره فلا يهمّ لمأواهُ اهتمامَه له أيَّامَ حياته . ويقال : أحْفِل كذا ، ولا أَحْفِلُ بكذا . و « عَلَام » ما فى الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجر يحذَف الألف من آخره . وقد مضى مثلُه مشروحاً أمره(١) . وهذا الاستفهام هو على طريق الإنكار ، أى لم أحْفِل . والأحولُ فى كونِ البيت عامراً أو غامرا تَتساوَى عِندى .

وقوله « فلأترُكَنَّ الساملين حِياضَهم » السَّامل : المُصلِح . والمعنى : إنِّى أرفضُ حالَ مَن همَّته مقصورةٌ على تثمير ماله ، وعِمارة حياضه ، والفِكر فى مَوارِدِ إبلِه ومصادِرها . ومن سَمْل الحَوض سُمِّى الماء الذى يَبقَى فى أسفلِ الحَوض السَّمَلة . قال :

مغوثةٌ أعْرَاضُهُمْ مُمَرْطَلَهْ   فى كلِّ ماءِ آجِنٍ وسَمَلَهْ

والمراد : أهجُرُ مَن هذا همَّتُه من عَيشه وأحْبِسُ نَعَمِى على عِمارة المكَارم وتفقُّدِ ما تَشيَّدَ لى من المعالى . والنَّعَم يقع على الأزواج الثَّمانية ، والغالب عليه الإبل ، وهو مذكّر ، يقال: هذا نَعَم وارد . وحَبْسُه على المكَارم هو أن يَصرِف منافعه إلى المستحقِّين من الوُرَّاد والزوَّار ، مقصورةً عليهم ومشغولةً بهم .

(١) انظر ما مضى فى ص ٦٣ .

٧٣٨

وقال زيد بن حُصَيْن (١) :

١ ـ أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابنةَ مُنْذِرِ ونامِي فإن لم تَشْتَهِي النَّوْمَ فاسْهَرِي

٢ ـ أَلم تَعْلَمِي أَنِّي إذَا الدَّهْرُ مَسَّنِي بنائبـــةٍ زَلَّتْ ولم أَتَتَرْتَرِ

يخاطب لائمةً له تَبرَّمَ بلومها فقال : قَلِّلي من لومك عليَّ ونامى عنِّي ، فإنْ تعذَّر النَّوْمُ عليك ضجراً (٢) بالحالة التي تجمعنا فاسهرى ، فليس لك من عَتْبِكِ ما يَرُدُّ نَفْعاً عليَّ ولا عليك . ثم أخذَ يقرِّرها على قلّة احتفالِهِ بما يأتى به الدَّهر ، فقال : أمَا علمتِ أنَّ الزمان إذا مَسَّنِي بحَدَثانه ذهَبَ عنِّي ولم أَتردَّد في حَيرته ، ولم أَتنكَّسْ في لواحق شَرِّه ونوائبه ، بل أَمضِي قُدُماً على ما يمسُّنى منه ويخُصُّنى ، راضياً بما يُقْسَم لى من عَفْوِه ، وملازماً ما يَعرِض منه عند جَهْدِه .

وقوله « زَلَّت » استعارة حسنة . كأنَّ صبرَه على الشِّدة ، وثباتَه في وجه المحْنَة ، تُزِلُّ النُّوَب عنه كما يُزِلُّ الماءُ الدَّنسُ عن الصُّخور ، ويقال : قِدْحٌ زَلُول ، كما للشَّيء السريع الدَّوران : دَرُور . والتَّتَرْتُر : العَجَلة ، فكأنَّ المراد : زَلّتِ النائبةُ ولم تستخفَّني فكنتُ أَعجَلُ أو أَتحوَّلُ عمَّا كنتُ عليه .

٣ ـ يُرانِى العَدُوُّ بَعْدَ غِبِّ لقائِهِ خَلِيًّا نَعِيمَ البالِ لم أَتغـــيَّرِ

يقول : وإذا قاسيتُ من العدوِّ مضارَّة ومناكدة فيما يتجاذبه ومجاحشة ، يرانى بعد يوم لقائه بيومٍ وكأنَّه ما مسَّنِي أذًى ، ولا نالني مكروه لأنَّه يجدُني خليًّا منعم البال ، لم أتغيَّرْ عمَّا عُهِدت عليه قبلَ الامتحان به ، ولم أتبذَّل . وقوله « نعيم البال » هو من الصِّوالِّ التى وُجِدَت الآن ، وذاك لأنَّ فعيلًا في معنى

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٨٠ ص ٥٥٧ .

(٢) في الأصل : « منجزاً » ، صوابه في ل .

مُفْعَلٍ معدود محصور ، وقد ذكرته فى غير هذا الموضع وتقصَّيته . ونعيم البال من ذلك ، يقال : أنعمَ اللهُ بالَك ، وبالٌ مُنْعَمٌ ونَعيم . ولا يمتنع أن يكون نَعيمٌ فعيلا من نَعِمُ أو نَعِمَ عيشُه ، وأكثر ما يُستعمل مصدرًا . يقول : هو فى نعيمٍ لا يزول ، وإذا كان كذلك فهو غريبٌ إنْ جعلْته اسمَ الفاعل ، كقَدُم فهو قديم أو حَزِن فهو حزين ؛ أو فعيلًا فى معنى مُفْعَلٍ ، كفرسٍ حَبيس ومُحْبَس ، وبابٍ تَريص ومُتْرَص . وانتصب «خليًّا» على الحال من يَرانى ، وهو الذى لا همَّ له . وفى المَثَل : « وَيْلٌ للشجىِّ من الخلِىّ » وقد يكون فى غير هذا المكان المُخَلَّى .

٤ – وراكِدَةٍ عَتْبَى طويلٍ صيامُها قَسَمْتُ على ضوءٍ مِنَ النَّار مُبْصِرِ (١)

٥ – طُرُوقًا فلم أُفْحِشْ وقَسَّمتُ لحْمَها إذا اجتَنَبَ العافُونَ نارَ المذَوَّرِ

يعنى بالرَّاكدة قِدرًا لانتصابها وبقائها على الأثافىّ . ويقال : ماء راكد ، أى ساكن . وجعلها «عَتْبَى» لغَلَيانها كأنها تَعتِب وتشكو . وهذا مِن عَتَب عليه من المَوجِدة . يقال : عَتَبْتُ عليه فأعتَبَ . ويروى : « غَيْرَى » فيكون من الغَيْرة ، لأنَّ صاحبها يحتدّ ، فشبَّه غليانَها بغَلَيان الغَيْرَى . وفى الحديث : « رُدُّونى إلى أهلِي غَيرَى نغرة (٢) » . والصِّيام : القيام . ووصفه بالطُّول ، فقال : « طويل صيامُها » لكبرها . كأنه لا تُنْزَلَ قريبًا إذا نُصِبَتْ .

وقوله « قَسَمتُ على ضوءٍ من النار مُبصِرٍ » ، جعل الضوء مبصِرًا لمَّا كان الإبصار فيه ، على ذلك قولُه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبصِرَةً ﴾ . وجعلَ قِسْمَةَ القِدْر وهو يريد قِسمة مَرَقِها وما احتوَتْ عليه ليلًا ، وبضَوءٍ من النَّار ، لشدَّة الزَّمان ، وتناهِى البرد ولأنَّه وقتُ طروق الضِّيف . وقوله « لم أُفْحِش »

(١) التبريزى : « وراكدة » . ثم قال : « ويروى : عتبى ، وغضبى . وجعلها عتبى لغليانها . ويروى : غيرى ، فيكون من الغيرة . شبه غليانها بغليان الغيرى » .

(٢) انظر لهذا الحديث اللسان (نغر) .

أى لم آتِ بفُحشٍ لا فعلاً ولا قولا ، ولم أقترفْ مايقبُح من الذِّكر ويُستنكَر في السَّمع . وقوله « إذا اجتنب العافُون » ظرفٌ لقوله لم أُفحِش ، و « طُروقا » ظرف لَقَسمتُ على ضوءٍ ، ويكون تقدير البيتين : وراكدةٍ طويلةِ القيام قسمتُ مَرقَها ظلاماً وقتَ طُرُوق العُفاةِ والأضياف ، وبدَّدتُ لحمَها ، ولم آتِ بفَحْشاءَ ، في وقتٍ يتسرَّع الضَّجَرُ مِن كثرة الوُرّاد وازدحام الأشغال إلى مَنْ كان سيِّئَ الخُلُق ، سريعَ التغيُّر ، حتَّى اجتُنِب نارُه ، وزُهِد في ضيافته . وجعَل لنفسه قِسمَين كان أحدُهما للمَرق على الثُّرُدِ ، والثّاني لِقَدَر اللَّحم . وعلى الأوّل قول الآخر : * وَسِّعْ بمَدِّكَ ماءَ اللّحمِ تَقْسِمُهُ[(١)]

٧٣٩

وقال الهُذَيلُ بن مَشْجَعَةَ البَوْلانيّ :

١ ـ إنّي وإنْ كانَ ابنُ عَمِّيَ غائباً لَمُقاذِفٌ مِنْ خَلْفِهِ ووَرائِهِ

٢ ـ ومُفِيدُهُ نَصْرِي وإنْ كان امْرأً مُتَزَحْزِحاً في أرْضِهِ وسَمائِهِ

يصف كَرَم محافظته وحُسنَ نِيابَتِه عَن غُيَّاب أهلِهِ وذَويه ، فيقول : إنّى لَمُدافِعٌ مُرامٍ دونَ ابنِ عمِّى إذا غابَ عنِّى . فأذُبُّ مِن قُدّامِه وخَلْفِه . والمعنى : أنِّي أُقاتلُ دونَه كنتُ هادياً له وقد تخلَّفَ عنِّي ، أو حادياً له وقد تقدَّمَنى . فقوله « من ورائه » ، من البيِّن الظَّاهر أنَّه بمعنى القُدَّام ، وقد ذكر معه خَلْف واشتقاقه من المُواراةِ وهى المُساترة ، ولذلك صَلَح وقوعُه موقع الخلف والقُدَّام . وفى القرآن : ﴿وكانَ وَراءهُمْ مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سَفينةٍ غَصْبًا﴾ . وموضع « من خلفه » نصبٌ على الحال أى متخلِّفاً أو متقدِّما .

وقوله « ومُفيدُه نصرى » أى لا أُمْسِك عن معونته وإن تباعد عنِّى فى

---

(١) البيت الأول من الحماسية ٧٤٥ . وعجزه :

* وأكثر الشوب ان لم يكثر اللبن *

أرضِهِ وسمائه . والمعنى : أنِّى بظهر الغَيب لا أخذُله وإنْ اشتغل عنِّى بمصارف حياته فى بلاده وأوطانه . وعطَفَ على أرضه السماء تأكيداً لتنائيه عنه ، واشتغاله دُونَه بمباغيه ، كأنَّه لمَّا جعل له أرضاً مباينةً لأرضه ، جعل لأرضه سماءً مُباينةً لسماء أرضه . ولا يمتنع أن يكون جعَلَ ذلك مثَلاً لاختلاف أحواله ، كما يقال نَفَضْتُ تهائمَ فلانٍ ونُجودَه . والمعنى : جرَّبْته وكشفتُ عن أحواله . وعلى هذا قولهم : خَبَرْتُ ضُحَى فلانٍ ودُجاهُ ، والمعنى سِرَّه وإعلانه .

٣ ـ ومَتَى أجِئْه فى الشَّدِيدة مُرْمِلًا أُلْقِ الَّذى فى مِزْوَدِى لوِعائِه(١)

٤ ـ وإذا تتبَّعَتِ الجَلَائف مالَنَا خُلِطَتْ صحيحَتُنا إلى جَرْبائه(٢)

يقول : ومتى زرتُه فى شَدائد الزمان فوجدته منقطعاً به لم أحوجْه إلى السُّؤال وبَذْلِ الوجه ، واستحمال المَفاقِر عنه ، لكن ألقيتُ فى وعائه ما كان فى مِزْوَدى . أى أرُمُّ حالَه فى السِّرِّ من غير أن يلحقه خجَل ، أو يمسَّه تعب .

وقوله « وإذا تتبعّت الجلائف » يقول : وإذا تعاونت الآفاتُ والسِّنونَ على أموالنا ، وتتابعت الأزَمات معترضةً فى أحوالنا ، فقشَّرتْها ولحَتْها ، وأثَّرتْ بالسُّوءى فيها ، خُلِطَ ما سَلِم من مالنا بالمَعيب من ماله . وذِكر الصَّحيحة والجرباء مَثَل . والمعنى : أصلَحْنا فاسد حاله بصالح حالنا ، وتحمّلْنا أوزارَ الأيَّام السيِّئة عنه بما خَفَّ من ظُهورنا . والجلائف : جمع جَليفة ، وهى الأعوام المُجْدِبة وأصل الجَلْف القَشْر . يقال : جَلفْتُ الدَّنَّ ، إذا قشرتَ الطِّين عنه .

٥ ـ وإذا أتَى من وِجْهَةٍ بطريفةٍ لم أطَّلِعْ ممّا وراءَ خِبائه

(١) التبريزى : « فى الشدائد » . التبريزى : « ويروى بوعائه، أى مع وعائه ، ولوعائه أى إلى وعائه » . وفى هامش ل : « خ : بوعائه » . إشارة إلى أنه كذلك فى نسخة .

(٢) التبريزى : « يروى : الجلائف والخلائف . قال أبو العلاء : إذا رويت الخلائف بالخاء فهو جمع خليفة . . . وإذا رويت الجلائف بالجيم فهو جمع جليفة » . وفى هامش ل : « خ : ماله » .

يروى : « من وَجْهِهِ » والمعنى من حيث ما توجَّه له كاسباً المال . وقوله « من وِجهة » وهو اسمٌ وليس بمصدر ، ولذلك سلم فاؤه . والمصدر الجِهَة ، أُعِلَّ كما أُعلّ فعله ، على ذلك العِدَة والزِّنَة ، والوِعْدة والوِزنة إذا بنَيْتَ اسماً .

والطَّريفة ، أراد ما استُطرِف من المال واستحدِثَ ، لكن القصدَ هنا إلى ما يُسْتحسن من الأعراض ، لكونه طُرْفَةً . وقوله : « لم أطَّلِعْ مما وراءَ خِبائه » أى لم أتعرَّضْ له تعرُّض المتتبِّع لحاله ، المتطلِّع على سَرائر أمره . ووراءَ هاهنا بمعنى خلف . ويجوز أن يكون المعنى : لم أَعْرِضْ نفسى عليه متعرِّفاً ما جاء به ليُشْرِكَنِى فى طُرَفه ويَجعلنى إسوةَ نفسه .

٦ ـ وإذا اكتَسَى ثوباً جميلا لم أقُلْ يا لَيْتَ أنَّ عَلَىَّ حُسْنَ رِدائه

يصف طِيبَ نَفسِه بما يناله صاحبُه من الخير ، وينفرد به من زيادةِ تجمُّل ، أو ظهور أثرِ نعمة ، وقلَّة حسده له ، وأنّه لا يشتمل صدرُه فيه على غِلّ ، ولا ينطوى قلبُه [له[1]] على مكنونِ حقدٍ لما يَرَى به من ظُهورِ غِنًى ، واتِّساعِ أمر ، حتَّى يتمنَّى مكانتَه ، ويختار الاستبدادَ بما أُوتيَه ، أو مشاركَته فيه .

وقوله « ياليت » المنادى محذوف ، وموضع ياليت نصبٌ على أنه مفعول لم أقُل ، كأنه قال : لم أقل يا ناسُ ، ليتَ أنَّ علىَّ رداءه الحسَنَ .

٧٤٠

وقال حسَّان بنُ حَنْظَلة[2] :

١ ـ تلْكَ ابنةُ العَدَوىِّ قالَتْ باطلًا أَزْرَى بقَومِكَ قِلَّةُ الأمـــوالِ

٢ ـ إنَّا لعَمْرُ أبيكِ يَحْمَدُ ضَيْفُنا ويَسُود مُقْــــتِرُنا على الإقلال

(١) هذه من ل .

(٢) التبريزى : « حسان بن حنظلة بن أبى رهم بن حسان بن حية بن شعبة الطائى » .

انتصب « باطلا » على أنه مفعول قالت . ومن شرط القول أن يحكى ما بعده إذا كان جملة ، تقول : قال زيدٌ عمرٌو خارج . فإنْ كان ما بعده معنى جملة ولم يكن جملةً كاملة انتصبَ على أن يكون مفعولَهُ ، كقولك قال زيد حقًّا وقال كِذْبا وصِدقا . وموضع قوله « أزْرَى بقومِكَ قلَّةُ الأموال » نصبٌ على البدل من قوله باطلا . ويجوز أن ينتصب باطلًا على أنّه صفةٌ لمصدر محذوف ، كأنّه قال قالت قولًا باطلا ، ويكون أزْرَى بقومك فى موضع المفعول لقالتْ وقد حكاه لكونه جملة . وقوله « قالت باطلا » رَفْعٌ على أنَّ خبر المبتدإ ، وابنة العَدَوىّ ارتفعَ على أنه عطف البيانِ لتلك .

ومعنى البيت : قالت ابنة العَدوىّ زُوراً من القول وباطلًا : لقد قصَّر بقومك فقرُهم وَقلَّةُ مالِهم وَإعراضُ الدُّنيا عنهم ! فأجبتها بقولى : إنَّا لعمر أبيك يحمَدُنا الضَّيفُ ، ويشكرُنا الزَّائر والمجتاز . وَالمعنى : ليس الاعتبارُ بكثرة المال واتِّساع الحال ، فإنَّا وحقِّ أبيك يَحمَدُنا ضيوفُنا إذا نزَلُوا بنا فينصرفون مادِحينَ لنا ، وترى مُقِلَّنا ينال السِّيادةَ على إقلاله ، ولا يؤخِّره ذلك عن رتبة أمثاله . وحذف من قوله « إنَّا لعمر أبيك » فأجبتها أو قلتُ لها . ومثل هذا يُحذَف فى الكلام كثيراً . على ذلك قولُ الله عزّ وجل : ﴿ وأمَّا الَّذين اسودَّت وُجوهُهمْ أكفرْتُم بعْدَ إيمانكم ﴾ ، أى يقال لهم : أكفرتُم بعد إيمانكم .

٣ ـ غَضِبَتْ عَلَيَّ أن اتَّصَلْتُ بِطَيِّىءٍ وأنَا امرؤٌ من طَيِّء الأجْبالِ

٤ ـ وأنَا امرؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةَ منصِبِى وبنو جُوَيْنٍ ، فاسألِى ، أخْوَالى

يقول : أنكرَت منِّى هذه المرأةُ انتسابى إلى طَيِّىء ، وتأثُّلى فيهم ، واعتزائى إليهم ، وتَغَضَّبَتْ لتجرُّنِى إلى تميم وتُحَوِّلَنى فيهم ، وذلك بعيدٌ لا يقع فى الوَهْم كونُه ، ولا يُستَجاز حصولُه ، وذلك أنِّى رجلٌ من طيِّئٍ خرجتُ ، وفى عُشِّها

درجت ، وعلى طرائقهم وشِيَمِهم تخرَّجت إذْ كانوا الأصلَ الذى منه تفرَّعت ، وعليهم إذا ذُكِرَت المناسِبُ نَسبِي أُدرتْ . وقوله « وأنا امرؤٌ مِن آلِ حيَّةَ مَنصِبِى » ، ذَكر طرفَيْه فزَعَم أنَّ آلَ حيَّةَ عمومتُه التى تُؤْويه ، وأنَّ بنى جُوَيْنٍ خُؤولته التى تُدْنيه ، والقصد إلى مُرَاغمةِ تلكَ وتشهير نفسِه بما تُنكِرُه منه . وقوله « من طيِّءِ الأجبال » يعنى سَلْمَى وأجأ . وهذه الإضافة على طريق التَّخصيص والتَّبيين ، وذلك لأنَّ طيِّئًا فرقتان : فرقةٌ تنزِل السُّفلَ[1] من جبالهم ، وفرقةٌ تنزل العِلْو . وقوله « منصبى » يجوز أن يكون مبتدأً ومن آل حيَّةَ خبره ، والجملة فى موضع الصفة لامرىء ، ويجوز أن يكون « من آل حيَّة » فى موضع الصِّفة ، ومنصبى فى موضع الرَّفع على البدل من امرُؤٌ ، كأنَّه قال : أنا مَنصِبى من آل حيَّة . وقوله « فاسألى » [اعتراض[2]] ، وقد توسط المبتدأ والخبر ، ومفعولُه محذوف .

٥ ــ وإذا دَعَوتُ بَنِى جَدِيلَةَ جاءنى مُرْدٌ على جُرْدِ المُتونِ طِوَالْ

٦ ــ أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزَانَةً ويَزِيدُ جاهِلُنا على الجُهَّالِ

بنو جَدِيلة : من طيِّء . أراد أن يبيِّن أنَّه كما يَعتزِى إليهم يَقبَلونه ويتبجَّحون بكونه منهم وينصرونه ، فمتى استغاث بهم واستعانهم على دهرِه أو عدوِّه أعانه رجالٌ مُرْدٌ ، على خيل جُرْدٍ ، وانتقموا له وانتصَفُوا من أعدائه .

وقوله « أحلامنا تزن الجبال » ، مَدَحَ نفسَه وقبيلتَه ، والمراد أنَّهم مِن الوَقار والسُّكون والرَّزانةِ والهُدُوّ فى المنزل الأعلى ، والمكان الأقصى ، لا يَتحلحلون للنَّوائب ، ولا يتضعضَعُون للشَّدائد . هذا ما لم يُحْرَجُوا أو يُحْوَجُوا ، فإنْ استُجهِلوا من بَعْدُ ، واستُجِرُّوا إلى الشَّرّ ، وُجِدَ جاهلُهم يزيد على الجُهَّال

(١) فى الأصل : « الشعب » ، صوابه فى ل والتبريزى .
(٢) التكملة من ل .

قهراً وتأبياً واشتطاطاً فى الحكم وتصعُّباً . وإنما افتخر بأنّ حِلمَهم موجودٌ ثابت سالم يُسَامُوا خَسْفاً ، فإنْ عُدِلَ بهم عن طريق النَّصَفَة وأُرُوا فى معاملتهم عَسْفاً ، كان جهلُهم مُعَدًّا ، وزائداً على كلِّ ما يُقدَّر فيُعَدّ عدًّا .

وقوله « تَزِنُ الجبالَ رزَانةً » الوزنُ : مثقالُ كلِّ شىء ، ثم كَثُر حتّى قيل : [هو[١]] راجح الوَزْن ، أى راجح الرَّأى والعقل ، وهو يَزِن كذا ، أى هو على وَزْنه ؛ وهو أوزَن قومِه ، أى هو أرجَحُهم وأوْجَهُهم .

٧٤١

وقال إياس بن الأَرت[٢] :

١ — إنِّى لَقوَّالٌ لِعَافِىَّ مَرْحَبًا ... ولِلطَّالِبِ المعروفِ إنَّكَ وَاجِدُه[٣]

٢ — وَإنِّى لَمِمَّا أبسُطُ الكَفَّ بالنَّدَى ... إذَا شَنِجَتْ كفُّ البَخِيلِ وسَاعِدُه[٤]

قوله « عافىّ » أصله عافوِى[٥] ، لكن الواو والياء إذا اجتمعا فأيُّهما سبَقَ الآخَر بالسكون يُقلَبُ الواو ياءً ، ثم يدغم الأوّل فى الثانى ، وكُسِر الفاء لمجاورته الياء . وانتصب « مرحبا » على المصدر ، وقد وقع وهو يَجرِى مجرى الجُمَل لمكان العامِل فيه معه مَوقِعِ المفعول من قوله قوّال . وانعطف عليه قوله « وللطالب المعروف إنك واجِدُه » كأنَّه قال : وقوّالٌ للطَّالب المعروف إنَّك واجدُه . فقوله إنَّك واجِدُه واقعٌ فى مثل قوله مَرْحبا . والمعنى أنَّ العُفاةَ وطلّاب العُرْف إذا نَزَلوا بى تلقَّيتُهم بالترحيب والإكرام ، وتلطيف القَول فى الإنزال ، وأقول : إنكم تجِدُون ما تطلبون ، لا مَنْعَ ولا حِرْمان ، ولا دِفاع ولا مِطال ؛ لأنِّى إذا

(١) التكملة من ل .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٣٥٧ ص ١٠٢٨ .

(٣) كذا بالجزم فى النسختين . وعند التبريزى : « وإنى لقوال » .

(٤) فى حاشية ل : « خ : لمن » .

(٥) هذا التقدير قبل حذف النون للاضافة . وعند التبريزى : « عافوى » بالحذف .

تقبَّضت أكفُّ البُخلاء لم تنبسط وقصُرت سواعدُهم عن الامتداد في البَذل فلم تطُل، تندَّيتُ وطالت على أكفِّ السُّؤَّال كفِّي فبسطت، لأنَّ معروفي دارٌ وخيري مَبْذول. وقوله: «لِمَّا أبسُط الكفَّ» أي لَمِن الأمر أنِّي أبسُطُ الكفَّ بالنَّدَى، فـ«أبسُطُ» شرَحَ المبهمَ بلفظة ما. و«إذا شَنِجت» ظرفٌ لأبسُط، ويشير إلى زمان السَّوء، وشمول المَحْل، وظُهور البُخْل.

٣ ـ لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي أُمامَةُ أنَّها ثِنًى مِنْ خَيَالٍ ما أزالُ أُعاوِدُهْ

٤ ـ نَشقَّتْ على صَحْبِي وعَنَّتْ رِكابِي وَرَدَّتْ على اللَّيلَ قِرْناً أُكابِدُهْ(١)

لعمرك: مبتدأ وخبره محذوف، وقد مضى القول فيه فيما تقدَّم. فيقول: وبقائك، ما تعلم هذه المرأة أنّ خيالَها يأتيني ثِنًى، أي مرةً بعد أخرى. وفي الحديث: «لا ثِنَي في الصَّدقة»، أي لا تؤخذ في السنة مرتين. وقوله «ما أزال أعاوده» يريد أنِّي ممتحَنٌ بمجيئها، لأنها تُراجعُني فتصرِفُني عن أسبابي، وتَعُوقني عن مُهمَّاتي. والمعنى أنَّها غافلةٌ عما أُكابِدُه من خيالها في المنام، ومن ملازمة ذكرها لي عند الانتباه، لأنَّها لا تجِدُ مثل وجدي، فلا الذِّكرُ يهيِّج الشَّوق، ولا الفكر يجدِّد الطَّيف. وهذا الكلامُ تشكٍّ منه وتعتُّبٌ على صاحبته، يدلُّ عليه قوله «نَشقَّت على صَحْبي» يعني الخيل؛ وذاك لأنَّه لمَّا سَهِر بعَثَ أصحابَه على النُّهوض معه(٢) والانبعاث في السَّير مساعِدِين له، فهذا معنى الشَّقَّة عليه. وقوله «وعنَّت ركابي» جمع رَكُوبة. وهي تجري مَجرى الأسماء في انفرادها عن الموصوف، لا يقال ناقة ركوبة. والمعنى: أتعبْتُ رواحلي، لأنِّي أزعجْتُها للسَّير، وبعثْتُها من القرار، وحُلْت بينها وبين الرَّاحة. وقوله «ورَدَّت علَيّ اللَّيلَ قِرناً أُكابِده» أي جعلتني ممتطياً للّيل،

(١) التبريزي: «فشقت على ركبي».
(٢) في الأصل: «معهم»، صوابه في ل.

ومُتّخذاً قِرْناً لى أُزاوِلُه وأُجاذِبه، أى أشاقُّه. وأُناصِبُه. وأصله من الكَبَد، فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى كَبَدٍ﴾، أى فى شدّة ومشاقّة. وقال الخليل: يقال كابدت ظلمةَ الليل بكَابِدٍ شديد، أى مُكابَدَة شديدة. وكلُّ هذا الكلام تبجُّح منه عندَها بأنّها تمالكه على غَفَلاتها عنه، وانفراده بالبثِّ فيها فخَيالُها يصرِّفه التَّصريفَ الذى وصف. وانتصب «قرنا» على الحال.

٧٤٢

آخر:

١ – أَثْنِى عَلَىَّ بما لا تُكَذَّبِينَ به يا بَكْرُ أَىُّ فَتًى للضَّيفِ والجارِ (١)

٢ – إنِّى أُجاوِرُ ماجاوَرْتُ فى حَسَبِى ولا أُفارِقُ إلاَّ طَيِّبَ الدّارِ

قوله «لا تُكَذَّبِينَ به» أى لا تُصادفين بذكره كاذبةً. يقال: خبّرنى فلانٌ فأكْذبته، أى وجدته كاذبا. والمعنى: ليكن ثناؤك علىَّ حقًّا؛ وبما لا يَستنكرُه سامعُه ولا يستنكره مُخبَرُه. ثم علّمها فقال: قُولِى يا بَكْرُ، أىَّ فتى كنتَ للجار إذا استجار، والضَّيف إذا استضافَ.

وقوله «إنى أجاوِرُ ما جاوَرْتُ فى حسبى»، يريد أنَّ من صاحَبْتُه مجاوِرًا له يَجِدُنى حسيباً فى فَعالى، كريماً عند مَقالى. هذا مدّةَ الجوار، ثم إنْ فارقتُه فارقتُه والدار تنطِقُ بالثّناء علىَّ، فأخبارى تُستطاب فى السَّماع إذا غبْتُ، كما أنَّ أخلاقى تُستَماح إذا شهِدْتُ. وفى هذه الطريقة قولُ الآخر:

إذا كنتَ فى دَارٍ فحاولتَ تَركَها فَدَعْهَا وفيها إن رَجَعْتَ مَعادُ

وقوله «فى حَسَبى» أى مع حسبى، فموضعه نصبٌ على الحال. وإذا جاورَ ومعه حسَبُه منَعَه ممَّا لا يَحسن. ألا ترى قوله تعالى فى صفةِ المؤمنين: ﴿وإذَا

(١) التبريزى: «ياطيب أى فتى»، ثم قال: «ويروى: يا بكر».

مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ ، أى الكرمُ مَنَعَهم من التعريج على اللَّغو . ويقال : جاءنا فلان في دِرْعٍ ، أي عليه [1] دِرْعٌ والعامل في موضع « في حسبي » أجاور ، وكذلك قوله « إلاّ طيِّب الدار » انتصَبَ على الحال ، والعامل فيه لا أفارق . وقوله « أيُّ فتًى » مبتدأ وخبره مضمر ، كأنَّه قال : أيُّ فتى أنت ؟ وقد جعل الطَّيبَ كناية عن الكريم ؛ على ذلك قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا ﴾ . أي كَرُمتُم .

٧٤٣

وقال آخر :

١ ــ كَمْ مِنْ لَئِيمٍ رَأَيْنَا كَانَ ذَا إِبِلٍ   فَأَصْبَحَ اليَوْمَ لَا مُعْطٍ وَلَا قَارِ [2]

٢ ــ وَلَوْ يَكُونُ عَلَى الحُدَّادِ يَمْلِكُهُ   لَمْ يَسْقِ ذَا غُلَّةٍ مِنْ مَائِهِ الجَارِي [3]

كم موضعه نصبٌ على المفعول من رأينا . يريد : رأينا كثيراً من اللِّئام يملكون نفائسَ الأموال وكرامَها ، ثم ماتوا عنها أو أُزِيلَتْ نِعَمُهم وحِيلَ بينهم وبينَها ، فصاروا مِنْ بَعْدُ لا هُمْ مُعطُونَ ولاقارُونَ ، أي عادوا وقد تغيَّرَتْ حالُهم ، فلا يُرجَى ذلك من جهتهم . وقوله « فأصبح اليومَ » و « كان ذا إبل » ، كلّ ذلك مردودٌ على لفظ لئيم ، وإن كان من حَيْثُ المعنى يُفِيدُ الكثرة .

---

(١) ل : « أي وعليه » .

(٢) ابن جنى في التنبيه : « لك في معط وقار أمران : إن شئت كانا في موضع نصب ، أراد لا معطيا ولا قاريا ، إلا أنه أجرى المنصوب مجرى المجرور والمرفوع تشبيهاً للياء بالألف كقوله :

﴿ يادار هند عفت إلا أثافيها ﴾

وقوله :

﴿ كأن أيديهن بالقاع القرق ﴾

وقوله : سوى مساحيهن تقطيط الحقق   تقليل ماقارعن من سمر الطرق

وإن شئت كان على : فأصبح اليوم لا هو معط ولاقار ، كقولهم في الصفة :

وتريك وجهاً كالصحيفة لا   ظمآن مختلج ولا جهم »

(٣) الحداد بضم الحاء المهملة ، ويروى أيضاً بضم الجيم المعجمة كما ذكر ياقوت . وأنشد البيت .

وقوله « ولو يكون على الحدَّاد » ، يريد : ولو وُلِّىَ فَيْضَ الحُدَّاد ، وهو اسم بحرٍ ، ممتلكاً له أيَّامَ غِناهُ لمَّا بَرَّدَ غليلَ رجلٍ حَرَّانَ ، ولا سقاهُ ماءً لِفيه ، لبُخْلِه وقسوةِ قلبه . ومعنى « على الحُدَّاد » ، أى متولِّياً له ومدبِّراً أمره ، يقال : مَنْ عليكم ؟ أى مَن يأمرُ عليكم ويليكم . وإذا كان كذلك فقوله على الحدَّاد يتمّ الكلامُ به ، لأنَّه خبر يكون ، ويملكه فى موضع النَّصب على الحال . وقوله « لامُعْطٍ » مُعْطٍ فى موضع خبر المبتدأ كأنه قال : لاهو مُعْطٍ . والكلامُ بعثٌ على البَذْل والسَّخاء ، وأنَّ المالَ فى الدنيا بعَرَضِ الحوادث مُلْقًى ، وعلى طريق النَّوائب ، فلا يَبقَى لمالِكه ، كما أنَّ مالكَه لا يبقى له ، فما يقدِّمه فى اجتلاب شُكرٍ واكتساب أجْرٍ هو الباقى له ، دونَ مايخلِّفه فيقتسمُه الوُرَّاثُ بَعدَه فائزين به ، وذامِّين له .

٧٤٤

وقال حسَّانُ بن ثابت [(١)] :

١ — المَالُ يَغْشَى رِجالًا لا طَبَاخَ لهمْ كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البالى [(٢)]

٢ — أَصُونُ عِرْضِى بمَالى لا أُدنِّسُه لا بارَكَ اللهُ بَعدَ العِرْضِ فى المالِ

٣ — أَحْتَالُ للمالِ إنْ أَوْدَى فأَجْمَعُه ولستُ للعِرضِ إنْ أَوْدَى بمحتَالِ

قوله « لا طَبَاخَ لهم » ، أى لا خير عندهم . ويقال : هذا لحمٌ لا طَبَاخَ له ،

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى الصحابى ، أحد مخضرمى الجاهلية والإسلام ، قالوا عاش فى الجاهلية ستين وفى الإسلام مثلها ، ومات فى خلافة معاوية ، وعمى فى آخر عمره . وهو أحد شعراء الرسول والمنافحين عن الإسلام . وترجمته فى كتب الصحابة والأغانى (٤ : ٢ — ١٧) وابن سلام ٥٢ — ٥٣ والخزانة (١ : ١٠٨ — ١١١) وغيرها .

(٢) التبريزى : « ولا طباخ بهم » ، وطباخ ، ضبطت بفتح الطاء فى النسختين . وفى اللسان : « ووجد بخط الأزهرى : طباخ بضم الطاء . ووجد بخط الإيادى : طباخ بفتح الطاء . على أن الشعر روى أيضاً لحية بن خلف الطائى يخاطب امرأة من بنى شمجى بن جرم ، كما فى اللسان . ولكن القصيدة لحسان بن ثابت طويلة فى ديوانه ص ٣٢٦ — ٣٢٧ .

أي لا دَسَمَ له . وشابٌّ مُطَبَّخٌ ، أَمْلأُ ما يكون شباباً وأرواه . وطَبَّخَ الغُلامُ ، إذا تَرعرَعَ وعَمِل (١) . والدِّنْدِن : المسوَدُّ من الكلإ لقِدَمِه ويُبْسه . والمعنى أنَّ المَرْء لا يُؤْتَى الغِنَى لفضلٍ فيه وغَناءٍ لديه ، وإنما ذلك لمقاديرَ قُدِّرت على (٢) حَسَب ما عرَّفَه الله تعالى جَدُّه ، وهو الذى يُغني ويُقني من مَصالح خلقه . وإذا كانَ كذلك فقد يتفَّق حصولُ المال عندَ من لا يستحقُّه بفضل أُوتيَه ، أو ذِمَامٍ وَجَبَ له ، بل يكون كالسَّيل يمتدُّ من المَذانب والتِّلاعِ حتى يقفَ حاصلا فى أُصول يابسِ الكلإ ومُسْوَدِّه ، فى أنه لا يُنتَفَع به ولا يرُدُّ خيراً على جامِعه ، كما لا ينتفعُ الدِّنْدِنُ البالى بما يَغشَى أصولَه من ماءِ المَطَر . وفى مثل هذا قولُ الرَّاعى :

وخَادَعَ المجْدَ أقوامٌ لهم وَرَقٌ ... راحَ العِضاهُ به والعِرْقُ مَدْخُولُ (٣)

وقد أخذ أبو تمامٍ هذا المعنى فقالَ وأحسَنَ :

لا تُنْكِرى عَطَلَ الكَريمِ من الغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمَكَانِ العالِى

وقوله « أصون عِرْضى بمالى » ، يريد أنِّى أجعلُ المالَ واقيةً لحسبِي ونَسَبِي ، فأصونُه ولا أُدنِّسه بتثميره وتوفيره ، وإن تقلدتُ العارَ له واكتسبتُ الإثمَ الفاحشَ فيه ، فلا بارَكَ الله فى المالِ بعد النَّفس ، لأنَّ المال يُحتاج إليه لتنتفعَ به النَّفس ، ولتتنزَّهَ عن المعايب والمَقاذر بإنفاقه . فأما قوله « بارَكَ » فأصله من اللزُّوم ، ومنه بَرَكَ البعيرُ ، إذا لَزِمَ مكانَه . فمعنى بارَكَ الله فيه : بقَّاه الله . وعلى ذلك قولُ المسلمين : تباركَ الله : أى بَقِيَ ودامَ ، فهو تفاعَلَ فى معنى فَعَلَ لا تكلُّف فيه ، تعالى الله عن ذلك .

(١) كذا فى النسختين . وفى اللسان : « وعقل » .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وعلى » .

(٣) انظر البيت ورواياته فى اللسان ومقاييس اللغة (روح) .

وقوله « أَحْتَالُ المالَ إنْ أَوْدَى فأجمعه » ، يريد أنَّ المالَ إذا استهلكه مُنْفِقُهُ أمكَنَ الاعتياضُ منه ، ونفذَ الاحتيالُ فى جَمْعِهِ وتثميره ، وإذا هَلَكَ العِرضُ فلا طريقَ إلى ردِّه إلى ما كان عليه ، ولا استطاعةَ فى تنقيته من دَرَنِ العار وقد جُعِلَ وقايةً للمال .

٧٤٥

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابىُّ (١) :

١ ــ دَعَوْتُ إليها فِتْيَةً بأكُفِّهِمْ ... من الجَزْرِ فى بَرْدِ الشِّتاءِ كُلُومُ

٢ ــ اذا ما اشتَهَوْا مِنْهَا شِوَاءً سَعَى لَهُمْ ... به هِذْرِيانٌ للكِرامِ خَدُومُ (٢)

٣ ــ فإلَّا أَكُنْ عَيْنَ الجَوادِ فإنَّنى ... على الزّادِ فى الظَّلْماءِ غيرُ شَتِيمِ

٤ ــ وإلَّا أكُنْ عَيْنَ الشُّجاعِ فإنَّنى ... أرُدُّ سِنانَ الرُّمْحِ غَيْرُ سَلِيمِ

« إليها » ، يعنى إلى راحلته . وجعل الفتية مَكاوِمى الأكُفِّ عندما يتولَّونه من قِسمة الجزور وتفصيل أوصالها ، لأنَّهم لا يهتدون إلى المفاصل ، ولم يُزاوِلوا نَحْرَ الإبل وجَزْرَها قبل ذلك . فيقول : جمعتُ على قِسمة ناقتى فتياناً قد تكلَّفوا ما دعوتُهم إليه تكرُّماً ، وإنْ لم يكنْ ذلك من شأنهم ، ولا صار منهم ببالٍ ، لكنَّ شدَّةَ الزَّمانِ ، وتناهِىَ الضُّرِّ فى الجيران وطوائف النَّاس فَرَضَ على أمثالِهم تَجَشُّمَ فِعالِهم ، وحُسْنَ تولِّيه فيهم .

---

(١) هو أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً فى الحيوان (٣ : ٨٤) والبيان (٤ : ٥٤) ، وقص خبراً له مع معاوية فى البيان (٢ : ٧٥) ، كما أنشد لبعض الشعراء مديحاً فيه ، فى الحيوان (٦ : ٣٢٩) . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١ : ٦٨) أنه الذى تكفل بدفن توبة بن الحمير فى أيام مروان بن الحكم .

(٢) إلى هنا تنتهى المقطوعة عند التبريزى ، وفصل بين هذين البيتين وبين تاليهما بقوله : « وقال آخر » . لكن المرزوقى جعلهما جميعاً مقطوعة واحدة على ما فى البيتين الأخيرين من إقواء ظاهر .

وقوله « إذا ما اشتَهَوْا منها شِواءً » ، يريد : وإذا انبسَطوا للتّناوُل وتواضَعوا وأظهَروا في المعاوَنة اهتزازَهم ونَشَطوا ، سَعَى في اتّخاذ الشِّواء لهم وتَهيئَته رجلٌ خفيفُ السّعْي ، كثيرُ الألطاف ، حَسَنُ الخدمةِ للكرام ، عارفٌ برُسومهم في اكتساب المَكرُمات . ويعني به نفسَه .

وقوله : « فإلّا أكُنْ عَيْنَ الجَوَاد » ، يريد إنْ لم أكنْ كلَّ الجَواد والجامعَ لأسبابِ السَّخاء ، فإنّني لا أُشتَمُ في الظّماء بعلّة الزاد وحَبْسه عن مريدِه ؛ وإنْ لم أكنْ حَقَّ الشُّجاع ، والتّامَّ الآلات في المِصَاع[1] ، فإنّي أُجِرُّ الرُّمحَ في المطعونِ وأرُدُّ سِنانَه كسيراً . وليس الجودُ ولا الشّجاعةُ إلا ما ذكَره . ولكنّه أراد أن تكون دعواه قاصرةً عن الغاية المرموقة ، ليكونَ أحسَنَ في الأُحدوثة ، وأدخَلَ في العقل ، وأقرَبَ في الذِّكْر . وقد مرَّ القولُ في مثله في باب الحماسة أشبَعَ من هذا .

والهِذْريان والهَيْذارُ : الكثير الكلام فيما يُحمَد . والهَذِرُ والمِهْذار الكثير الكلام في كلِّ باب .

٧٤٦

وقال آخر :

١ — وَسِّعْ بمَدِّكَ ماءَ اللّحْمِ تَقسِمُهُ ... وأكْثِرِ الشَّوْبَ إنْ لم يَكثُرِ اللَّبَنُ

٢ — وسِّعْ به وتَلَفَّتْ حَوْلَ حاضِرِه ... إنَّ الكَريمَ الذي لم يُخْلِهِ الفَطَنُ

قوله « بمَدِّك مصدر مددت القدرَ ، إذا أكثرتَ مرقَها . ويقال : مددتُ الدَّواةَ أيضاً ، إذا أكثرتَ ماءها . وأمدَدْتُ الجيشَ ، إذا أتبَعتَه بمَددٍ يكثِّره ويقوّيه ، فيقول : كثِّر مرَق قِدرك ليتّسع لغاشيتها ، وأكثِر خَلْطَ اللّبن إن لم يكثُر في نفسه ولم يتّسعْ لوُرّاده . والشَّوْبُ : مصدر شاب يشوب ، إذا خالَط وهذا مثلٌ

(١) المصاع والمماصعة : المقاتلة والمجالدة بالسيوف .

ما سارَ به المَثَل ، وهو «مِثْلُ الماءِ خَيْرٌ من الماء» . وأصله أنّ رجلًا استسقى غَيْره لبناً ، فقال : إنه مثل الماء ، أى فضلةٌ بَقِيَتْ من لَبنٍ مَشُوبٍ. فقال المستسقى : مثلُ الماء خيرٌ من الماء . يريد أنّ المشُوبَ من اللّبن خيرٌ من الماء القَرَاح . ومثله قولُ الآخر:

نَمُدُّ لهمْ بالماءِ مِنْ غيرِ هَوْنِهِم ... ولكنْ إذا ما ضاقَ شيءٌ يُوسَّعُ

وقوله « وسِّعْ به وتلفَّتْ حولَ حاضرِه » يريد كثِّرْه والتفِتْ فيمن حولَكَ مِن جارٍ ومُحتاج ، ولا تنتظرْ بما تفرِّقه السُّؤالَ والطَّلبَ ، ولكنْ ليكنْ مِن نفسِك باعثٌ على تمييز المحتاج ، والنَّظرِ له ، والإفضال عليه ؛ لأنَّ الكريم هو الذى لا يُخلّيه نِظَنُه ، والتفاتُه ونَظَرُه . واللُّؤم : سوءُ التَّغافل .

وهذا كما قال الآخر :

إنَّ الكريمَ مَنْ تَلَفَّتَ حوْلَهُ ... وإنَّ اللئيمَ دائمُ الطَّرفِ أقْوَدُ(١)

٧٤٧

وقال آخر (٢) :

١ — إذا هِيَ لم تَمْنَعْ بِرِسْلٍ لُحُومَها ... من السَّيْفِ لاقَتْ حَدَّهُ وهو قاطِعُ

٢ — نُدافِعُ عن أحسابِنَا بلُحومِها ... وألبانِها إنّ الكريمَ يُدافِعُ

٣ — ومَنْ يَقترِفْ خُلْقاً سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ وترجِعْهُ إليه الرَّواجِعُ

قوله «إذا هى لم تمنع » ، يعنى الإبل . فيقول : إذا لم يكن فى النُّوق لبَن تَحمى نفوسَها به من العَقْر عند نُزول الضِّيفان لاقت حَدّ السَّيف وهو يَجزُرها ويُقَطِّعها . ومثله قول الآخر :

وإنْ تعتذِرْ بالمَحْلِ من ذى ضُروعِها ... على الضّيفِ يَجْرَحْ فى عَراقيبِها نَصْلِي

(١) أنشده فى اللسان (قود) شاهدا على أن الأقود الذى إذا أقبل على الشىء بوجهه لم يكد يصرف وجهه عنه .

(٢) هو المخضع القيسى ، من عبد القيس . معجم المرزبانى ٤٧٥ .

وأبلغُ منهما قولُ الآخر (١) :

فتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقضِي ذِمامَه إذا نَزَلَ الأضيافُ أو تُنحَرَ الجُزْرُ

وقوله « نُدافِع عن أحسابنا بلحومها » ، يريد بإطعام لحومها ، وسَقْيِ ألبانها لأنّ عادتَنا تَفرِض علينا المدافعة عن الكَرَم ، والمحاماةَ على الشَّرَف ، وذلك خُلُقنا الذي نَنْشأ عليه ، ونَنبُت فيه ، ومَنْ يَتعاطَ خُلُقاً مُستجَدًّا مخالِفاً لما أَلِفَه وتعوَّده يفارِقْه ويَرْجِع إليه الخُلُق الأوّل . ومثله قولُ الآخَر (٢) :

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشِيمَتِهِ وإنْ تخلّقَ أخلاقاً إلى حِينِ

والقَرْف يكون من الذّنب والجُرْم ، يقال : هو يَقترِف ذنباً ، أى يأتيه ويفعله ، ويقال أيضاً : هو يَقترِفُ لعياله ، أى يكتسب . واقترف حسَنةً ، أى اكتسبَها . وقوله : « وتَرجِعْ إلىَّ الرواجع » ، يقال : رجَع فلان مِنْ كذا رُجوعًا ، ورجَعْتُه أنا رَجْعاً ، ومثله صَدّ وصدتُه ، وكَسَبَ وكَسَبْتُه .

٧٤٨

وقال مُضَرِّسُ بنُ رِبْعِىٍّ (٣) :

١ ـ وإنّى لأَدْعُو الضّيفَ بالضّوْءِ بعدَما كَسَا الأرضَ نَضّاحُ الجَليدِ وجامِدُه

٢ ـ لأُكْرِمَهُ إنّ الكَرامةَ حَقُّه ومِثْلانِ عندِى قُرْبُهُ وتباعُدُه

٣ ـ أَبِيتُ أُعَشِّيهِ السَّوِيفَ وإنّنى بما قالَ حتّى يَتركَ الحَىَّ حامِدُه (٤)

يقول : إنى أَدعُو الضّيفَ بإيقاد النّار وإعلاء ضوئها ، عند اشتداد البَرْد ،

(١) هو الأُبيرد اليربوعى . انظر ص ١٠٧٩ .

(٢) هو ذو الإصبع العدوانى . البيت ١٠ من المفضلية ٣١ .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٤١ ص ١١٨٣ .

(٤) التبريزى : « بما قال » ، وفى حاشية ل : «خ : بما نال» ، إشارة إلى هذه الرواية فى إحدى النسخ .

وا كتساء الأرض من جامد الماء ، ومنتضِح الجليد ، أى نَداه الذى يَبَّسه البرد، لأَقضى حقَّه بإكرامه وإلطافه . والنَّضْح كالنَّضْخ ، إلّا أن النَّضح له أثر . والعين تنضح بالماء ، وكذلك الكُوز . والنَّضيح : العَرَق ، لأنّ جِزْم الإنسان يَنضَح به . وسمَّى أبو ذؤيب الهُذَلىُّ ساقىَ النَّخل نَضّاحًا ، كما سُمِّى البعيرُ الذى يُستَقى عليه الماء : النّاضح ، فقال :

. . . . كما يَسقِى الجذوعَ خِلالَ الدُّور نَضّاحُ(١)

وقوله « ومِثلانِ عندى قربُه وتَباعُده » ، يريد فى النَّسب . أى يتساوَى عِندى تمازُجُه وتَواشُجه ، وتنائيه وتبايُنه ؛ لأنَّ الواجبَ له علىَّ أقيمه لا أتحمد بذلك عليه ، لأنَّ إكرامَ الضَّيف فرضٌ على ذى المروءة ، ومُسقط الفرض عن نفسه لا يستحقُّ من الناس اعتداداً .

وقوله « أبيتُ أعشِّيه السَّديف » فالسَّديف : شَحْم السَّنام . والمراد أبقى ليلتى مُطعماً له خيارَ ما عِندى ويَحضُرُنى من شُطَب السَّنام ، ثم إن اقترَحَ علىَّ شيئاً أعدَّه نعمةً تتجدَّد له يستوجب منِّى حمْداً وشكراً عليها ، وذلك له طُولَ مُقامِه إلى أنْ يُفارقنى ، ويترُكَ عشيرتى .

٧٤٩

وقال حِماسُ بن ثامِل :

١ ـ ومُستَنبِحٍ فى لُجِّ لَيلٍ دَعَوْتُه بِمشْبُوبةٍ فى رَأْس صَمْدٍ مقابِلِ

٢ ـ فقُلتُ له أَقبِلْ فإنَّكَ راشدٌ وإنَّ عَلَى النَّار النَّدَى وابنَ ثامل(٢)

(١) صدره فى ديوان الهذليين (١ : ٤٦) :

* هبطن بطن رهاط واعتصبن كما *

(٢) التبريز : « وقلت له » .

المشبوبة : النّار ، وتوسعوا فقيل : شَبَبْتُ الحرب، كما قيل شَبَبْتُ النّار . ولَجُّ اللّيل : معظم طُلْمته ، وكذلك لُجُّ البحر . والصَّمْدُ : الجبَل أو الأرضُ المرتفعة . جعل نارَه فى يَفاعٍ مُقابلٍ لسَمْتِ الضّيف ، فدَعاهُ بها لما أعلاها ورَفَعها حتّى اهتدَى لها . وهذا مثلُ ما قد شرَحْتُه .

وقوله « فقلتُ له أقبل فإنَّكَ رَاشد » أى قوّيْتُ نَفسه فى النُّزول ، وأرَيْتُه استبشارى له وانتظارى إيَّاه . ألا تَرَى أنه قال : « وَإنَّ على النّار النّدى وابن ثاملٍ » . ولولا اشتهارُه بالطّول والإفضال لما قال ذلك . وهذا مثل قول الأعشى :

* وباتَ على النّارِ النّدَى والمُحَلّق[1] *

٧٥٠

وقال النَّمرِىُّ[2] ، ويقال إنها لرجل من باهلة :

١ ــ وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الهُدُوِّ كأنَّما ... يُقاتِل أهوالَ السُّرَى وتقاتِلُهْ

٢ ــ دَعَا بائِساً شِبْهَ الجُنُونِ وما بِهِ ... جنونٌ وَلكِنْ كَيْدُ أَمْرٍ يحاوِلُه

يَعنِى بالدّاعى مستنبِحاً طلبَ بَعْدَ أن مَضَى من اللّيل قطعةٌ مَن يُغيثُه ويَستنقذُه من هَول الليل ، وبلاء الضُّرّ ، حتى كأنما كان يُقاتِل أسباب السُّرَى لشدّة الأمر عليه ، وتقاتِله ، أى بَلَغ الحالُ به حدًّا رأى السُّرَى تغالِبُه عن نفسه وتُصارِعه عنها .

(١) صدره فى الديوان ١٥٠ :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) المشهور بهذه النسبة من الشعراء منصور النمرى ، وهو منصور بن سلمة بن الزبرقان من النمر بن قاسط ، وكان مقدما عند الرشيد ، وكان يمت إليه بأم العباس بن عبد المطلب وهى نمرية ، ومات فى خلافة الرشيد . الشعراء ٨٣٥ وتاريخ بغداد (١٣ : ٦٥ ــ ٦٩) والأغانى (١٢ : ١٦ ــ ٢٤) .

وقوله « دعا بائساً » يعنى كلباً ذا بُؤْسٍ لضَرَرِ القَحْط ، ويكون على هذا مفعولًا . ويجوز أن ينتصب على الحال للدَّاعى ، أى دعا وهو ذو بؤسٍ . ويجوز أن يريد دَعَا دُعاءَ بُؤْسٍ يُشْبِه الجنون . فأمَّا تكريره للدُّعاء فهو لتهويل الأمر وتَفظيعِ الشَّأن . وانتصب «شِبْهَ الجنون» أى دُعاءً يُشْبِه الجُنُونَ ، فهو صفةٌ للمصدر المحذوف . قال : وليس به جنون ، لكنَّه يُكابِد أمراً [1] ، ويعانى مَشَقَّةً وضُرًّا ، فهو يطلب الخلاص من مِحْنَةٍ لا طريقَ للتَّخلص منها إلاَّ على ذلك الوجه . وتحقيق الكلام : ليس به جنون ، ولكنْ به كَيْدُ أمرٍ يَطْلُب دَفْعَه والسَّلامةَ منه .

٣ — فلَمَّا سَمِعتُ الصَّوتَ نادَيْتُ نَحْوَهُ ... بصَوْتِ كَرِيمِ الجَدِّ حُلْوٍ شمائِلُهْ

٤ — فأبْرَزْتُ نارى ثُمَّ أثقَبْتُ ضَوءَها ... وأخرجْتُ كَلْبى وهو فى البَيْتِ داخِلُه

يقول : جمَعْتَ فى تلقِّيه وإغاثته بينَ الأسباب التى يُستنزَل بها الضَّيف ، ويُستَقبَل بها الجيران ؛ لإشالَتِه من صَرْعَتِه ، واشتلائه من مِحْنَته ، فناديتُه بنفسى على رَفْعٍ من صَوتى ، وهو صوتُ رجلٍ كريمِ الأصل ، حُلْوِ الطَّبائع ، سَهلِ الجانب ، حسَنِ الاشتمال على الضَّيف ، وجعلْتُ نارى فى بَراز ، وهو المرتفِع من الأرض . ومثل البَراز البَرْز . قال :

* يظلُّ على البَرْزِ اليَفاعِ كأنّه *

قال : ثمَّ أيدْتُها بثقوبٍ يرتفع الضَّوء له ، ويَقوَى به ، وأخرجْتُ كَلْبى من مَقَرِّه ، وهو لشدَّةِ البَرد ملازمٌ للبيت لا يَخرُج ، كلُّ ذلك فعلتُه تقريباً للأمر على الضَّيف ، وتسهيلاً لهدايته . وقوله « وهو فى البيت داخله » فى البيت

---

(١) أمرا بفتح الهمزة فى النسختين ، واختصر العبارة التبريزى كعادته فقال : « يكابد أمرا يطلب الخلاص منه » . ولو قرئت « إمرا » بكسر الهمزة لوافقت طريقته فى التسجيع . والإمر : بالكسر الشدة والأمر العظيم الشنيع . لكن فى نص البيت : «كيد أمر يحاوله».

موضعه خَبَرَ الابتداء وليس بلَغْوٍ ، وداخلُه[(١)] خبر ثان ، والهاء من داخله يعود إلى البيت كأنَّه قال : وهو مستقر فى البيت داخلٌ فيه ، ولا يمتنع أن يكون داخلُه[(١)] فى موضع البدَل من قوله فى البيت ، ويكون كقولك زيدٌ داخلَ البيت وخارجَه .

٥ ـ فلَمَّا رآنى كَبَّرَ اللهَ وحْدَهُ   وبَشَّرَ قَلْباً كانَ جَمًّا بَلابِلُهْ

٦ ـ فقُلْتُ له أهلًا وسَهْلًا ومَرْحَباً   رَشَدْتَ ولم أُقْعُدْ إليه أُسائِلُه[(٢)]

يقول : لمَّا رآنى هذا الضّيف قال : الله أكبر ! استبشاراً واغتباطا بما تعجَّلَ له من الفَرَح ، وفرَّحَ قلباً كانت غمومُه مجتمعةً عليه يأْسا من الخير فى مثل مكانه ، وطمعاً فيما يستبقيه من حياته ؛ فقلت له : أتيتَ أهلًا لا غُرَباءَ ، ووَرَدْتَ سهلًا من الأفنيةِ لا حَزْناً ، وتعمَّدْتَ رُحْبا من الأماكن لا ضيقًا ، وصَحِبْتَ الرَّشادَ فى عُدُولِكَ إلىَّ لا الضَّلالَ ، ورافقْتَ السَّعادةَ لا الشَّقاء والهَلَكة ، ولم أَقْعُدْ إليه مسائلاً عن أخباره وعمَّا أدَّاه إلى أرضى فى انتقالاته ، بل عَمَدتُ إلى الاحتفال له ، وقصَرْتُ سَعيِى على ما يقتضى إنزاله ، وعلى تهيئة القِرَى والأَنزال له[(٣)] . وانتصب « وحده » على المصدر ، لأنه موضوعٌ موضع الإيحاد ، أى أُوحِدَ اللهَ إيحاداً .

٧ ـ فقمتُ إلى بَرْكٍ هِجانٍ أُعدُّهُ   لِوَجْبَةِ حقٍّ نازلٍ أنا فاعِلُه[(٤)]

٨ ـ بأبيضَ خطَّتْ نَعْلُه حَيْثُ أدرَكتْ   مِنْ الأَرض لم تَخْطَلْ علىَّ حمائِلُهْ

يقول : وقمتُ إلى إبلٍ باركة بالفناء ، كريمةٍ بِيض ، أُعِدَّتْ لواجب حقٍّ يَنزِلُ بى . وزادَ الهاء فى « وجبة » للمرَّة الواحدة ، ويجوز دخولها لهذا المعنى فى

(١) ما بين هذا الرقم ومثيله ساقط من ل

(٢) يقال رشد يرشد ، من بابى نصر وفرح . وضبط فى الأصل بفتح الشين وكسرها مع قرن ذلك بكلمة « معا » ، إشارة إلى تحقيق الضبطين .

(٣) التبريزى : « وقمت » .

(٤) الأنزال : جمع نزل ، بالضم ، وهو ما يهيأ للضيف .

للمصادر كلها ، وقد شرحتُ القولَ فى لفظة هجان ووقوعه بلفظه للواحد والجمع[١]

وقوله « بأبيض » تعلق الباء منه بقوله قمت . واللام من قوله « لوجْبةِ حقٍّ » متعلِّق بقوله أُعِدُّه ، وموضع الجملة صفةٌ للبرك ، كما أنَّ قوله «أنا فاعله» صفة للحق . والمعنى : قمت وقد تقلَّدت سيفا مصقولا ، تَخُطُّ حديدةُ جَفْنه فى الأرض إذا أدركتهَا خطًّا ، وليس ذلك لأن حمائله اضطربت علىَّ أو قصُرت قامتى عن ارتدائها لطولها ، ولكن تخُطُّ حيث تُدرك ، لارتفاع أرضٍ أو عارض حالٍ . والحمائل : جمع الحِمالة . وإذا طالَ النِّجادُ خَطَلَ على لابِسه واضطرَب . وافتخارُهم بامتداد القامة وطُول الحِمالة معروف . والنَّعْلُ : الحديدةُ التى يُغَشَّى بها أسفلُ الجَفْن . وعلى ذلك قوله :

* طويل نجاد السَّيف ليس بجَيْدَرِ[٢] *

٩ — فجالَ قليلاً واتَّقانِى بخَيْرِهِ سَنَاماً وأملاهُ مِنَ النَّىِّ كاهِلُهْ[٣]

١٠ — بقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كان فَحْلَهَا طَوِيلِ القَرَى لم يَعْدُ أنْ شَقَّ بازِلُهْ

قوله « جال قليلا » انتصب قليلاً على الظَّرف ، أى زمناً قليلا . وفاعل جَال هو البَرْكُ . ويجوز أن ينتصب قَليلاً على أنَّه صفةٌ لمصدر محذوف ، كأنَّه قال : جال جَوْلًا قليلا ، فأقامَ الصِّفةَ مقامَ الموصوف ، لأنَّ المراد مفهوم . والمعنى : لمَّا بصُر البَرْكُ بى ثارت مِن مَبارِكها ، لما يَغْشاها من الخوف المعتاد لها

(١) انظر ما مضى فى ص ١١٣٦ والحماسية ٧٣٤ والحماسية ٧٣٥ ص ١٦٧٢ .

(٢) الجيدر ، بفتح الجيم : القصير .

(٣) ابن جنى فى التنبيه : « الهاء فى خيره وأملاه ضمير البرك المذكور قبله . وارتفع كاهله بأملاه ، وعملت أفعل هذه فى المظهر فرفعته ، وهى فى ذلك أمثل حالا منها إذا اتصلت بها من فى نحو أفعل من ، وذلك أن من تباعدها بما يكسبها من التخصيص من الفعل ، والإضافة فى كثير من هذه المواضع فى تقدير الانفصال . ولذلك قلت مررت برجل ضارب أخيه زيد . هذا هو الظاهر . وإن شئت رفعت كاهله بمضمر دل عليه أملاه ، أى امتلأ من النى كاهله » .

واضطربت ، ثم اتقتني — أى جعلت بيني وبينها — بأتمكها سناماً (١) ، وأملاها من النيّ كاهلا . والنيّ : الشحم واللحم . وانتصب « سناما » على التمييز . وارتفع قوله « كاهله » بفعل مضمر دلّ عليه وأملاه ، كأنّه لمّا قال وأملاه من النيّ قال امتلأ كاهله . ويشبه هذا قولَ الآخَر فى إضمار الفعل ، وإن كان هذا ناصبًا وذاك رافعا ، وهو :

* وأضرَبَ منّا بالسّيوفِ القوانِسَا (٢) *

وانتصاب القوانس بفعل مضمر دلّ عليه وأضرب منا ، كما أنّ ارتفاع الكاهل بفعلٍ دلّ عليه : وأملاه .

وقوله « بقَرْمٍ هجان » أعاد حرفَ الجرّ فيه ، وهو بدل من قوله : « بخيره سناما » . ومثله فى إعادة حرف الجرّ فى المبدل قولُه تعالى : ﴿قال الّذين استكبَرُوا مِن قَوْمِه للّذين استُضْعِفوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ . والهجان ، وُصِفَ به الواحد هاهنا ، فهو فى زنة قولهم : ناقة دِلاثٌ ، وإزارٌ وخِمارٌ . وفى قوله بَرْكٌ هجان (٣) وُصِفَ الجمع به ، فهو كظِرافٍ وحِسان . والمُصْعَبُ : الفَحل الكريم الذى لا يُبْتَذَل فى العوارض ، بل يُقصَر على الفِحْلة . وقال الخليل : هو الذى لم يُركَبْ قطّ ولم يَمْسَسه حَبل . ويقال أُصْعِبَ الفحلُ فهو مُصْعَبٌ ، وبه سُمّى الرّجلُ إذا كان مسوّدًا مُصْعبًا . وقوله « كان فحلها » رجع الضمير إلى البَرْك ، أى كان هذا القومْ فَحلَ هذه البَرْكِ ، وهو طَويل الظّهر لم يتجاوزْ بازله أن انشَقّ اللحم عنه . يعنى أنّه كان فى غاية ما يُراعَى من شَبابه وقُوّته . والبُزول :

(١) أتمكها سناما ، من قولهم تمك السنام تمكا وتموكا : طال وارتفع .

(٢) البيت ٢ من الحماسية ١٥١ ص ٤٤١ وهو للعباس بن مرداس . وصدره :

* أكرّ وأحمى للحقيقة منهم *

(٣) أى فى البيت السابع من هذه الحماسية .

فى السنة التاسعة . والمعنى أنَّه لم يَعْدُ هذه الحالةَ إلى ما وراءها ، فكان يَضعُف .

١١ـ فَخَرَّ وَظِيفُ القَرْمِ فِي نِصْفِ ساقِهِ ... وذاكَ عِقالٌ لا يُنَشَّطُ عاقِلُهْ

١٢ـ بذلكَ أَوصَانِي أَبِي وبِمِثْلِهِ ... كذلكَ أَوصاه قَدِيمًا أَوائِلُهْ

خَرَّ : سَقط ، يخِرُّ خروراً . وخَرَّ الماءُ يَخِرُّ خريرا . فى الكلام إضمارٌ ، كأنَّه قال اتّقانى بخيره فعرقبته فخَرَّ وظيفُه . ويُروى : «فحَزَّ وظيفَ القَوْمِ فى نِصف ساقِه » ، وفاعِل حَزَّ يكون السَّيفَ ، أى عَقرتُها فعمل السَّيفُ فى وَظِيفه وأندره من نِصْف ساقه ، وذلك شَدُّ عاقِلُه لا ينشَّط ، أى لا يحتاج إلى إحكامه وإبرامه لأنَّه لا يقع مُبرَمًا . ويقال نشَّطتُ العُقْد تنشيطاً ، إذا أحكمته ؛ وأنشطتُه ، إذا حللته . وعَقَدَ عليه بأُنشوطة ، إذا جعله مهيَّئا للحلّ مقرَّبا أمرُه فيه . ومما يجرِى مَجرى المثل : «كأنَّما أُنشِط مِن عِقَال» . وذكر بعضُهم(١) أنَّ الشَّاعر سَهَا فوضع نَشَّطَ موضع أنشط ؛ لأنَّ المراد ذاك عِقالٌ عاقِلُه لا يَحُلُّه ولا ينقُضُ ما يُبرَم منه . وكلامُ الشاعر سليمٌ من العَيب قويم . والمعنى فيه ما ذكرت .

وقوله « بذلك أوصانى أبى [وبمثله » ، يعنى فى أمر الضيف أتى ، بذا الفعل الذى وصفته وصَّانى أبى(٢)] وبما يماثله . ثم قال : كذلك أسلافُه أوصَوْه قديماً . وموضع « كذلك » نصبٌ على الحال . وانتصب « قديما » على الظَّرف ، والمعنى أنِّى لم أرِثْ ذلك عن كَلالةٍ ، وإنَّما وَرِثْناه أبًا عن أب وخلفاً عن سَلَف .

٧٥١

وقال النَّابغةُ الذُّبْيانىّ :

١ ـ لَهُ بِفِنَاءِ البَيْتِ سَوْدَاءُ فَخْمَةٌ ... تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الجَزُورِ العُرَاعِرِ(٣)

٢ ـ بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ ... لآلِ الجُلَاحِ كابِراً بَعْدَ كابِرِ

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) هذه التكملة من ل .

(٣) التبريزى : « ويروى : دهماء جرنة » .

٣ — تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَها   كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ

أراد بالسوداء قِدْرا. والفَخْمة: الضخمة. تلقَّمُ: تحتوى وتبتلع لعظمها أعضاءَ الجزور موفَّرة. والعُراعِر: الضخم السمين، وجمعه عَراعِر، بفتح العين. ومثله جُوَالق وجَوَالق. وعُرْعُرَةُ الجبل: مُعْظَمه. فيقول: لهذا الرجل بإزاء القَوم وفِناء الدار منهم، قِدرٌ [هذه صفتها من العِظَم، وتضمَّن أعضاء الجزور مؤرَّبة لم تنتقَص، وهى بقيَّة قِدر[(١)] مِن قُدور تُوُرِّثت من أسلافهم آلِ الجُلاح كبيرا بعد كبير، ورئيساً بعد رئيس. ولم يوجد كابِرٌ فى معنى كبير إلَّا فى هذا المكان. وقد بيَّن بذكر لفظة «بعدَ» أنَّ «عَنْ» فى قوله[(٢)] «كابراً عن كابر» بمعنى بعد. وكان أبو علىّ رحمه الله يقول قولهم كابراً ليس باسم الفاعل، كالقاعد والقائم والجالس، وإنَّما هو اسمٌ صيغ للجَمْع، كالباقر والجامل. والمراد كُبَراء بعد كُبَراء.

وقوله «تظلُّ الإماء يبتدرْنَ قديحها»، يريد وقتَ القسمة، أى يستَبِقْن طُولَ النَّهار إليها، وإلى تناوُل الغُرُفات منها، استباقَ بنى سعدٍ مياهَ هذا المكان. وقُراقِر: موضعٌ فيه ماءٌ لقُضاعة، وهو فِرَاطَةٌ بين أحيائهم، أى شَرَعٌ لا تناوبَ فيه، بل يفوزُ السَّابقُ إليه. فشَبَّهَ تبادُرَ الإماء نحوَ القِدْر بتبادُرِ بُطون سَعْدٍ إلى تلك المياه. والقَديح: فعيل بمعنى مفعول، وهو المَرَق المقدوح.

٧٥٢

وقال الفرزدق[(٣)]:

١ — وَدَاعٍ بِلَحْنِ الكَلْبِ يَدْعُو ودُونَه   مِنَ اللَّيْلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وغُيُومُها

(١) التكملة من ل.
(٢) أى فى قول القائل من العرب أو من الشعراء. وجاء فى قول الأعشى:
ساد وألفى قومه سادة   وكابر سادوك عن كابر
(٣) شهرته تغنى عن ترجمته. والأبيات ما عدا الخامس منها فى ديوانه ٨٠٣ محرفة =

٢ ــ دَعَا وهُوَ يرجو أن يُنَبِّهَ إذْ دَعَا فَتًى كابنِ لَيْلَى حِينَ غَارَتْ نُجُومُها
٣ ــ بَعَثْتُ لَهُ دَهْماءَ لَيْسَتْ بِلقْحَةٍ تَدُرُّ إذا ما هَبَّ نَحْساً عَقِيمُها

قوله « داعٍ بِلحن الكلب » ، يعنى مستنبِحاً تكَلَّف نَبِيحَ الكلب فى صوته ، وَلَحنَ لَحْنه ، وفعلَ ذلك إذْ حال بينه وبينَ المَنَاظِر من الَّليل سِتْرَانِ من الظُّلَم ، والتباسُ الغُيوم . وإنما قال « سِجْفَا ظُلْمَةٍ وغيومها » تأكيداً ، كما قيل : ﴿ ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ﴾ ولهذا لم يَرضَ بذلك حتَّى أضافَ إليه ظُلْمة السَّحابِ أيضاً المُغَطِّيَة للكواكب .

وقوله « دَعَا وهو يَرجُو أن يُنَبِّهَ إذْ دَعَا » ، يقول : استَنْبَح ، وهو يؤمِّل أن يَنْتَبِه لدعائه ويَنبعثَ فتًى كغالبٍ ، حِينَ غارت النُّجوم بالَّليل ، والأهوالُ متراكمةٌ ، وظلَمَ الَّليلِ والسَّحابِ متراكبةٌ ، واستبدَّتْ فُرَجَ السَّماءِ وآفاقَ الجوّ . كأنَّ الضَّيفَ تمنَّى أنْ يتَّفِق له إجابةٌ كإجابةِ غالب ، وهو ابن ليلى ، فاتفق أن هيِّئ له إجابة الفرزدق . يشهد لذلك قولُه : « بَعَثْتُ له دَهْماء » ، يعنى بها قدراً . وكشَفَ عن مُرادِه بقوله « ليست بلِقْحَةٍ » ، أى ليست هى بناقةٍ ، وإنما هى قدرٌ تَدرُّ مَرَقَتُها إذا هبَّ عَقيمُ الرِّياح بالنَّحس . ويعنى به الدَّبور ، لأنَّها لا تُلْقِح ، وبها هَلَكت الأُمم السَّالفة . وجوابُ رُبَّ المضمرة فى قوله «داع[1]» قوله « بعثتُ له دَهماءَ » . وقد اعترَض بينهما بيتٌ .

= ورواها جميعا المرتضى فى أماليه (٤ : ٢٩) منسوبة إلى الفرزدق ، والبيت الخامس فى الحيوان (٤ : ٣٣٢) منسوب إلى الفرزدق ، وفى محاضرات الراغب (١ : ٣١٤) منسوب إلى مضرس . قال الراغب تعليقا على هذا البيت الخامس : ولما سمع ذلك زياد الأعجم قال : وما حيزوم النعامة ؟ لعن الله هذه من قدر ، فما أحسبها تشبع آل مضرس ! فقيل له : فكيف تقول أنت ؟ قال : أقول :

وقدرٍ كجوف الليل أحمشت غليها ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل
لو أن بنى حواء حول رمادها لما كان منهم واحد غير مصطلى

(١) كذا بدون واو فى النسختين .

٤ ــ كأنَّ المَحالَ الغُرَّ فى حَجَراتِها   عَذارَى بَدَت لمّا أُصِيبَ حَمِيمُها

٥ ــ غَضُوبٌ كَحَيْزُومِ النَّعامةِ أُحْمِشَتْ   بأجْوازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْها هَشِيمُها(١)

٦ ــ مُحَضَّرَةٌ لا يُجعَلُ السِّتْرُ دُونَها   إذا المُرْضِعُ العَوْجاءُ جالَ بَرِيمُها

جعل المَحالَ ، وهى فِقَر الظهر ، والواحدة مَحالة ، فى نواحى القِدْر وجوانبها لسِمَنها وبياضِها مع تضمُّن القدر السَّوداءِ لها ، وإحاطتِها بها ، كأبكار النِّساء ، وقد لَبِسْنَ ثيابَ السِّلابِ لمّا أُصِبْنَ بحميمِنَّ ، فيَبْدُونَ بِيضَ الوُجوه ، سُود الثِّياب . وقد أُحكِم القول فى أصل « عذارى » فى غير هذا الموضع(٢).

وقوله « غَضُوب » ، يريد غَليانَها وهزَّتها ، ثم شبَّه إشرافَها بحيزومِ النَّعامة ، كما قال الآخر(٣) :

* نَعامَةَ حِزْباءٍ تقاصَرَ جِيدُها(٤) *

وجعلها قد أُوقِدَ تحتَها النَّارُ بحَطَبٍ جَزْلٍ أُفْرِدَ عنها دُقاقُها وما تَهشَّم مِن وَرَقِها ، والقَصْدُ فى هذا إلى تعظيمِ النَّار الموقَدَةِ تحتَها لكِبَرها .

وقوله « مُحَضَّرَة » أى لا يُمنَع منها أحَدٌ ولا تُقنَّعُ بما يَسترُها عن العُيون إذا أَمْحَلَ الزَّمان ، واشتدَّ القَحْطُ ، وصارت المرأةُ المُرْضِعُ قد اعوجَّ خِلْقَتُها فجالَ عليها وِشاحُها ، لانحسارِ اللَّحْم عنها ، وتأثير الهُزَال فيها . والبَرِيم : خيط يُفتَل من صُوفٍ أبيضَ وأسود يُشَدُّ فى أحْقِي الصِّبيان لتدافعَ العَينُ به عنها .

ومِثل ما وَصف قولُ الرَّاعى :

إنِّى أُقسِّمُ قِدْرِى وهى بارزةٌ   إذْ كلُّ قِدرٍ عرُوسٌ ذاتُ جِلْبابِ

وقوله : « إذا المرضع العوجاء جال بريمها » ظرفٌ لقوله مُحَضَّرة ، أو لقوله

(١) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت . ورواه المرتضى : « غضوبا » .
(٢) انظر ص ٥٥٠ .
(٣) هو الراعى . فى الحماسية ٦٣٨ ص ١٥٠٩ .
(٤) صدره : * إذا نصبت للطارقين حسبتها *

« لا يُجعَل السِّتْرِ دونها » وفيهما جواب إذا . والحجرَات : النَّواحي ، واحدتها حَجْرة ، ويقال : فعد حَجْرَةً ، فيُجعل ظرفاً . وإحماش النّار : إلهابُها . وأَحْمَشْتُ القِدرَ ، إذا أشبَعْتَ وَقُودَ النّار تحتَها حتَّى تَغْلي ، ومنه حَمَشَ الشَّرُّ والغَضَبُ ، إذا اشتدّ . وقوله « بأجواز خُشْب » ، جَوْز كلِّ شيء : وسَطُه . وإنما أراد الغِلاظ من الحطَب .

٧٥٣

وقال شُرَيح بن الأحْوَص [(١)] :

١ – وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْغي المَبيتَ وَدُونه مِنَ اللَّيْلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وكُسورُها

٢ – رَفَعْتُ لَه نَارِي فلَمّا اهْتَدَى بها زَجَرْتُ كِلاَبي أنْ يَهِرَّ عَقُورُها

٣ – فبَاتَ وإنْ أسْرَى من اللَّيلِ عُقْبَةً بلَيْلَةِ صِدْقٍ غاب عنها شُرُورُها [(٢)]

يريد : ربَّ مُستضِيفٍ بالنُّباح يَطْلُب لنَفْسه مكاناً يبيت فيه ، وقد سقَطَ عنه كلَفَ السَّير ، وأسبابُ الجَهْد ، وحَجَزَ بينه وبين اللَّيل سِجفَا ظُلمةٍ وكُسورُها . والسِّجف : السِّتر ، وتكسر السين منه وتفتح . والكُسور : جمع الكِسْر ، وهو جانبُ البيت . قال الخليل : الكَسر والكِسْر : الشُّقَّة السُّفلى من الخِباء ، يُرفَع أحياناً ويُرخى أحيانا ، وكذلك من كلِّ قُبَّةٍ وغِشاء ، حتَّى يقال لناحيَتَي الصَّحراء كِسرَاها . ولَمَّا استعار السِّجف لتراكُم الظُّلمة استعارَ الكُسورَ لها أيضاً ، كأنَّه جعلَ اللَّيلةَ كالبيت لِظَلامها وقد أُرخِي سِجْفاهُ وأُلبِسَ كسراه ، فأظلَمَ داخلُه . وجواب رب قوله « رَفَعْتُ له ناري » ، والواو من قوله « ودونه » واو الحال .

---

(١) التبريزى : « شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب » . وكان شريح أحد فرسان يوم رحرحان ، وهو قاتل لقيط بن زرارة فى يوم جبلة . الأغانى (١٠ : ٣٢ ، ٣٨) .

(٢) ل : « غار عنها » ، وفى حواشيها : « خ : « غاب » .

وقوله « فلمّا اهْتَدَى بها » يريد لمَّا رفعتُ النار فأبصرَها وأقبلَ نحوى منعتُ كلابى من أنْ يَهِرَّ فى وجهه عَقورُها . والعَقُور ، يريد به السيِّئة الخُلُق منها ، المولَعَة بالعقر .

فإن قيل : ولِمَ جعل فى كِلابه العَقورَ حتَّى احتاجَ إلى زَجْرِه عن ضَيفه ؟ قلتَ : كأنَّه كان فى الكِلاب ما لم يكنْ يلزَمُ الفناء ، وإنما يكونُ مع الرَّاعى فى السَّرْح للحِفْظ ، فاتَّفَقَ أنْ حَضَرَ مع كلاب الحىّ ، فلذلك احتاجَ إلى زَجْره .

وقوله « فباتَ وإنْ أسرى من الليل عُقْبَةً » خبر بات « بليلة صدق » وجواب إنِ الجزاء ما اشتمل عليه البيت . فيقول : مكَثَ الضَّيفُ عندى فى ليلةِ صدقٍ لا نَحْس فيها ولا شرّ ، والرَّاحةُ تُعاوِده ، والسَّلامةُ تلزَمُه وتتلقَّاه ، وإنْ كانَ قد سَرَى عُقبةً منها ، أى طائفة . وانتصب « عُقبةً » على الظَّرف ، وأصلها أنْ يتعاقَبَ اثنانِ على البعير ، فإذا رَكِبَ أحدُهما مشَى صاحبُه ، ثم كَثُر استعماله فأُجرِىَ مجرى النَّوبة والفُرصة ، فيقال : سار عُقبةً كما يقال سار نَوْبة . وقال الخليل : العُقْبة فرسخان ؛ وهما يتعاقبانِ الرُّكوبَ بينهما . وقوله أنْ يَهِرّ » فى موضع النَّصب على البدل من كلابى . وقدتقدَّم القولُ فى ليلةِ صِدْقٍ وما أشبهَه (١) .

٧٥٤

وقال مِسْكينٌ الدَّارمىّ (٢) :

١ — كأنَّ تُدورَ قَوْمى كُلَّ يومٍ قِبَابُ التُّرْكِ مُلْبَسَةَ الجِلَالِ

٢ — كأنَّ المُوقِدِينَ لها جِمَالٌ طَلَاها الزِّفْتَ والقَطِرانَ طَالِ (٣)

٣ — بأيديهم مَغارِفُ مِنْ حَديدٍ أُشبِّهُها مُقَيَّرَةَ الدَّوالِى

(١) انظر ما مضى فى ص ١٦٢٨ .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٣٩٩ ص ١١١٥ .

(٣) ويروى : « كأن الموقدين لها » بالقاف . التبريزى : « من قولك : أوقد لقدرك أى تحتها » .

جعل قدورَ قومِه متبجِّحاً بها ، منصوبةً فى كلِّ وقت . وجعلها لكبرها مشبَّهةً بخرْكاهات [(١)] التُّرك وقد جُلِّلت وأُلبِست أغطيةً سَوْداء [(٢)] .

وقوله « كأنَّ الموفدِين » ، يريد المُزاولين لها فى نَصْبِها وإنزالها ، وطَبْخها وتهيئتها . والمُوفِد : المشرِفُ على الشَّىء العالى له . وانتَصب « مُلَبَّسَةَ الجِلالِ » على الحال . وشبَّه المُوفِدِين فى سَوَاد ثِيابهم وتدنُّسها بالغَمَرِ وتلطُّخها بالدَّرَن بجمالٍ مَطْلِيَّة بالقَطِران . والزِّفتُ ، هو القار ، وقال الدُّريدىّ : أصلُه معرَّب ، وقد تكلمت العرب به كثيراً ، وفى الحديث : نَهَى عن الدُّبَّاء والمُزَفَّتِ » . ويقال : طلاه كذا وبكذا ، فهو مطلىّ .

وقوله « بأيديهم مَغارِفُ مِن حديدٍ » جعلَ القُدور كالأنهار أو البحور ، والمَغارفَ لها كالدَّوالى المقيَّرة ، لاحتمالها الماءَ من الأنهار وصبِّها إلى أعاليها . وجعلَ المغارفَ سوداً لِمَا عَلِق بها فى الممارسة من سَوادِ القُدور والنَّار ، ومن زُهومة اللَّحم والشَّحم . وقوله « أشبِّهُها مقيَّرةَ الدَّوالى » ، يقال : شبَّهته كذا وبكذا . [وموضع [(٣)]] الجملةِ رفعٌ على الصِّفة للمغارف .

٧٥٥

وقال آخر [(٤)] :

١ ــ أعاذِلَ بَكِّنِى لأضْيافِ لَيْلةٍ ... تَزُورُ القِرَى أمْسَتْ بَلِيلاً شَمالُها

٢ ــ أعامِرُ مَهْلاً لا تَلُمْنِى ولا تَكُنْ ... خَفِيًّا إذَا الخَيْراتُ عُدَّت رِجالُها

بكِّينى ، أى أكثِرى البُكاءَ لى وكرِّريه ، مِن أجْل أضيافِ ليلةٍ قليلةِ

(١) جمع « خركاه » ، ولفظه بالفارسية «خَــرْكـَاه» . انظر معجم استينجاس ٤٥٦ .

(٢) كذا ضبطت فى الأصل . وفى ل : « سودا » .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزى : « وقال العكلى » .

القِرى ، لإمساك النَّاس عن الإنفاق ، وإعوازهم الزَّاد ، وقد أمسَتْ ريح الشَّمال فيها ذاتَ بَلَلٍ وشَفَّانٍ للنَّدَى والبرد ، فإذا وَرَدُوا فَقَدُوا حُسْنَ تفقُّدِى لهم ، وتوفُّرِى عليهم .

وقوله « أعامرُ مهلا » جَمَعَ على نفسه لائمةً ولائما ، فيقول : يا عامرُ رِفْقاً فى عتبِك علىَّ ، ولومِك إيّاى ، واقتدِ بى فى طلب السُّموِّ والاستعلاء على الأقران . فأمَّا انتقاله عن ذِكرِ اللاّئمةِ إلى مذكَّرٍ ، فمثله قولُ تأبَّط شرا :

يا مَنْ لِعَذَّالةٍ خَذَّالة أَشِبٍ حَرَّقَ باللَّومِ جلدِى أىَّ تَحْراقِ[(١)]

ثم قال :

عاذِلَتا إنَّ بعضَ اللَّوم مَعْنَفَةٌ وهل مَتَاعٌ وإن أبقيْتُه باقِ[(٢)]

والمراد بيان تعاون العشيرة فى اللَّوم والإنكار ، وتَسَاعُدِ رجالهم ونسائهم على الوَعظ والإنذار . وقوله « ولا تكن خفيّا » ، يريد اتَّخِذْنى إسوةً واعمَلْ على أن تكون سامِىَ الذِّكْر لىَّ، عالِى الصِّيت ، حتَّى لا يخفى إذا عُدَّتْ رجالُ الخيرات أمرُك ، ولا يَنْمحِىَ إذا بانت آثار الصالحين أثرُك . وأشارَ بالخيرات إلى الخصال الصالحة والخلال الشّريفة . وواحدتها خَيْرةٌ . وليست هذه التى تكون فى موضع أفعَلَ من كذا ومعناهُ ، كقولك فلانٌ من فلان ، بل هى الواردةُ فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ، وفى قول الشَّاعر :

وأمُّهـــا خَيْرَةُ النِّســـاء على ماخان منها الدِّحَاقُ والأَتَمُ[(٣)]

٣ ـ أرَى إبلى تَجْزِى مَجَازِىَ هَجْمَةٍ كَثيرٍ وإنْ كانت قَليلا إفالُها

٤ ـ مَنَاكِيلُ ما تَنْفَكُّ أرْحُلَ جُمَّةٍ تُرَدُّ عليهم نُوقُهـــا وجِمالُها

(١) البيت ٢٠ من المفضلية الأولى . وصدره فيها : « بل من لعذالة » .
(٢) فى المفضليات : « عاذلتى » .
(٣) ل : « إذا ما خان » . والبيت فى مقاييس اللغة (دحق) بدون نسبة ، وبرواية : « وأمكم خيرة النساء » .

وقوله « أرى إبلى تَجزِى » يقول: أجد إبلى تَقْضِى عنِّى وتحصُل فى النَّيل منها وتورِّد الحقوق إيّاها مَحَاصِلَ هَجْمَةٍ ، وهى القطعةُ من الإبل بين السِّتين إلى المائة . والجزْيَةُ من هذا ، وهى الخَرَاج الموضوع ، لأنَّها قضاء لما عليه أُخِذَ . وفى القرآن: ﴿واتَّقُوا يوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ ، أى لا تَقضى ولا تُغنى . وفى الحديث: «كان رجلٌ يدايِنُ النَّاس[1] ، وله كاتب ومُتَجازٍ» .

وقوله: «وإن كانت قليلاً إفالُها» ، يريد وإنْ كانت ضعيفةَ النَّسل ، قليلةَ العدَد . والإفال: صِغار الإبل واحدها أَفِيل ، وإنّما قلَّت إفالُها لذَهاب التَّثمير والزَّكاء عنها ، ولكونها محبَّسةً بالأفنية ، ومقصورةً على الْحُقوق ، مصروفةً إلى أرزاق العُفَاة . يشهد لذلك قولُه « مثاكيل » ، وهى جمع مِثكالٍ: التى تَثْكَل أولادَها كثيراً ؛ لأنَّ ربَّها يَفصِل دائما بينها وبين أولادها بالنَّحر تارةً وبالهِبَة أخرى .

وقوله « ما تنفك أرحُلَ جُمَّةٍ » ، أى لا تزال أرحُلَ جماعةٍ من النَّاس ، وهو جمع الرَّحْل ، أى مَثْواهم ومَقيلهم . ويقال: عادَ إلى رحلِهِ أى مَنزله . وفى الحديث: « إذا ابتلَّتِ النِّعالُ فالصَّلاةُ فى الرِّحال » . أى لا يزال مأوَى جماعةٍ تُصرَف إليهم إذا وَرَدوا ذكورُها وإناثها . أمَّا إناثها . فللحَلْب ، وأمَّا ذكورُها فللنَّحر . وأصل الْجُمَّة الجماعة ترِدُ فى سُؤالِ تحمُّلِ الدِّيات عنهم إذا ثَقُلَت ، أو السَّعى فى صُلْحٍ أو الدَمِ بين عشائر . قال:

* وجُمَّةٍ تسألنى أعطيتُ[2] *

وجعلَه اسمَ الجماعة من النَّاس وإنْ وردوا لغَيْرِ القَصْد .

---

(١) فى الأصل: « يدابر الناس » ، صوابه فى ل واللسان (جزى ١٥٧) .

(٢) الرجز لأبى محمد الفقعسى ، كما فى اللسان (جم) . وبعده:

وسائل عن خبر لويت   فقلت لا أدرى وقد دريت

٧٥٦

وقال جابر بن حُبَاب (١) :

١ – وإنْ يقتسم مَالى بنِيَّ ونسْوَتى فلن يَقْسِموا خُلْقى الجميلَ ولا فِعْلِي

٢ – أُهينُ لَهُمْ مَالِى وأعْلَمُ أنَّنِى سأورثه الأحياءَ ، سيرَةَ مَنْ قَبْلِي

٣ – وماوَجَدَ الأضيافُ فِيما يَنُوبهمْ لهم عند عِلَّاتِ الزَّمانِ أباً مِثْلِي

يقول : إن اقتسَمَ مالى أولادى وأزواجى وبناتى ، وفازوا بما أخلِّفه فيهم فلنْ يقتَسِموا ما تفرَّدْتُ به من خُلُق كريم أعدّه لزُوَّارى ، وفَعَال شريف أُقيمه لعُفاتى ، وأُدِيمه لمن يعتاق حبلى ، أو يتَّصل سَبَبُه و نَسبه بسببى ونسبى .

وقوله «أهينُ لهم مالى» ، يريد أنِّى أبذله وأبتذله ، لعلمى بأنَّ ما أبْقيه للأحياء (٢) سيرةَ مَن تقدَّمَنى فليس بمالٍ لى ، وأنَّ الذى يختصّ بملكى هو ما أتولَّى تفريقَه وإنفاقه فى الوجوه المحمودة عندى . وانتصب « سيرة » على المصدرِ ممَّا دلّ عليه قوله « سأورثه الأحياءَ » ، كأنّه قال : أسِيرُ فيما أتركُه من مالى سيرةَ أسلافى والنَّاسِ قبلى . يقال : سارَ سِيرةً حسنة ؛ يُشَارُ بها إلى الحالِ (٣) فى السِّيرة المعتادة . ثمَّ أُجرىَ مَجرى الشِّيَم والعادات . وقال القُطامى :

وسارَتْ سِيرةً تُرْضِيكَ منها يَكاد وَسِيجُها يَشفِى الصُّدَاعا (٤)

وقوله « وما وَجَدَ الأضيافُ فيما ينوبُهم » ، يريد بيانَ مكانِه من مآرب أضيافِه ، وأنَّهم لا يعتاضون فيما ينوبهم عند الزَّمان وتغيُّره وإمكان العِلّات فى

---

(١) التبريزى : « جابر بن حيان » .

(٢) فى الأصل : « بأنى أبقيه للأحياء » ، صوابه من ل ، لأنه يوازن بين مالين .

(٣) ل : « الحالة » .

(٤) الوسيج والوسج : ضرب من سير الإبل .

البُخْل وأهله أبَا مِثْلَهُ إذا فَقَدوا . وجعل نفسَه أبَا على عادتهم فى تسمية المُضِيف أبا المَثْوى . على ذلك قال أبو العِيال الهُذَلىّ :

أبو الأضْياف والأيتــــام سا ةَ لا يُعَدُّ أبُ[1]

ويجوز أن يكون المراد [بعِلّات الزّمان[2]] تحوُّلَه وتبدُّله .

٧٥٧

وقال أبو حاتم[3] :

١ ــ وعاذِلَةٍ قامَتْ عَلَىَّ تَلُومُنِى كَأَنِّى إذَا أعطَيْتُ مَالِى أَضِيمُها[4]

٢ ــ أعاذِلَ إنَّ الجُودَ لَيْس بِمُهْلِكِى ولا يُخْلِدُ النَّفْسَ الشَّحِيحَةَ لُومُها[5]

قوله « وعاذلةٍ » انجرّ بإضمار ربَّ ، وجوابُه يجوز أن يكون قامَتْ علىَّ وتلومنى فى موضع الحال ، ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ، كأنّه قال : قلتُ لها : أعاذِلَ إنّ الجود ليس بمُهْلِكى ، لأنَّ « قامت علىّ » من صفة العاذلة . وقوله « كأنِّى إذ أعطيتُ مالى أَضِيمُها » اعتراضٌ وقَعَ بين رُبَّ وجوابه . والمجرور بِرُبَّ أكثرُ ما يجىء موصوفاً . ويجوز أن يكون قوله « كأنِّى إذَا أعطَيتُ مالى أضيمها » الجواب .

ثمَّ أقبل عليها يخاطبها ، وهذا تَشبيهٌ يَجرى مجرى تصوير الحال فى إخراج الخافِى إلى البيان ، فيقول : ربَّ لائمةٍ قامت علىَّ تعتِبُ وتوبِّخ ، كأنِّى أبْخَسُ

(١) ديوان الهذليين (٢ : ٢٤٤) .

(٢) التكملة من ل .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٢٧ ص ١١٦٦ . والأبيات لم ترد فى ديوانه .

(٤) التبريزى : « إنما قال هبت بليل تلومنى ، لأنها لا تتمكن بالنهار ، لاشتغاله بخدمة الأضياف ، فانتهزت الفرصة ليلا لتلومه على بذل ماله » .

(٥) التبريزى : « ولا مخلد » .

حظًّا لها إذا بذلْتُ مالى ، أو أَغْصِبُها حقًّا من حقوقها ، لتَنَاهِى ظلامتِها ـ قلت لها : إنّ ما أعتدُه(١) من البَذْل والسَّخاء لا يُقرِّب منيّتى عن أَمَدِها ، ولُؤم النَّفس البخيلة ، لا يُديمُ بقاءها فى دُنْياها ، فإذَا كَان الجودُ يُفْنى والبخلُ لا يُبقى ولا يُقْنِى(٢) وكان فى السَّخاء إقامةُ المرُوءة واكتسابُ الأُكرومة ، وادِّخار الشُّكر واقتناء الأَجْر ، فالعقلُ يُوجِب الأَخْذَ به ، والحزمُ يَقتضِى الزُّهدَ فى غيره .

٣ ـ وتُذْكَرُ أَخْلَاقُ الفتى وعِظَامُهُ مُغَيَّبَةٌ فى اللَّحْدِ بَالٍ رَميمُها
٤ ـ ومَنْ يبتَدِعْ ما لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِه يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمُها

يقول : إنّ أخلاقَ الفتى مذكورةٌ بعد موته ، ومتردِّدة فى المجالس مع اسمِه فإنْ حَسُنَتْ عند الفَحْص حُمِدَتْ ، وإن قَبُحت فى السَّمع ذُمَّت . هذا وعظامُه باليةٌ قد صارت رِمَّةً فى لحده ، ومغيَّبةً عن المشاهدَةِ ضِمْنَ قبره . ومَنْ تكلَّفَ ما ليس من خُلُقِه ، أو استَبدَع خِيماً ليس من شأنه ، فارَقَه المُستحدَث ، وعاوَدَه المستقدَم . ومثله :

ومن يَبْتَدِعْ خُلْقاً سوَى خُلْقِ نَفْسِه يَدَعْه فترجِعْهُ إليه الرَّواجِعُ(٣)

ويقال : فلانٌ كريم الخِيم ، أى الطَّبيعة . وقال أبو عبيدة : هو فارسيةٌ معرَّبة .

٧٥٨

وقال آخر :

١ ـ أَكُفُّ يَدِى عَنْ أنْ يَنَالَ التِمَاسُها أَكُفَّ صِحَابِى حِينَ حاجتُنا مَعا(٤)
٢ ـ أَبِيتُ هَضِيمَ الكَشْحِ مُضْطَمِرَ الحَشَا مِنَ الجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أن أَتَضَلَّعا

(١) فى حاشية ل : « نخ : أعتاده » .
(٢) كذا فى ل . وفى الأصل : « لا يقى ولا يبق » .
(٣) البيت للمخضع القيسى . كما سبق فى حواشى الحماسية ٧٤٧ ص ١٦٩٣ . ونسب فى حماسة البحترى ٣٥٨ إلى المخضع النبهانى .
(٤) ل . « حاجاتنا » .

يقول : إذا اجتمعت مع أصحابى على طعامٍ لم تُزاحم كَفّى أكفَّهم ، بل آثَرْتُهم بما يروقُ من الزّاد فقَبِلتْه العين ، واصطفاه القَصْد ، وانقبضْتُ ليسأْثِروا به دونى إذا كانت حاجتُنا[1] متوافقة ، وأيدى الآكلين متواردة ؛ وأُبْقِى ليلتى صغيرَ البطن ، ضامرَ الجنبِ ، والزّادُ ممكِن ، والمُشتَهَى مُساعِدٌ ، فلا أتضلَّعُ شِبَعاً خشيةً مِن ذمّ يَلحق ، أو عارٍ يَلزم . وقوله « أنْ أتضلّعا » ، أى مخافةَ أن أتضلَّع . ويقولون : « هو الحِصْنُ أَن يُرام » ويراد : هو الذى يحصِّن من أن يُرَام . قال لبيد :

* وهُمُ العشيرةُ أَنْ يُبَطِّئَ حاسِدٌ *

أى تعاشَرُوا وتعاوَنوا مخافةَ أن يبطِّئهم حاسد .

وحذفُ حرفِ الجرّ يكثُر مع أن .

وقوله « حين حاجتنا مَعا[2] » حاجتنا مبتدأ ، ومَعاً سَدّ مسدّ الخبر ، وإن كان فى موضع الحال ، لأنّ المصادر إذا ابتُدِئ بها وقعت الأحوالُ أخبارًا لها ، كقولك : ضَرْبِى زيداً قائماً . وكذلك المضافُ إلى المصدر تقول : أكثر ضربى زيداً قائماً . وانتصب « حين » على الظرف وقد أُضِيف إلى الجملة بعدَه[4] ، والعامل فيه أكُفُّ يدى .

٣ ــ وإنى لأَستَحْيِى رَفِيقِىَ أنْ يَرَى مَكانَ يَدِى مِنْ جانِبِ الزّادِ أَقْرَعا

٤ ــ وإنك مهماَ تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وفَرْجَكَ نَالاَ مُنْتَهَى الذّمِّ أَجْمَعا

وصَف حُسْنَ أدبِه فى مُواكلة رفيقِه ولَفِّه[5] ، وأنّه لا يستأثر بما يُعجِبُ

(١) كذا باتفاق النسختين .
(٢) آخر بيت فى معلقته . وعجزه :
* أو أن يميل مع العدو لئامها *
(٣) كذا باتفاق النسختين ، وإن اختلفا فى إنشاد المتن سابقا .
(٤) ل : « هذه » ، تحريف .
(٥) اللف : الأكل . وهذه الكلمة ساقطة من ل .

من الزَّاد ، ولا تَظهرَ منه نَهمة وحِرْصٌ ، بل يستحْيِي من أن يُرى ما يَلِي يدَه من الزّاد خاليَ المكان . وليسَ لأحدٍ أنْ يتول إنَّ انقباضَه يؤدِّى إلى انقباضِ أكيله ، وذلك مذموم ، وإنما المحمود أن يَنبسط فى الأكل ويَبسُط مِن أكيله وذلك أنَّه قد بيَّنَ الغرضَ فى البيت الذى بعدَه ، لأنَّه قال :

وإنَّكَ مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَه   وفَرْجَك نالا مُنتهى الذمّ...

فبيَّن أنَّ إبقاءَه جانبَه من الزّاد مشغولًا ليس مع حاجةٍ إليه ، ولا عن إمساكٍ يؤدِّى إلى ما ذكرتُه ؛ فيصيرُ ذلك سبباً فى انقباضِ مَنْ يُوآكله ، وإنما يُريد ما يجرِى به عادةُ النَّاس من إظهار الشَّرَهِ والذهاب فيه إلى حَدِّ السَّرَف ، حتَّى يمدّ يدَه إلى ما يَلِي غيرَهُ ، ويتخطَّى أيدِيَ الناس . وهذا ظاهر . وموضع « أجمع » من الإعراب جرٌّ على أن يكون تأكيداً للذمّ ، وهو إلى التَّأكيد أحوجُ من قوله «منتهى» ، لأنَّه متناولٌ للجنْس والعُموم ، ومايفيده فى الجِنْس أولى . وقوله «نالَا منتهى الذمّ» ، كأن الأجود أن يأتى المضارعُ[(١)] فى جواب الشّرط ، وقد حصل مضارعاً وظهرت الجزميَّةُ فيه ، ولكنه أتى به ماضياً للضرورة .

وقد ألمّ بهذه الطَّريقة المُرَقِّشُ فقال فى الغزَل :

وإنى لأستَحيِي فطَيْمَةَ جائعاً   خميصاً وأستحيِي فُطَيمةَ طاعِما

وإنى لأَستحييكِ والخَرْقُ بيننا   مخافة أن تَلْقَىْ أخًا لىَ لائما

ألا ترى أنه أجملَ ما فصَّله هذا الشاعر فى قوله : أستحيي طاعمًا ، وجائعًا . هذا مع البُعْد بينه وبين صاحبته . ويجوز أن يريد بقوله « مكانَ يَدِى من جانب الزاد أقرعا » أنه يكثِّر الزادَ حتى يَسعَه وجماعتَهم ويَفضُلَ أيضًا ، والأوّل أحسن . وأصل القَرَع ذَهاب شَعَر الرأسِ من داءٍ . وحُكِىَ أنه قلَّ

(١) ل : « بالمضارع » .

نَعامةٌ تُسِنُّ إلا قَرِعت، لذلك قيل: نَعامٌ قُرعٌ. والسُّول يجوز أن يكون من سِلْتُ أَسَالُ، لغة هذيل في سأل. ويجوز أن يكون ليّن همزته وأصله الهزة. ويجوز أن يكون من سوَّلتْ له نفسُه كذا، إذا زيَّنَت له. وسوَّل له الشيطان كذا، إذا أرخَى حبلَه فيه. وفي القرآن: ﴿الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ﴾.

وقال الهذليُّ (١):

* سَحٌّ نَجاءِ الحَمَلِ الأَسْوَلِ (٢) *

فوصَف السَّحابَ بالسَّوَل لتدلِّيه واسترخائه، لكثرة مائه.

٧٥٩

وقال آخر:

١ ــ أَمَا والذى لا يَعْلَمُ السِّرَّ غيرُه ... ويُحيي العِظامَ البِيضَ وهْيَ رَمِيمُ

٢ ــ لقد كنتُ أختارُ القِرَى طاوِيَ الحَشَا ... مُحافَظةً من أنْ يُقالَ لَئيمُ (٣)

٣ ــ وإنى لأَستَحْيِي يَمِينِي وبَيْنَها ... وبَيْنَ فَمِي دَاجِي الظَّلاَمِ بَهِيمُ

أقسَمَ بالله تعالى المطَّلِعَ على الضمائر، العالِمِ بخفيّات الأمور، والمحيي للأمواتِ بعد أن رَمَّت عظامُها وبَلِيَتْ يومَ النُّشور، بأنه يختارُ إطْعامَ الضَّيفِ وإيثارَه بالزادِ وهو محتاجٌ إليه قد اضطَمَرَ حشاهُ من الجوع، لئلّا يُنسَبَ إلى اللُّؤْم، وليُحافِظَ على الشَّرَف القديم. ويروى: «لقد كنتُ أختارُ الخَوَى». والخَوى: خَلاء الجَوْف من الطعام، وخَلاء الدار من السُّكّان. فأمَّا مَن روى: «أختارُ القِرَى» فمعناه ظاهر، يريد أختار إقامةَ القِرَى، فحذف المضاف. وبعضُهم رواه: «لقد كنتُ أختار القَوَى» وزعَمَ أنه مقصورٌ من القَوَاءِ، وليس بشيء.

(١) هو المتنخل الهذلى. ديوان الهذليين (٢ : ١٠) واللسان (سول).

(٢) صدره: * كالسحل البيض جلا لونها *

(٣) التبريزى: «ويروى: محاذرة».

وقوله : « وإنى لأستحيي يمينى وبينها وبين فَمى فى داجى الظلام » ، فقد زادَ فيه على ما تقدَّم فى المقطوعة قبلَه ، لأنه ذكر أنه يستحيي من نفسِه ويَدِه وهو لا ثانىَ له ، فى الليلة الظلماء ، وإنما يريد تعوُّدَه ما يُستحسَنُ فى الأكل ، ويُختار فى الإطعام ، فإذا تفرَّدَ جرى على عادته إذا تجمَّع . وانتصب « محافظةً » على أنه مفعول له . و « طاوى الحشا » ، وانتصَبَ على الحال ، ويجوز أن يريد إن لم يَرَنى الضيفُ فيما آتيهِ عند الأكل للظَّلام الشامل ، ولم يَبِنِ [له[1]] ما أَتْرُكُ ، فإنى أستحيي من يَدِى فلا أحتجِنُ ولا أستأثر . والأوَّل أحسن . والبَهِيم : المُظلِم ، وأصله الذى لا شِيَةَ فيه ولا وَضَح ، أىَّ لونٍ كان ، وأراد به هنا تأكيد السَّواد ، لأنّ قوله « داجى الظَّلام » أفاد الإظلام .

٧٦٠

وقال رجل من آل حَرْب[2] :

١ ـ باتَتْ تَلومُ وتَلْحانى عَلَى خُلُقٍ عُوِّدْتُه عادةً وَالجُـــودُ تعويدُ

٢ ـ قالت أراكَ بما أنفقْتَ ذا سَرَفٍ فيما فَعلْتَ فهلاَّ فيك تَصْرِيدُ

٣ ـ قلتُ اتْرُكِينى أَبِعْ مالى بمَكْرُمَةٍ يَبْقَى ثنائى بها ما أَوْرَقَ العُودُ

٤ ـ إنَّا إذا ما أَتَيْنَا أَمْرَ مَكْرُمَةٍ قالت لنا أَنْفُسٌ حَرْبِيَّةٌ عُودُوا

يقول : بَقِيَتْ هذه المرأةُ ليلتَها تعتِب علىّ وتذمُّنى فى عادةٍ نشأت عليها ، وخَليقةٍ تخلَّقتُ بها ، والجودُ عادةٌ وإلفٌ . وقوله « والجود تعويدُ » اعتراض دخَلَ فى أثناء الحكاية عنها ، فقالت لى : أراكَ تُسرِفُ فى الإنفاقِ ، وتَجرِى

---

١ [ ] تكملة من ل .

(٢) التبريزى : «ذكر المدائنى أن السفاح أمر بقتل رجل من بنى أمية ، فبمته امرأته وابنه الصغير ، فجعل يفرق أمواله وامرأته تقول : ولدك ولدك ! ؟ فقال ... » .

إلى ما لا يقوم له مالُك فى التقدير ، ولا يَفِى به وُجْدُك عند التحصيل ، فهلّا فطمْتَ نفسَك عنها وجَرَيْتَ على سَنَن يُساعِدُكَ عليه حالك ، ولا تعجزُ عنه مقدرتك . والأصل فى التَّصريد تقليل الشُّرْب . يقال : سَقاه سَقْيةً مُصَرَّدَةً .

وقوله «قلتُ اتركينى» ، أى أجبتُها بأنْ خلِّينى وابتياعَ المكارم بمالى ، ليَبقى ثَناء الناس على أبداً بها ، ومُدَّةَ إيراقِ الشّجَر . فما أورق العودُ ، فى موضع الظَّرف . وقوله « ثنائى بها » أضاف المصدرَ إلى المفعول ، والمراد ثناء الناس علىّ . وقال «أ بِعْ مالى» ، والمال ثمن المَبيعات ، لأنّ المتبايعَين كلٌّ منهما يبيع ويشترى .

وقوله « إنّا إذا ما أتينا أمر مكرُمة » ، يقول : من شأننا أن لا نرضى فى ابتناء المكارمِ ، وإسداء المعروف والصَّنائع بالإيحادِ فيها ، والاكتفاء بالوِتْر عند فِعلها ، ولكنَّا نشفع ونعاود ، ونُتْبِع الأُكرُومة بأُختها فنُطابق .

وقوله «عوّدتُه عادةً » انتصب « عادةً » على المصدر ، لأنها وُضِعت موضع التعويد ، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة ، يدلُّ على أنّ ذلك هو المراد قوله « والجود تعويد » . ويقال : تعوَّدتُ كذا واعتدتُه واستعدتُه وأعَدتُه بمعنًى ، وفَحْلٌ مُعيدٌ ومعاوِدٌ ، أى معتاد الضِّراب ، وإنما قال « أنفسٌ حربيّة » تبجُّحاً بأسلافه ، وإظهاراً بأنّ مَن كان منهم لا يأتى عِرقَ ونَجْرُه إلاّ الكَرَم(١) .

٧٦١

وقال أبو كَدْراءَ العِجْلِىُّ(٢) :

١ — يا أمَّ كَدْرَاءَ مَهلاً لا تَلُومِينِى   إنِّى كَرِيمٌ وإنَّ اللَّوْمَ يُؤْذِينِى

٢ — فإنْ بَخِلْتُ فإنَّ البُخْلَ مشتَرَكٌ   وإن أَجُدْ أُعْطِ عَفْوًا غيرَ مَمنونِ

(١) ل : « من كان منهم يأبى عرقه ونجره إلا الكرم » .

(٢) فى الأصل : « أبو كبير العجلى » ، صوابه فى ل والتبريزى . وفى المؤتلف للآمدى ١٧١ : « فأما أبو كدراء فهو زيد بن ظالم ، أحد بنى مالك بن ربيعة بن لجي » .

يخاطب امرأته (١) وقد تضجَّرَ بملامتها ولَذْعةِ (٢) إنكارها وعتابها .
فيقول : رِفْقاً فيما تَسلكينه ، وكفًّا عما أُولِعْتِ به ، فإنِّي نشأتُ على الكَرَمِ
فلَوْمُكِ يُؤْذيني ولا يُغني عنكِ شيئا ؛ لأنِّي لا أقابلُه بالقَبول ، وقد يؤدِّي الإفراطُ
في القول إلى الزِّيادة في الوَلُوع ، ولأنِّي إن بَخِلْتُ فالمبخولُ به مشتَرَكٌ بيني وبين
ورثتي ، وإنْ أجُدْ أُعْطِ مالي عفواً ، أي تَسمَحُ نفسي به فلا أكون مجهوداً ،
ولا أمتَنُّ على مَن يأخذُه ، لأنِّي أقضي بالبَذْلِ لذَّةً ومأربةً (٣) ، وأُمضي هَوًى لي
في مَصارفي ومُنْيَةً ، مُستخْلَصاً من شِرْكة غيري ، ومُقتَسَماً في وجوه
إرادتي وبَذْلي .

وقوله « فإنَّ البُخْلَ مشتَرَكٌ » إنْ شئت جعلته على حذْف المضاف ، ويكون
المراد : فإنَّ ذا البخل . وإنْ شئتَ جعلته المفعولَ ، كما يقال الخَلْقُ والمرادالمخلوق ،
ودِرهمٌ ضربٌ والمراد مضروب .

والممنون يجوز أن يكون من المَنّ ، وهو القطع ، أي أُديمُ ذلك إدامةَ مَنْ
يتصرَّف في مِلْكه لا من يتصرَّف في مُشتَرَكه . ويجوز أن يكون من المَنّ
والأذَى . وقال بعضهم : أراد بقوله إنّ البخلَ مشتَرَك ، أنَّ الناس أكثرُهم
بُخَّال ، فيكونُ لي شركاء . وهذا كلامُ معتذِر من البخلِ لا كلامُ ذامٍّ له .
ومع ذلك فعَجُز البيت يَبْعُد عنه ولا يلائمه ، وقد أبانَ عمَّا ذكرتُه فيما يليه ،
لأنَّه قال :

٣ ـ لَيْسَتْ بباكيةٍ إبلي إذا فَقَدَتْ صَوْتي ولا وارِثي في الحيِّ يَبْكيني
٤ ـ بَنَى البُناةُ لَنَا مَجْداً ومَكْرُمَةً لا كالبِناء من الآجُرِّ والطِّينِ

(١) ل : « حليلته » .
(٢) ل : « ولذعه » ، وتقرأ على أنها فعل فاعله « إنكارها » .
(٣) المأربة ، مثلثة الراء ، بمعنى الأرب ، وهو الحاجة .

يقول : إنّي لا أُبْقِي على إبلي ولا أُبقِّي منها ما يَفْضُلُ عن إفضالي ، فإذا متُّ عنها وفَقدَتْ صوتي في زَجْرِها والأمرِ بتفريقها ، فإنَّها لا تبكيني ؛ وكذا وارثي لا يحصِّل شيئاً من إرثي فلا تراه يندُبني . ثم قال : إنَّ أسلافي بنَوْا لي مَجْداً وكَرَماً ، فأحتاجُ أن أقتدِيَ بهم وأعْمُرَ خِطَطهم ، وإنْ لم يكنْ كالبِناء المبنيِّ من الطِّين والآجرّ ، لأنَّ المكارم تسترِمُّ فتدعو إلى تفقُّدها ، بخلاف ما تُتفقد به المصانعُ إذا استَرَمَّت .

٧٦٣

وقال عُتْبةُ بن بُجَير (١) :

١ - لِحَافِي لِحافُ الضَّيفِ والبَيتُ بَيْتهُ ولم يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ

٢ - أُحَدِّثُه إنَّ الحَديثَ مِنَ القِرَى وتَعْلَمُ نَفْسِي أنَّه سَوْفَ يَهْجَعُ

يقول : إذا نَزَل الضَّيف بي فإنِّي أُوثِرُه بأشرفِ مكانٍ من بيتي ، وأعزِّ فِراشٍ لي ، ولم يَشغَلْني عنه لا الأهلُ ولا الولد ، فأخدُمُه وأؤنِّسه ، وأبسُطُ منه وأخرِّفه (٢) ، وكلُّ ذلك من شَرْط القِرَى وإنْ لم يكن طعاما ؛ ومع ذلك تعلمُ نفسي وقتَ هُجوعِهِ فلا أُمِلُّه ولا أُتعِبه ، ولا أَشغَلُه عن راحته ولا أُضجِرُه .

فإن قيل : كيف تَحمَّدَ بقوله « أحدِّثه إنَّ الحديثَ من القرى » ، وقد قال غيره في إنزال الضيف « ولم أقعُدْ إليه أسائلُه (٣) » ؟ قلتَ : ليس قوله أحدِّثه ممَّا انتفى منه ذاكَ في قوله ولم أقعُدْ إليه أسائله ؛ لأن ذاك أشار إلى ابتداء النزول ، وذلك وقتُ الاشتغال بالاحتفال له أولَى . وهذا يريد أنه يحدِّثه بعد الإطعام ،

(١) التبريزي : « وقيل إنه لمسكين الدارمي » . وانظر ما سبق في ١٥٥٧ .

(٢) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط في النسختين . والذي في المعاجم : خرفت فلانا أخرفه ، إذا لقطت له الثمر . وأخرفه نخلة : جعلها له خرفة يخترفها .

(٣) قطعة من بيت للعذري ، سبق في الحماسية ٧٥٠ ص ١٦٩٨ .

كأنَّه يسامِرُه حتَّى تطيبَ نفسُه ، فإذا رآه يميلُ إلى النَّوم يخلِّيه .

قال الأصمعىّ : من سنَّة العرب أنَّ الغريب منهم إذا نزَلَ فصادفَ هشاشة وفُكاهةً أيقَنَ بالتكرُّم وحُسْنِ التَّفقّد ، وإن رأى إعراضاً والتواءً عرَفَ ابتذالاً وحِرْماناً . فلذلك قال « إنَّ الحديث من القِرَى » .

٧٦٣

وقال عَمْرو بن أَحْمَرَ الباهِلِىُّ (١) :

١ ـ ودُهْمٍ تُصَادِيهَا الوَلائِدُ جِلَّةٍ إذا جَهِلَتْ أَجْوافُها لم تَحَلَّمِ
٢ ـ تَرَى كُلَّ هِرْجَابٍ لَجُوجٍ لِهَمَّةٍ زَفُوفٍ بِشِلْوِ النَّابِ هَوْجاءَ عَيْلَمِ

أراد بالدُّهم قُدوراً سُوداً . ومعنى « تُصادِيها » تداريها وتُمارِسُها فى النَّصْب والإنزال وإعدادِ الآلات لها . والولائد : الجوارى . والجِلةُ : الكبار العظام . وقوله «إذا جَهِلَتْ أجوافُها» ، يريد إذا غَلَتْ وأَرْزَمَتْ . فعَدَّ ذلك جهلًا منها . وقال «أجوافُها» جَمعاً على ما حَوْلَه . وقوله « لم تَحَلَّم » أراد لم تَسْكُن بالهُوَينى لعظَمِها .

وقوله « تَرَى كلَّ هِرْجَاب » ، فالهِرْجاب : الضَّخم الثقيل . واللَّجوج هى التى إذا استَعَرت النّارُ تحتها لَجَّت . واللِّهَمَّةُ : الكبيرة التى تلتهم الأوصالَ الموفَّرة ، والأعضاء المورَّبة . وقوله « زَفوف بشلْو النَّاب » أى لسعَتِها ترمى جوانبُها بأشلاء النَّاب وتَزِفُّ بها . والزَّفيف : ضَربٌ من السَّير . والهَوْجاء : التى كأنَّ بها هَوَجاً جُنوناً . والعَيْلم : الواسعةُ الكثيرة الأَخْذ من المَرَق ، كالعَيْلَم من الآبار .

(١) هو عمرو بن أحمر بن العمود الباهلى ، من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازى فى الروم ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والمؤتلف ٣٧ وابن سلام ١٢٩ والخزانة (٣: ٣٨) واللآلى ٣٠٧ .

٣ ـ لَهَا لَغَطٌ جِنْحَ الظَّلامِ كأنَّها عَجارِفُ غَيْثٍ رائحٍ متهَزِّمِ
٤ ـ إذا رَكَدتْ حَوْلَ البُيوت كأنَّما تَرَى الآلَ يجرى عن قَنابِلَ صُيَّمِ

اللَّغَط : الصَّوت ، يعنى هزَّتَها فى الغليان . وانتصب « جِنْحَ الظَّلام » على الظَّرف ، يريد أنها تَغلِى إذا جنَحَ الظَّلامُ بالعشىّ ، وذاك وقتُ الضيافة ، وكأنَّ لغطَه صوتُ رعد من غَيْثٍ ذى تعجرُفٍ . والعَجَارف : شِدَّةُ وقوع المطَرِ وتتابعه ، يريد أنَّه هبَّت[1] الرِّيحُ فيه وصار له هَزْمَةٌ أى صوت . شَبَّهَ صوتَ القِدْرِ فى غَلَيانها بصوت الرَّعد من سَحَابٍ هكذا .

وقوله « إذا ركَدتْ حول البيوت » رجع إلى صفة القُدور كلِّها ، فيقول : إذا نُصِبت فثَبَتَتْ على الأثافىّ حولَ البيوت وقد أُشْبِعَت وحُفِّلَت باللُّحوم والشُّحوم ، تراها تَبرُقُ إهالتُها ، وتتلألأ تلألُؤَ الآلِ ، وقد جرَى على مُتُون خُيولٍ واقفة ، فساعَدَه بريقُ السِّلاح . والقنابل : الجماعاتُ من الخيل ، حدها قنبلة[2] والصُّيَّم : جمع صائم ، وهو القائم . والصَّوْم قيامٌ بلا عَمَل . وصام الفرسُ على المِعْلَف ، إذا لم يَعتلِف .

٧٦٤

وقال المرَّارُ الفقعَسِىُّ[3] :

١ ـ آلَيْتُ لاأُخْفِى إذا الليلُ جَنَّنِى سَنَا النَّارِ عن سَارٍ ولا مُتَنَــوِّرِ
٢ ـ فيا مُوقِدَىْ نارِى ارْفَعاها لعلَّها تُضِىءُ لِسَارٍ آخِرَ اللَّيـــلِ مُقْتِرِ

(١) فى الأصل : « لأنه لذا هبت » ، صوابه فى ل .
(٢) كذا ضبطت فى النسختين بضم القاف والباء . وضبطت فى اللسان والقاموس بفتحهما .
(٣) هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس ، شاعر إسلامى . المؤتلف ١٧٦ والمرزبانى ٤٠٨ والأغانى (٩ : ١٥١ ـ ١٥٤) والخزانة (٢ : ١٩٣ ـ ١٩٧) والشعراء ٦٨٠ ـ ٦٨٣ .

يقول : أخذتُ على نفسى مُوليًا ومقسِماً ، أنى لا أُخْفِى إذا الليلُ سترَنى بظلامه ضوءَ نارى عن سارٍ يبغى مبيتاً ، ولا ناظر [إلى نار [1]] ليهتدى بها .

ثمَّ ترَكَ الإخبارَ عن نفسه ، وأقبلَ يخاطب موقِدَىْ ناره فقال ارفعاها ، أى اجْعلاها فى يَفَاعٍ ومَكانٍ مُشرِف ، فعسى أن تُضىءَ لِسارٍ مُرْمِلٍ نقيرٍ فى آخر الليل ، وقد كابَدَ ما كابدَ من أوَّله ، فخَلَص إلينا ، واهتدى بنارنا . والمتنوِّر : النَّاظر إلى النَّار . وإنما قال « فيا موقِدَىْ نارى » على عاداتِهم فى جَعْل مُزَاوِلِى الأمور اثنَيْن اثنين . على ذلك قولُ الآخر [2] :

* ترَى جازِرَيْهِ يُرْعَدَانِ [3] *

وكما قالوا فى الحالِب البائن والمُستَعلِى ، وفى الاستقاء القابل والمستَقِى .

و « لعلَّ » يعد مع أفعال المقارَبة وإنْ كان حرفاً . والمُقْتِر : الفقير . ويقال قَتَر وأَقْتَر بمعنى . وقد يُجعل المُقْتِر نقيضَ المُكثِر .

٣ ـ وماذَا علينا أن يُواجِهَ نارَنا كريمُ المُحَيَّا شاحِبُ المُتَحَسَّرِ

٤ ـ إذا قالَ مَنْ أنتم لِيعْرِفَ أهلَها رفَعْتُ له باسمى ولم أتنَكَّرِ

٥ ـ فيَبْتُنا بخَيْرٍ مِنْ كَرَامةِ ضَيْفِنا وبِتْنا نُهَدِّى طُعْمَةً غيْرَ مَيْسِرِ [4]

قوله « وماذا علينا » ، أى أىُّ ضرر يلحقُنا فى أن يتوجَّه إلى نارنا رجلٌ كريمُ الوجه ، هزيلُ المعرَّى ، قد ظهَرَ أثرُ الضُّرّ على متحسَّرِه ، أى حيث يتحسَّرُ الثَّوب عنه ، كالوجه وسائر ما لا يغطِّيه . وقوله « كريم المحيّا » ضدّ قولهم : لئيم المقَذِّ ، لأنّ المحيّا هو الوجه ، فأضيف الكرم إليه . والمَقَذُّ : منتهى الشَّعَرِ

(١) التكملة من ل .

(٢) هو زينب بنت الطثرية . انظر ص ١٠٤٩ .

(٣) تمامه : ترى جازريه يرعدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله

(٤) التبريزى : « ويروى » : « نهدى هدية » .

من القفا ، فأضيف إلى «م إليه ، وقد قيل : حرُّ الوجه ، وعبد القفا ، وعبدُ القفاء .

وقوله « إذا قال من أنتم » ، يريد أنّه يتعرَّف لينظرَ هل على النار من يكرُم قِراه ويطيبُ النُّزولُ عليه . وقوله « رفعتُ له باسمي » جواب إذا ، أي عرَّفته اسمي إذا سأل ، ولم أُلبِسْ نفسِي خمولًا ، ثقةً بأنه يرضاني لنزوله ، ولأنّهم كانوا يَرُوزون المستضافَ بالكلام (١) ، لينظروا ماذا يكون منه من استهلالٍ واهتزاز ، أو ازورارٍ وانقباض .

وقوله « فبِتْنا بخيرٍ من كرامة ضَيْفِنا » ، يريد : احتفلْنا لضيفنا فشرَكْناه في الخير المعدّ له ، وبقينا ليلتنا نُهدِّي إلى الجيران من فواضل الطّعام والزّاد عنّا وعن ضيفنا ، وذلك « غيرَ مَيْسِرٍ » ، أي لم يكن مما ضُرِبَ عليه بالقِداح وتياسَرْناه أي اقتسمناه ، بل كانَ مما نَجْشَم للضّيف لا يشرَكنا أحدٌ فيه .

٧٦٥

وقال عُرْوةُ بن الوَرْد (٢) :

١ — أرَى أمَّ حَسَّانَ الغَداةَ تَلُومُني تُخَوِّفُني الأعداءَ والنَّفْسُ أخْوَفُ (٣)

٢ — لَعَلَّ الذي خَوَّفْتِنَا مِنْ أمَامِنا يُصادِفُه في أهلِه المتخلِّفَ

يقول : لمّا هممت بالسفر وجمالته منّي ببال اعترضَتْ هذه المرأة عليَّ وأقبلَتْ تلومُني وتحذِّرني الأعداءَ في الوجه الذي أردت تيْميمَه ، ونفسي أشد خوفاً لأنها حسّاسةٌ حذِرَة ، لكنّي تجلَّدتُ لها وأجبْتُها بأنَّ الذي أنذرْتِناه من قُدّامنا ، والسَّمْتِ الذي هو نيّتُنا وطِيَّتنا ، لعله يلْقاه المتخلِّفُ عن السَّعْي في طلَب الرِّزق

(١) رازه يروزه : اختبره .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٤٥ ص ٤٢١ . والأبيات في ديوانه ١٠١ وبعدها فيه ثلاثة أخرى .

(٣) أم حسان هذه امرأة عروة ، وكانت قد نهته عن الغزو ، كما في الديوان .

المقيمُ في أهلِه راضياً بأدْوَنِ العَيش ؛ لأنَّ الحذَرَ لا يغني عن القَدَر ، وقد يُؤتَى الإنسانُ من ناحية أَمْنه ، ويصادف فيه ما لا يصادفه الخائفُ من ناحية خوفه .

وقوله « خَوَّفتِنا » حذَف الضميرَ العائد إلى الذى منه ، استطالةً للاسم بصلته .

وقوله « من أمامِنا » ، يريد من حيث نأتمُّه ، والوجه الذى نتوجَّه إليه ، وذلك قُدَّامَه لا شكَّ . وموضع « يصادفه » رفعٌ على أن يكون خبرَ لعلَّ . و « فى أهله » تعَلَّق الجارُّ منه بفعلٍ مضمر ، وموضعُه نصبٌ على الحال ، أى يصادفه المتخلِّف مقيماً فى أهله ومستقِرًّا .

٣ ــ إذا قُلْتُ قدجاء الغِنَى حال دُونَه أبُو صِبْيَةٍ يَشكُو المَفَاقِرَ أَعْجَفُ

٤ ــ لَهُ خَلَّةٌ لا يَدْخُلُ الحقُّ دُونَها كريمٌ أصابَتْهُ حَوَادِث تَجْرُفُ(١)

يقول : إذا اتَّفق لى فى مقصدٍ من مقاصدى ما أُقدِّر فيه حصولَ الغنى وجوازَ الاعتماد عليه فى مَبَاغى الدُّنيا ، ووَعَدْتُ نفسى له ومن أجله بالاكتفاء عندَ الفِكر فى مُؤَن العِيال ، حال بينى وبينه اجتداءُ صاحب عَيْلَةٍ ، ووالد صِبْيَةٍ ، ظاهِر الفقر ، سيِّء الحال ، يشكو زمانَه وتأثيرَ الضُّرِّ فيه ، وعليه مما يتألَّم منه شواهدُ تمنع دخول حقٍّ دون خَلَّتِهِ ، وتأبى أن يقالَ فى شىءٍ من المفْقِر هو أولَى منه . [فكأنَّه(٢)] يعنِى بالحقِّ نسيباً أو جاراً أو متحرِّماً بحرمة ، لأنَّه متى قوبِلَ حالُه بحالِ مَن ذَكَرَه لم يوجِبْ تقديمَه عليه ، ولم يستحقَّ العدولَ عنهُ إليه . هذا من طريق الوُجوب له ، ثمَّ هو فى نفسِه يَرجِعُ إلى كرمٍ ومُروءة ، ويستظهِرُ بعنوانِ نَعْمَةٍ وتَرْفَة ، وقد نابته نوائبُ تجرُف المال ؛ أى تُتَوِّيه جملةً لا تُزيله شيئاً بعدَ شىء ، كما يُكالُ الشىء أو يُوزَن ، فعهدُه به قريب ؛ والتوفُّر عليه متعيِّنٌ مفروض ، فإذا التزَمْتُ له واجبَه ، وآثرْتُه بصَرْفِ ما فى يدى إليه ، عُدتُ

(١) الديوان : « أصابته خطوب » .

(٢) التكملة من ل .

محتاجاً كما كنتُ ، وساعياً فى الطّلَب كما ابتدأت . وقوله « كريم » من صفة أو صِبْيةٍ ، وقد تابَعَ بينَ صفاتٍ من مُفْردٍ وجملة .

٧٦٦

وقال يَزِيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ [(١)] :

١ ـ إذا أرْسَلُونى عند تَقْديرِ حاجَةٍ   أُمارِسُ فيها كُنتُ عيْنَ المُمَارِسِ

٢ ـ ونفْعِىَ نَفْعُ المُوسِرينَ وإنما   سَوَامِى سَوَامُ المُقْتِرين المَفَالِسِ

يقول : إذا أرسلَنِى عشيرتى فى مُهِمٍّ لهم يُقَدِّرون ارتفاعه بى وبسَعيِى ، ويؤمِّلون انتفاعَهم به عند اجتهادى ، فاعتَمَدُوا مُزاوَلَتى ، ووَثِقُوا بالنَّجاح لدى ممارستى ، كنتُ فيه حقَّ الممارِس ، لا أضجِّع فيه ولا أفرِّط ولا أقصِّر ، بل زِدتُ على ظَنِّهم بى وتجاوَزْتُ الغايةَ التى يقفون فيها من رجائى ، فنَفْعِى نَفْعُ المُكْثِرينَ وإن كان مالى الراعيةُ مالَ الفُلْسين[(٢)] المُقْتِرين . وقوله « المَفَالس » ، الإفلاس : لفظةٌ عربيّة وإن كَثُرَ التَّداولُ لها فى ألسِنَة العامّة . وكان الأصل فى أفلَسَ الرّجلُ أن يصيرَ صاحب فُلوس بعد أنْ كان صاحبُ أموال . وتفْليس الحاكم معروف . وهو من هذا ، كأنَّه ينسُبُه إلى ذلك ، فهو كالتَّعديل والتَّنسيق . والسَّوَام من قولهم : سامَتِ الماشيةُ تسوم ، وهى سائمة . والمِرَاس : مُزاوَلَة الشَّىء ، ويقال : مَرِسَ الحبلُ ، إذا نَشِب فى البَكْرة عند الاستقاء . ويقال لمن يردُّه إلى موضعه أمرَسَ فهو مُمْرِس . على ذلك قولُه :

* بئس مَقَام الشَّيخِ أمْرِسْ أمْرِسِ [(٣)] *

---

(١) سبقت ترجمته وتحقيق نسبته فى الحماسية ٥٤١ ص ١٣٤٠ .

(٢) ل : « المقلين » .

(٣) أنشده فى مجالس ثعلب ٦ د ٢ واللسان « مرس » . وبعده :

* إما على قعو وإما اقعنسس *

ثمَّ يقال في الصَّبور على طلبِ الشيء القويّ : هو تَرِسٌ ، وشديدُ الممارَسةِ والمِراس . وقوله « أمارس فيها » في موضع الجرّ على أن يكون وصفاً لحاجة .

٧٦٧

وقال سالم بن قُحْفَانَ (١) ، وقد عاتبَتْه امرأتُه :

١ ــ لقَدْ بَكَرَتْ أمُّ الوَليد تَلومُني ولم أجْتَرِم جُرْماً فقُلْتُ لها مَهْلا (٢)

٢ ــ فلا تَحْرِقِيني بالمَلاَمَةِ واجْعَلِي لِكلِّ بعيرٍ جَاءَ طالبُه حَبْلا (٣)

٣ ــ فلَمْ أرَ مِثْلَ الإبْلِ مَالاً لمُقْتَنٍ ولا مِثْلَ أيَّامِ العَطاءِ لها سُبْلا

يقول : ابتكرت هذه المرأةُ لائمةً لي وعاتبةً عليَّ من غير جنايةٍ جنَيْتُها واكتسبتها ، ولا جريمةٍ اجترمتُها وقدَّمْتُها ، فقلت لها : رِفقاً في قولك لاخُرْقاً ، وصبراً على مضَضِك (٤) واقتصادا ؛ ولا تحرِقيني بنارِ عَتْبِك ، وسُلْطانِ غَيْظك ، ولكن اتَّبِعِي (٥) مُرَادي ، واهتَدِي بهدْيِي ، واثقةً بأنَّ الصَّوابَ في فعلي وقَولي ، وجوامعَ الخير مقرونةٌ بعَفْوِي وجَهْدِي ، واجعَلِي لكلِّ بعيرٍ نَصَصتُ عليه لسائلٍ حبلاً ، ليقتادَه به ، مشاركَةً لي في الكرم وابتغاء الصَّلاح ، وموافقةً فيما أُوثِرُه من وجوه الاصطناع ، لا يَظْهَرُ منك تكرُّه ، ولا اشتطاطٌ وتَسَخُّط . واعلَمِي أنِّي لم أر مالاً مثلَ الإبل لمن يَقْتَنِي خيرا ، ويدَّخِرُ أجرا ، ولا مثلَ أوقات العَطاءِ سبيلاً لها ومَمَرًّا . ويجوز أن يريد بقوله « مالاً لمُقْتَنٍ »

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٦٨٥ ص ١٥٨١ .

(٢) سبقت هذه الحماسية برقم ٦٨٤ مع إسقاط البيت الأول هنا وزيادة بيت بين الثاني والثالث .

(٣) التبريزي : « جاء سائله » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « على خصمك » .

(٥) في الأصل : « ابتغى » ، صوابه في ل .

أي لمن يجمعُ (١) ما يقتنيه ويجعله الأصلَ في يساره وغناه. وبعدَ ذلك فتحويلها إلى العُفاة برُمَّتها أعْوَدُ عليهم وأرَدّ، وأبقَى في حالهم وأغنَى. والاقتناء: اتِّخاذ الشَّيء للنَّفْس لا للبَيع. ويقال: هذه إبلٌ قُنْيَةٍ، وهذه مالٌ قُنيان، لما يُتَّخَذ للنَّسْل لا للتِّجارة. ويقال قَنَا يَقْنو، وقَنِى يَقْنَى، لغتان، ومن الثَّانية قولهم: أقْنَى حياءَكِ. ومن الأولى قوله:

* كذلِكَ أقْنُو كلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ (٢) *

٧٦٨

فرمَتْ إليه امرأتُه بخِمارها وقالت: صيِّرْهُ حبلاً لبعضِها

وأنشأَتْ تقول:

١ ـ حَلَفْتُ يميناً يا ابنَ قُحفَانَ بالَّذى ... تكَفَّلَ بالأرزاقِ في السَّهْلِ والجَبَلْ

٢ ـ تَزَالُ حِبالٌ مُبْرَماتٌ أُعِدُّها ... لها ما مَشَى يوماً عَلَى خُفِّه جَمَلْ

٣ ـ فأعْطِ ولا تَبخَلْ إذا جاءَ سائلٌ ... فعِندِي لها عُقْلٌ وقد زاحَتِ العِلَلْ

يقول: أقسمتُ يميناً بالله الذي تضمَّن الأرزاقَ لمرتزِقِها، وفَطَر الخَلْقَ الذى اخترعَهم في سَهْلِ الأرض وحَزْنِها، لا تَزالُ من جهتي حِبالٌ مُستحصَدةٌ معدَّةً لإبلِكَ التي صرَفتَها في مصارفِ بَذْلِكَ مدَّةَ الدهر، اقتداءً بك، ودُخولاً تحتَ طاعتك. فالمتكفِّل بالأرزاق هو الله تعالى في أقطار الأرض، وقد وَثِقْنَا بتفضُّله والتعيُّشِ من فضله.

(١) في الأصل: «ولمن يجمع»، صوابه في ل.

(٢) البيت للمتلمس في ديوانه ٤ مخطوطة الشنقيطي، والشعراء ١٣١. وصدره:

* فألقيتها بالثني من جنب كافر *

وقولها « تَزالُ » حذفَتْ حرفَ النَّفْيِ منه لأمْنِها من الالتباس ، وقد مرَّ القول فيه في غيرِ موضع .

وقولها « فأعطِ » ترغيبٌ منها وتحضيض ، أي توسَّعْ في البَذْل منها ، ودَعِ البُخْلَ بها ، فلا اعتراضَ عليك ، ولا مُرادَّةَ معك ، والعُقْل من جِهَتَي معدَّة ، والعللُ معي مرتفعة . ويقال : أزَحْتُ العلَّةَ في كذا فزاحَتْ ، أي أزلتُها فزالت . وحكى الدُّريديُّ : زاح الشيء يَزيحُ ويَزُوح زَيْحًا وزَيَحانًا ، أي تحرَّكَ عن مكانه . وزُحْته فانزاح ، وأزَاحتُه فزَاح ، وهو مَزُوحٌ ومُزَاحٌ . وقولها « ما مشى يومًا » في موضع الظَّرف ، والعامل فيه لا تَزال حِبال .

٧٦٩

وقال الأقرع بن مُعاذٍ[(١)] :

١ ــ إنَّ لنـا صِرمةً تُلْفَى مُحبَّسَةً فيها مَعادٌ وفى أربابها كَرَمُ

٢ ــ نُسَلِّفُ الجارَ شِربًا وهى حائمةٌ ولا تَبيتُ على أعناقِها قَسَمُ[(٢)]

٣ ــ ولا تُسَفِّهُ عِندَ الحوضِ عَطشَتُها أحلامَنا وشريبُ السَّوءِ يحتَدِمُ[(٣)]

الصِّرْمَةُ : القليل من المال ، ويريد بالمحبَّسة أنَّها مُناخَة بالفناء لا تُسامُ في المراعي . وقوله « فيها مَعَاد » أي أنَّها تحتمل ما تَحمَّل من مُؤَن النَّفَقاتِ عَودًا على بدء . وقوله « في أربابها كرم » أي في مُلّاكها سَعَةُ صدرٍ وحُسْنُ صبرٍ على ما يعتريهم من حقوق السُّؤَّال والمُجتَدِين .

(١) اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن بن سلمة بن قشير ، كان فى أيام هشام بن عبد الملك ، المرزبانى ٣٨٠ .

(٢) التبريزى : « تسلف » بالتاء ، و « يبيت » بالياء .

(٣) فى الأصل : « وشروب » ، صوابه فى ل والتبريزى .

وقوله «نسلِّفُ الجار شِرْباً وهى حائمة» الحائمة : العِطاش ؛ يقال : هو يَحُوم حولَ الماء ، إذا دارَ حولَه. وهو حائم لائب ، اشتدَّ عطَشُه وحامَ حولَ الماء . فيقول : نقدِّم الجارَ على أنفسنا عند سَقْيِ الإبل وإن كانت إبلُنا عِطاشاً ، كأنّا نَجعل الزيادةَ على نصيبه كالسَّلَف عنده . ويقال: أسلفتُ كذا وسَلَّفْتُ جميعا .

وقوله «ولا تبيتُ على أعناقها قَسَم» يعنى الأَيمان التى يؤكّد بها المعاذير (١) والعِلَلُ عندالمنع والبُخْل . فيقول : لاتبيتصِرْمَتُنا وقد لزِمَها كفّارةُ يمين احتجزْتُ بها عن البَذْلِ . ولك أن تروى : « تُسلِّفُ الجار » بالتاء ، حتى يكون الإخبار فى العَجُز والصَّدر عن الإبل ، والحال لا تلتبس فى أنّ ذلك كلّه لأربابها .

وقوله « ولا تُسَفِّهُ عند الحوْض عَطْشَتُها » ، أى لا تستخفُّ حاجتُها إلى الماء أحلامَنا فنَبْطِشَ بشُركائنا فى الوِرْد ، ونفعلَ ما يفعله المتعزِّز والمقتدر من الهَضِيمة فى الشِّرب ، لأنّ شَرِيبَ السَّوءِ هو الذى يتحفّظ ويغضَب فيحتدم . والاحتدام : شدة الإحماء (٢) . قال الأعشى :

* وهاجِرَةٍ حَرُّها مُحْتدِم (٣) *

٧٧٠

وقال يزيد بن الجَهْمِ الهِلالىّ (٤) :

١ – لقد أمَرَتْ بالبُـخلِ أُمُّ مُحَمَّدٍ فقلت لها حُثِّى على البُخلِ أَحْمَدَا

(١) ل : « التى تؤكد لها المعاذير » .
(٢) ل : « والاحتدام : الاحتماء » .
(٣) صدره فى ديوانه ٣٠ :

* وإدلاج ليل على خيفة *

(٤) التبريزى : « ويروى لحميد بن ثور» . وقد نسبت فى معجم الأدباء (١١ : ١١) لحميد بن ثور ، وفى اللسان (سقط) ليزيد بن الجهم . وانظر ديوان حميد ٧٦ طبع دار الكتب المصرية .

٢ ـ فإنِّى امرُؤٌ عوّدتُ نَفسىَ عادةً وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تعوَّدا

يقول : أمرَتْنى هذه المرأةُ بالإمساك عند البَذْل ، والإبقاء (١) على المال ، فقلتُ لها حُثّى على البُخل وابعثى عليه إنسانًا أحمدَ لك وأرضى بوعْظِك منّى ، فيكون أحمد مفعولا ، وقد نابت الصِّفة عن الموصوف . ويُروَى : « حُثِّى على الجُود أحمَدا » ويكون قوله « أحمد » منتصبا بإضمار فعل ، كأنه لما قال حُثِّى على الجود نوَى ائْتِى ما هو أحمدُ لك . وهذا كما يقال : وراءك أوسَعَ لك ، واتّقِ اللهَ أعْوَدَ لك . وفى القرآن : ﴿ انتهُوا خيراً لكم ﴾ . ومَن روى « حُثّى على البُخل » ، يجوز أن يكون أحمد اسمًا علمًا لولدٍ لها أو قريبٍ منها ، فقالَ : ابعثى ذلك على البُخل من دُونى ، لأنّى لا أُصغِى إليك ولا أئتَمِرُ لك ، فقد تعوَّدتُ منذ كنتُ عادةً فَطمِى عنها ومَنْعى منها يتعذّر ويبعد ، وكلُّ رجلٍ سيَجرِى على عادته ، وما هو من هِجّيراه وسَمْته (٢) .

٣ ـ أحِينَ بَدَا فى الرأسِ شَيبٌ وأقبلَتْ إلىَّ بنو غَيلانَ مَثْنَى ومَوْحَدَا

٤ ـ رَجَوْتِ سِقَاطِى واعتلاَلِى ونَبْوَتِى وراءكِ عَنّى طالِقًا وارحَلِى غدَا

ألف الاستفهام وإن كان المراد بها التوبيخ والتقريع ، يَطلُب الفعل وهو رجوت . فيقول : أرَجَوْتِ منّى بعد اشتعال الشَّيب فى رأسى اتِّباعى لكِ ، وقَبولى منك ، وبعدَ أن ألِفَ الناسُ منّى طريقةً أجرِى عليها وقد أقبلتْ بنو غَيلانَ شُرَّعًا نَحْوِى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، من طُرُقٍ مختلفة ، ووُجوهٍ مفترقة ، وقد علّقوا آمالهم بى ، يكون منّى نُبُوٌّ عنهم ، واعتلالٌ عليهم ، وزَوالٌ عن السُّنّة المعروفة فيهم ومعهم ، إلى غيرها . وقوله « سِقاطِى » ، يقال

(١) فى الأصل : « والبقاء » ، صوابه فى ل .
(٢) الهجيرى ، بكسر الهاء وتشديد الجيم المكسورة : الدأب والشأن والعادة .

لمن لم يأتِ مأتى الكرام : هو يُساقِط . قال الشاعر (١) :

كيفَ يَرْجُونَ سِقاطِى بَعْدَ ما جَلَّلَ الرَّأْسَ مَشِيبٌ وَصَلَعْ

والمعنى : كيف أمَّلتْ مُساقطتى عن هذا الدَّأْبِ مع اجتماع هذه الأحوالِ ، ومَعَ تجربتى وكالى ، اذهَبِي عنِّى بائنةً (٢) منّى وارحَلِى غداً . وقوله «وراءكِ» ظرفٌ فى الأصل ، وقد جعله اسماً للفعل . والمراد : ابعُدى عنِّى . وعطف عليه « وارحَلِى » وهو فعلٌ ، وهذا يبيِّن قوَّةَ الظروف إذا جُعِلَت أسماء للأفعال ، لأنه لولا ثباتُها فى النِّيابة عن الأفعال والاستغناء بها عنها ، لَمَا جاز عطفُ الفعل عليها ؛ وذلك أنّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه فى حكم المثنَّى ، والتثنية لا تحسُن إلاّ بين متوافِقَين ، فى ذلك العطف . ومَثْنى ومَوْحَدٌ مما عُدِل فى النَّكِرة ، فلا ينصرف فى المعرفة والنَّكرةِ جميعاً ، لكونه معدولاً عن أسماء الأعداد وعن الإفراد إلى التكرير . و « طالقاً » انتصبَ على الحال من قوله « وراءكِ عنِّى » ، ولم يقل طالقةً لأنه أخرجَه مَخرج النَّسَب (٣) .

٧٧١

وقال آخر :

١ - إنِّى وإنْ لم يَنَلْ مالى مَدَى خُلُقِى فيَّاضُ ما مَلَكَتْ كَفَّاىَ مِنْ مالِ

٢ - لا أحبِسُ المالَ إلاّ رَيْثَ أُتلِفُهُ ولاَ تُغَيِّرُنى حالٌ إلى حالِ

يقول : أنا وإن كان مالى لا يقوم بمؤنى ، وكان عاجزاً عن غاية خُلُقِى ، وقاصراً دونَ مدى بَذْلى وإفضالى ، فإنى أصُبُّ ما تملكه يداىَ فيفيض فيضاً

(١) هو سويد بن أبى كاهل . انظر البيت ٧٩ من المفضلية ٤٠ .
(٢) كذا فى ل . وفى الأصل : « نائية » .
(٣) ل : « النسبة » .

لا أمنعهُ طالبًا له كيف يتوسّل ، وبماذا يتوصّل ، إذ كنتُ لا أحبِس المالَ ولا أخزنُه إبطاءه إلاّ قَدْرَ الوقتِ فى إتلافِهِ وتفرقته ، ولا تَنقُلنى (١) حالةٌ تعرِض عن حالِي الأُولى فيما أعتاده وآلَفُه . يريد أنه مستمرٌّ فيما يَجرى عليه كيف واتاهُ الزّمانُ ، وأداره الأحوال . وقوله « إلاّ رَيْثَ » فى موضع الظّرف من لا أحبِسُ .

٧٧٢

وقال سَوَادةُ اليَرْبوعىّ :

١ ـ لقد بَكَرَتْ مَىٌّ عَلَىَّ تَلومُنِى   تقولُ أَلاَ أهلَكْتَ مَن أنْتَ عائلُه (٢)

٢ ـ ذَرِينى فإنَّ البُخلَ لا يُخْلِدُ الفَتَى   ولا يُهلِكُ المعروفُ مَن هوَ فاعِلُه

يقول : اعتدَت هـذه المرأةُ إلىَّ لائمةً وقائلةً : لقد أهلَكْتَ مَن تَكفُلُه وتَمُونه ، إذ كنتَ بعَرَض الفقر ، لتضييعك ما تملكه ، وسَرَفك فيما تبذُله . فأجبتُها وقلت : أتركينى على عادتى ، فإنّ البخلَ بالمال لا يُبقِى صاحبَه ، والبَذل لا يُميت مُعتادَه . وقد مضى مثل هذا .

٧٧٣

وقال حُطائط بن يَعفُر أخو الأسوَد (٣) :

١ ـ تقولُ ابنةُ العَبّاب رُهْمٌ حَرَبْتَنا   حُطائطُ لم تَترُك لنفسِك مَقعَدا (٤)

(١) هو تفسير قوله : « تغيرنى حال إلى حال » . وفى النسختين : « تنقلنى » ، تحريف .
(٢) التبريزى : « ألا بكرت مى » .
(٣) أخوه الأسود بن يعفر ، شاعر مشهور من شعراء الجاهلية ، قال ابن قتيبة فى الشعراء ٢١١ : « ولا عقب للأسود ولا لأخيه حطائط » . وانظر الاشتقاق ١٤٩ .
(٤) العتاب ، كذا وردت فى النسختين بالتاء . وعند التبريزى وأبى الفرج فى الأغانى (١١ : ١٣٣) : « العباب » بالباء . قال التبريزى : « ابنة العباب كانت زوجته ، وهى امرأة من بنى عجل » . وفى الأغانى أن رهم بنت العباب أمهما ، أى أم حطائط وأخيه الأسود .

٢ - إذا مَا أَقَدْنا صِرْمَةً بعد هَجْمَةٍ   تَـكونُ عليها كابنِ أُمِّـك أسْوَدَا

رُهُمْ ارتفع على البدل من ابنة العتّاب ، وحُطَائط منادًى مفرد . ويقولون : ما تَرَكَ فلانٌ لك مُقامًا ولا مَقعَدا ، أى لم يُبقِّ لك ما يُمكِنكَ الإقامةُ والقعودُ له به . والصِّرْمة : القليل من الإبل . والهَجْمَةُ أكثرُ منها ، لأنَّها تقع على الثّلاثين أو الأربعين . فيقول : عاتبتْنى هذه المرأةُ فى إنفاقى وإفضالى ، وقالت : أفقَرتَنا يا حُطائط ، وأزَلْتَ تجمُّلَنا ، وجَنيتَ على نفسك أيضًا ، إذْ لم تتركْ من المال ما تكتفى به ، وتستغنى عن السَّعى والتجول معه ، فتُرِيحُ نفسَك من الحلِّ والتَّرحال فى طَلَبه ، وتقعدُ عن التَّصرُّف وتحمُّلِ المشاقِّ فى جَوْزِه واحتجانه ، لأنَّا متَى استفدنا(١) قليلاً من الإبل بعد ما تُفيتُنا الكثيرَ منها تعودُ عليها سالكاً طريقَ أخيكَ الأسودِ بن يَعفر ، فتُفْنيه وتخْلينا منه . وإنَّما قال « تكون عليها » لأنَّه لمَّا لم يَسْعَ فى تثميرها كان عليها لا لها . وقد جمع الشَّاعرُ بين سَيْرَين فى خَرْزَةٍ فى قوله « تـكون عليها كابنِ أمِّك » .

٣ - فقَلْتُ وَلَمْ أَعْىَ الجوابَ تَبَيَّنِى   أكانَ الهُزَالُ حَتْفَ زَيْدٍ وأَرْبَدَا(٢)

٤ - أَرِينِى جَوَادًا ماتَ هَزلاً لَعَلَّنِى   أَرَى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلاً مُخَلَّدَا

قوله « ولم أَعْىَ الجَوابَ » ، يقال : عَيِيتُ الأمرَ وعييت به عِيًّا ، ورجلٌ عَيِيٌّ وعَيٌّ ، وعَيِىَ عن حجته عِيًّا . يريد : أجبتها ولم أعجزْ من محاجَّتها : تأمَّلى وانظُرى ، هل كان الفقرُ والهُزال سببَ موتِ مَن مات مِن عشيرتنا ، وأرينى سخيًّا أماتَه الضُّرُّ ، منَّا أو من غيرنا ، لعلَّنى أهتدى بهديك وأعتقدُ مذهبَك ، وأئتمر لك فيما تَرَيْنَه رشادا ، أو بخيلاً بَقِىَ فى الدُّنيا وعاش ما أرادَ ليُطلَبَ

(١) فى الأصل : « استنقذنا » ، صوابه فى ل .

(٢) الأغانى : « تأملى » ، بدل : « تبينى » . وقال التبريزى : « وقيل إن نهدا — كذا وصوابه زيدا — وأربد كانا أخوين لحطائط » .

بموافقته ما حَصَلَ له من الدَّوام ، وانْصرَفَ عنه الشَّقاء والفناء .

وقوله « أرِني جواداً » أىْ دُلَّنى عليه وعرِّفْنى مكانَه . وقال أبو عبيدة فى قوله : ﴿ أرِنا مَناسِكَنَا ﴾ المراد علِّمْنا ، ويروَى : « لأنَّنى أرى ما تَرَيْن » ، وهو بمعنى لعلَّنى . يقال : ائتِ السُّوقَ لأَنَّكَ تشترى لنا شيئاً ، أى لعلَّك . ويقال أيضاً : أنَّكَ تشترى ، وهذا كما تقول : علَّكَ ولَعَلَّكَ . ويقال فى هذا المعنى : لَعَنَّكَ .

ويُنشَد بيتُ أبى النجم :

* وَاغْدُ لَعَنَّا فِي الرِّهانِ نُرْسِلُهْ *

وبعضهم ينشده : « لأنَّا » أى لعلّنا . وإبدالُ الهمزة من العين والعين من الهمزة كثيرٌ لا ينكَر .

٧٧٤

وقال المُقَنَّعُ الكِنْدِىُّ (١) :

١ ــ نَزَلَ المَشِيبُ فأينَ تَذْهَبُ بعْدَهُ ... وقَدِ ارْعَوَيْتَ وحَانَ مِنْكَ رَحِيلُ

٢ ــ كانَ الشَّبابُ خَفِيفَةً أيَّامُه ... والشَّيْبُ مَحْمِلُه عَلَيْكَ ثَقِيلُ

٣ ــ لَيْسَ العَطاء من الفُضُولِ سَمَاحَةً ... حتَّى تَجُودَ وما لَدَيْكَ قَلِيلُ

يعظُ نفسه ويذكره ما انتهى إليه حالُه فى عَيْشِه وتصرُّفه ، فيقول : قد مَسَّكَ الكِبَرُ ، فأىَّ طريقٍ تَسلُك ، وأىَّ مذهبٍ تذهب ، وقد رَجعْتَ عن جهالتك ، وارتدَعْتَ عن كثيرٍ مما كنتَ تُلابسُه بغباوتك ، وقَرُب منك التَّحوُّل من دار الفَناء إلى دار البقاء ، وقد كانَ أيَّامُ الشَّباب طيِّبةَ المَرّ ، خفيفةَ المستقَرّ وأيَّامُ الشَّيبِ البادى كريهةَ الظُّهور ، ثقيلةَ الأعباء والحُمُول ؛ فعليكَ بما يجمع

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٣٨ ص ١١٧٨ .

لك إلى الحمد ذُخراً ، وإلى ثناء النَّاس وشُكرِهم أجراً . واعلمْ أنَّ البذل مما يَفضُل عنكَ ليس بسَمَاحَةٍ ، إنَّما الُجود أن تُعطىَ من قليلك ، وتُنفقَ من كفايتك . وقوله « وما لديك قليل » ، يجوز أن يريد والذى لديك ، ويكون ما مبتدأ ولديك صلته وقليل خبره ؛ ويجوز أن يكون ما نافِيَةً وقليلٌ اسمه ، ولَدَيْك خَبرُه . والمعنى حتَّى تجودَ بكلِّ شىء لك فلا يبقى قليلُه أيضا .

٧٧٥

وقال جُؤَيَّةُ بنُ النَّضْر :

١ – قالتْ طُرَيفَةُ ما تَبْقَى دَرَاهِمُنا   وما بِنَا سَرَفٌ فيها ولا خُرُقُ

٢ – إنّا إذا اجْتَمَعَتْ يوماً دَراهِمُنا   ظَلَّتْ إلى طُرُقِ المعروف تَسْتَبِقُ(١)

يقول : اشتكت هذه المرأةُ الحالَ فى سُرعةِ نفادِ ما يحصلُ عندَهم من الوَرِق والمال ، وهم لا يُسرِفون فى الإنفاق ، ولا يَخْرُقُون فى الإتلاف ، فقالت : لا بَرَكَةَ مع سوء التَّدبير ، ولزومِ التَّضييع والتَّفريق . وتَنْسُبُ قِلَّةَ تلوُّمه وخِفَّةَ بقائه إلى ضَعْفِ النَّظَر وعَجْز التَّدبير ، وإرهاق التعجُّلِ ونَقْص التَّقصير . فقلت لها : إنَّ دراهمَنا إذا اجتمعَتْ تسابقَتْ إلى مَنافذ المعروف ، وتلاحقت فى مصارِف الإحسان المألوف ، فذلك سببُ سرعةِ فنائها ، وعَجَلةِ ذَهابها لا غير . فقوله « إذا اجتمعت » ظرفٌ لقوله « ظَلَّت إلى طُرُق المعروف تستبق » . ويوماً ظرفٌ لاجتمَعَتْ .

---

(١) بعده عند التبريزى :

ما يألَفُ الدِّرهمُ الصَّبَّاحُ صُرَّتَنا   لكن يمرُّ عليها وهو منطلقُ

حتَّى يصيرَ إلى نَذْلٍ يخلِّدُهُ   يكاد من صَرِّه إيّاه يَنمزِقُ

٧٧٦

وقال زُرْعةُ بنُ عمْرٍو[١] :

١ ـ وأرْمَلةٍ تَنوءُ على يَدَيْهـــا مِنَ الضَّرَّاءِ أو قَصَصِ الهُزَالِ

٢ ـ خَلَطْتُ بِغَثِّها سِمَنِي فأضْحَتْ شَريكةَ مَنْ يُعَدُّ من العيـــالِ

يقول : رُبَّ امرأةٍ منقطَعٍ بها سيِّئة الحال[٢] ضعيفةِ الحَرَاكِ ، إذا أرادت النَّهوضَ تعتمدُ على يدَيْها ، لتأثير الضُّرِّ فيها ، أو لإقصاص الهُزَال إيّا ا ، وهو دُنوُّ الموتِ منها — ويقال : أقَصَّهُ كذا من الموت ، أى أدناه — أنا خَلَطْتُ بفقرِها غِنايَ ، وبما رَقَّ من حالها كثافةَ حالى ، فصارت تُعَدُّ فى جملة العيال ، ومشارِكةً فيما أقتنيه من المـال ، لا تمايُزَ يظهر لها ، ولا تبايُنَ يوجب انقباضَها . وقوله « تنوء على يديها » ، أى تنهض ، وهو فى موضع الصِّفة لأرْملة . وجواب رُبَّ « خلطتُ بغثِّها سِمَـني » . ويقال لحمٌ غَثٌّ بيِّنُ الغَثاثة والغُثُوثة ، إذا كان مهزولاً . وقيل : كلام غَثٌّ ، على التّشبيه ، أى لا طَلاوةَ عليه .

٣ ـ وأفنَتْـنِي اللَّيالِي ، أُمَّ عَمْـرٍو وحَلِّي فى التَّنَـــائفِ وارتِحالي

٤ ـ وتَرْبِـيَتِي الصَّغِيرَ إلى مَداهُ وتأمِيلِي هِـــلالاً عن هِلالِ

يقول : أفنى قُوايَ نوائبُ الزّمان ، وتصاريفُ اللّيالى والأيّام ، وتنزُّلى فى المَفاوز والقفار ، وتنقُّلى فى مختلفات الأسفار ، وتربيتى الطِّفلَ الرضيع إلى أن يبلُغَ ويجتمع ، واليافعَ الكبيرَ إلى أن يعلوَ ويستكمل ، وتعليقى الأمَلَ بشهرٍ مُستَهَلٍّ بعد شَهر[٣] ، وحَوْلٍ مؤتَنَفٍ بعد حَوْلٍ . وإنّما يصف ما عاناه ،

(١) هو زرعة بن عمرو خويلد بن بن نفيل . كان فارساً شجاعاً ، وكان ممن شهد يوم رحرحان . الأغانى (١٠ : ٣١) .

(٢) كذا فى ل ، وفى الأصل : « سيئة الخلق » .

(٣) كذا ضبط فى النسختين بفتح الهاء ، ويقال بكسرها أيضا ، فعله مبنى للمفعول وللفاعل .

وأُمتُحِن به حالاً بعد حال، وتردَّدَ فيه فقاساه وقتاً بعد وقت، إلى أن تقضَّى عمرُه، ونفدَتْ قوَّتُه.

ويشبه هذه الأبياتُ قول الآخر (١) :

لقــد طَوَّفتُ في الآفاقِ حتى ... بَليتُ وقَدْ أنَى لى لَو أَبيدُ
وأفنــانِى ولا يَفْنَى نَهارٌ ... ولَيْلٌ كلَّما يَمْضِى يَعُودُ
وشَهرٌ مُستَهَلٌّ بعــد شَهرٍ ... وحَوْلٌ بعدَه حَوْلٌ جديدُ
ومَفقودٌ عزيزُ الفقْــدِ تأتى ... مَنِيَّتُه ومأمولٌ وليــدُ

وإن كان هذا أحسنَ استيفاء.

وقوله «وتأميلى هِلالاً عن هِلالِ»، أى بعد هِلال. ومما جاء فيه «عَنْ» بمعنى بعْدَ قولُهم : «سَادُوكَ كابراً عن كابرٍ (٢)»، لأنَّ معناه كبيراً بعد كبير. والمراد : شغَلَه أملُه بما يُتاح له فى مؤتنَفِ الأيَّام من الخير، والتمكُّنِ من المراد.

٧٧٧

وقال عبدُ الله بن الحَشْرَج (٣) :

١ ـ أَلَا كَتَبَتْ تَلُومُكَ أُمُّ سَلْمٍ ... وغَيْرُ اللّومِ أَدْنَى للسَّدَادِ (٤)

(١) هو مسجاح بن سباع، الحماسية ٣٥٢ ص ١٠٠٩.
(٢) منه قول الأعشى فى ديوانه ١٠٥ :

ساد وألفى قومه سادة ... وكابراً سادوك عن كابر

(٣) هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة. كان سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولى أكثر أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان. وكان جواداً ممدحا، مدحه زياد الأعجم، وفيه يقول البيت السائر :

إن السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج

الأغانى (١٠ : ١٤٤ ـ ١٤٨). والحشرج : الحسى من الأحساء.
(٤) كذا : وهو الموافق لما سيأتى فى شرح البيت الخامس. لكن فى ل والتبريزى : «ألابكرت». وفى هامش ل : «نخ : كتبت».

٣ـ تقول: ألا أهلكْتَ مالَكَ ضَلَّةً وهل ضَلَّةٌ أن يُنفِقَ المالَ كاسِبُهْ

: يقول: لامتنى هذه المرأةُ وقالت: قد قلَّلَ اللَّبنَ من يحلُب الإبل — ومعنى أبكأ الدَّرَّ: أتى به بَكِيئاً. ويجوز أن يريد صادفه بَكِيئاً، كما يقال: أحمَدْتُ فلاناً. والبَكْءُ: قِلّة اللّبن. يقال: ناقة بَكِئةٌ، وهى ضدُّ الغزيرة — فأنتَ فى ضلال ما دام تضييعُ المال منك ببالٍ. فأجبتُها وقلتُ منكِرًا عليها، ورادًّا لكلامها: وهل يُسَمَّى جامعُ المال إذا فرّقه ضالاًّ، وكاسبُه إذا أنفقه فيما يريده ويهواه مضيّعاً. وانتصب «ضَلَّةً» على المصدر، وهو فى موضع الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا لعِلّة، فيكون مفعولاً له. وإنما أعاد قوله «تقولُ» إيذاناً بتفننها فى المَلام، وتوسُّع مجالها فى الكلام. وقوله «هل ضَلّةٌ» خبر مقدم، وأن ينفق المال فى موضع المبتدإ. والتقدير: وهل إنفاقُ كاسبِ المال له ضلالٌ.

٧٧٩

وقال مُزعْفِرٌ:

١ـ وإنى لأُسْدِى نِعْمَتى ثم أبتَغِى لها أُختَها حتى أُعَلَّ فأَشْفَعا(١)

٢ـ وأجعلُ نُعْمَى ما فعلتُ ذَمَامَةً علىَّ وآتِى صاحِبى حيثُ وَدَّعا

قوله «وإنى لأُسدِى نعمَتى»، يقول: إذا اصطنعْتُ عند إنسانٍ صنيعةً، وأوليتُه لاتّصال رجائه بى عارفة، لم أرضَ بإفرادها، لكنى أطلُبُ لها توابعَ ولواحق، حتى تصيرَ النِّعمةُ عنده شَفْعاً لا وِتْرًا، والإحسانُ إليه مكرَّرًا لا بِدْعاً، كلُّ ذلك تلذُّذًا بالإفضال، وشهوةً فى إسداء العُرفِ والإجمال. ويقال: شاةٌ شافعٌ، إذا كان معها ولدُها. والعَلَل: الشُّرب الثانى. والنَّهَل: الشُّرب الأوَّل، فاستعارَه لإتباع الصَّنيعة بمثلها.

(١) التبريزى: «وأشفعا».

«وأجعلُ نُعْمَى ما فعلتُ ذَمامةً» ، أجعلُ : أسمِّى ، من قول الله عزّ وجل : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ . ويجوز أن يكون بمعنى أصيِّر ، كأنه يعتقد فى الإحسان أنّه إساءة . والذَّمامَةُ : الذَّمُّ[١] . والذِّمام ، بكسر الذّال : الحُرمة . والمعنى : أتذمّم من نُعْمَاىَ[٢] عند غيرى ، لأنِّى بالغًا ما بَلَغتُ أكونُ لنفسى مُستقصِرًا ، ولفعلى مُستزِيدا ، فلا أعتدُّ بما أُسْدِيه ، ولا أتمدّح بالإنعام فيه ، ولكنّه[٣] أعُدُّه كالوَصْمة التى يُتذمَّم منها .

وقوله « وآتِى صاحبِى حيثُ وَدَّعا » ، يريد أنَّ من يستغيث بى أُجيبُه وأُغيثه أشدَّ ما كانَ حاجةً إلىّ حينَ وَدَّعَ أهلَه وعشيرَته ، ليأسِه من الدُّنيا وتوطينه النَّفسَ على الهُلْكِ والرَّدَى ، فآتيهِ مُستَنقذًا ومُحاميًا ، ومنتعِشا ومُراميا . وقوله « حيث ودَّعا » ، يجوز أن يكون للزَّمان والمكان جميعا . وقد تقدَّم القول فيه[٤] . وقد جعَل « وَدَّع » بمعنى مات ، وبيت مُتمِّمٍ يشهدُ له ، وهو :

* فقد بانَ محمودًا أخى حينَ وَدَّعا[٥] *

٣ – وإنِّى بما يَـفِى من الزادِ أهْلَهُ   أقابِلُ بَذْلَ المالِ حِلْسَاهُ أجْمعا[٦]

يقول : إنِّى أقابلُ بما يكون فيه كفايةُ الأهل من الزَّاد بَذْلَ حِلْسَيِ المالِ كُلِّه . فقوله « حلساه » فى موضع الجرّ على أن يكون بدلاً من المال ، ويكون على لغة من يجعل المثنّى بالألف فى موضع النَّصب والجرّ . و « أجْمَعًا » فى موضع

(١) كذا . والذى فى اللسان أن « الذمامة » : الحياء والإشفاق من الذم واللوم . وهذا هو الأوفق .

(٢) ل : « نعمائى » .

(٣) ل : « ولكنى » .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٨٨٦ .

(٥) فى الأصل : « قد » ، وصواب إنشاده من المفضلية ٦٧ : ٢٢ . وصدره :

* فإن تكن الأيام فرقن بيننا *

(٦) هذا البيت لم يروه التبريزى . وفى الأصل : « وما يكفى » والأوفق ما أثبتناه من ل .

الجر، ويكون تأكيدًا للمضمر المتصل بحِلْساهُ. وذلك أن تجعله تأكيدًا للمال وأجود من هذا أن يُجعل حِلساه مرتفعًا بقوله بَذْلَ، فيكون فاعلا. وقد أضاف المصدرَ إلى المفعول، كقولك: أعجبنى ضربُ زيدٍ عمرٌو. وجعلَ الحِلْسَ باذلا[(١)] وإن كان الفعلُ لصاحبه، على السَّعة، ويكون التّقدير: أنّى أقابلُ بما يُكتفى به من الزّادِ أنْ يَبذُلَ حِلْسا المال جميعَ ما يحويانِه، ويكون على هذا أجمع تأكيدًا للمضمر المتّصل بحِلساه لا غير. والمعنى: إذا حصَلَت الكفايةُ لأهل الزّاد فإنّى أنقضُ الوعاءَ الجامعَ المالَ، وأفرِّق كلَّ ما فيه، أى أقتصِرُ على الكفاية، وما تعدّاه أعُدُّهُ فَضْلًا. والحِلْسُ: الواحد من أحْلاس البيت. قال الخليل: وهو ما يُبسَط تحتَ حُرِّ المَتاع من مِسْحٍ وجُوالِقٍ ونحوِها.

٧٨٠

وقال عارِقٌ الطّائىُّ[(٢)]:

١ ـ أَلَا حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أَنْتَ عاشِقُهْ ... ومَنْ أنتَ مُشتاقٌ إليه وشائقُهْ

٢ ـ ومَنْ لا تُواتِى دارُهُ غيرَ فَيْنَةٍ ... ومَنْ أنتَ تَبكى كُلَّ يَوْمٍ تُفارِقُهْ

افتتح كلامه بألا، ثُمَّ قال: جَدِّد عَهْدَكَ بصاحبك وسَلِّم عليه، قبل أن تَحُولَ النَّوَى بينكما فيُهَيِّجَ شوقَك تعشُّقُك له، وبُعْدُ الدّارِ منه، وتُهيِّجُ شوقَه لمثل ذلك، لأنَّ جميعَ ما أقوله من مُقتَضَيات صفاء المِقَةِ، واستحكام المحبّة.

وقوله «ومَنْ لا تُواتى دارُه غيرَ فَيْنَةٍ» الأحسن أن ترفع الدّار بتُواتى يريد مَن لا تقاربُك دارُه إلاَّ ساعةً لا تطُوعُك الزِّيارةُ إلاَّ فيها. والفَيْنَةُ:

---

(١) ل: «فاعلا».

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٦٠٤ ص ١٤٤٦.

الوقت، ويكون معرفةً ونكرة، وقد مرّ القول فيه (١)، وأنّه يجرى مجرى الصّفات فى ذلك إذا جُعلت أعلاماً كالحارثِ والعبّاسِ. وذلك أن تنصب «دارَه»، والمعنى تبكيه أو تبكى عليه، وكذلك «تُفارقه» أريد تُفارِقُ فيه فحذف مفعول الفعلين، ولا يمتنع أن يُجعل «كلَّ يوم» مفعول تبكى. والمعنى تتأسَّف على كلِّ يومٍ تفارقه فيه، فتبكيه شوقاً إليه، إذْ كان التَّوديعُ جَمَعَك وإيّاه فيه. ويُكتفى فى هذا الوجه بالضّمير العائد من تفارقه، فأمّا إضمار «فيه» فى «تفارقه» فلا بدَّ منه. وقوله «مَنْ» وقد كرَّره فى البيتين جميعاً مِراراً، يجوز أن يكون بمعنى الذى، والجُمَل بعدَه فى صِلَتهِ، كأنّه قال: حَىٌّ الذى أنت عاشقُهُ والذى أنتَ مشتاقٌ إليه وشائقه والذى أنت كذا. ويجوز أن يكون نكرةً فى معنى إنسان، ويكون الجُمَلُ بعده صفاتٍ له. يريد: حىٌّ إنساناً هذه صفته. فأمّا تكريره له فهو على طريق التَّعظيم والتفخيم. وهكذا العادةُ فيما يُهَوَّلُ أمرُه من مَرجوٍّ أو مَخُوف.

٣ ــ تَخُبُّ بصَحْرَاءِ الثُّوَيَّةِ نَاقَتِى كَعَدْوِ رَبَاعٍ قد أَمَحَّتْ نَواهِقُهْ (٢)

٤ ــ إلى المُنْذِرِ الخَيرِ بنِ هِندٍ نَزُورُهُ ولَيْسَ مِنَ الفَوْتِ الذى هو سابِقُهْ (٣)

يقول: تَسيرُ ناقتى الخَبَبَ ــ وهو ضربٌ من العدْو ــ فى هذه الصحراء تَخْتِى، عَدْوَ فرسٍ، أو عَيْرٍ قد أَرْبَعَ. والإرباعُ بينَه وبين القُرُوح سَنَةٌ، فكأنّه أراد استحكامَ شبابه وقوَّته، إذْ ليس بينه وبين النِّهاية وهى القُروح إلاّ سنةٌ. ومعنى «أَمَحَّتْ نواهقُهْ» أى قد أطاعه العَلَفُ أو المَرْتَع (٤) فصار

(١) انظر ماسبق فى ص ١٥٧٢ .

(٢) الثوية، بهيئة التصغير، كما هنا، وتقال أيضاً بوزن غنية، وهو ضبط نسخة التبريزى. قال ياقوت: «موضع قريب من الكوفة».

(٣) التبريزى: «تزروه».

(٤) ل: «والمرقع».

لعظامه مُخٌّ ، والنَّواهِقُ : عَظْمَانِ فى السَّاقِ ، وفى غير هذا المكانِ ما يكتنف الخياشيمَ من الدَّابَّة ، والواحدة ناهِقَةٌ .

وقوله « إلى المنذر » تعلَّق بتَخُبُّ والخَيْر من صِفَته ، وهو الذى تأنيثه خَيْرَةٌ . ولا يمتنع أن يكون مخففًا من الخيِّر ، كما يقال لَيْنٌ لَيِّن ، وهَيْنٌ وهَيِّن . و « نزور » فى موضع الحال ، ويريد المنذر بن ماء السماء . وقوله « وليس من الفَوْت الذى هو سابِقُهْ » أراد سابقٌ به ، وفى الكلام وعيدٌ .

ولهذا الشِّعر (١) قصّة ، وهو أنَّ الملِك كان غزا أرضًا فأخفق ، وفى مُنْصَرَفه ذَكَر بطائفةٍ من طيِّيءٍ كانوا فى ذمَّته وعهده ، فأراد تجاوُزَهم فقال بعضُ نُدَمائه له : استغنِمْهم وأَوقِعْ بهم . فقال : إنَّهم فى ذمَّتِى ! فلم يزل يقرِّب الأمرَ فيه معه حتَّى استباحَهُم . لذلك توعدَّ فقال : ما سَبَق به لا يفُوت تدارُكه .

٥ ــ فإنَّ نساءً غيرَ ما قال قائلٌ   غَنيمةُ سَوْءٍ وَسْطَهُنَّ مَهارِقُهْ

٦ ــ ولو نِيلَ فى عَهْدٍ لنا لَحْمُ أَرْنَبٍ   وَفَيْنَا وهذا العهدُ أنت مُعَالِقُهْ

٧ ــ أَكُلُّ خَمِيسٍ أخطأ الغُنْمَ مرَّةً   وصَادَفَ حيًّا دائنًا هو سائقُهْ

قوله « غير ما قال قائل » ، يجوز أن يكون صفة النساء . وقوله « غَنيمة سَوْءٍ » يرتفع على أن يكون خبر مبتدإٍ ، كأنَّه قال : هُنَّ غنيمةُ سَوءٍ ، حكايةً لكلام القائل الذى ذكره . وإضافةُ الغنيمة إلى السَّوْء يكون على طريق الإزراء والاستحقار . وقوله « وَسْطَهُنَّ مَهارِقُه » ، الجملة فى موضع خبر إنَّ ، فيكون المعنى إنَّ نساءً مخالِفةً صفتُها لما قاله قائل ، يعنى مَنْ حسَّن فى عين الملك الإيقاعَ بهنَّ هُنَّ غنيمةُ سوءٍ معهنَّ كُتُبُ العهد والذِّمّة اللذَين يخرُجْن بهما عن كونهنَّ غنيمة . فهذا وجه . ويجوز أن يكون « غنيمةُ سَوْءٍ » خبرَ إنّ ، و « وسطهنَّ

(١) فى الأصل : « الشاعر » ، صوابه فى ل .

مهارقُه » من صفة النساء ، وقد فَصل بين الصفة والموصوف بخبر إنّ ، وغير ماقال قائل ينتصب على المصدر ، فيكون مؤكِّداً للقصة ، والتقدير : إنّ نساءً وسطهنّ مهارقُه غنيمةُ سَوء ، غيرَ قولِ القائل المحسِّن الإيقاع بهنّ . ويجرى هذا مَجرى قولهم : هذا ولا زَعَمَاتِك . أى هذا هو الحقُّ لا ما تزعُمه . ويكون المعنى : إن نساءً معهنَّ عهدُك ، ولا أقول ما قاله قائلٌ حسَّنَ الإيقاع بهنّ ، غنيمةُ سَوء لا غنيمةُ صِدْق . والمهارق : جمع المُهْرَق ، وهو فارسيَّة معرّبة . وكانت العرب تَصقُل الثيابَ البيضَ وتكتب فيها كتبَ العهودِ وما أرادوا إبقاءه على الدّهر .

وقوله « ولو نِيلَ فى عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ وَفَيْنَا » يقبِّح عندَه ما ارتكبَهُ منهنّ . فيقول : ولو أُصيبَ لحمُ أرنبٍ فيما تشمَله أَذِمَّتُنا لوَفَيْنا به . ثم أنت أيُّها الملك تغالِقُ هذا العهد ، وتَستجيزُ تخطِّيه ، وتَستحسنُ نَقْضَه وتَركَ الوفاء به . وقوله « لحم أرنب » ذكره تحقيراً وأنه صيدٌ مُستباحٌ .

وقوله « أنت مُغالِقُه » لك أن تروى « مُعَالقه » بالعين . والمعنى : وهذا العهدُ الذى معهنَّ متعلِّقٌ بذمّتك وفى رقبتكَ حتى تخرجَ منه . ومن روَى « مُغالِقُه » بالغين معجمة ، ويكون من غَلِق الرَّهْن ، أى أنت مُفْسِده ومُحْتَبِسُه تاركا للوفاء به .

وقوله « أَكُلَّ خَمِيسٍ » لفظه استفهام ومعناه تقريع . فيقول : أكلّ جَيْشٍ أخفقَ فى وجهٍ قَدَّرَ الغُنْمَ فيه ، وصارف فى مُنصَرفه ـ يًّا فى طاعته يسُوقه ويُوقِع به . أى إنّ ذلك غيرُ مُستجاز فى السياسة والدِّيانة ، ولا مُستحسَنٍ فى المروءة ، والغَدر مَغَبَّته ذميمة ، وعاقبتُه قبيحة دَميمة .

٨ ـ وكُنَّا أُناسًا دائنين بغِبْطَةٍ يَسيلُ بنا تَلْعُ المَلَا وأَبارِقُهْ

٩ ـ فأقسمْتُ لا أحتلُّ إلّا بصَهْوَةٍ حَرَامٌ عليكَ رَمْلُهُ وشقائقُهْ(١)

(١) فى الأصل : « لا أحتك » ، صوابه فى ل والتبريزى .

قوله « دائنين » ، أى آخذين بالطاعة ، مغتبطِينَ بما لنا من الذِّمة . ويكون « بغِبطةٍ » فى موضع الحال . ورُوى : « دائبين » ، وهو أقرب ، ويكون من الدُّؤوب . والمعنى إنا كُنَّا نَسيرُ مغتبطِين آمنين فرحين حيثُ شئنا . ويدلُّ على هذا قوله « يسيلُ بنا تَلْعُ المَلا وأبارقُه » . وإنما يَقتَصُّ حالهم قبل معاهَدتِه لهم ، ومعاقَدَتِه الذِّمَّةَ بينه وبينهم . والمَلا : الصَّحْراء . والتَّلْعَةُ : مسيل ماء ، وجمعها تَلْعٌ ، كجوْزَةٍ وجوْز . والأبارق : جمع الأَبرَق ، وهى المواضع التى قد أُلبِسَتْ حجارةً سُودًا . ومنه حَبْلٌ أبرقُ ، إذا كان ذا لونين سوادٍ وبياضٍ .

وقوله « لا أحتلّ إلاَّ بصهوةٍ » ، يقول : حَلَفْتُ لا أَنزلُ إلا بعيداً من أرضِكَ ، وخارجاً من مَلَكتِك ، فى صَهْوَةٍ أو فى مكان عالٍ تَحْرُم عليك جوانبهُ وآفاقُه . والشَّقائق : جمع شَقيقة ، وهى رَمْلَة بين أَرْضَين . و « رَمْلُهُ » ترتفع بحرام ، أى يحرم عليك . ولك أن تروى « حرامٌ عليك رَمْلُهُ » فيكون خبرًا مقدمًا ، ورملهُ مبتدأ ، والجملة فى موضع الصِّفة للصهوة .

١٠ — حَلَفْتُ بِهَدْيٍ مُشْعَرٍ بَكَرَاته تَخُبُّ بصَحْراء الغَبِيطِ دَرادِقُهْ
١١ — لَئِنْ لم تغيِّرْ بَعْضَ ما قد صَنَعْتُم لأَنْتَحِيَنْ للعَظْمِ ذو أنا عارِقُه[1]

يقول : أقسمت بَقَرًا بين الحرَم وقد أُعْلِمَتْ بَكَراته بعلاماتِ الإهداء . والإشعار ، هو أن يطْعَنَ فى أسنمتها فيسيلَ الدَّمُ عليها ، فيُستَدَلَّ بذلك على كونه هَدْيًا . وجعل الهَدْى دَالاً على الجنس وما بعده صِفَته . وقوله « تخُبُّ بصَحراء الغَبيطِ درادِقُه » ، يريد سَوْقَها نحوَ البيت . والدَّرادِق : صغار الإبل . والخَبَبُ : ضَربٌ من السَّير . وَجواب القَسَم « لأنتحِيَنْ للعظم » ، ولئن فيما بين القَسَم والمُقسَم له موطِّئة للقسَم . فيقول : آليتُ إنْ لم تغيِّرْ أيُّها الملك بعضَ

(١) التبريزى : « لم تغير بعد » ثم قال : «ويروى : يغيَّر بعض» .

صنيعك ، ولم تتدارك ما فاتنا من عذلك ووفائك ، لأقصدنّ فى مقاتلتك كسرَ العظمْ الذى صرتُ أعرُقُه فينتزِع العَظْمُ منه . جعل تقبيحَه لما أتاه وشكواه[1] كالعرْق ، وهو انتزاع اللحم وما بعده ، إنْ لم يغيِّرْ معاملاتَه ، تأثيراً فى العَظْم نفسه . وقد أحسَنَ فى التوعُّد ، وفى الكناية عن فعله وعما يَهُمُّ به بَعدَه . وقوله «ذو أنا» لُغَتُهم[2] وهو فى معنى الذى ، وأنا عارقُه من صلته ، وقد مضى الكلام فى مثله .

٧٨١

وقال بُرجُ بنُ مُسهِر[3] :

١— سَرَتْ مِن لِوَى المَرُّوتِ حَتى تجاوَزَتْ إلىَّ ودُونِى مِنْ قَناةَ شُجُونُها

٢— إلى رَجُلٍ يُزْجِى المَطِىَّ عَلَى الوَجَى دِقاقاً ويشْقَى بالسَّنامِ سَمِينُها

٣— فَلِلقَوْمِ منها بالمَراجِلِ طَبْخَةٌ وللطَّيْرِ منها فَرْثُها وجَنِينُها

اللِّوَى : مسترَقّ الرَّمل . والمَرُّوت : فَعُّولٌ من المَرْت ، وهو الأرض التى لا تُنْبِتُ شيئاً . وقال الدُّريدىّ : هو المكان القَفْر . وقناة : موضع . وشُجونها : جوانبُها المتقاربة ونواحيها . والشُّجُون أيضاً : الأشجار الملتفَّة المتداخِلة . والشَّواجن ، واحدتها شاجنةٌ ، وهى المواضع التى فيها [الشُّجُون[4]] . ومنَ التَّداخل والالتفاف قولُهم : « الحديثُ ذو شجون » . وإنما يُخْبِر عن خَيَالٍ زارَه .

وقوله « إلى رَجُلٍ » ، تعلَّق إلى بسَرَتْ . ويعنى بالرَّجل نفسَه ، ويُزْجِى

---

(١) ل : « جعل شكواه وتقبيحه لما أتاه » .

(٢) أى لغة الطائيين .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٢٢ ص ٣٥٩ .

(٤) التكملة من ل .

المطىَّ ، أى يسوقُها . والوَجَى : الحفَا ؛ أى[1] لا يُبقِى عليها ولا يرفُق بها ، لكنَّه يُديم السَّير عليها ولا يَقِيها مع الحفا ولا يُبقِى عليها مما يُهلِكُها . و « دِقاقًا » انتصبَ على الحال ، أى ضوامِرَ مهازيلَ . ويَشْقَى بالسِّنان سمينُها ، أى بالسِّنان له ، فحذف الضمير لأنَّه لا يُخيِّلُ . والمعنى أنَّه لا ينحر سِمَان الإبل للعُفاة والضِّيوف . وقوله « فللقوم منها بالمَراجل طَبْخَةٌ » منها رَجَع الضمير إلى قوله سَمِينُها ، لأنَّه أراد بها الجنس ، وهذا إخبارٌ عن حالتها وقد جُزِرَتْ . فيقول : للوُرَّاد منها طَبْخَةٌ فى المراجل ، وللطَّيرقَرْنُها والولدُ الذى فى بَطْنِها .

٧٨٢

وقال مُلْحَةُ الجَرْمِىّ[2]

١ ـ فَتًى عُزِلَتْ عَنْهُ الفَوَاحِشُ كُلُّها ... فَلَمْ تَخْتَلِطْ منـه بِلَحْمٍ ولا دَمِ

٢ ـ كأنَّ زُرُورَ القُبْطُرِيَّةِ عُلِّقَتْ ... عَلائقُها منـــهُ بِجِذْعٍ مُقَوَّمِ

يمدحه بالرَّزانة والعَقْل ، ونَقاء الجِسم من العيب ، وصفاء السَّبب والنَّسب من الفُحش . ومعنى عُزِلَتْ نُحِّيَتْ منه فى جانب . ويقال : هو بمَعْزِل عن هذا الأمر والأصحاب ، فيقول : بُعِّدَتْ عنه الفواحِشُ كُلُّها وصُرِفَتْ ، وجُعِل بينه وبينها حاجِزٌ حتَّى لا تمازجَ ولا تخالُط ، ولا تدانِىَ ولا تشابُك والقبطُرِيَّة :

(١) فى الأصل : « الذى » ، صوابه فى ل .

(٢) ذكره المرزبانى فى المعجم ٤٧٣ وأنشد له البيتين الأول والرابع . وأنشد فى اللسان « قرد » البيت الخامس ، وبيتين بعده ، وهما :

إذا شئت أن تلقى فتى اليأس والندى ... وذا الحسب الزاكى التليد المقدم

فكن عمرا تأتى ولا تعدونه ... إلى غيره واستخبر الناس تفهم

ونسبها إلى عدى بن الرقاع يمدح عمر بن هبيرة ، ثم قال : « وقيل هو لملحة الجرمى » وأنشد الأزهرى البيت الخامس ونسبه لابن ميادة يمدح بعض الخلفاء . و « ملحة » ضبطت فى النسختين واللسان « زرر » بضم الميم ، ويفهم من التبريزى أنها بالكسر .

جنسٌ من الثِّياب رفيع . ومعنى البيت أنه طويلُ القامة مديد الجسم ، فكأن زرُورَ القُمُص من هذا الجِنْس من الثِّياب عُلِّقت منه على جِذْع مقوَّم . أراد أنَّ طُولَه طول جِذْعٍ هكذا . وهُم يتمدَّحون بامتداد القَوام ، والبَسْطة فى الأجسام .

٣ ــ عَمَلَّسُ أسْفَارٍ إذا استَقْبَلتْ لَهُ ... سَمُومٌ كَحَرِّ النَّار لم يَتلَثَّمِ (١)

٤ ــ إذا ما رَمَى أصحابُهُ بجَبينِه ... سُرَى ليلةِ الظَّلْماء لم يَتهكَّمِ

٥ ــ كأنَّ قُرادَىْ زَوْرِه طبعَتْهما ... بِطِينٍ مِنَ الجَوْلانِ كُتَّابُ أعْجَمِ

العَمَلَّس : الجرىء المِقدام ، ويوصف به الذِّئاب ، وكذلك السَّلَمَّع ويوصَفُ به الخبيث من الذِّئاب والكلاب . ويقال : هو عَمَلَّس دَلَجاتٍ ، أى قوىٌّ على السَّيْر . وزاد اللام فى قوله « إذا استقبلَتْ له » تأكيداً ، والأصل استقبلَتْه . وجواب إذا « لم يتلثَّمِ » وهو العاملُ فيه . فيقول : هو فى السَّفَر بهذه الصفة مبتذِلا نفسَه لا يَتوقَّى من السَّأم ، ولا يتخشَّى من أنواع المهالك ، فإذا قابلَتْهُ السَّمومُ المُحْرِقةُ إحراقَ النَّار لم يَصنْ وجهَه منها ، ولا جعَلَ على محيَّاهُ لِثاماً . واللِّثام : رَدُّ المرأةِ قِناعَها على أنْفها ، وقد تلثَّمت ، وتَلثَّمَ الرجلُ بعمامته . والمَلْثَم ماحول الفم ، وقيل الأنف وما حوله ، واللِّفام : رَدُّ القِناع على الفم ، وقيل أيضاً : هو مثل للِّثام لا فرق بينهما .

وقوله « إذا ما رَمَى أصحابُه بجبينه » أراد أنهم إذا قدَّموه ليهتدوا به وهم يسْرُونَ فى ليلةٍ شديدة الظَّلام هائلة لم يَجْبُن ولم يتكذَّب ، ولكنْ تقدَّمَهم وقادَهم على عادته .

وقوله « كأنَّ قُرادَىْ زَوْرِه طبعَتْهما » وصفَهما بالصِّغر ، ثم شبَّههما بطابَعَيْن من طين الجَوْلان ، ويقال إنَّه اسوَدُّ ، تولَّى طبعَهما كاتبٌ من كُتَّاب العجم .

(١) فى متن التبريزى : « لم يتثلم » ، ولكن أتى فى التفسير على الصواب كما هنا .

وخَصَّهم لأنَّهم حينئذٍ كانوا أَحْذَقَ بالكتابة وأسبابها . وهم يتمدَّحون بالهُزَالِ وقِلّة اللحم . والطَّبع : الخَتْمُ . والطَّابَعُ : الخاتَم . وحُكِيَ : هذا طُبْمَانُ الأمير (١) ، أى طينه الذى يَختِم به .

٧٨٣

وقال بعضُهم :

١ — إنَّك يا ابنَ جَعْفرٍ نِعمَ الفَتى (٢)

٢ — ونِعْمَ مَأْوَى طارِقٍ إذا أتى

٣ — ورُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الحىَّ سُرَى

٤ — صادَفَ زاداً وحديثاً ما اشتَهى

٥ — إنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى

٦ — ثُمَّ اللِّحافُ بعد ذاكَ فى الذَّرَى

يخاطب بهذا الكلام عبدَ الله بن جعفرِ بن محمدٍ الصّادق رضى الله عنهم ، فيقول : نِعمَ الفتى أنت ، أى محمودٌ فى الفِتيانِ أنتَ ومحمودٌ دارك وفناؤك ، مأوى الطُّرَّاق إذا وَرَدوا . وقوله « مأوى طارقٍ » أضافَهُ إلى النَّكِرَة لأنَّ القَصْدَ بطارقٍ إلى الجنس ، واسمُ الجنسِ فى مثل هذا المكان وأن تنكّر فائدتُه فائدةُ المعارف ، وإذا كان كذلك كان قولُك « مأوى طارقٍ » بمنزلة مأوى الطُّرَّاق . والمحمود هو المُخاطَبُ . ويجب أن يكون فى نِعْمَ ضميرٌ يعود إلى المخاطب ، وقد

---

(١) هذا مما ذكر فى القاموس ولم يذكر فى اللسان .

(٢) الأشطار ما عدا الأخير منها رواها الجاحظ فى البيان (١ : ١٠) .

اشتمل عليه قوله نِعْمَ الفَتَى ونِعْمَ مأوى طَارِقٍ ، لأنَّ فائدة نِعْمَ الرّجال ، محمودٌ فى الرجال . فكأنّه قال : إنَّك محمودٌ فى الفتيان يا ابنَ جعفر . وقد قيل فى قول القائل : زيدٌ نعم الرجل : إنّه لما كَانَ القصدُ بالرَّجل إلى الجنس ، وكان زيد منهم ، اكتفى بكونه منهم من ضميرٍ يعود إليه .

وقوله « وربَّ ضيْفٍ طرَقَ الحيَّ سُرى » ، يريد ليلًا ؛ لأنَّ السُّرَى لا يكون إلاَّ باللَّيل (١) فالسُّرى فى موضع ظرف ، واسمُ الزّمانِ محذوف معه ، وهو كقولك : جئتك مَقْدَمَ الحاجّ وما أشبهه . فيقول : ربَّ ضيفٍ أتَى الحيَّ راجياً وجودَ القِرى عندَه ، أنزلتَه فصادَفَ فى فنائك زاداً عتيدا ، وحديثاً مؤنِسا ، وإكراما مُبرًّا . وقوله « ما اشتهى » فى موضع الظَّرف ، فهو كقوله :

أحدّثه إنَّ الحديثَ من القِرَى وتعلمُ نفسِى أنّه سوفَ يهجع (٢)

لأنَّ فى قوله « ما اشتهَى » المعنى الذى اشتمل عليه قوله « تَعلم نفسِى أنَّه سوف يهجع » .

وقوله « إنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرى » ، يقول : تأنيسُ الضَّيف بمُلَحٍ من الحديث من أسباب القِرَى وشرائطه ، وخِصالِه التى تكمّله وتفضّله .

وقوله « ثُمَّ اللِّحافُ بعد ذاك فى الذَّرَى » ، إشارةٌ إلى إكرامه بما يُفترَش له ويمهَّد به موضعُه . والذَّرَى : الكَنَف .

(١) ل : « فى الليل » .
(٢) البيت لعتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمى ، كما سبق فى الحماسية ٧٦١ ص ١٧١٩ .

٧٨٤

وقال الشَّمَّاخ (١) :

١ـ وأشْعَثَ قَدْ قَدَّ السِّفَارُ قَمِيصَه وجَرُّ شِوَاءٍ بالعَصَا غَيْرِ مُنْضَجِ (٢)
٢ـ دَعَوْتُ إلى ما نابَنِي فأجابَنِي كَرِيمٌ من الفِتْيانِ غَيْرُ مُزَلَّجِ

يصف مُضيفا . والأشعث : الذى يبتذل نفسَه ولا يصونُها عن التعمُّل ، فيصير مقطوعَ القميص فى السَّفر ، لتحمُّله عن أصحابه أثقالَ المِهَن ، حتّى يتشعَّث ظواهرُه ، ويغبرَّ شَعَرُه ، وترِثَّ ثيابُه ، ويختلَّ أمرُه . وقوله : « وجَرُّ شِواءٍ » إشارةٌ إلى تولِّيه من خدمة الرُّفقاء والأصحاب مالا يكون من عمله . وجعلَ الشِّواءَ غيرَ مدرَكٍ لتعجُّله وحرصِه على تقديم أمرِهم والتسرُّع فى إطعامهم . ويجوز أن ينتصب « غير » على أن يكون حالاً للنكرة — وهو أجود الرِّوايتين — حتّى لا يكونَ قد فصل بين الصِّفة والموصوف بالأجنبىّ منهما ، وهو قوله بالعَصَا ، لأن التعلُّق بينهما يقارب التعلّق بين الصِّلة والموصول .

وقوله : « دعوتُ إلى ما نابنى » ، أى استغثت به وطلبت منه الإغاثة على ما نابنى من حَدَثان الدَّهر فأجابَنى منه كريمٌ من الفتيان غيرُ ضعيفِ المُنَّةِ ، ولا مؤخَّرٍ عن الغاية البعيدة . وأصل التَّزليج من قولهم قِدْحٌ زَلوجٌ ، أى سريع فى الإجالة . أى إذا وقَفَ على حدّ مكرُمةٍ وأشرف على الفوز بمَنْقَبةٍ لم يُزلَّج عنه ولم يُدْفَعْ منه ، لأنّ الزَّلَج السرعةُ فى المشى وغيره . وكلُّ زالجٍ سريع ، ومنه مِزلاجَ الباب للخَشَبة التى يُغلَق بها .

---

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٣٨٨ ص ١٠٩٠ ، والأبيات فى ديوانه ٩ — ١٠

(٢) فى الديوان : « وجر الشواء » .

٣ ـ فَتًى يملأ الشِّيزَى ويُروِى سِنانَهُ ويَضربُ فى رَأْسِ الكَمِيِّ المُدَجَّجِ
٤ ـ فتًى ليس بالراضى بأدنى معيشةٍ ولا فى بيوتِ الحىِّ بالمُتَوَلِّجِ[1]

يقول : هذا[2] المدعوُّ المستغاث به فتًى يملأ الجِفان المتخذة من الشِّيزَى للضيوف والرُّفقاء ، ويُروِى سنانَ رمحه من دماء الأعداء ، وإذا بارزَه فى الحرب القِرنُ التامُّ السِّلاح ، الكَمِىُّ بين الصِّحاب ، غلبه وركِبَه ، وأتَى عليه فأسقطه ، وهو فتًى لا يرضَى فى دُنياه بأقرب المهمَّتين ، وأدْوَن المعيشتين ، ولكن يطلبُ غاياتِ الكَرَم ونهاياتِ الفضل ، ولا يداخِل بيوتَ الحىِّ والمجاوِرَة ، ولا يخالط النساء للرِّيبة والمغازَلة . يصفُه بالعفّة والجدّ ، وصيانة النَّفْس ، وارتفاع الهِمّة والهَمِّ عما يُزيل الحِشْمة ، ويدنِّس المروءة .

وقوله « ولا فى بيوت الحىّ » ، جعَلَ فى بيوت تبييناً ، وقد حصل الاكتفاء بقوله المتولِّج ، فيكون موقعُه منه كموقع بك بعد مَرحبًا ، لئلّا يحصل تقديم الصِّلة على الموصول ، وإن شئت جعلت الألف واللام فى قوله «المتولِّج» للتعريف ، لا بمعنى الذى ، فلا يحتاج إلى تقدير الصلة فى الكلام . وقد مرَّ نظائرُه .

(١) الديوان : « أبل فلا يرضى » .
(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « هو » .

باب المدح

باب المـدح (*)

٧٨٥

وقال يزيدُ الحارثى(١)

١ ـ وإذا الفـتَى لاقَى الحِمَامَ رأيتَه ... لوْلاَ الثنـــاءُ كـأنَّه لم يولَدِ

٢ ـ وأتيتُ أبيضَ ســابغًا سِرْبالَه ... يَـكْفِى المَشاهِدَ غَيْبَ مَنْ لم يَشْهَدِ

يقول: إذا أخلَى الفتَى مكانَه من الدُّنيا وانقضى عمرُه، فانتقل من الأولى إلى الأخرى، فلولا ثناء الناس عليه، وذِكرُه بالجميل الذى يقدِّمه ويُسديه، لَنسِيَ وقته وأمدُه، وصار حكمُه حكمَ من لم يولَد فيعرفَ يومُه وغده، لكنَّ باقِيَ الذكر ونامِيَ العهد والرَّسم، بما يُنْشَرَ من حديثٍ حسنٍ وقِصَّةٍ، ويُحمَد من عادةٍ وسُنّة، هو الذى يَصِيرُ به فى حكم الحىِّ الذى لم يَمُت، والمشهود الذى لم يَفُتْ. وقد توصَّل بهذا الكلام إلى إطرائه مَن يتشكَّره والثناء عليه، وهو قوله «وأتيتُ أبيضَ سابغًا سربالُه»، يريد: وزُرت رجلاً كريمًا حُرًّا، نقيَّ الحَسَب من العُيوب، واسع العِطاف والقميص، لباسُه لباسُ الرُّؤساء والسادة.

وقولُه «يكفى المَشاهِد» يريد أنه ينوب فى مجالس الكبار عمن لا يحضرها، فيحسِّن المَحضَر، ويُقصِّر لسانَ المغتاب. ومثله قول الآخر:

إنَّا لَنَذْكُرُ والرِّماحُ تَنوشُنا ... تحتَ العجاجةِ مايقال ضُحَى الغَدِ

---

(١) ورد هذا العنوان فى ل فقط. أما التبريزى فقد جعل «باب الأضياف والمديح» بابا واحدا، كما سبق.

(٢) يزيد بن مخرم بن حزن بن زياد الحارثى، من بنى الحارث بن كعب، شاعر جاهلى معجم المرزبانى ٤٩٤.

٧٨٦

وقال دُرَيدُ بن الصِّمَّة (١)

١ ـ تَراه خَمِيصَ البَطْنِ والزَّادُ حاضِرٌ عَتيدٌ ويَغْدُو فى القَميصِ المُقَدَّدِ

وقد مرَّت هذه الأبيات مشروحة (٢) .

٧٨٧

وقال آخر :

٢ ـ كريمٌ رأى الإقتارَ عارًا فلم يَزلْ أخا طلَبٍ للمالِ حتَّى تموَّلا

٣ ـ فلما أفادَ المالَ عادَ بفَضْلِهِ على كلِّ مَنْ يرجو جَداهُ مُؤمِّلا

الإقتار : نقيض الإكثار . يقال فلان مُكثِرٌ ، وفلان مُقتِرٌ . وكذلك التَّقتير عقيب التَّكثير . ويقال : قَتَرَ على أهله وأقْتَرَ ، إذا ضَيَّقَ عليهم فى الإنفاق ، وفى القرآن : ﴿ والَّذينَ أنفَقُوا لَمْ يُسرِفُوا ولم يَقْتُروا ﴾ ، قُرِئَ بضم الياء وفتحها على اللغتين . يقول : لمَّا رأى فى ماله القصورَ والعجزَ عن مدى همّه ، رأى ذلك عارًا ومنقصة ، فلم يزلْ يمتطى المَراكب الشَّاقَّة (٣) طالبًا المال ، ويديم الحَلَّ والتَّرحالَ فى كَسْبه وجمعِهِ ، حتَّى إذا استغنى ونال مُناه ، لم ينفردْ به دونَ مؤمِّليه ، ولم يجعَلْه مقصورًا على لذَّاته ومباغيه ، ولكن عادَ يُفضِلُ

(١) وردت هذه المقطوعة فى الأصل بيتاواحدا كما هنا ، وعند التبريزى أربعة أبيات ، فبعد هذا البيت عنده :

وإن مسه الإقواء والجهد زاده سماحا وإتلافا لما كان فى اليد

قصيرالإزار خارج نصف ساقه صبور على العزاء طلاع أنجد

قليل التشكى للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد

(٢) انظر الحماسية ٢٧١ ص ٨١٨ — ٨٢٠ .

(٣) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « العتاقة » .

عليهم ، وأقبل يُشرِكهم فيه ويعطيهم . ويقال أفاد بمعنى استفاد . والجَدَا والجَدْوَى : العطيّة .

٧٧٨

لمّا أتِيَ يزيدُ بن عبد الملكِ بآل المُهَلَّبِ (١) قام (كُثَيِّر) بينَ يديه فقال :

١ ـ حَليمٌ إذا ما نال عَاقَبَ مُجْمِلًا أَشَدَّ العقابِ أو عَفَا لم يُثَرِّب

٢ ـ فَعفواً أميرَ المُؤْمنين وحِسْبَةً فما تحتَسِبْ مِن صَالحٍ لك يُكْتَبِ (٢)

٣ ـ أساءوا فإنْ تَغْفِرْ فإنّكَ أهْلُه وأفضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

يَصِفُه بكرم النَّفْس وكَظْمِ الغيظ ، واستعمالِ الحلم فى وقته ، والانتقام من الأعداء بأشدِّه فى إبّانه وحينه . فيقول : إذا نالَ الجانىَ عليه ، أو العدوَّ الكاشحَ له ، عاقَبَهُ وهو مُجمِلٌ ، أى لا يشتطُّ ولا يُسْرِف ، ولكن ينتهج طُرُق العدْل فى الانتقام ، ويَقصِدُ الحقَّ فى إقامة الحدّ عند التمكّن واللِّزام ، وذلك أشدُّ ما يُعاقِبُ به مثلُه ، أو عفا عنه غيرَ موبِّخٍ على ذَنْبه ، ولا مكدِّرٍ نعمته فى عَفْوِه . وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم﴾ : لا تخليطَ ولا إفساد . وقال غيره : لا تعيير ولا توبيخ .

وقوله « فعفواً أميرَ المؤمنين » طَلَبٌ وسُؤال ، وانتصاب عَفْواً على المصدر . فيقول : اعفُ وقد قَدَرْتَ ، واحتَسِبْ عند الله بما تأتيه ، فهو مكتوبٌ لك إلى يوم فاقتك ، ومُدَّخَرٌ إلى وقت مجازاتك ، فكما تعفو يُعْفَى عنك .

وقوله « أساءوا فإن تغفِرْ » ، اعترافٌ بالذّنْب ، واستعطاف بالغَفر . فيقول

(١) كان يزيد بن المهلب بن أبى صفرة قد خرج على يزيد بن عبد الملك وأعلن خلعه ، والتقت جيوشه بجيوش الخليفة فى العقر من أرض بابل ، وكان القتال شديداً قتل فيه ابن المهلب وانهزم جيشه ، وذلك فى سنة ١٠٢ .

(٢) التبريزى : « فما تكتسب » .

إن تجافيت عن إساءتهم واستعملت ما أنت أهله من العفو عنهم ، فإنَّ ذاك هو الموجوُّ منك ، والمعتادُ من نَظَرِك ، وأفضل الحِلْمِ احتساباً وأجراً حِلْمُ المغيظ ، والمضْجَر المتلَك (١) .

فرُوِىَ أن يزيدَ لما قَرَعَ سمعَه هذه الأبياتُ قال : لولا أنَّهم قدَحُوا فى المُلْكِ لعفوْت عنهم (٢) .

٧٨٩

وقال يزيدُ بنُ الجهْم :

١ ـ تسائلنى هَوَازِنُ أين مَالى وهل لِى غَيْرَ ما أنفقْتُ مَالُ

٢ ـ فقلتُ لها هَوَازِنُ إنَّ مالى أَضرَّ به المُلِمَّاتُ الثِّقالُ

٣ ـ أَضَرَّ به نَعَمْ ونَعَمْ قديماً على ما كان من مَالٍ وَبَالُ

يقول : تباحِثُنى هذه القبيلةُ عن حالى ، وتسائلنى عن وجوه غِناى ، ومَصارِف مالى . وهذا إخبارٌ عنهم وعن مباحَثتهم واستكشافهم فى إنكارهم . وقوله « وهل لى » استفهام على طريق النَّفى ، كأنه قال : ومالى مالٌ إلا ما أتلفْتُه ووضعتُه حيث اخترتُه . وهذا اعتراضٌ بيْنَ الابتداء من هَوازن فى السُّؤال وبين ما أتى به فى الجواب ، وهو قوله « فقلت لها هوازن » . وانتصب غيرَ على أنه استثناء مُقدَّم ، كأنه لم يعتدَّ بما فَضَلَ له عن مآرِبه ، وبقى عنده فى جواب مطالبِه . والمعنى أنَّه لا مالَ له إلَّا ما أنفقَه وقدَّمه لا ما يُسأل عنه .

وقوله « فقلت لها هوازن » ، يريد أجبتهم وقلت : مالى أفناه ما نزَلَ بى

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل . « المتلل » .

(٢) التبريزى : « فقال له يزيد : أطت بك الرحم ! اى عطفتك عليهم . ولولا أنهم قدحوا فى الملك لعفوت عنهم » .

من المُلِمّات الفادحة، والنَّوائب المجحفة، وأَضَرَّ به قولى فى جواب السُّؤَّال والوُرَّاد: نَعَم، إيجاباً لهم، وإسعافاً بمقترحاتهم. وهذه اللفظة وَبالٌ على الأموال معروفٌ فيما تقادَمَ من الأزمان. وانتصب «قديمًا» على الظَّرف، والعامل فيه ما اشتمل عليه قوله «على ما كان من مالٍ وَبالُ».

ونعَمْ: حرفٌ وضع للإيجاب، ونقيضه لا. وقد جعله الشاعر على هيئته منقولاً إلى باب الأسماء، فهو فاعلٌ لأضَرَّ، ومبتدأ فى قوله «ونَعَمْ قديمًا» والخبر وبال.

فأما قول أبى تَمَّام:

تقولُ إن قُلتم لا لا مسلِّمةً لأمرِكُمْ ونَعَمْ إنْ قُلْتُمُ نَعَما[١]

فقد عِيبَ عليه قوله نعما، وليس كما ظُنَّ، لأنّه لمَّا نقَلَها وجعلها اسمًا نصَبها بقُلتم، على حدِّ قولك: قلتُ خيراً وقلتُ شرًّا.

ويجوز أن يكون «قديما» انتصب على الصِّفة المتقدِّمة، أى نَعم وَبال قديم على الأموال، فلما قدَّمه نصبه. ومثلُه:

* لمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ[٢]

٧٩٠

وقال أعرابىّ:

١ — ألَا فَتى نال العُلَا بهِمِّهِ

٢ — ليس أبوهُ بابنِ عمِّ أُمِّهِ

٣ — ترى الرِّجال تهتدى بأَمِّهِ

(١) فى الديوان ٣٠٥: «مسلمة لقولكم».
(٢) البيت لكثير عزة، كما سبق فى حواشى ١٦٦٤.

قوله « أَلَا فَتًى » تمنٍّ ، وألف الاستفهام دخل على النافية لهذا المعنى ، ولذلك حذف التنوين من فتى . ومعنى « نالى العُلا بهمِّه » أى صرفَ همَّه ، وشَغَل نفسَه بما ابتنى به العُلا ، وعَمَر به مكارمَ قومه وذَوِيه .

وقوله « ليس أبوهُ بابن عمِّ أمِّه » ، هو المعنى الذى ورد به الخبر : « اغترِبُوا لا تُضوُوا » ، لأنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ الولدَ إذا حصَلَ بين متشاركَيْن فى النَّسب متقارَبين ، جاء ضاويا .

وقوله « تَرَى الرِّجالَ تهتدى بأَمِّه » ، أى تراهم يَطَؤُون عقبَه ويقدِّمونه فيهتدون بقصده ، ويقتدون برسمه ، لرياسته وفَضْله .

٧٩١

وقال ابنُ المولى (١) ، ليزيد بن حاتم (٢)

١ — وإذا تُباعُ كَرِيمةٌ أو تُشتَرَى ... فسِوَاكَ بائعُها وأنت المشتَرِى

٢ — وإذا توعَّرَتِ المَسالكُ لم يكنْ ... منها السَّبيلُ إلى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ (٣)

يقول : إذا قامت سوقُ المكارم ، وثارَ رهجُ المغانم بين طلاب المعالى وتُجَّار المحامد ، فغيرُكَ مِن حاضريها يزهد فى حَوْز المكرُمات ، ويرفعُ يدَه عنها فكأنَّه يبيعها ؛ وأنتَ تحصِّلها وتجمع يدَكَ عليها ، وتفوز بابتياعها وإن كانَ بأغلى الأثمان ، وأثقل السِّيَم (٤) ، فلا رغبةَ إذا نظَرْنا فى مَجامعِ المجد ، واعتبرنا

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، من الأنصار . شاعر متقدم مجيد من مخضرمى الدولتين ومداحى أهلهما ، وقدم على المهدى وامتدحه بعدة قصائد ، فوصله بصلات سنية . الأغانى (٣ : ٨٥) .

(٢) هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب .

(٣) التبريزى : « لم تكن » . والسبيل تذكر وتؤنث .

(٤) بكسر ففتح : جمع سيمة بالكسر ، وهو الاسم من السوم فى البيع .

فيها دَواعِيَ طُلّاب الثَّناء والحمد، كرغبتك. وقوله: تُباعُ أو تُشترَى. أوْ بمعنى الواو، فهو كما يكتب فى العقود: «وكلُّ حقٍّ له داخلٍ أو خارجٍ».

وقوله «وإذا توعَّرت المسالك»، يريد وإذا اشتدَّ الزَّمان وانسدَّت الطُّرُق إلى من يتندَّى ويَشتهر بفعل المعروف، لشُمول القَحط وإمحال الناس، فعادَتْ مسالكُ الجُود وَعْرةً لا يمكن قطعُها، ولا الوصولَ إلى أسباب الخير منها، كنتَ قريبَ المأخَذ، سهلَ الفِناء، حسنَ الإقبال على مُجتَديك، جميلَ الاشتمال على قُصَّادك وزائريك، فلا تُستَحزَنُ أرضُك، ولا يُستَوعَر جنابُك. وتوعَّرَت، من قولهم: طريق وعْرٌ، أى غليظ. وقد وَعِرَ يَوْعَر. وطريق أوْعَرُ، من هذه اللُّغة.

٣ — وإذا صنَعْتَ صَنيعةً أتممتهَا ... بيدَينِ ليس نَدَاهُما بمكدَّرِ

٤ — وإذا هَمَمْتَ لمُعْتَفيك بنائلٍ ... قالَ النَّدَى فأطعْتَهُ لَكَ أكْثِرِ

٥ — يا واحِدَ العَربِ الذى ما إنْ لَهُمْ ... من مَذْهب عنه ولا من مَقْصِرِ

قوله «وإذا صنعتَ صنيعة»، يقول وإذا اتَّخذتَ عند إنسان يداً وأزْلَلتَ إليه نعمة، فإنك لا تُخْدِجُها ولا تترك تربيتَها، لكنَّك تُكمِّلُها وتقوم بعمارتها، مصُونةً، من المَنِّ والتَّكديرِ، صافيةً من الشَّوائب والتعذير؛ ومتى نويت لمُجتَدِيك الإفضالَ عليه اقتضاكَ كرمُك والنَّدَى [الذى [1]] هو همُّك ومَدَمُك، وقالا وأنت تُطيعُهما وتوجب مَرْسُومَهُما: أكْثِرْ له ليستغنىَ عن غيرِك ويَخلُصَ المنُّ لك.

وقوله «يا واحدَ العرب» يجوز أن يتَّصل بقول النّدَى [2] ويكونَ الشَّاعرُ حاكيا، ويجوز أن يتصل بمخاطَبة الشَّاعر، والقصد فى الدُّعاء والتَّخصيصُ

(١) التكملة من ل.
(٢) يريد أنه مقول لقال الندى. وفى الأصل: «بقوله الندى»، صوابه فى ل.

والإطراء . والمعنى أنّه واحدُ العَرَب لا نظيرَ له فيهم، فهو المنظور إليه[١] من بينهم ، فلا مَعْدِلَ عنه فى المُهِمّات . ولا مَقْصِرَ دونه فى المُلِمَّات . والمَقصر : الكفُّ والإمساك .

٧٩٢

وقال المُعذّلُ[٢] :

١ ـ جَزَى اللهُ فِتْيانَ العَتيكِ وإن نَأَتْ بِيَ الدّارُ عنهم خَيْرَ ما كانَ جازِيا

٢ ـ هُمُ خَلَطُونِى بالنُّفوسِ وأكرموا الـ صَّحَابةَ لمّا حُمَّ ما كُنتُ لاقيا[٣]

كان المعذّل أُخِذَ بِجُرم ، فكفل عليه النَّهْسُ[٤] بن رَبيعةَ العَتَكىّ ، وكان حيثُ كَفَلَ عليه : دُفِعَ إليه فحمله على فرسٍ وبَغْل ، وأمَرَه أن ينجُوَ بدمه وأسلَمَ نفسَه مكانَه ، فقال المعذّل : اختر أن أمتدِحَكَ أو أمتدحَ قومك . فاختار امتداحَ قومه ، فقال : تولَّى اللهُ عنِّى جزاء فتيان العتيكِ ، فقابلَهم بخيرِ ما يُجازِى به مُستحِقًّا لجزاء ، وإنْ بَعُدتُ عنهم ، وتنامت دارِى عن دارهم .

ثمَّ أخذ يقتصُّ ما عُومِل به فذَكَرهم وقال : الذين خَلَطونى بأنفسهم ، وأسقطوا الحِشمةَ بينى وبينهم ، فجعلُونى أشارِكُهم فى خيرهم ، ولا أتفرَّد بالضَّير فيهم ؛ ثم إنَّهم صاحبونى مصاحبةً كريمة لمَّا قُدِّر لى ما كنتُ أكابِدُه ،

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « كالمنظور إليه » .

(٢) هو المعذل بن عبد الله الليثى ، كما ذكر التبريزى . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٨٨ : « المعذل البكرى أحد بنى قيس بن ثعلبة ، إسلامى » ثم قال : « وقدم على المهلب بخراسان فقال لمن حضره : يا معشر الأزد ، هو الذى يقول ... وأنشد هذه الأبيات . فجمعوا له خمسين وصيفاً ، وأعطاه المهلب مثلها » . و انظر خبراً عنه فى الشعراء ٢٩ ، ٨٣ .

(٣) المرزبانى : « ما كان آتيا » .

(٤) وكذا عند التبريزى . وعند المرزبانى : « النهاس » .

فضمّونى إلى أنفسهم متكفّلين بى ، وصابرين على المكروه دونى ، ثم فكّوا أسرى وأبلغونى مأمنى .

فإن قيل : ما فائدةُ قوله « وإنْ نأت بىَ الدارُ عنهم » ؟ قلتَ : أراد أنّه لا يشكرهم مُقارِضاً ولا طامعا فيؤثّر فيما هو الغرضُ فيه قُرْبُ الدار وبُعْدُها ، بل يؤدّى حَقّ نعمةٍ ، ويقضى لازمَ فريضة . وقوله « لمّا حُمّ » يجوز أن يكون ظرفًا لأكرموا . ومعنى حُمّ قُدِّر .

٣ — هُمْ يُفرِشُونَ اللِّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ وأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المُغالِيَا

٤ — طَعامُهُمُ فَوْضَى فَضاً فى رِحالِهِمْ ولا يُحسِنُونَ السِّرَّ إلا تَنادِيا

٥ — كأنّ دَنانيراً على قَسِماتِهِمْ إذا الموتُ للأبطالِ كانَ تَحاسِيا

ذكر ما شاهدهم عليه فى مُجاورتهم ، ويَجْرُون عليه فى عاداتهم ومَصارفهم ، ويَنْتقلون فيه أوقاتَ حَفْلهم . وعند خَلوتهم ، وفيما ينوبهم من نائبة تخصُّهم أو تعمُّهم . فقوله « يُفرشون اللِّبْدَ » بضمّ الياء ، أى يجعلون اللِّبْد فراشاً لظهر كلِّ رَمَكةٍ ونَابة ، وكلِّ فحلٍ كريم سَبّاحٍ فى عدْوه غَلّابٍ لِمُباريه فى الغُلُوّ ، سبّاقٍ فى الرِّهان يحوز قَصَبَ التقدّم والعلوّ .

ويقال : فَرَشْتُ الفِراشَ وأفرشْتنيه فلان ، وافترشت الأرضَ والمرأة . وروى بعضهم : « هم يَفرِشون » بفتح الياء ، وقال : أراد يَفْرِشُ اللِّبْدَ على كلّ طِمِرّةٍ فحذف الجار . قال : ويقال فرشْتُ ساحتى الآجُرَّ وبالآجُرِّ .

وقوله « يَبُذُّ المغاليا » إن ضممت الميم جاز أن يُراد به السهمُ نفسه أو فرسٌ يُغاليه . وجاز أن يراد به الرافع يدَه بالسَّهم يريدُ به أقصى الغاية . ويقال : بينى وبينه غَلْوَةُ سهم ، كما يقال قيدُ رُمْح وقابُ قوس . وإن فتحتَ الميم يكون جمعا للمَغْلاة ، وهى السهم يُتَّخذ للمغلاة . والمعنى يسبق السَّهمَ فى غَلْوته .

ومُراد الشّاعر أن سعيَهم مقصورٌ على تفقُّد الخيل وخِدْمتها ، والتفرُّس على ظهورها .

وقوله « طعامهم فوضَى فضًا » فوضَى من فوَّضْتُ الأمرَ إليك . والفضا من فَضَت الأرضُ ، إذا اتَّسعَت ؛ ومنه الفضاء ، وأفضَيْتُ إليه بكذا . والمعنى أنَّ الطعام عندَهم وفيهم لا يُكالُ ولا يوزَن ، ولا يُقتَسم ولا يُفْرَز ، بل يأ كلُه في رحالهم كلُّ من احتاجَ إليه ، غيرَ ممنوعٍ عنه . وقوله « ولا يُحسِنُون السِّرَّ إلّا تناديا » ، أي لا رِيبةَ في أقوالهم وأفعالهم فيَخفِضُوا الصَّوتَ بما يتخاطَبون به ، فعلى هـذا يكون تنادياً مستثنى ، ويكون التقدير : لا يحسنون السِّرَّ لـكـنَّهم يتنادون . ويجوز أن يكون « تناديا » في موضع الحال ، ويكون من باب :

* تحيةُ بينِهِمْ ضَرْبٌ وَجيع (١) *

و : * أُعتِبُوا بالصَّيْلَم (٢) *

وما أشـبههما .

وقوله « كأنَّ دنانيراً على قَسماتهم » فالقَسِمة : الوجه . ويقال : وجه مقسَّم ، إذا وُفِّيَ كلُّ جُزْءٍ منه حَظَّهُ من الحسن . يريد أنَّ الشَّدائدلا تَـكسِرُ شوكتَهم ولا تغضُّ أبصارَهم ولا تَغيض مياهَ وُجوههم (٣) ، بل يزدادُون على طول المِراس والجِذب حُسْنا ونشاطاً . فكأنّ سَحَناتِهم غُشِّيت بالدَّنانير إشرافاً ونوراً ، في وقتٍ تتحامى (٤) الأبطالُ فيه الموت . وهذا مَثَل للشِّدَّة وقد وُطِّنت النُّفوس عليها ، وذُلِّلت لها . أي تشرب الشُّجعانُ كُؤوسَ الموت حَسَوات .

(١) البيت لعمرو بن معديكرب ، كما سبق في حواشي ٢٤٦ ، ٥٨١ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ . وصدره :

* وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٢) قطعة من بيت لبشر بن أبي خازم في اللسان (صلم) . وهو بتمامه :

غضبت تميم أن تقتـل عامر يوم النسار فأعتبو بالصـيلم

(٣) ل : « ماء وجوههم » . وغاض من الأفعال التي تلزم وتتعدى . يقال غاض الماء ، كما يقال غاضه ، أي نقصه .

(٤) هذا الصواب من الأصل . وفي ل : « تحامى » بالميم .

٧٩٣

وقال بعضهم :

١ — وزَادٍ وَضَعتُ الكَفَّ فيه تأنُّساً ومابِيَ لولا أُنسَةُ الضَّيفِ مِنْ أَكْلِ

٢ — وزادٍ رَفعتُ الكَفَّ عنه تكرُّماً إذا ابتَدَرَ القومُ القَليلَ من الثُّفْلِ

٣ — وزادٍ أكَلْناهُ ولم نَنْتَظِرْ بِهِ غَداً إنَّ بُخْلَ المَرْءِ من أسْوَأ الفِعْلِ

يصفُ وُفورَ عقله وحُسْنَ تأتِّيه فى تقلّب الأحوال به ، وذهابَه مع الكرم أنى اعتمَدَ ، ومَعَ مَنْ تصرَّف . فيقول : رُبَّ زَادٍ وضعتُ كفِّى فيه إيناساً للمجتمعين عليه ، وتأنُّساً بمؤاكلتهم ، ولكى يَنْشَطوا[(١)] بكونى معهم ، ويطرَحُوا الحشمةَ لانضمامى إليهم ، لولا ذلك لكنتُ غيرَ محتاج إليه ، ولزَهِدْتُ فى التَّناول منه . وقوله « أُنسَةُ الضَّيفِ » ، يقال أُنْسٌ وأُنْسَةٌ كما يقال بُعْدٌ وبُعْدَةٌ ، وشقاء وشقاوة ، ومَنزِل ومنزلة ، ودار ودارة .

وربَّ زاد أمسكْتُ عن أكله ، وانقبضتُ عن الاجتماع مع آكِليهِ مؤْثرا لغيرِي به ، وتوسيعاً على متناوليه ، فى وقتٍ من الزمان يُرَى القومُ يستَبِقون إلى القليل من سَقَط الزاد ، لعزَّته وشدَّةِ حاجتهم إليه ، وبعد عَهْدهم[(٢)] بأطايبه .

وربَّ زاد أفنيناه وتوسَّعنا فيه ، غير مفكِّرٍ فى مستأنَف الزَّمان ، ولا خائفٍ من عواصف الحَدَثان[(٣)] ، ولو بَقَّيناه لعُدَّ ذلك من فعلنا بُخْلًا به والبُخل من أسوأ أفعال المرء وأقبحها . وانتصب « تأنُّساً » على أنه مصدر فى موضع الحال . وقوله « من أكل » فى موضع الرَّفع لأنَّه اسم ما ، والنَّفى بما تناوله من حديث لولا . وكذلك قوله « تكرُّما » فى موضع الحال ، و « إذا ابتدر » ظرف لرفعت ، وهو

(١) ل : « ينبسطوا » . (٢) ل : « عهودهم » .

(٣) فى النسختين : « من عواطف » .

جوابه . وقوله « لم نَنْتظرْ به غَداً » أى لم ننتظِرْ باستيفائه غداً ، أى مجىء الوقت الذى نُسميه غَداً .

٧٩٤

وقال بعضهم :

١ ــ لَقَلَّ عَاراً إذا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِى ما كانَ عِنْدى إذا أَعطيتُ مَجْهُودى

٢ ــ جَهْدُ المُقِلِّ إذا أعطاكَ نائِلَهُ ومُـكْثِرٍ فى الغنَى سِيَّانِ فى الجُودِ

اللام من « لَقَلَّ » جواب يمين مضمرة ، وفاعل قلَّ ما كان عندى . و « عاراً » انتصب على التميز ، وهو مِمَّا يُقَلِ الفعلُ عنه ، كأنَّهُ كان لَقَلَّ ما كان عندى ، فنقل قَلَّ وجعله لقوله ما كان ، وأشبه عاراً المفعولَ فنصبه وقوله « اذا أعطيت » [ظرفٌ لقوله : « قلَّ ما كان عندى » . واذا ضيفٌ تضيَّفَنِى ، ظرف لقوله : « اذا أعطيت[1]] مجهودى » . وتلخيص الـكلام : لقد قلَّ عارٌ ما كان عندى اذا أعطيتُ منه مجهودى اذا ضَيْفٌ تضيَّفني . والمعنى : لا عارَ فى القليل الذى عندى اذا أعطيتُ مجهودى فى الوقت الذى يتضيَّـفُنِى الضَّيف . ومثل هذا البيت فيما اجتمع فيه من الظَّرْفين قول الآخر[2] :

عَلَامَ تقولُ الرمح يُثْقِلُ ساعِدى إذا أنا لم أَطْعن إذا الخَيْلُ كَرَّت

وقوله « جَهْدُ المُقِلِّ » مبتدأ ، وعطف مُـكْثِرٍ على المُقِلِّ ، و قد حذف المضاف منه ، و المراد وجَهْدُ مُـكْثِرٍ فى الغنَى ، فا كتفَى بالأوَّل عن الثانى ، وسيّان خبر المبتدأ ، كأنَّه قال : جَهْدُ المُقِلِّ اذا أعطاكَ ما عنده وجَهدُ مكثرٍ فى الغنى مِثْلان فى أحكام الجُود وشرائطه لأنَّ كلاًّ منها فَعَل مجهودَه . وإنما قلنا هذا لأنَّك

(١) التكملة من ل .

(٢) هو عمرو بن معديكرب ، سبق فى ص ١٥٩ .

لأنْ لم تضمر فى قوله « ومكثر » المضافَ تكون قد جمعتَ بين الحَدَث وَهو جهْد المُقِلّ ، وَبين الذات وهو مُكْثِر فجعلتَهما سِيَّيْن. والشَّرط أن يُضَمّ الحَدَث إلى الحدث ، والذاتُ إلى الذّات . وقوله « فى الغنى » فى موضِع الصِّفة لمكْثِر، كأنَّه قال ومكْثِرٍ غَنِىٍّ . وهذا كما تقول : جاءنى رجل فى جُبّةٍ ، تريد وعليه جُبَّة ، وتحقيقه : جاءنى رجلٌ لابسٌ جبة .

وقد تُبيِّن من البيت الثانى معنى البيت الأوّل ، وَاعتذارُه من القايل الذى يُعطيه إذا ضاف ضَيْفٌ[1] .

٧٩٥

وَقال خَلَفُ بن خليفة[2] :

١ — عَدَلْتُ إلى فَخْرِ العَشيرة وَالهَوَى ... إليهم وَفى تعداد مَجْدِهِم شُغْلُ

٢ — إلى هَضْبَةٍ من آلِ شَيْبانَ أشْرَفَتْ ... لها الذِّروَةُ العَلْياء وَالكاهل العَبْلُ

٣ — إلى النَّفَرِ البِيضِ الأُولاء كأنَّهم ... صفائحُ يومَ الرَّوْع أخلَصها الصَّقْلُ

٤ — إلى مَعْدِنِ العِزّ المؤيَّد والنَّدى ... هُناكَ هُناكَ الفَضْلُ وَالخُلُقُ الجزْلُ

قوله « وَالهوى إليهم » مبتدأ وَخبره قداعترَضَ بَينَ صدر البيت وَعَجُزه ، والواو واو الحال . والمعنى : وهوايَ معهم ؛ لأنَّ إلى بمعنى مع ، كما يقال هذا إلى ذاك . ويجوزأن يُعطف والهوى على فخر العشيرة ، فيكون المراد عَدَلْت إلى الافتخار بهم ، وإلى الهوى معهم . فيقول : صرفتُ همِّى إلى ذكر مَفاخر العشيرة ، وهوايَ معهم ، تركت غيرَه لأنَّ فى عدِّ مجدِهم وإحصائه ما يَشْغَلُنى عن غَيره . ثم كَرَّر « إلى » مفخِّمًا ومعظِّما ، فقال : إلى هضبةٍ مِن شأنها كذا ، وإلى النَّفر الذين من

(١) ل : « ضافه ضيف » .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٢٩٦ ص ٨٠٩ .

شأنهم كذا ، وإلى معدن العزّ الذى من أمره كذا . والمراد بجميع ما ذكر العشيرةُ وإن اختلفت العبارات عنها .

وقوله « أشرفَتْ لها الذروةُ العلياء » ، يعنى هضْبة العزّ . فيقول : عَلَت لهذه الهَضبة ذِروةٌ شامخةٌ وكاهلٌ ضخم ، يريد عِظَم الهضْبة وسُموقَها واتّساعَ جوانبها .

وقوله « إلى النَّفر البيض » يعنى آلَ شيبان . ذِكر عِزّهم وكَنى عنه بالهضْبة ، والقصدُ إلى أنّهم ملجأ والمعقل . « والأُولاء » فى معنى الذين ، وما بعدهُ من صِلَته ، ويُمَدّ ويُقصر ، فيقال الأُولاء والأُولَى . وأراد بالبِيض الكرام المُنَقَّى الأحساب . وقوله « كأنّهم صفائح يوم الرَّوْع » ، يجوز أن يضيف صفائح إلى يوم الرَّوع ، ويريد تشبيههم فى نفاذهم وقُدودِهم بالسُّيوف المعدّة ليَوم الروع ، لا المَعاضدِ (١) وما يُبتذَل فى العوارض سِوى الحرْب . ولك أن تنصب «يوم» على الظَّرف يريد صفائح مصقولة جُرِّدت يَومَ الروع ، وأعْمِلت وأُنفذت . وعلى الوجهين جميعاً يكون « أخلصَها الصَّقْل » من صفة الصّفائح .

وقوله « إلى مَعدن العزّ المؤيد » معنى المؤيَّد المقوَّى بموادّه التى تُصرف إليه ، لحسن مراعاتهم ومحافظتهم على المجد . ولك أن تروى « المؤبَّد » بالباء ، ويكون المعنى العزّ الدائم الثابت على مَرّ الأيّام . وقوله « والندى » ولك أن تجرّه معطوفا على العزّ وتصير هناك مكرّرا ، والفضل مبتدأ وهناك خبره ، وقد كرر الخبرَ تفخيماً وتعظيما . وكما يكرَّر الخبر يكرَّر المبتدأ ، تقول : زيدٌ زيدٌ عاقل ، وزيد عاقل عاقل . ولك أن تجعل « والنّدى » مبتدأ ويكون هناك الأوّل خبره ، والواو واو الحال ، ويكون « هناك الفضل » مستأنفاً .

وقوله « الخُلُق الجزْل » الجزالة مستعملة فى الرّأى والخُلُق ، وفى القرآن :

(١) جمع معضد ، كمنبر ، وهو السيف الممتهن فى قطع الشجر .

﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، فاستعمل العِظَم أيضاً .

٥ ـ أُحِبُّ بَقَاءَ القَوْمِ بالمِصْرِ إنَّهُمْ مَتَى يَظعنوا عن مِصْرِهِمْ ساحَةً يَخْلُو(١)

٦ ـ عِذَابٌ على الأفواه ما لم يَذُقْهُمُ عَدُوٌّ وبالأفواه أسماؤهم تحلُو

٧ ـ عليهمْ وَقَارُ الحِلْمِ حتّى كأنّما وليدُهُمُ من أجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ

٨ ـ إذا استُجْهِلُوا لم يَعْزُبِ الحِلْمُ عنهمُ وإن آثرُوا أنْ يَجْهَلُوا عظُمَ الجهلُ

قوله «أُحِبُّ بقاءَ القوم بالمصر» يصف به كثرةَ خيرِهم وعمومَ النَّفع بمكانِهم في مُقامِهم ، وسُكونَ النَّاس إليهم ، وقيام مُروَّاتهم وسياساتهم في أوطانهم ومظانّهم ، فيقول : أحِبُّ لَبْثَهم في دُورهم ومواضعهم ، فإنّهم متى ارتحلوا عن مصرهم ساحةً خلا وصارَ في حُكم ما لم يُختطّ من البلاد ولم يُؤْهَلْ بالقُطّان والسُّكّان ، لأنَّ عمارتَه كانت بهم ، ودخل في عداد الأمصار بسُكناهم(٢) والجزم « يخلو » لأنه جواب الشَّرط ، وهو متى يظعنوا ، لكنَّه أطلقَ فزاد ما يلحق للاطلاق في قوله تخلو . قالوا : وهاهنا ليست التى كانت لامَ الفعل ، وإنَّما هى كالواو التى فى قولك :

* أيَّتُها الخيامُو(٣) *

وبمثل هذا تقول في لم تَرِمِي ، ولم يَخْشَى ، إذا وَقعتْ في القافية ، فيصير الألف كألف « الجَرعا » ، والياء كياء « الأيّامِي » . وعلى هذا القول في :

* ألا أيها اللَّيل الطَّويلُ ألا انْجَلِي(٤) *

(١) التبريزى : « من مصرهم » .
(٢) هذا الصواب من ل . فى الأصل : « بسكانهم » .
(٣) قطعة من بيت لجرير فى ديوانه ٥١٢ والعمدة (٢ : ٣٨) . وتمامه :
متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام
(٤) لامرىء القيس فى معلقته . وعجزه :
* بصبح وما الإصباح فيك بأمثل *

الياء فيه للإطلاق ، فأمّا من قال :

* ألم يأتيكَ والأنباء تَنْمِى[١] *

[و] * ولا تَرَضَّاها ولا تَملَّقِ[٢] *

و * منْ هَجْوِ زَبَّان لم يَهْجُو ولم يدَعِ[٣] *

فالياء والواو والألف لاماتٌ بُقِّيت في موضع الجَزْم ، لأنّ المحذوف للجزم عنده مِن هذه الأفعال وأشباهها حركاتٌ كانت فى النِّيّة استُثقِل اللَّفظُ بها فى موضع الرَّفع مع حروف المدّ ، ثم حُذفَتْ حروفُ المد ليكونَ الفعل مجزومًا أنقصَ لفظاً منه وهو غير مجزوم ، فعندالضرورة أثبَتها ولم يكن مخطِئاً ، إذلم يكنْ سقوطُها إعرابًا ، ويكون الياء على هذا القول فى قوله « ألَا انجلِي » لام الفعل أيضاً .

وقوله « عِذابٌ على الأفواه ما لم يَذُقْهُم » ما فى موضع الظَّرف . أراد أن طَعمَهم حُلوٌ إلّا على أفواه العُداة ، لأنّ أخلاقَهم تَشْمُسُ عند الأعداء فَيَخْشُن جانبُهم لهم ، ويمُرُّ مَذاقُهم على أفواههم إذا ذاقوهم . وقدجمع بين الطّعم والذِّكر ، لذلك أعاد ذِكر الأفواه فقال : وبالأفواه ، كأنّه قصد فى الأوّل الإنباء عن كرم طبعِهم ولينِ أخلاقِهم عند التجرِبة ، وفى الثانى أنّه يُستَحْلَى ذِكرُهم فيطيب فى المَسْمَعة ، لشُمولِإحسانهم ، وكَثْرةِ محاسِنِهم ، فتقوم الشَّهادات بفَضْلهمفى الحالتين .

وقوله « عليهمْ وَقار الحِلْمِ » ، أراد أنّهم يحلُمون فى المعاملة ، ويتوقَّرون

(١) لقيس بن زهير ، وهو من الشواهد النحوية المشهورة . وعجزه كما فى سيبويه (١ : ٥٩/١٥/٢) والخزانة (٣ : ٥٣٤) العمدة (٢ : ٢١١) :

* بما لاقت لبون بنى زياد *

(٢) لرؤبة بن العجاج فى الخزانة (٣ : ٥٣٤) . وقبله :

* إذا العجوز غضبت فطلق *

(٣) صدره كما فى الإنصاف ٩٥ :

* هجوت زبان ثم جئت معتذراً *

وكذا ورد فى النسختين . وفى الإنصاف : « لم تهجو ولم تدع » .

مع من يجرّ الجرائر عليهم ، فصغارُهم لهيبتهم فى النفوس كالكهول من غيرهم ؛ وإن حُملوا على جهلٍ فى وقتٍ ، بأن يصير مجاذبهم عادياً طَوره ، لم يفارقهم الحِلم أيضاً ، بل يكافئون المُسىء على قدر إساءته . ثم إنْ آثروا استعمالَ الجهلِ لأمرٍ يُوجِب ذلك فاستمرُّوا فيه واشتطُّوا َعظُم البلاء بهم فلم يُطاقوا .

ويقال أَثرْتُ الشّىء وآثرتُ بمعنى .

٩ ـ هُمُ الجبلُ الأعلى إذا ما تناكَرَتْ ‏ مُلوكُ الرِّجالِ أو تخاطَرتِ البُزْلُ

١٠ ـ ألم تَرَ أنّ القَتْلَ غالٍ إذا رَضُوا ‏ وإن غَضِبوا فى موطنٍ رَخُصَ القَتْلُ

١١ ـ لنا فيهمُ حِصْنٌ حَصِينٌ ومَعْقِلٌ ‏ إذا حرَّكَ الناسَ المَخاوفُ والأَزْلُ

١٢ ـ لَعمْرِى لَنِعْمَ الحىُّ يدعُو صَرِيخُهُم ‏ إذَا الجارُ والمأكولُ أرهقَه الأكْلُ

وصفَهم بعُلوّ الشأن وارتفاع المكان ، فقال : هم الرُّكن الأرفع ، والطَوْد الأمنع ، وقتَ مداهاةِ الرِّجال بعضِهم بعضاً ، ومناكدة الأملاكِ حالاً فحالاً ، فلا يُغالَبُ رأيُهم ، ولا يُحلَّلُ(١) عندهم ، ولا يُبلَغ غَورهم ، ولا يُستقصَرُ مكرهم .

فقوله « تناكَرَت » تفاعَلَ من النُّكْر الداهية ؛ وهو حسن . ويجوز أن يكون تفاعل من الإنكار ، فيكون تناكَرَت ضدَّ تعارفَت ، أى ينكر بعضُهم بعضاً ، لِمَا يَنطوى عليه كلٌّ لصاحبه من سُوء الرأى وإضمار الشر .

وقوله « أو تخاطرت البُزْل » هو تَفاعل من الخَطَران ، وهو إشالة الأذناب وإدارتُها عند الهِياج . وهذا إشارةٌ إلى المتحاربين المتجاذِبين إذا تدافعوا بأركانهم ، كما أنّ قوله « تناكَرَتْ ملوكُ الرجال » ، يريد إذا تداهوا(٢) بمكايدهم . فيريد أنهم يَعلون رؤساء الناس قولاً وفعلاً ، ومكرًا ودَهْيًا .

وقوله « ألم تر أنّ القتلَ غالٍ إذا رضُوا » ، يريد أنّ من أَوى إليهم واستنامَ

(١) كذا بفك الإدغام فى النسختين .
(٢) ل : « تباهوا » .

إلى جانبهم ، فاستعطف هواهم وحصَّل رضاهم ، أمِنَ وعزَّ فلا يلحقُه قَصْدٌ ، وسَلِمَ على الدهر فلا يجرى عليه جَور ؛ ومَن عدَل عنهم واستنَّ فى سَنَن غضبهم [١]، عرَّضَ بنفسه وتعجَّلَ الطمعَ من كل أحدٍ فيه ، فقتْـلُه يَسْهُل ويَرخُص إذا قتلُ المتعزِّز بهم يصعب أو يغلو . ثم قال : « لنا فيهم حصنٌ حصين » ، [يصف ما عمَّهم من الأَمَنَة فيهم وبمكانهم . فيقول : هم لنـا معقلٌ حريز وحصن حصين [٢]] ، فى وقتٍ يَقلقُ الناسُ فيه ، لاستيلاء الخوفِ عليهم ، واستعلاء القَحط والبلاء فيهم . والأزْل : الضِّيق .

وقوله « لعمرى لنعم الحيُّ » ، المحمود بنعم محذوف ، كأنه قال : إذا استغاثَ بهم الصريخ وهو المستغيث فاستصرخَهم أجابوه ونصروه ، فنعم الحيُّ هم وقد دُعوا ، إذا الجارُ مأكولٌ ومطموع فيه ، وإذا اشتد الزَّمانُ فقَنِيَ الزاد وعزَّ الطعام . وقوله « الجار » مبتدأ وأرهقه الأكل فى موضع الخبر . واكتفَى بالإخبار عنه وإن كان عَطَف المأكول عليه ، كأنه قال : إذا الجارُ أرهقه الأكل والمأكول كذلك .

ويشبهه قولُ الآخر فى الإخبار عن المعطوف عليه دون المعطوف :

* فإنى وقيَّارًا بها لغريبُ [٣] *

وقد مرَّ مثله .

ومعنى أرهقه الأكل ضيَّق عليه وغَشِيَه . وقد قيل : أكلتُ فلانًا ، إذا

---

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « فى سننهم غضبهم » .

(٢) التكملة من ل .

(٣) لضابئ بن الحارث البرجمى ، كما سبق فى حواشى ص ٩٣٦ . وصدره :

* فمن يك أمسى بالمدينة رحله *

غلبته وقهرته . وكُنِيَ عن المستضعَف باللَّحم والشَّحم فقيل : تُرِكَ فلانٌ لحمًا على وَضَمٍ ، وفلان شحمةٌ للمتبلِّغ [1] . قال الشَّاعر :

فلا تحسبنِّى يا ابنَ أزنَمَ شَحْمَةً   تَزَرَّدَها طاهى شِواء مُلَهْوَجِ [2]

١٣ ـ سُعاةٌ على أفناءِ بَكرِ بن وَائِلٍ   وتَبلُ أقاصِي قَوْمِهِمْ لهُمُ تَبلُ

١٤ ـ إذا طَلَبوا ذَحْلًا فلا الذَّحْلُ فائتٌ   وإن ظَلَمُوا أكفاءَهم بَطَلَ الذَّحْلُ

١٥ ـ مَوَاعيدُهم فِعلٌ إذا ما تكلَّمُوا   بتِلكَ الّتى إن سُمِّيَتْ وَجَبَ الفعلُ

١٦ ـ بُحُورٌ تُلاقيها بُحورٌ غَزيرةٌ   إذا زَخَرَتْ قَيسٌ وإخوتها ذُهْلُ

قوله « سُعاة عَلَى أفناءِ بكر » ، والسَّعى يُستعمَلُ على وجوه ، وكذلك السِّعاية . ويقال للمصدِّق السَّاعى ، والمصدر السِّعاية . وهو يَسعَى على قومه ، إذا قامَ بأمورهم . والمَسْعاة فى الكَرَم والجُود . والشَّاعر يريد أنَّهم يذُبُّون عنها ويَسعَون فى مصالحهم وحِفظ ذِممهم . وقوله « وتَبل أقاصى قومهم » تبل يؤكِّد ما قبله . والمعنى ذَحْل الأباعد من قومهم كذحل المختصّ بهم ، لأنَّهم يتشمَّرون فى الانتقام والانتصار فيهما على حدٍّ واحد .

وقوله « إذا طَلَبوا ذَحْلًا فليس بفائت » ، يقال : طلبت عند فلانٍ ذَحلًا ، إذا رُمْتَ مكافأتَه على عداوةٍ منه أو جِناية . وأراد أنَّهم إن وُتِروا لا يفوتُهم إدراكُ الوتر ، وإن وَتَروا غيرَهم من أكفائهم وظَلَموهم لم يُنْتَصَفْ منهم ، ولم يُدرَكْ الثَّأرُ من جهتهم .

وقوله « مواعيدهم [فعل » ، أراد أنَّهم ينجزون الوعد ويصدِّقون الأقوال بالفعل ، وأنّ [3]] هذا دأبُهم فى الخصال التى إذا سمِّيت موعوداً بها وذُكِرت ،

(١) تبلغ بكذا ، أى اكتفى به . وفى ل : « للمبتلع » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٥٨٢ .

(٣) التكملة من ل .

قال النَّاس يجب مع القول فِعلُها، استبعاداً للوفاء.

وقوله «بحور تُلاقيها بُحور غزيرة»، يريد أنَّهم في أنفسهم كالبحور كثرة وسماحا(١)، واتِّساعا وغِزَّة، فإذا لاقتْها بحورُ قيسٍ وذُهْلٍ زاخرةً كَمُلَ الأمرُ وتناهى العِزُّ، واطَّرَدَ الماء، وطما التَّيَّارُ حتَّى لا يُطاق.

٧٩٦

وقال آخر:

١ ــ عادَوْا مُرُوءَتَنا وضَلَّلَ سَعْيَهمْ ولِكُلِّ بَيْتِ مُرُوءَةٍ أعْداءُ(٢)

٢ ــ لَسْنَا إذا ذُكِرَ الفَعَالُ كَمَعْشَرٍ أزْرَى بِفِعْلِ أبيهمِ الأبناءُ

يشبهُ قولُ الآخر:

لا يَمْلِكون عداوةً من حاسدٍ وحِذاءَ كُلِّ مُروءةٍ حُسَّادُها

وقول الآخر:

إنَّ العَرانِينَ تلقاها مُحَسَّدَةً ولا تَرى لِلِئام النَّاسِ حُسَّادا(٣)

وقوله «وضَلَّلَ سعيهم» أي نُسِب إلى الضَّلال لمَّا لم يلحقوا شأوَهم.

وقوله «لسنا إذا ذُكِرَ الفَعال كمعشرٍ» يريد: لا نعتمد على مَناسِبِنا، وعلى ما قدَّمه أسلافُنا من المفاخر والمساعي، لكنَّا نَعْمُر ما شَيَّدوه، ونستحدث بأفضالنا ما يقوِّيه ويكثِّره، ولا يصيرُ مُزرِيًا به.

---

(١) ل: «وسماحة». والسماح والسماحة: الجود.

(٢) ل: «مروتنا» و «بيت مروة». التبريزي: «فضلل سعيهم».

(٣) عرانين القوم: سادتهم وأشرافهم.

٧٩٧

وقال أعشى ربيعة (١)

يمدح عبدَ الملك بنَ مَرْوان :

ويقال إنّه دخل عليه فقال : يا أبا المغيرة ، ما بقِيَ مِن شِعرك ؟ فقال : لقد بَقِيَ منه وذَهب . عَلَى أنّى أنا الذى أقول . ثم أنشد هذه الأبيات :

١ ـ وما أنا فى حَقِّى ولا فى خُصُومتى بمهتَضَمٍ حَقِّى ولا قَارِعٍ قِرْنى (٢)

٢ ـ ولا مُسْلِمٍ مَوْلَاى عِنْدَ جِنايةٍ ولاخائفٍ مولاىَ مِنْ شرِّما أجْنِى

قوله « فى حقِّى » أى فيما أستحقُّه من النّاس كافّة ، من الصِّيانة والتّمييز ، لما تُوحِّدتُ به من فَضلٍ ومزيّة . وقوله « بمهتَضم حقِّى » ، يريد به حقوقَه عند النّاس . فيقول : إنى فيما أُجاذِبُ فيه الغير وأُنازعُه ، وفى طلب حقوقى إذا حَلّت لى عندهم ، وفيما يجبُ لى عند المُزاوَلات والمحاكمات من التّبجيل عليهم ، لا أُبخَسُ ولا أُظْلَمُ ، ولا أُدْفَعُ ولا أُهان . وقولُه « ولا قارعٍ قِرنى » ، يريد أنَّه لا يأمنني فيشتغلَ عنّي بأسبابه ومَصارفه ، ولكن يكون أبداً خائفاً منّى ، ومشغولاً بى وحذِراً من الإيقاع به .

وقوله « ولا مُسلِمٍ مولاىَ عِندْ جناية » يريد بقوله مولاى أجناسَ ما يسمَّى مولًى مِن حليفٍ ونسيبٍ ، ومنتمٍ بوَلاءٍ بعيدٍ أو قريب . فيقول : إنّى لا أخذلُ

(١) هو عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن خارثة بن ربيعة بن ذهل بن شيبان . شاعر إسلامى من ساكنى الكوفة ، وكان مروانى المذهب شديد التعصب لبنى أمية . وفى الأغانى أن الأعشى لما أنشد عبد الملك هذه الأبيات قال : من يلومنى على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تخوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألف جريب ، وأجرى له على ثلاثين عيلا . الأغانى (١٦ : ١٥٥) والمؤتلف ١٢ ـ ١٣ . التبريزى : « وهو من بنى شيبان ثم من بنى ربيعة من بطن منهم يقال لهم : بنو أمامة » .

(٢) كذا أوله فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « ولا أنا » . التبريزى : « ولا قارع سنى » ، أى لا أندم على شىء أفعله .

أحداً منهم عند جناية يجتنيها، أو جريمة يجترمها، بل أنصره وأستنقذه كيف ما أمكن، سَهُل أو تعذَّر، ثم إنّى لا أجرّ الجرائر عليهم فيؤخذوا بى وبما تكتسبه يدى، لأنّ ما يرجع إلىَّ من النوائب أقوم فى وجهه، وأحتال فى نَقْضِه (١) ودفعه، سواء علىّ حقّ ذلك فى مالى أو فى نفسى.

٣ – وإنّ فؤادًا بَيْنَ جنبىَّ عالِمٌ بما أبصرتْ عَيْنِى وما سمعت أُذْنِى

٤ – وفَضَّلَنِى فى الشِّعْرِ واللُّبِّ أنّنى أقول على عِلْمٍ وأعْرِفُ مَنْ أعْنِى

٥ – وأصبحتُ إذ فَضَّلْتُ مَرْوانَ وابنه على النَّاس قد فضلت خيرَ أَبٍ وابْنِ

يقول: إنى اكتسبت من مشاهداتى والأخبار الواقعة إلىَّ، الصَّادقة فى مواردها، المتواترة على ألسن حملتها ما صار قابى به عالِما ومتميِّزا، فلا يلتبس علىَّ وجوهُ الحقِّ وحدوده، ولا صنوف الصِّدق وفنونه، فإذا قلت الشِّعر قلته على علم بمرافقه وأساليبه، ومعرفة المقول فيه ومستحقِّه، فلا أكذب فى الأخبار ولا أتزيَّد فى الأوصاف، ولكن أعطى كلَّ منعوت حقّه من القول والوصف، وأقسم لكل منوَّهٍ به قسطه من التقريظ والمدح، فمن أجل ذلك أصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنه عبدَ الملك على النَّاس قد فضلت خير والدٍ وولد، فلا يقال كذب أو أخطأ، أو اشتبه عليه أو شُبِّه له، فلم يأتِ بالحقّ، ولم يقتصر على الصِّدق.

وقوله «وإنّ فؤادًا» جعله نكرةً لأنّه باتّصال قوله «بين جنبىَّ» به اختصَّ، حتّى علم أنّه قلبه من بين القلوب.

٧٩٨

وقال فى سليمان بن عبد الملك:

١ – أتينا سليمانَ الأميرَ نزورُه وكان امرأً يُحْبِى ويُكْرِمُ زائرَهْ

(١) فى هامش ل: «نخ: فى كفه».

٢ ـ إذا كنتَ فى النَّجْوَى به مُتَفَرِّدًا   فلا الجودُ يُخْلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُه[(١)]

٣ ـ كِلا شافِعَىْ سُؤّاله من ضميره   عن الجهلِ ناهيهِ وبالحِلْمِ آمِرُهْ

يقول : قصدتُ هذا الرجل ، وكان لحُسن تعطُّفِه وكرم تألُّفه ، وكمال احتفافه بزائريه ، وجمال إقباله على عُفاته ومُجْتديه ، يُنِيل الحِبَاء مؤمِّليه على أبلغِ ما تعلَّقَ الرَّجاء به وفيه .

وقوله « إذا كنتَ فى النَّجوى به متفرِّدا » فالنجوى : المُسارَّة . فيقول : إذا وقعتَ فى خاطرِه ، وتفرَّدتَ بمناجاته ، فالجُود نَصْبُ عينيه ، والبخل غائبٌ من هِمَّته ، لا يحتاج إلى باعث ولا شافع ، ولا مذكِّر ولا عاطِف .

وقوله « كلا شافِعَىْ سُؤّاله من ضميره » جعل السُّؤَّال من سانِح فِكره[(٢)] وجائل صدرِه شافِعَيْن ، وزَعَم أنَّ كلاًّ منهما ينهاهُ عن البُخل ، ويأمُره بالإفضال والبَذْل . وهذا على طريقتهم فى أنَّ الإنسان له نفسانِ عندما يَحْضره من الفعَال والمَقال ، فأحدهما يأمره بالفِعل ، والآخر ينهاه ويبعثه على التَّرك ، فقال هذا الشاعر : إنَّ نفسَىْ هذا الممدوح هما يشفعانِ لوُرَّاد حضرته ، ووُفَّاد سَيْله ومَطَره ، فكلٌّ يدعو إلى الإسداء إليه ، ويبعث على الإفضال عليه . ومثله :

* إذا ائتمرَتْ نَفْساهُ فى السِّرِّ خاليا[(٣)] *

والنَّجوى مصدر ، ويستعمل وصفا فيقع على الواحد والجمع ، وقد مضى القول فيه[(٤)] .

---

(١) التبريزى : « بالنجوى » . ل والتبريزى : « مخليه » .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « ذكره » .

(٣) عجز البيت الثانى من الحماسية ٣٨٣ ص ١٠٧٦ . وصدره :

* فتى كان لا يطوى على البخل نفسه *

(٤) انظر ما سبق فى ص ١١١٦ .

٨٩٩

وقال المتوكِّل اللَّيثىّ (١) :

١ ــ مَدَحتُ سعيداً واصطفيتُ ابنَ خالدٍ وللخير أسبابٌ بها يُتَوسَّمُ

٢ ــ فكنتُ كمجتَسٍّ بمِحْفارِه الثَّرى فصادفَ عينَ الماء إذْ يَترسَّمُ

يقول : اخترتُ من بين الناس ابن خالد ، وقرَّظْت فى شِعرى سعيداً ، وللخير حدودٌ ووجوهٌ بها يُتبيَّن رسمُه وعلامته ، فكنت فى اصطفائى إيّاهما ، وصرفِ ثنائى إليهما ، كرجلٍ يتطلَّب الماء بمِحفاره من ثَرَى الأرض ، فصادفَ عينَه ومَنبَعَه ، إذ تتبَّع أثرَه ورسمه . والمعنى : أصبتُ فى القصد والاختيار ، ووضعت الثناء موضعَه من الإيثار ، فسيقَ الخبرُ إلىّ من مطلبى ، وحُصِّل التوفر علىّ من مَقصَدى . فأما من روى « مُحْتَسٍّ » فهو مفتعِل من الحسّ . والمِحْفار : اسمُ الآلة التى يُحفَر بها ، كالمِعْول وما أشبهه . وهذا مَثَل واستعارة . ومن روى « كمجتَسٍّ » بالجيم ، فهو مُفتَعِلٌ من الجَس . والتَّحسُّس والتَّجسُّس يتقاربان . ومعنى يترسَّم : يتتبَّع رسومه .

٣ ــ فإن يَسألِ اللهُ الشُّهورَ شهادةً تُنَبِّئْ جُمادَى عنكمُ والمُحَرَّمُ

٤ ــ بأنَّكما خيرُ الحجازِ وأهلِه إذا جعَل المُعْطِى يَمَلُّ ويَسأَمُ

يصف دوامَ بَذْلهم فى فصول السنة ، واتصالَ جدْواهم فى شهور الضِّيق والسعة ، وفى الجدب والخِصب ، وعند شمول الحرّ والبرد . وجمادى من أزمان القحط والضُّر ، والمحرَّم من الأشهر الحرُم . فيقول : إن استشهَد اللهُ تعالى أوقاتَ السَّنة وأهِلَّة الشهور شهِدَتْ لكم ، وأخبرَتْ عنكم بأنكما خيرُ أهلِ الحجاز بَذْلاً وإفضالاً ، وحُسْنَ تفقُّد وإحساناً ، فى الوقت الذى ترَى المعْطى يمَلُّ

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٩٥ ص ١٢٨٩ .

الإعطاء ، ويتبرَّم بالسؤال ، فيصيرُ ذلك داعيةً له إلى الإمساك والكف .

وقوله « إذا جلَّ المعطى » إذا ظرفٌ لما دَلَّ عليه قوله « خير الحجاز » . وجَلَّ بمعنى طَفِق وأقبَلَ ، فلا يتعدَّى . والسآمة فوقَ المَلال .

٨٠٠

وقال نُصَيْب في عُمَر بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَر :

١ـ واللهِ ما يدرى امرُؤٌ ذو جَنابةٍ ولا جارُ بيتٍ أيُّ يومَيْكَ أجْوَدُ

٢ـ أيومٌ إذا أُلْفِيتَـه ذا يَسارةٍ فأعطيتَ عفوًا منك أم يومَ تُجْهَدُ

أقسَمَ باللهِ عزَّ وجلَّ أنه لا الغريبُ المُجانب ولا القريبُ المجاوِر يعلمُ أيَّ يومَيْ هذا الممدوحِ أكثرُ سخاءً وأتمُّ إفضالاً . وجعلَ الجودَ لليوم على طريقةِ قوله تعالى : ﴿ بلْ مَكْرُ اللَّيلِ والنهارِ ﴾ لمَّا كان فيهما . وعلى حدِ قولِ الناس : نهارُه صائمٌ ، وليله قائم .

وقوله « أيومٌ إذا أُلفِيتَه » تفصيل لما أجمله . ومعنى أُلفِيتَه أُلفيتَ فيه ، فحذف الجارَّ وجعلَ اليومَ مفعولاً على السَّعة .

وقوله : « ذا يَسارةٍ » ، يقال يَسَار ويَسارة ، كما يقال ذِكْر وذِكرى ، ومكان ومكانة .

وقوله « أم يوم تُجهَد » ، يُريد أم يومَ تُجهَد فيه ، فأضاف اليوم إلى الفِعل وأوصَلَ الفعلَ بنفسه . والمعنى : لا يَعلم الغريبُ المتنائى عنك ، ولا القريبُ المتداني منك ، أيَّ وقتيكَ أكثرُ سخاءً وخيرًا ، أيومٌ تلقَى فيه مُوسِرًا فتُعطِى ما تُعطِيه عفواً ، أم يوم توجَد فيه مُعسِراً فتُعطى ما تعطيه مجهوداً متعَبًا . يريد : أنه لا يَبِين أحدُ وقتَيْهِ من الآخر ، كما لا يَبِين إحدى حالتَيه

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٩٥ ص ١٢٨٩ .

من الأخرى . ويروى : « أيومًا إذا أُلفيتَه ذا يسارةً ... أم يومَ تُجهَد » ويكون هذا مردوداً على المعنى ، لأنه لمـّا أراد بقوله أيُّ يوميك أجْوَدُ ، أيَّ جُودَيك أفضل ، قال : « أيومًا » ، أي أجودك في يومٍ إذا أُلفيتَ فيه مُوسِرًا أم جودك في يومٍ تكون فيه مجهوداً مُعْسِرًا .

٣ ـ وإنّ خَليلَيْكَ السَّماحةَ والنَّدَى مُقيمان بالمعروف ما دُمْتَ توجَدُ
٤ ـ مُقِيمانِ لَيسَا تارِكَيْكَ لِخَلَّةٍ من الدَّهرِ حتى يُفقَدا حِينَ تُفْقَدُ

جمع بين السماحة والنَّدَى ، لأن السماحةَ هو سهولةُ الجانب في الإعطاء ، وطِيبُ النفس به .

وقوله « مقيمان » أي ثابتان ، من قوله تعالى : ﴿ إلاَّ ما دُمْتَ عليه قائماً ﴾ . ومنه أقام بالمكان ، أي جعلَ لنفسه ثباتاً . ومنه قِوَام الأمر ، أي دوامه . وما دُمْتَ ظرفٌ . فيقول : السماحة والنَّدَى يقيمانِ بسبب معروفك وله ، ويدُومانِ ما دمتَ ثابتاً وقائما . وإنما قال بالمعروف كما يُقال : فلانٌ مقيمٌ بمكان كذا ، أي يجعلُ قِيامَه به وثباتَه . فكذلك جعل قيامَه بالمعروف على هذا الوجه .

وقوله « مقيمان ليسا تاركَيك لخَلَّةٍ » ، يريد : هما مقيمان بسبب معروفك ، وثابتان لك ولمكانك ، لا يفارقانِكَ لِخَلَّةٍ من خَلّات الدهر تَعرِض ، ولا لفقر يحصل ، إلى أن يُفقَدَا وقتَ فقدِك .

٨٠١

وقال أُمَيَّة بنُ أبي الصَّلْت (١) :

١ ـ أأذكُرُ حاجَتِي أمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إنَّ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٠٥٤ ص ٧٥٣ . قال التبريزي : « أمية تحقير أمة ، وهي فعلة ولامها واو . والصلت : البارز المشهور » .

٢ ـ وعِلْمُكَ بالحُقُوقِ وأنت فَرْعٌ لَكَ الحَسَبُ المهذَّبُ والسَّنَاءُ

٣ ـ خَلِيلٌ لا يغيِّره صَبَاحٌ عن الخُلُقِ الجَميلِ ولا مَسَاءُ

قوله « أأذكر حاجتى أم قد كفانى » . يقول : أىُّ الأمرين أعتمدُ منك ؟ لأنَّ أمْ هذه هى المعادِلة لألف الاستفهام والمفسَّرة بأى . فيقول : أُلقِى حاجتى قِبَلكَ إليك ، وأُنْهِى قِصَّتى المرفوعةَ إليك ، أم أعتمِدُ اكتفائى بكَرَم فِطْنتك ، وذَكاءِ معرفتك ، وحُسن التفاتك إلى المتعلِّقين بحبلك ، والرَّاجِين لخيرك وفَضْلك ، لأنَّ مِلاكَ خُلُقِك الحَياء ، فإذا توصَّل تابِعك[1] بعَرْض وَجْهه عليك ، صار ذلك مهيِّجاً لحيائك ، وداعياً إلى الفكر فيما أحوجَه إليك ، وسائقاً إلى قضاء مَأْرُبته لديك ، ولأنَّ محافظتك على أُولِى المَوَاتِّ[2] والحُرَم ، تبعثك على صِيانتهم وتحميهم من ابتذالِ ياحتهم ، إذ كنتَ الفرعَ لأصلٍ يجمع إلى الحسب المُنَقَّى والمجدِ المزكَّى ، علوَّ همَّةٍ وارتفاعَ منزِلة .

وقوله « خليل » ارتفع بأنّه خبر مبتدأٍ مضمر ، كأنّه [قال[3]] : أنت خليلٌ لاتغيِّره الأوقاتُ عما أُلِف من برّه ، وعُهِد من كرمه . وأشار فى قوله : الصَّباح والمَساء ، وهما طرفا النهار ووَقتَا [الغارةِ[3]] والضِّيافة ، إلا أنَّه لا يتغيَّر على عِلّات الزمان وإنَّما يتغيَّر له الإنسان من عارضِ مَلالٍ حادث ، أو تضجُّرٍ بمصارفِ أمرٍ سانح .

٤ ـ وأرضُكَ كلُّ مَكْرُمةٍ بَنَتْها بنو تَيْمٍ وأنتَ لَهَا سَمَاءُ

٥ ـ إذَا أثْنَى عَلَيْكَ المرْءُ يَوْماً كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

(١) ل : « توسل تابعك » ، وكتب فى هامشها : « نخ : توصل سائلك » .

(٢) المواتّ ، بتشديد التاء : جمع ماتة ، وهى الحرمة والوسيلة .

(٣) التكملة من ل .

قوله « وأرضُك » ، يريد ما توطَّدَ له من مَبانى المَجْدِ والشَّرَف بقومه وفصيلته ، فجعلَه كالأرض له ، وجَعَل مراعاتَه له من بَعْدُ وتوفُّرَه على ما يُشيِّده بنَفْسه كالسَّماء له ، وقد عُلِمَ أنَّ حياةَ الأرضِ وإضاءتَها بِمَا يأتى عليها من حَيَا السَّماءِ وبِنُورها . فيريد أنَّ عمارةَ مَكَارِمِ آبائه كانت بِرَمِّه لها ، وبالموادِّ الذى يُمِدُّها بها ، فلذلك زَكَت ورَبَتْ ، وثَبَتَتْ على مَرِّ الأيّام وعلَت .

وقوله « إذَا أثْنَى عليك المرءُ يوماً » ، يقول : إنَّ المُثْنِيَ عليك لا يحتاجُ إلى تَصدِيك به ، لأنَّه متَى تأدَّى إليك ثناؤُه أنلتَه إحسانَك ، وأغنيتَه عن التعرُّض والقَصْد ، وقَطْعِ المسافةِ دُونَك وحمل[1] المشاقّ والجَهْد .

٦ ــ تُبَارِى الرِّيحَ مَكْرُمةً ومَجْداً   إذَا مَا الكَلْبُ أجْحَرَهُ الشِّتاء

يقول : يَدوم عَطاؤُك ويتَّصل ، فكأنَّك تُبارِى الرِّيحَ فى هُبوبِها[2] أوَانَ الجدْبِ والقحط ، وحين يَقِلُّ صَبرُ الكَلْبِ على الاعتساسِ والطَّوف ، حتَّى يصيرَ رابضاً فى البيوت ، ومُستدفِئاً بجوانب الأخبيةِ والكُسور . وقوله « إذا ما الكلب » ظرفُ لتُبارِى أى تَفعلُ ذلك فى مثل هذا الوقت . و « مكرمةً » ، انتصب على أنَّ مفعول له ، ويجوز أن يكون فى موضع الحال .

٨٠٢

وَقال ابن عَبْدَلٍ الأسَدىُّ[3] :

١ ــ بَيْنَا هُمُ بالظَّهْرِ قَدْ جَلَسُوا   يَوْماً بحَيْثُ يُنَزَّعُ الذَّبحُ

٢ ــ فإذَا ابنُ بِشْرٍ فى مَوَاكِبِه   تَهوِى بِهِ خَطَّارَةٌ سُرُحُ[4]

(١) ل : « وتحمل » .

(٢) ل : « الريح وهبوبها »

(٣) هو الحكم بن عبدل . سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٥٠ ص ١٢٠٤ .

(٤) موا كبه ، فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « مراكبه » .

٣ـ فكأنما نَظَرُوا إلى قَمَرٍ أو حَيْثُ عَلَّقَ قَوْسَهُ قُزَحُ

بينا يستعمل فى المفاجأة ، وكذلك بينما . وكان شيخُنا أبو علىٍّ — رحمه الله — يقول : هو ظرف زمان ، كأنَّ ، الأصلَ كان : بين أوقات ، فحُذف المضاف إليه . والظَّهر : موضع(١) : ويوماً انتصب على البدل من بيناهم ، ويريد به المتَّصلَ من الأوقات ، كما يقال : فلانٌ يَفعلُ كذا وكذا ، وكان بالأمس يفعل كذا . والذُّبَح : نبتٌ له أصل يُفَتّشُ عنه ويُخْرَج كالجزَر ، ويُقشَر عنه جِلدٌ أسود ، وهو حُلْو يؤكل . وهذا أعنى قوله « بحيثُ ينزِّع الذُّبَح » ، بيانٌ الميقات المشار إليه .

وقوله « فإذا ابنُ بشرٍ فى مواكبه » ، الفاء زائدة ، لأنَّ بينا وبينما يجيئان ولا فاءَ فيما يقع فيهما . على ذلك قولُه :

فبينَا يَمشيانِ جَرَتْ عُقَابٌ مِن العِقْبَانِ خائتةٌ طَلُوبُ(٢)

فأمَّا « إذَا » فقد ذكر سيبويه خاصّةً أنّ إذْ تقع بعدها ولم يَذَر إذا . تقول : بينما نحنُ نسيرُ إذْ أقبلَ زيد . وكثيرٌ من النحويِّين والأصمعىُّ يُنكِرون هذا ويقولون : لاحاجة إلى إذْ وإذا ، ويستشهدون بقول أبى ذؤيب :

بَيْنَا تعنُّقه الكُماةَ وَرَوْغِهِ يَوماً أُتِيحَ له جَرِئٌ سَلْفَعُ

وإذا رجَعْنَا إلى الموجود فيما يختارونه هو الأكثر . واستَشهدَ سيبوَيه بقوله :

بينما نحنُ بالكَثِيب ضُحًى إذ أتَى راكِبٌ على جَمَلِه

والبيت الذى نحن فيه جاء بإذا ، فهو أغرب .

ومعنى تَهوِى به : تُسرع . وَالخَطَّارة : النَّاقة تَخطِرُ بذَنَبها نشاطا فعْلَ

(١) ياقوت : « موضع كانت به وقعة بن عمرو بن تميم وبنى حنيفة » . وأنشد البيت هناك محرفا .

(٢) الخائتة : التى لجناحيها صوت عند الانقضاض .

الفَحولة ، أو تَخطِر فى مَشيها . والسُّرُح : السَّهلة اليدين . فيقول : بينَ أوقاتٍ النَّاسُ جالسونَ بهذا المكان ، حيثُ يُقتَلَع هذا النَّبت ، إذا ابنُ بِشْرٍ وخَلْفَه مواكبُه[1] ، تُسرِع به نجيبةٌ هكذا ، فكأنَّما نَظَرُوا إلى قمرٍ ، أى لمَّا اجتازَ بهم شبَّهوه فى إشراقه ونُوره ، وبَهاء مَوكبه ، بالقَمرِ ، أوْ نَظَروا إلى حيثُ يتراءى للنَّاظِرينَ قَوسُ قُزَح . فقوله «أو حيث» يجوز أن يكون معطوفاً على قمر ، فيكون المعنى : نَظَروا إلى قمرٍ أو إلى مكانِ قُوسِ قُزح . ونَكَّر قمراً لأن فائدة المعرفة والنكرة إذا وقعَ فى مثل هذا المكان لا تتغيّر . ويجوز أن يكون « حيث» فى موضع الظَّرف ، كأنّه قال : نَظَروا إلى قمر ، أو نظَروا حيثُ علقَ قوسَه قُزَح . وجعل قُزَح فاعلاً على اعتقاد مَن يعتقد أنّ قُزَحَ اسمُ شَيطان ، لهذا أخبرَ عن المضاف إليه من قولهم قَوْس قزح . وقد ورد فى الخبر النَّهىُ عن هذا ، وهو مشهور ، وقال الخليل حكايةً عن أبى الدُّقَيش : تَقْقزِيحه : طرائقه ، واحده قُزْحَة ، والجمع قُزَح . وذُكِر فى الخَبَر أنّ فيه أماناً من الغَرَق . ويُروى : « عَلَّق قوسَه قُزَح » من العلوّ . وعند النحويِّين أنّ قولهم قَوسُ قُزَح كحِمارِ قَبَّانَ وما أشبَهَه . وإذا كان كذلك لم يَصلُح الإخبارُ عن المضاف إليه . وذكر بعضُهم أنّه يقال لقوس قُزَح : قوسُ قَزِيع ، و[هو من[2]] تقزّع الفَرسُ ، إذا تشمَّر للعَدْوِ وخفّ .

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : «مراكبه» ، وإنما المراد المواكب كما سيأتى قريبا .
(٢) التكملة من ل .

٨٠٢

وقال حاتمُ طَـيِّء[١] :

١ ـ مَتى ما يَجِئْ يوماً إلى المَالِ وارِثى يَجِدْ جُمْعَ كفٍّ غيرَ مَلْأَى ولاصِفرِ[٢]

٢ ـ يَجِدْ فَرَساً مِثْلَ العِنانِ وصارماً حُسَاماً إذا ما هُزَّ لَمْ يَرضَ بالهَبْرِ[٣]

٣ ـ وأسْمَرَ خَطِّيًّا كأنَّ كُعوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْبَى ذِراعاً عَلَى العَشْرِ[٤]

قوله « جمع كف » هو القَدْر الذى يُجمَع عليه الكفّ من المالِ وغيره . ويقال المرأة الحاملِ : هى بجُمْـعٍ ، وكذلك للبِـكر منهنّ . والصِّفْر : الخالى من الشّىء . فيقول : متى جاء وارثى بَعْدَ موتى يجدْ قَدْراً من المال لا يُوصَف بالـكثرة ولا بالقلَّة ، يَجِدْ فرسًا ضامراً كالعِـنان فى إدماجه وضُمْرِه ، وسيفاً قاطعًا إذا حُرِّكَ فى الضَّريبة لم يَرضَ بالقَطْع ، ولـكن يتجاوزُه ويَخرُجُ إلى ما وراءه ، ورُمحًا أسمَرَ فى لونه ، وذاكَ أصلبُ ، محمولاً من الخطِّ ، وهو اسمُ جزيرةٍ يُجلَب منها الرِّماح . والكُعوب : العُقَد . شبَّهها فى صَلاَبتها بنَوَى القَسْب . والقَسْب : ضربٌ من التَّمْر ردىء غليظُ النَّوَى صُلْبُها . وقوله « قد أرْبَى[٥] ذراعا على العَشْر » ، وصفَهُ بأنَّه لم يكن طويلاً ولا قصيرا حتَّى لا يكون مضطرباً ولا قاصراً ، بل يجرى مع الاعتدال . وقال الدُّريدى : القَسْبُ البُسْر اليابس . ونَوَى القَسْب يشبَّهُ به أيضا ما فى جَوفِ الحافرِ من النُّسور . قال :

له بينَ حَوامِبِـــــه نُسورٌ كنَوَى القَسْبِ[٦]

---

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٢٧ ص ١١٦٦ .

(٢) فى الديوان ١٢١ : « متى يأت يوما وارثى يبتغى الغنى » .

(٣) الديوان : « مثل القناة » .

(٤) أربى ، هو ما فى ل . وهو ما اتفقت النسختان عليه فيما سيأتى فى الشرح . لـكن فى الأصل والتبريزى والديوان : « أرمى » . ومعناهما واحد .

(٥) كذا بالباء باتفاق النسختين ، وانظر ماسبق فى الحواشى .

(٦) لعقبة بن سابق ، أو يزيد بن ضبة ، كما فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ٨٣ .

وقَصد الشَّاعرُ إلى أنَّ ما يَحصُلُ له يَجُود به ، فإذا ماتَ لم يَبْقَ له إلاّ ما ذَكَرهُ من آلاتِ الحرب والغَزْو .

٨٠٤

وقال آخر :

١ ـ آلُ المهلَّب قومٌ خُوِّلوا شَرَفاً ... ما نالَهُ عَرَبىٌّ لاَ ولاَ كادَا

٢ ـ لوْ قِيلَ للمَجْدِ حِدْ عنهم وخالِهمِ ... بما احتَكَمْتَ من الدنيا لما حادَا

٣ ـ إنّ المكارمَ أرواحٌ يكونُ لها ... آلُ المهلَّب دُونَ الناسِ أجسادا

وصفَهم بأنهم أُعطُوا مجداً لم يَنلْه قبلَهم عربىٌّ ، ولا قَرُب من أن يناله ، فهم متفرِّدون به ، لا ينبغى لغيرهم . ثمَّ قال : لو قيل للمجد حِدْ عنهم . يريد أنهم للمجد موضعٌ ومقرٌّ حتى لو كان يَعقِل ثم سِيمَ تركَه إياهم ، وإخلالَه بهم بما يَحتكِمُ من الدنيا ، ويقترحُه من أعراضها [(١)] ، لما تجنَّبهم ، ولا عدَلَ عنهم ، وذاكَ لأنّ المجدَ رضيهم مَحلاًّ ، ورَضُوا هُم بسُكناه أهلاً . والقَدْر يَجرِى إلى القَدْر . وقد ألَمَّ بهذا المعنى البُحتُرىُّ فى قوله :

أَوَ ما رأيتَ المجدَ ألقَى رَحْلَهُ ... فى آل طلحةَ ثم لم يَتحوَّلِ

ويقال : خالى فلانٌ قبيلتَه ، إذا تركَهم وتحوَّلَ عنهم . قال النابغة :

قالَتْ بنو عامرٍ خالُوا بنى أَسَدٍ ... يا بُوسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لأقوامِ

معناه تارِكُوهم وفارِقوهم .

وقوله « إنّ المكارم أرواح » جعلَ آلَ المهلَّب كالأجساد ، والمكارمُ لها كالأرواح ، كما جعَلَهُم فى الأول دارًا ، والمجدَ سُكّاناً ، والروح لا يثبُت إلا فى

(١) ل : « أعواضها » .

جسمٍ على صفةٍ ، كما أنَّ الجسمَ لا يتصرَّف إلا بالروح الحاصلِ فيه مع القدرة . فيريد أنهم مَقارّ للمكارم ، مصرَّفون في اكتساب المعالى ، فالمكارمُ بهم تثبت وتبقى ، كما أنَّ تصرُّفَهم واقتدارَهم من بينِ الأجسام بها ولها .

٨٠٥

وقالت أختُ النَّضْر بن الحارث (١) :

١ – الواهبُ الأَلْفَ لا يَبْغى به بَدَلاً   إلاَّ الإلَهَ ومَعْرُوفاً بما اصْطَنعَا

تقول : إنَّه يفرِّق ما يفرِّق من ماله لا لطلبِ عِوَضٍ ، ولا اجتذابِ نفعٍ واجتلابِ مَحْمَدة ، ولكنْ يريد به التقرُّبَ إلى الله تعالى ، وأن يفعلَ المعروفَ بما يصنعُه ، فهو يتلذَّذ بفعل المعروف ، وباحتساب الأَجرِ عندَ الله .

٨٠٦

وقالت صَفيّة بنتُ عبد المطلب (٢) :

١ – ألا مَنْ مبْلِغٌ عَنِّى قُرَيشاً   ففِيمَ الأمْرُ فِينا والإمارُ (٣)

٢ – لَنا السَّلَفُ المقدَّمُ قد عَلِمْتُمْ   ولم تُوقَدْ لنا بالغَدْرِ نارُ

٣ – وَكُلُّ مَنَاقِبِ الخيراتِ فِينَا   وبعضُ الأمرِ مَنْقَصَةٌ وعَارُ

الرسالة التى تَطلب إبلاغَها ، وترتاد من تَضَعُها على لسانه فيحتملُها ، قولها « ففِيمَ الأمر فينا » ، وما فى الاستفهام إذا اتَّصل بحرف الجرّ يُحذَف الألفُ من آخره ، تقول : فيم وبم . وقد تُقُصِّى القولُ فيه من قبلُ . كأنَّ هذه المرأة

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٦٩٣ .

(٢) فى الأصل : « بنت عبد الملك » ، تحريف ، صوابه فى ل والتبريزى . وهى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدة الزبير بن العوام .

(٣) ل : « ففيم الأمر فيكم » وكتب فوقها : « فينا » مقرونة بكلمة « معا » إشارة إلى أنهما روايتان . وعند التبريزى : « فينا » .

تستبطئ قبيلتها قريشاً . فتقول : مَن يبلِّغهم عنِّي لِمَاذا كان الأمرُ فيهم والتَّشاوُر ، والاقتداء والتَّرافُع ، حتَّى صار النَّاسُ تَبَعاً ، وما لَكُم تنقبضون فيما يَجبُ عليكم السَّعيُ فيه ، ولنا الشَّرفُ الرَّفيع والسَّلَف القديم ، وقد علمتوه عِلماً خاليًا من الشَّكّ ، بريئًا من الشُّبهة ، ولم يُعرفْ غَدْرٌ لنا بجارٍ (١) أو ذِي محرم ، وقَدَتْ مِنْ أجْلِه لنا نار (٢) . وكانت العربُ إذا أرادتْ تشهيرَ غَدْرِ غادرٍ حتّى يتجنَّبَه النَّاس أوقدَتْ ناراً في يَفاعِ هَضْبةٍ ، ونصبَتْ لواءً عند مجمعٍ لهم أو سوقٍ عظيمة ، وينادون : هذه نارُ فُلانٍ الغادر ولواؤه !! يشهِّرون أمرَهُ ويقبِّحون صورتَه . على هذا يُحمَل قول زهير :

وتوقَد نارُكم شَرَراً ويُرفَع لَكُمْ في كلِّ مَجْمَعَةٍ لِواءُ (٣)

ولا يمتنع أن يراد بإيقاد النّار قيامُ النّاس وقُعودهم ، وتفاوُضُهم للغَدْرةِ إذا ظهرَتْ من الغدر ، ومايثور من الفَضيحةِ والذِّكْرِ القبيح ، فيكون هذا مثل قولِ أبي ذؤيب (٤) :

* تحرَّقُ ناري بالشَّكاةِ ونارُها (٥) *

والأوَّل أشهر .

وقوله « وكلُّ مَناقب الخَيراتِ فينا » ، تريد أنَّ مَعالِمَ الخيرِ ومَواسِمَ الفضلِ فيهم ، لا يَدفعُها دافع ، ولا يختلط بها تنقُّصٌ من عائب . ومَنْقَبَة : مَفْعَلَة من النِّقَابة

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ولم يعرف لنا غدر الجار » .

(٢) ل : « فأوقدت من أجله لنا نار » .

(٣) ويروى : « شرراً » كما في الديوان ٨٥ . قال ثعلب : « أي تطير في الناس ، أي يطير لها شرر في الناس ، أي شهرة » .

(٤) ل : « من الغادر ، فيكون هذا مثل قول أبي ذؤيب فيما يثور من الفضيحة والذكر القبيح » .

(٥) صدره في ديوان الهذليين (١ : ٢١) :

* أبى القلب إلا أم عمرو وأصبحت *

وهي المعرِفة . فتقول : فينا أنواعُ الخير والشّر ، معلومةٌ للنّاس ، وبعضُ ما يُذكَر من الأمور عارٌ على صاحبِه ونقصٌ في شأنه ، إذْ كان لا يَسلم على الجاذبين .

٨٠٧

وقال المتوكِّلُ اللّيثيُّ (١) :

١ ـ لَسنا وإنْ أحسابُنا كَرُمَتْ   ممّن على الأحســـاب يَتّكِلُ (٢)

٢ ـ نَبْنِي كما كانتْ أوائلُنا   تَبني ونَفعَلُ مِثْلَ ما فعلوا

يقاربه قولُ الآخَر :

سنا إذا ذُكِر الفَعالُ كمعشرٍ   أزْرَى بفِعل أبيهِم الأبنــاء

وقد مضى القولُ فيه مشروحًا .

٨٠٨

وقال طُرَيح بن إسماعيل (٣) :

١ ـ طَلَبْتُ ابتغاءَ الشُّكْرِ فيما فَعَلْتَ بي   فقَصَّرْتُ مغلوبًا وإنّي لَشاكِرُ (٤)

٢ ـ وقد كُنْتَ تُعطِيني الجَزيلَ بَديهةً   وأنتَ لِمَا استكْثَرْتُ من ذاكَ حاقِرُ

٣ ـ فأرجِعُ مَغبوطًا وتَرجِعُ بالتي   لَها أوّلٌ في المَكْرُماتِ وآخِرُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٤٢ ص ١١٨٥ .

(٢) في الحيوان (٧ : ١٦٠) والأمالي (٣ : ١١٧) « يوما على الأحساب نتكل » . والبيتان في الحيوان منسوبان إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر . وبدون نسبة في الأمالي .

(٣) طريح بهيئة التصغير . وقال التبريزي : « يجوز أن يكون تصغير طرح من قولك طرحت الشيء طرحاً أو طارح ، أو طروح . أو طريح ، ونحو ذلك » . وطريح بن إسماعيل الثقفي نشأ في دولة بني أمية وأكثر من مدح الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العباس ومات في أيام المهدي . الأغاني (٤ : ٧٧) والشعراء ٦٦٠ واللآلي ٧٠٥ .

(٤) التبريزي : « فيما صنعت بي »

يقول : غَمَرنى إحسانُك ، وغَلَبنى بِرُّك واعتناؤك ، لا جَرَمَ أنِّى لما طالبت مقابَلتَك بالشُّكر على صنيعك بى ، صِرْتُ كالمفرِّط مغلوباً وأنا مجتهدٌ فى الشُّكر ، بالغٌ إلى أقصى الغايات فى النَّشر ، لكنَّ إحسانَك كثَّرنى وخلَّفنى بالبُعد من غايته ، لأنَّك كنت تُعطِينى الكثيرَ من المال مبتدئاً لا عَن سؤالٍ تقدَّمَ ، ولا عن ذِكر (١) فى نفسكَ تَرَدَّد ، ومع ذلك كنتَ تَستحقِرُ عطاياكَ وتَزْدريها ، وأنا أستكثرُها وأعجِّز نفسى عن ضَبْطها وإحصائها ، وأُبْلُغُ بها مبالغ المكثِرين المتكلِّفين ، ثم أرجعُ مغبوطاً عنك مرموقا ، ومُحَسَّداً فى النَّاس مذكورا ، وترجعُ بِخَصْلِ (٢) الكَرَم والسَّبْق إلى الغاية المطلوبة ، التى لها عند طُلَّاب المكارم أوّلٌ يُبتدَأُ به ، وآخرٌ يُنتَهَى إليه .

٨٠٩

وقال حبيب بن عَوْفٍ (٣) :

١ — فتى زَادَهُ السُّلطانُ فى الحَمْدِ رَغْبَةً ... إذا غَيَّرَ السُّلطانُ كَلَّ خَليلِ (٤)

يقول : لم يُبْطِرْكَ الغِنَى ولا أَغْنَتْكَ السَّلْطَنَة (٥) ونيلُ أسبابِ العُلَى فى الدُّنيا ، لكنَّها زادتك رغبةً فى الخيرِ واكتساب الحمد بين الناس (٦) إذا غيَّر مُساعَدةُ القَدَر ، ومُطاوَعة الجَدّ والجِدَة كلَّ خليل لصاحبه .

والسُّلطان فى غيرِ هذه : الحُجّة ، وقيل اشتقاقُه من السَّليط : الزَّيت .

(١) ل : « فكر » .
(٢) الخصل : الغلبة والسبق فى النضال .
(٣) كذا . ونسب فى الحيوان (٧ : ١٥١) والبيان (١ : ٧١) والكامل ٣٦٦ إلى زياد الأعجم .
(٤) قال الجاحظ : شبيه بقول الآخر :
فتى زاده عز المهابة ذلة ... وكل عزيز عنده متواضع
(٥) هذه اللفظة مما لم يرد فى المعاجم المتداولة .
(٦) ل : « من الناس » .

٨١٠

وقال ابن الزَّبِير[1] ، يمدح محمدَ بنَ مَرْوان :

١ — لا تَجْعَلَنَّ مُبَدَّنًا ذَا سُرَّةٍ ضَخْمًا سُرَادِقُه وَطِيءَ المَرْكَبِ

٢ — كالأغَرِّ يَتَّخِذُ السُّيوفَ سُرادِقًا يَمْشِي بِرايَتِهِ كمَشْيِ الأَنْكَبِ

قوله « مُبَدَّنًا » ، أى سمينا عظيمَ البدن ، ويُروى « مُثَدَّنًا » ، وهو العظيم الثُّنْدُوة . وعلى ما يقتضيه بناء الفعل يكون ثُنْدُوَةٌ مقلوبة والأصل ثَدْنُوَةٌ ، فَعْلُوَة ، فأما ثُنْدُؤة بضم الأول والهمز فهو بناء آخر . فكأنَّه يخاطب إنساناً فقال : لا تجعلَنَّ صاحباً لك هِمَّتُه فى الأكل وتسمين البدَن ، وتحسين الهَيئة والسَّحْنة ، فترى مَرْكَبَه وطيئا ، وسُرادِقَه ضَخْما ، وجمالَه باهراً ومنظره رائعا ، كرجل كريم سُرادِقُه ظلالُ السُّيوف ، وقد غُشِّيت بما تُفيء عليه ، ثُمَّ يَمْشِى قُدَّامَ أتباعه وأصحابه برايته مَشْيَ الأنكب . والأنكب : الذى أحدُ مَنْكِبيه أشرفُ من الآخر . وهذا تصويرٌ فى التشبيه . وإنَّما يتحمَّل الرَّايةَ بنفسه إذا لم يأمَنْ عَثرةَ حامله وإسقاطَه إيَّاها عندَ ما يغشاه من الذُّعر ، فهو يَمْشِى بها لينظرَ أصحابُه إليها فيَثْبُتون معه ، ويحاربون على مُرادِه وهواه .

٣ — فَتَحَ الإلهُ بِشَدَّةٍ قد شَدَّها ما بَيْنَ مَشْرِقِ أهْلِها والمَغْرِبِ

٤ — جَمَعَ ابنُ مَرْوانَ الأغرُّ محمدٌ بَيْنَ ابنِ أشْتَرِهِمْ وبينَ المُصْعَبِ

يقول : فتح الله تعالى على يده بما توحَّدَه به من فضله ، وسَعيه وحدَه ، ما بينَ أقاصى الشَّرق والغرب ، بحملةٍ حملَها فى جوانبها ، ثُمَّ جمع بين قتل ابن الأشتر ومُصعب بن الزُّبير ، فأراحَ العبادَ والبلادَ منهما ، وأزاحَ عن الإسلام والمسلمين شرَّهما وفتنتهما . وإنما قال « بشَدَّةٍ » لما تعجَّل وترادف من الأمور

(١) هو عبد الله بن الزبير الأسدى ، تقدمت ترجمته فى الحماسية ٣٢٢ ص ٩٤١ .

فى نَهَضاته ، وتسرَّع وترافَدَ من كَسْر الجُمهور عند ما تكلَّف من مداراته(١).
وقوله « أشْتَرهم » أضافَهُ إلى مَن كان يَدِين له ، ويدخلُ تحتَ طاعته وهواه .

٨١١

وقال الكُمَيْتُ (٢) فى مَسْلمة بن عبد الملك :

١ ـ فما غابَ عَنْ حِلْمٍ ولا شَهِدَ الخَنَا ولا استَعذَبَ العَوْرَاءَ يَوْمًا فَقالَها
٢ ـ يَدومُ على خَيْرِ الخِلالِ وَيَتَّقى تَصَرُّفَها مِنْ شِيمة وَانفتالَها (٣)
٣ ـ وتَفْضُلَ أَيْمَانَ الرِّجالِ شِمالُهُ كما نَضَلَتْ يُمْنَى يَدَيْهِ شِمالَها

يقول : ما أَخَلَّ هذا الممدوحُ بالأخذ بالحِلم ، وتَرْكِ السَّفَه والجهلِ فى مشهدٍ من المشاهد ، وعندَ حضورِ أمرٍ من الأمور ، ولا استَحسنَ الفاحشةَ فرضىَ بها أو تولَّاها ، ولا استطاب اللَّفظ بالكلمة القبيحة فتفوَّهَ يومًا أو توخَّاها ، لكنَّه يَدُوم على الخِصال المحمودة ، والأخلاقِ الشريفة ، ويتَّقى انصرافه عن شِيميةٍ زَكيَّةٍ عُرِف بها ، وذَهابَه عن طبيعةٍ رضيَّة فيقال تسخَّطها أو رفضها ، فهو فى درَجات المجْد يسمو ويَصعَد ، وعلى مطالع الشَّرَف يعلو ويَغلب .

والانفتال : مطاوعة فَتَلْتُه فَتْلاً ، وهو الانصرافُ والالتواء . والعوراء : الكلمة القبيحة . والعَوْرَة : السَّوْءَةُ وكلُّ ما يُستَحيا منه .

وقوله : « وتَفْضُل أيمانَ الرِّجال شِمالُه » ، يقول : تَزيدُ فى الفَضْل

(١) ل : « بدرائة » .
(٢) الكميت بن زيد الأسدى : شاعر معروف من شعراء الدولة الأموية ، كان صديقا للطرماح على ما كان بينهما من تباعد فى الدين والرأى ، وكان أحد المعلمين . الأغانى (١٥ : ١٠٨ – ١٢٤) والخزانة (١ : ٦٩ – ٧١) والمؤتلف ١٧٠ والمرزبانى ٣٤٧ – ٣٤٨ وابن سلام ٤٥ – ٤٦ والشعراء ٥٦٢ .
(٣) ل : « تصرمها » .

والإفضال شِمالُ هذا الرّجلِ على أيمان الرِّجال كلِّهم وتعلُو عليها ، كما غَلبت اليمنى من يديه الشِّمال . والضمير من « شمالها » يرجع إلى اليمنى ، أى كما غَلبت يمينُه شمالَه غلبت شمالُه أيمانَ الرِّجال كلّهم . ويكون هذا كقول الآخر :

وما فَضْل الجَوَاد على أخيهِ إذا اجتهدَا وكلٌّ غيرُ آلِ

فبرَّزَ سابقًا إلاّ كفضلِ الـ ـيمينِ من اليدَيْنِ على الشِّمال

فهذا وجه ، والأجود أن يُجعَل الضَّمير من الشمال عائداً إلى الرِّجال ، فيكون المعنى : كما فضلت يمناهُ شِمالَ الرِّجال كلهم . يريد أن زيادةَ شِماله على أيمانهم فى الظُّهور مِثلُ زيادةِ يمينه على شمائلهم فى الظُّهور .

٤ — وماأجِمَ المعروفَ مِنْ طُولِ كَرِّهِ وأمْرًا بأفعالِ النَّدَى وافتِعالَهَا

٥ — ويبتذل النَّفْسَ المَصُونَةَ نَفْسَهُ إذَا مارأى حَقًّا عليه ابتذَالَهَا

قوله « ما أَجِم » ، أى ما كَرِه فِعلَ المعروف حتَّى كان ينصرفُ عنه وإن طالَ تكرُّره على يده ، ودامَ اكتسابُه له ، بل يَزدادُ على مَرِّ الأيَّام رغبةً فيه ، ووَلوعًا به . ويقال : فلانٌ أَجِمَ من الطعام (١) ، إذا عافَه وانصرفَتْ نفسُه عنه . وقوله : « وأمْرًا بأفعال النَّدَى » عطفَه على المعروف ، ويريد : ولم يأجم الأمرَ بفِعْل الندى واكتسابَه له ، كأنَّه كان يبعث الغَيرَ عليه ، ويتولّى فِعلَه بنَفْسه .

وقوله « ويبتذل النَّفْسَ المصونةَ نفسَه » . نصب « نفسَه » على البدل من النَّفس . ويكون المعنى أنَّه إذا رأى ابتذالَ نفسِه المصونةِ واجبًا عليه ، وحتمًا ملازمًا له ، يبتذلها ولا يَصُونها . وإنَّما يريد أنَّه يفعل ذلك فى الشَّدائد وعند احتماء البَأس وهذا كما رُوِىَ فى الخبر : « كُنَّا إذا اشتدَّ البَأْسُ اتَّقينا برسول

(١) ل : « من طعام كذا » .

الله صلى الله عليه وسلم » . ورُوى « نفسُه » بالرفع ، ويكون فاعل تبتذل . ويريد بالنفس المصونةِ كرائمَ أصحابه وأمواله ، فالمعنى أنَّه لا يُبقِّى ذخيرةً من دخائره إذا وجَبَ إنفاقها ، ولا يَصُون نفساً عزيزة عليه من كرائمه إذا وجَب ابتذالُها .

٦ – بَلَوْناكَ فى أهْلِ النَّدَى فَفَضَلْتَهم وباعُك فى الأبواعِ قِدْماً فَطَالَهَا

٧ – فأنتَ النَّدَى فيما يَنُوبُك والسَّدَى إذا الخَوْدُ عَدَّت عُقْبَةَ القِدْرِ مالَهَا

يقول : خَبَرْناكَ فى جملةِ من يَدَّعِى النَّدى وزُمْرتِهم ، فغلبْتَهم وسَبقتَهم ، كما بلونا بَسْطَ يدِكَ ، واتِّساعَ باعِكَ عند البَذْل فى الأبواع كلِّها قديماً ، فغلَبَها فى الطُّول . وقوله « فَضلتَهم » ، هو للمبالغة ؛ يقال : فاضَلته فَفَضَلْتُه أَفْضُله . ولذلك تَعَدَّى وإن كان فَضَلَ الشَّىءُ إذا زادَ لا يتعدَّى . ومن شرط فَعَلَ فى المبالَغة أن يُجعَل مستقبلُه على يَفْعُل إذا كانَ صحيحاً ، وإن كان فى الأصل يجىء مفتوحَ العين أو مضمومَه أو مكسوره . وكذلك قوله « فطالها » إنما تعدَّى وطالَ الذى هو ضدُّ قصُرَ [لا يتعدَّى(١)] لأنَّه من طاوَلْته فطُلْته أَطُوله . والمعتلّ فى هذا المعنى يجرى على أصله ، يقال : باكيته فبكَيته ، إذا غلبتَه فى البكاء ، وطاولتُه فطُلْتَه ، إذا غلبتَه فى الطُّول . وإنَّما لم يغيِّروا المعتلَّ لئلا يلتبسَ بناتُ الواو ببنات الياء . ولا يجىء هذا فى كلِّ فعل .

وقوله « فأنت النَّدَى فيما يَنُوبك والسَّدى » ، يريد ترطُّبَه المعروف وتندِّىَ كفِّه فى العطاء عند يُبوس المَحْل ، واشتداد الجَدْب . والنَّدى والسَّدَى هما بمعنًى واحد . وقد قيل النَّدَى بالنَّهار والسَّدَى بالليل .

وقوله « إذا الخَوْدُ عدَّتْ » ، يريد أنَّه يفعَلُ ذلك فى الوقتِ الذى تَعُدُّ عَقيلةُ الحىِّ وكريمةُ القوم مالَهَا الذى تَعيش منه وتعتمده ، ما يُرَدُّ عليها من المَرَق فى القِدر إذا استُعيرت . وهذا كانوا يَفعلُونه فى تناهى القَحْط ، وفى شِدَّة الزَّمان ،

(١) التكملة من ل .

وعند إسنات النَّاس. وكما يسمَّى المردودُ فى القِدر عُقْبةً سمِّى عافياً. قال الكُمَيت:

وجالَت الرِّيحُ من تِلقاء مَغرِبِها   وضَنَّ من قِدْرِه ذو القِدْر بالعُقَبِ

وقال آخر (١):

فلا تسأليني واسألِي ما خَليقتِي   إذا رَدَّ عافِي القِدْرِ مَنْ يستعيرُها

وخَصَّ الخود لكَرَمِها ونَعْمتها وكَرامتِها فى ذَوِيها. وقال الخليل: الخَوْد: المرأة الشابَّة ما لم تَصِرْ نَصَفاً. وقال الدُّريديّ: الخَود: الفتاة النَّاعمة؛ ولم يُبْنَ منه فِعل.

٨١٢

وقال الأعجم (٢)، يمدح عُمَر بن عبيد الله (٣):

١ ـ أخٌ لكَ ليس خُلّتُه بِمَذْقٍ   إذا ما عادَ فَقرُ أخيهِ عادَا

٢ ـ أخٌ لكَ لا تراه الدَّهرَ إلَّا   على العِلَّات بَسَّامًا جَوادَا

المَذْق: اللَّبنُ وقد خُلِط به الماء، فاستعاره للمودَّة. ويقال: فلانٌ يَمْذُق الوُد، وهو يُماذِقنى. فيقول: صداقُه هذا الأخِ صافيةٌ من الشَّوائب، لأنَّه لا يَنطوِى لك على ذِلٍّ ولا حِقْدٍ، ولا سوءِ دِخْلةٍ، ولا فَساد طَوِيَّة، وإذا أعطَى راجِيَهُ أغناه، فإن راجَعَه الفقرُ لكثرة مُؤَنه، وتزايُدِ غاشيته، أوْ لتحامُلِ نوائب الزَّمان عليه، وَجَدَ على خُلْقه (٤) وماله مَحْملاً، فعادَ بالإحسان إليه. ثم لا تراه على تغيُّر الزمان، واختلاف الأحوال، إلّا ضحوكاً طَلْقَ الوجه، جَوادًا

(١) هو عوف بن الأحوص. البيت ٣ من المفضلية ٣٦.
(٢) هو زياد الأعجم. ترجم فى الحماسية ٦٦٥ ص ١٥٣٩.
(٣) التبريزى: «عمر بن عبدالله بن معمر». وفى النسختين: «عمر بن عبد الله»، تحريف. وانظر الأغانى (١٤: ١٠٠ ـ ١٠٣).
(٤) هذا ما فى ل. وفى الأصل: «وجد عليه خلقه».

طيِّب النفس . وبَسَّام : بناء المبالغة ، ولم يُبْنَ على بَسَمَ . لأن البناء على بَسَم باسِمٌ . ويقال : بسَم ، وابتسم ، وتبسَّم .

٨١٣

وقالت امرأةٌ من بنى مخزوم :

١ – إنْ تسألى فالمَجْدُ غَيْرُ البَدِيعْ قدْ حلَّ فى تَيْمٍ ومَخْزومِ (١)

٢ – قومٌ إذا صُوِّتَ يَوْمَ النِّزَالْ قَامُوا إلى الجُـــرْدِ اللَّهَامِيمِ

٣ – من كلِّ مَحبوكٍ طِوَالِ القَرَى مِثْلِ سِنَانِ الرُّمْـــحِ مَشْهُومِ

قولها « غير البديع » انتصبَ على الحال ، وإنَّما تُخاطب امرأةً . فتقول : إنْ سألتِ الناسَ عن مَقرِّ المجدِ ومَسكَنِه ، فقد حلَّ غيرَ مُستبدَعٍ (٢) ولامستَنْـكَرٍ ، فى بنى تَيْم ومخزوم ، وهم قومٌ تَداعَى الأبطالُ يوم النِّزال ، وصاحَ المستغيث بناصره عند القِراع ، قامُوا إلى خيلٍ قِصار الشُّعور عِرابٍ ، كِرَامٍ سِرَاعٍ . ولهاميم الإبل : غِزارُها . ولهاميم النّاس : أسخياؤهم .

وقولها « مِن كلِّ محبوكٍ طِوَال القَرَى » ، تريد : مِنْ كلِّ فَرَسٍ مُحْـكَمِ الخَلْق ، مُشْرِفٍ طول الظَّهْر ، خفيفٍ نافذٍ فى العَدْو ، كأنَّه سِنانُ رُمْـحٍ . والمسهوم : الذى قد أثَّر الغَـزْوُ فيه وَلَوَّحَهُ سَمُوم الحربِ والحَرّ . هذا إذا رويته « مَسْهُوم » بالسين غير معجمة ، ومن رواه « مشهوم » بالشين معجمة فمعنـاه حَديدُ القلب ؛ ومنه الشَّيْهم : اسم القُنفُذ ، للشَّوْك الذى فى ظهره .

(١) بحره السريع ، والبيتان الأول والثانى يزيدان على الثالث حرفاً . وهذا الحرف لابد من إسكانه عند الوقف عليه ، يجوز تحريك العين من « البديع » واللام من « النزال » إذا وصلا بما بعدهما فى القراءة .

(٢) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « مبتدع » .

٨١٤

وقالت أخرى :

١ ـ أَلَا إنَّ عبدَ الواحدِ الرَّجُلُ الذى يُنيلُكَ ما طالَبْتَ والوَجْهُ وافِرُ(١)

تقول : يُعطِى قبل أن يُسأل ويُبْذَلَ الوجهُ له . ويشبهه قولُ الآخر :

أهْنَـأ المعروفِ ما لم يُبتَذَل فيه الوُجوهُ

ويقال : نِلْتُ الشيء أنالَه نَيْلاً ، وأنالَنيه فلان . والنَّيْل والنَّوْل يتقاربانِ فى المعنى وإن كان بناءاها مُختلفَين ، يقال : نِلْته أنولُه نَوْلاً ، فهذا من النَّوَال ، ونوَّلته وتناوَلَ الشَّيء ، وما كان نَوْلُك أن تفعلَ كذا ، أى ما كان ينبغى لك .

٨١٥

وقالت الخَنْساء(٢) :

١ ـ دَلَّ عَلَى معروفِهِ وَجْهُـهُ بُورِكَ هذا هادِياً مِنْ دَليلْ

٢ ـ تَحْسِبُه غَضْبانَ مِنْ عِزِّهِ ذلكَ مِنْهُ خُلُقٌ لا يَحُولْ(٣)

٣ ـ وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ إذا أُلْقِيَ فيهـا وعَلَيْهِ الشَّليلْ

قولها « دَلَّ على معروفه وجهه » ، تريد طلاقةَ وجهِه وتهلُّلَه عند تعرُّض السَّائل له ، وفَرَحَهُ وبشاشتَه به إذا حَصَل عنده ، ثم قال : بارَكَ الله فى هذا الدليل من بين الأدلَّاء ، يعنى وجهه . وأصلُ البَرَكة النَّماء والزيادة ، وقيل هو

(١) التبريزى » : والعرض وافر » .

(٢) الخنساء لقب لها ، اسمها تماضر بنت عمرو الشريد . وهى شاعرة صحابية من شعراء المراثى ، وقد شهرت برثاء أخيها صخر . انظر كتب الصحابة والأغانى (١٣ : ١٢٩ ـ ١٤٠) والخزانة (١ : ٢٠٧ ـ ٢١١) والشعراء ٣٠١ ـ ٣٠٦ .

(٣) التبريزى : « ما يحول » .

من اللُّزوم والثَّبات ، ومنه تَرْكُ البعير . وانتصب «هادياً» على الحال .

وقولها « تحسبه غضْبانَ من عِزِّه » ، هم — أعنى العرب — يشبِّهون الحييَّ الكريم بالمتشكِّى من ذِلَّة ، والعزيزَ المنيعَ بالمتغضِّب من عِزّة . ولا غضب فى هذا كما أنّه لا عِلّةَ ثَمَّ ، وإنما يراد فى العزيز إباء النَّفس وأُبَّهة النُّبل ، كما أنّه يُراد فى الحييِّ لينُ الجانب ، والانخزالُ من الكَرَم . وقولها « ذلكَ منه خُلُقٌ لا يَحُولُ » ، يريد أنّه طُبِع على ذلك ، فلا يَزُول عنه ولا يتحوّل منه .

وقولها « ويلُ أمِّه مِسعَرَ حربٍ » انتصبَ مسعر على التمييز ، وقد مرّ القولُ فى ويلُ أمِّه [١] . والكلام تعجُّب وتعظيم . والمِسْعر من أبنية الآلات ، يراد أنّه كالآلة فى إيقاد نار الحَرْب إذا أُلْقِيَ فيها وقد تَدجّج فى السلاح . والشَّليل : الدِّرْع .

٨١٦

وقالت امرأةٌ من إياد :

١ — الخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرَّوْعِ إذْ هُزِمَتْ ... أنّ ابنَ عمْرٍو لدَى الهيْجاء يَحْمِيها [٢]

٢ — لم يُبْدِ فُحْشاً ولم يُهْدَدْ لِمُعظَمَةٍ ... وكلُّ مَكْرُمَةٍ يُلْفَى يُسَامِيها

تعنى بالخَيل الفُرسان . تريد : قد تيقّنوا أنّه إذا اتّفق عليهم كسرٌ ، وأثّر فيهم رَدْعٌ فى يوم حرب ، لا يدْفع عنهم ولا يَذُبُّ دونَهم إلّا ابنُ عَمْرو ، فهم ساكنون إليه ، ومُعتَمِدون عليه عند استعار [٣] نار الرّوْع والاصطلاء بحَرِّها ، لأنّه جابرُ كَسْرَهم ، ومُخْمِدُ جَمْرِهم .

(١) انظر ما سبق فى ص ١٢٠٢ .

(٢) ل : « لن هزمت » .

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « إسفار » .

وقولها « لم يُبْدِ فُحشاً » تريد أنّه لا يَعرف القبيح ، فلا يظهر في أفعاله وأقواله ما يُستهجن أو يُستَفْحَش ، ثم إذا مُنِي بخَصْلَةٍ فظيعة لا يُهَدُّ لها ، ولا يَحار فيها ، بل يَصبِر ويَثْبُت ، ويَحسُنُ حديثُه في أفواه الناس لخُروجِه منها ويَعذُب ؛ وكلُّ مَكْرُمةٍ تَسنح ، ومأثُرةٍ على القُرب والبُعد تتّفق وتَعرِض ، تراه تَطمَح عينه إليها ، وتحرِصُ نَفْسه على جَمْع يدِه عليها ، لعُلوِّ هِمّته ، وكمالِ خصاله .

وقولها « يساميها » في موضع الحال أي مُسامِياً لها ، ولك أن تروى « يُلقَى » بالقاف ، و « يُلْفى » بالفاء ، ومعناهما قريب .

٣ ــ المستَشار لأمْرِ القومِ يَحْزُبُهُمْ إذا الهَنَاتُ أَهَمَّ القومَ ما فيها

٤ ــ لا يَرْهَبُ الجارُ منه غَدْرَةً أبدًا وإن ألَمَّتْ أُمورٌ فهْو كافِيها

وصفَته بجَزَالة الرَّأْي ، وبراعة النَّفْس والعقل ، وأنَّ المرجعَ فيما يَدْهَمُ القومَ إليه ، والمعتمدَ عندما يَهجُم فيهُمُّهم عليه ، فهم يستضيئون بتدبيره في ظُلَم الخطوب ويستكشفُونه ما يتغشّاهم مِن دَوَاهي الأمور . والهَنات : جمع هَنَة ، وهي كالكِناية عن المنكَرات ، ولا تُستعمل في الخير البتّة . وقولها « أهمَّ القومَ » أي جعل مِنْ همِّهم . وموضع يَحْزُبُهم نصبٌ على الحال .

وقولها « لا يَرْهَبُ الجار منه غَدْرَةً » تصِفُه بحُسْن الوفاء فيما يَعقِد للجار من ذِمَّة ، ويُعطيه من عَهْدٍ ومَوْثِقَةٍ . فيقول : جاره آمنٌ لا يخاف خَتْلاً ولا مكرًا وإن نزلَتْ به أمورٌ خارجة من الجِوار فهو يقومُ بها ويتكفَّل بالكفاية فيها .

وانتصب « أبَدًا » على الظّرف ، وهو في المستقبل بمنزلة قَطُّ في الماضي .

تم البابُ بعونِ الله وحُسن توفيقه ، والصَّلاة على نبيِّه محمّدٍ وآله مِن بعده .

باب الصفات

باب الصفات

٨١٧

قال بعضهم[١] :

١ ـ وهاجِرَةٍ تَشْوِى مَهَاهَا سَمُومُها طَبَخْتُ بها عَيْرَانةً واشْتَوَيتُها[٢]

٢ ـ مُفَــرَّجَةً مَنْفوجةً حَضْرَمِيَّةً مُسَانَدَةً سِرَّ المَهَارَى انتقيتُها

أراد بالهاجرة الوقتَ الذى يُهجَر السَّيْرُ له إذا قامَ قائم الظّهيرة وغَلب الحرُّ فيه ، وهى فاعلة بمعنى مفعولة . والمَـهَا : بقَرُ الوحش . فيريد أنَّ حرَّها يَشْوِى الوحشَ ويَطبُخها . وقوله «طبخْتُ بها عيرانة» يعنى بتِـلك الهاجرةِ . والعَيْرَانة : النَّاقة تُشبِه العَيْر . و « شويتها[٣] » أى سرتُ عليها حتَّى أنضاها الهواجر وحَسَرها وأذهَبَ لحمَها ، فصارت كالمحترقة . والمُفَرَّجة : هى التى بَعُدت مرافقُها عن زَوْرِها واتَّسَعتْ آباطُها وفرَّجتْ مابين قوائمها ، فهى فتلاء المِرْفَق لايصير حازًّا ولا ناكتاً ولاضاغِطاً . والمنفوجة : الواسعة الجنبَيْن . والحضرميَّة هى التى حصَلت من نَسْلِ إبلِ حَضْرَمَوت ، وهى قريةٌ بالشأْم[٤] . والمُسَانَدَةُ : القويَّة الظهر . وسِرُّ المَهارَى، أى خيارُها . والمهارَى : جمع مَهْرِيَّةٍ وهى المنسوبة[٥] إلى

---

(١) التبريزى : « قال البعيث الحنفى » . وقد سبقت ترجمته فى الحماسية ١٣٠ ص ٣٧٦ .

(٢) هذا ما فى ل والتبريزى . وفى والتبريزى . وفى الأصل : « وشويتها » .

(٣) كذا باتفاق النسختين .

(٤) كذا . والمعروف أنها بلاد فى جنوبى الجزيرة شرقى اليمن .

(٥) ل : « منسوبة » .

مَهْرَة بن حَيْدَان ، أى من نِتاجِه . وانتقيتُها ، أى اخترتُها . والمراد أنّه قَطّاعٌ للمَفَاوز فى الهَوَاجِر ، مبتذِلٌ لنفسِه وراحِلته لا يُبقى عليهما فى حَرّ ، ولا يقيهما من سَمُومٍ وتعب . وقوله : « تَشْوِى مَهَاها سَمومُها » فى موضع الصِّفة للهاجرة . وقوله « طبختُ » جواب رُبَّ .

٣ — فَطِرْتُ بها شَجْعاءَ قَرْوَاءَ جَرْشَعًا   إذا عدَّ مَجْدُ العيسِ قُدِّم بَيْتُها

٤ — وجَدْتُ أباها رائضَيْها وأمَّها   فأَعطَيْتُ فيها الحُكْمَ حتّى حَوَيْتُها

قوله « فطِرت بها » قيل أراد به حثثتُها واستعجلتُها فى السَّير ، فيكون طِرْت بها بمعنى أطرتُها على هذا ، كما يقال ذهبْت بزيد وأذهبته بمعنًى ، ويجوز أن يكون المراد أنى انتزعتُها من عيون الباعة والمشترين ، واختلستُها وفُزْتُ بها ، بدَلالة أنّه قال « وأعطيتُ فيها الحكم حتّى حَوَيتُها » . والشَّجْعاء : الجريئة القلب ، وانتصب على الحال . والقَرْوَاء : الطَّويلة الظهر . والجُرْشُع : المنتفخة الجنبَين .

وقوله « إذا عدَّ مَجْدُ العيس » يريد إذا ذُكِرت مَفاخرُ العِيس ومناسبُها قُدِّم نَسْلُها وقَبِيلُها الذى يُؤْويها .

وقوله « وجدت أباها رائضَيْها وأمَّها » فصَل بين المعطوف والمعطوف عليه بمفعول وجدتُ الثانى ، والمعنى : وجدتُ أباها وأمَّها رائضَيْن لها ، كأنَّها نُتِجَتْ مَرُوضَةً مؤدَّبَةً ، فما حُمِد منها حَصَل لها وِراثةً لا تعلُّما .

وقوله « أعطيتُ فيها » أى بذلتُ فى تملُّكها ما احتكَم بائعُها واقترحه واستام بها ، حتى حصَّلتُها .

٨١٨

وقال عَنْتَرَةُ بنُ الأخْرَسِ (١)

١ ـ لَعَلَّكَ تُمْنَى مِن أراقِمِ أرْضِنَا بأرْقَمَ يَسْقِي السَّمَّ مِن كُلِّ مَنْطَفِ (٢)

٢ ـ تَرَاهُ بأَجْوازِ الهَشِيمِ كأنَّما على مَتْنِهِ أخْلاقُ بُرْدٍ مُفَوَّفِ

الأراقِم : الحيّات . والكلامُ دعاءٌ على المخاطَب وإن كان لفظُه ترجِّيًا وتأميلًا . ومعنى تُمْنَى تُمتحَن . يُقال : مُنِيَ بكذا ، أي بُلِيَ بِهِ وقاسَى شرَّهُ . ومعنى « يَسقِي السَّمَّ من كل مَنطَف » يريد كلَّ مَقْطَر ، لأن نَطَف الماء معناه قَطَر . وسُمِّي الماء نُطْفَةً لذلك . يريد أنَّه يَرشَحُ بالسَّمِّ ، فسُموم جلده تَقْطُر به . ولعلَّ طَمَعٌ وإشفاق . كذا قال سيبويه . ويُستعمَل بأنْ وبغير أنْ . يقال : لعلّك أن تفعل كذا ، كما تقول لعلك تفعل كذا .

وقوله « تَراه بأجواز الهَشيم » فالهَشِيم : اليابس من الأشجار والنَّبات ، والقَصْدُ إلى النَّبات هنا . يقول : تراه يتخلل الهشيمَ ويتوسَّط أثناءه ، فكأنَّ على متنه بجلده الذى سلَخه قِطَعَ بُرْدٍ وَشْيُه كالفُوفِ ، وهو البياضُ الذى يظهر فى أظافير الأحداث . وجعله سالخًا ليكون أخبثَ .

٣ ـ كأنَّ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسرَاتِهِ وَمَجْمَعِ لِيتَيْهِ تَهَاوِيلَ زُخْرُفِ

أراد أنّه ملوَّن الجلد . والضّاحى : البارز للشّمس فى الأصل ، والمراد به هنا ظاهر الجلد . والتّهاويل : ما يُعلَّق من العِهون على الإبل ، ولا واحدَ له من لفظه ، والقياس تِهْوَالٌ ، كما يقال تجفَاف وتجافيف (٣) . والزُّخرُف : كلُّ

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٥٣ ص ٢٢٠ .

(٢) يسقى ، ضبطت بالبناء للمعلوم فى النسختين . ويصح أن تقرأ بالبناء للمجهول كما ضبطت فى نسخة التبريزى . والبيت أنشده الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٣٠٧) .

(٣) التجفاف ، بالكسر : ما يجلل به الفرس ، وآلة تقيه الجراح .

ماحسَّنَ به شيء ، وأصله الذّهب . فشبَّهَ بارزَ جلدِ الحيَّةِ وظهرهِ ومجمع صفَحَتَيْ عُنقِه لاختلاف ألوانها بالتّهاويل التى تُزخرف بها الإبل .

٤ ـ كأنّ مُثنَّى نِسْعَةٍ تحتَ حَلْقِهِ ... بما قد طَوَى مِنْ جِلدِهِ المتغضِّفِ

٥ ـ إذا نَسَلَ الحيَّاتُ بالصَّيفِ لم يَزَلْ ... يُشَاعِرُ باقى جُلْبَةٍ لم تُقرَّفِ

شَبَّهَ غُضُونَ حَلْقه لما انطوى من جِلده المتكسِّر لكونه فاضلاً عن لحمه ، وذلك لكثرة سَمِّه بنِسْعةٍ مَثْنيَّة جُعِلَتْ تحتَ حلقه ، ويقال : إنّ الحيَّاتِ إذا اجتمعت سمومُها وكثُرت دَقّتْ وهُزِلت لأنّ سمَّها ينقُص لحمَها ، فلذلك يَفضُل جلدُها عن حجمها فيتغضّف ، أى يتثنَّى ، والغضَف : انكسارٌ فى الأذُن .

وقوله « إذا نَسلَ الحيَّاتُ » يريد أنَّه بخُبْثِه يقاتل سائرَ الحيَّات ، سوءَ خُلقٍ منه وعَرامةً ، فإذا انتشرت الحيَّاتُ فى الصَّيف لا يزالُ يمارسُ ويُطاولُ بَوَاقىَ جُلَبٍ منه لم تُقشَرْ عنه ، لأنَّه فى مُقاتَلةِ الحيَّات يحصل على جُروحٍ طولَ الصيْف وتَيبَسَ عليه جُلَبُها . وقوله « يُشَاعِرُ باقى جُلْبَةٍ » ، ويروى « يساعر » بالسين ، من قولهم كلب سَعِرٌ ، أى كَلِبٌ . وفى القرآن فُسِّر قوله تعالى : ﴿ فى ضَلَالٍ وسُعُرٍ ﴾ ، أى جُنون . ومنه ناقةٌ مسعورة : لا تستقرُّ قَلَقاً ، ومن قولهم : عُنُق مِسْعَرٌ ، أى طويل . وأنْ تروىَ « يشاعر » بالشين المعجمة أحسنُ ، تجعلُه من الشِّعار الذى هو خلاف الدِّثار . ويقال : جَلَبَ الجُرْحُ وأَجْلَبَ ، إذا يَبِس الدَّمُ عليه .

٨١٩

وقال مُلْحَةُ الجَرْمىُّ (١) :

١ ـ أَرِقْتُ وطالَ اللَّيلُ للبارِقِ الومْضِ ... حَبِيّاً سرَى مُجْتابَ أَرْضٍ إلى أرضِ

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٧٨٢ ص ١٧٤٨ .

٢ ـ نَشَاوَى من الإدلاج كُدْرِىٌّ مُزْنهِ ... يُقَضِّى بجَدْب الأرض مالم يكَدْ يَقْضِى (١)

٣ ـ تَحِنُّ بأجْوازِ الفَلا قُطُرَاتُهُ ... كما حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إلى بَعْض

قوله « أَرِقْتُ » ، يريد سهرت ، ولا يكون الأرق إلّا بالّليل . فيقول : فارَقَنى النَّومُ وطالَ ليلى من أجلِ سَحابٍ فيه بَرْقٌ يُومض ، أَسرَى ليلاً وقد قَطَع أرضاً إلى أرض . والوَمْضُ : مصدرٌ كالوميض ، وهو لَمَعانُ البرق . وقد وصفَ به . ويقال : وَمَض وأومَض . وانتصب « حَبِيًّا » على الحال ، وهو المشرف . والعامل فيه إن شئت البارق ، وإن شئت الوَمْضُ . و « مُجْتَابَ أرضٍ » ، أى قاطِعَها ، وانتصابه على الحال ، والعاملُ سَرَى .

وقوله « نَشَاوَى من الإدلاج (٢) » رَدَّه على قِطَع السَّحاب . ألا تَرَى أنه قال فى البيت الأول « للبارق الوَمْض » ، ثم قال « نَشاوَى من الإدلاج » . وهو جمع نَشْوَان . يريد أنَّ أقطاعَه لسُراه صارت كالسَّكارَى تميل من جانبٍ إلى جانب ، وتَنْعطِف من أرضٍ إلى أرض . كأنه جعل حالَ السَّارى من السحاب كحال السَّارى من الإنسان . وقوله « كُدْرِىُّ مُزْنِهِ » مبتدأ ، و « يقضِّى بجَدْب الأرض » فى موضع الخبر ، و « مالم يكد » مفعول يقضِّى . وجعَلَ فى لونه كُدْرَةً لِكَثْرَة مائه وارتوائه . والمعنى أنّ الكُدْرِىَّ منه يَحكم للمُجْدِب من الأرض ، ويَقْسِم من المَطَر له ما لم يكد يَقْضِى به لنفسه ، ولم يقرُبْ من قَسْمِه له كأنَّه يَصبُّ لجدب الأرض (٣) أكثَرَ مِمَّا يَحتكم به لو حُكِّم ، ويختارُه لو خُيِّر . ولك أن تروى « مالم تكد تقضى » بالتاء ؛ تردُّه على الأرض . وقال بعضهم :

(١) رواه أبو العلاء : « يشاوى من الإدلاج » ، أى يسابق ، من الشأو ، أى الطلق ؛ يقال شآه ، إذا سبقه .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة « الإدلاج » التالية ساقطة من ل .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « الأرض » التالية ساقطة من ل .

هذا كما يقال : أعطانى الأميرُ ما لم يكد يعطيه لأحدٍ ، وسمحَ لى بما لم يكَدْ يسمح به لأحد . والأوّل أحسنُ وأغرب . وقال بعضهم : أخبرَ أنَّ هذا السَّحابَ إذا أتى على أرضٍ مُجْدِبةٍ لم يفارقها مطرُها حتّى يُهْرِيق(١) بها من الماء ما يكون فيه عَهْدٌ ووَلِيٌّ(٢) فى دَفعةٍ واحدة ، وفراغُه من هذا لا يكون سريعاً هيِّناً كأنَّ حاجةَ السَّحاب فى الأرض المُجْدِبة إحياؤُها وإخصابُها من مَطْرَةٍ واحدة ، فلمّا فعلَ قضَى وطَرَه ، ولم يكَدْ يَقضيه إلّا بعد بُطْء .

وقوله « تَحِنُّ بأجواز الفَلا قُطْراته » أى نواحيه . والقُطْر : الجَنْب . ويقال : قَطَّرَه ، إذا ألقاه على قُطْرِه . ويقال فى معناه قُتْرٌ أيضاً بالتاء . يريد أنّ جوانبَه تتَجاوَبُ بالرَّعد ، فكأنَّها تَحِنُّ إلى مواضعَ لها قد أَلِفَتْها ، فهى تشتاقُها وتتشوَّف . ثمَّ شَبَّهَ حنينَها بحنين الإبل وقد فُرِّقت بعد اجتماع ، فتحانَّت وتهادرت .

ويقرب من هذا قولُ الهُذَلىّ(٣) :

يَجُشُّ رَعْدًا كَهَدْرِ الفحل يَتْبَعُهُ ... أُدْمٌ تَعَطَّفُ حولَ الفَحْلِ ضَحْضاحُ(٤)

٤ — كأنّ الشَّماريخَ الأُولَى من صَبِيرِه ... شَمارِيخُ من لُبْنانَ بالطُّولِ والعَرْضِ(٥)

٥ — تُبارِى الرِّياحَ الحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ ... بِمُنْهمِرِ الأرواقِ ذِى قَزَعٍ رَفْضِ(٦)

الشماريخ : الأعالى . والصَّبير : السَّحاب الأبيض . ولُبْنان : جبل . شَبَّه

(١) ل : « يهرق » .
(٢) العهد : المطر الأول . والولى : مايليه من المطر .
(٣) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ٤٨) .
(٤) قال خالد بن كلثوم : ضحضاح فى لغة هذيل : كثير ، لا يعرفها غيرهم . يقال : عنده إبل ضحضاح . اللسان (ضحضح) .
(٥) فى هامش ل أن الصواب « الشماريخ العلى » ، وهى رواية التبريزى .
(٦) التبريزى : « يبار » .

أعالىَ السّحاب بأعالى هذا الجبل وأُنوفِهِ التى تتقدّم منـــه ، وقال « الأُولَى » تخصيصاً لما كان من صَبيرِه خاصّة ، وقال « بالطُّول والعرض » ليبيِّن وجه التّشبيه .

وقوله « تُبارِى » أى تُحاكِى وتُسامِى الرِّياحَ الشَّاميَّةَ سُحُبُهُ بمطرٍ سامى الأعالى . ويقال للسّحابة إذا ألحّتْ بالمطَر فى موضعٍ : ألقتْ عليه أرواقَها . ويقال للرّجل إذا ألقى همّه على الشىء ونَفْسَه : ألقى عليه أرواقه . لذلك قال تأبَّط شرّاً :

* ألقيتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أرواقِى (١) *

والقَـزَعُ : قِطَـعٌ من السَّحاب متفرِّقة ، والواحدة قَزَعَةٌ . وقال الخليل : القزَعُ قِطَع من السَّحاب رقيقةٌ كالظِّلّ . وعلى ما قاله يكون الإشارةُ من الشّاعر إلى السَّحاب إلى وَصْفِه وقد هَرَاقَ ماءه فَرَقٌ . قال الخليل : ولذلك قيل : شَعَر مُقَزَّعٌ ، أى خفيف . والرَّفْضُ : المُرفَضُ المتفرِّق ، وكأنّ الأصل فيه الرَّفَض ، محرَّكَ الفاء ، والجميع الأرفاض ، فسكَّن ، ويجوز أن يكون وصف بالمصدَر ، لأنّه يقال رفَضتُ الشىء رفضاً ، والمرفوض رَفْضٌ . والمعنى أن مُزْنَه وهو السَّحاب ، تُحاكى الرِّياح الهابّة من ناحية الشأْم — يشير إلى الشَّمال — بمطرٍ ذا صِفتُه من سحاب كذلك .

٦ — يُغادِرُ مَحْضَ المـاء ذُوهُوَ مَحْضُه   على إثْرِه إن كان للماء مِنْ مَحْضِ
٧ — يُرَوِّى العُـروقَ الهامِداتِ مِنَ البِلَى   مِنَ العَرْفَجِ النَّجْدِىِّ ذُوبادَ والحَمْضِ

أصل المَحْض اللَّبن الخامض بلا رغْوة ، ثم استُعمِل فى الحسب وغيره ، يقول : يترك خالصَ الماء الذى هو خالصةُ السَّحابِ وصافيته ، ويخلِّفه فى مسايل الأودية على إثْرِه . وإنّما يُشيرُ إلى ما تقطَّـعَ ورقَّ من ماء المطر بنضَد الأحجار ،

(١) عجز البيت ٤ من المفضلية الأولى . وصدره :

* نجوت منها نجائى من بجيلة إذ *

وأُصولِ الأشجار ، حتَّى صفا من شوائب الكُدورة ، وقَرَّ فى المناقع وقرارات الأودية .

وقوله « إن كان الماء من مَحْض » ، لأنّ ماءَ المطر جنسٌ واحدٌ إذا لم يختلطْ به غيره لا يختلف . وقد مرَّ القولُ فى ذو وأنّه بمعنى الذى فى لغة طيّئ[1] ، فقوله : « ذو باد » ، أى الذى باد ، وهو فى موضع الجرّ ، لكنه لا يغيَّر عن بِنْيته .

وقوله « يروِّى العروق الهامدات من البِلَى » ، يريد أنّه أحيا ما أشرف على اليُبْس من عُروق الشّجر البالية خُلَّتِها وحَمْضِها ، وأعادها غَضّةً مَرْويّة والهُمُودُ أبلغ من الجمود .

٨ — وباتَ الحَبِيُّ الجَوْنُ يَنهضُ مُقْدِمًا كنَهْض المُدانَى قَيْدُهُ المُوعِثِ النِّقْضِ

الحبىّ من السَّحاب : المشرِف المتراكم ، والجَوْن : الأسود هنا ، وجعله كذلك لارتوائه وكثرة مائه . وقوله « ينهض مُقدِما » انتصب مُقدِما على الحال ، يريد أنَّ سَير السَّحاب لثِقَله وحركاته مثلُ سيرِ هذا البعير وحركتِه ؛ ثمَّ وصَفَه . والمُدانَى قَيده : الذى قُصِّر عِقالُه وضُيِّقَ عليه قَيده . ولم يَرضَ بذلك حتّى جعلَه سائرًا فى الوَعْثِ ، وهى الأرض اللَّيِّنة الكثيرةُ التُّراب والرَّمل ؛ والسَّير فيها يَصْعُب . ويقال فى الدُّعاء : « اللهمَّ إنّى أعوذ بك من وَعْثاء السَّفَر » ، يُراد شِدَّتُه وصُعوبته . ويقال : أَوْعَثَ ، إذا صارَ فى الوَعْثاء ، كما يقال أَسْهَلَ إذا صارَ فى السهل . ثمَّ لم يَرْضَ بعد ذلك أيضًا حتّى جعله نِقْضًا ، وهو المهزول الضَّعيف . ويقال نَقَضْتَ البعير نَقْضًا ، والمنقوض نِقْضٌ .

(١) انظر ماسبق فى ص ٥٩١ .

وقد زاد فى هذا الوصف على الأعشى لمّا قال — وإن كان الأعشى يصف امرأةً بالنَّعمة والتُّرْفة ، وهذا يصف سحابةً ثقيلة —:

* تَمْشِى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِى الوَجِلُ(١) *

لأن هذا جعل البعير مُدانَى القَيْدِ أيضاً .

تم الباب بحمد الله تعالى ومنّه ، وحسن توفيقه وعونه .

---

(١) صدره فى الديوان ٤٢ :

* غراء فرعاء مصقول عوارضها *

باب السير والنعاس

باب السير والنعاس

٨٠

وقال حطيم (١) :

١ ـ وقال وقد مالت به نشوة الكرى نعاساً ومن يعلق سرى الليل يكسل
٢ ـ أَنِخ نُعطِ أنضاء النعاس دواءها قليلا ورفّه عن قلائص ذُبَّل
٣ ـ فقلت له كيف الإناخة بعد ما حدا الليلَ عُريانُ الطريقة مُنجلي

مفعول قال أول البيت الثانى ، وهو « أَنِخ نعطِ » . وقوله : « وقد مالت به نَشْوةُ الكرى » ، الواو واو الحال . والنشوة : السُّكْر . والكرى : النوم . وانتصب « نعاساً » على أنه مصدر فى موضع الحال .

وقوله « ومَنْ يَعْلق سُرى الليل يَكْسَلِ » اعتراضٌ بين الفعل ومفعوله . ويَعْلَق فى معنى يتعلق . والسُّرى : سير الليل خاصة ، وأضافه إلى الليل فقال سُرى الليل ، تأكيداً . ومعنى البيت : ق ل رفيقى وقد انتشى من الكرى وصار يتميل ولا يستقيم وهو ناعس ، ومن يمارس السير ويهاجر النوم يتسلط عليه الكسل : أَنِخْ راحلتك نُداوِ المطايا التى أنضاها النعاسُ وهزلها الجهد ، دواءها من الراحة والنوم ، وسكِّنْ من قلائص مهازل ، ووسِّعْ ما ضيقت عليها من أوقاتها . والقَلوص فى الإبل بمنزلة الجارية فى الناس . والذُّبَّل : جمع ذابل . والترفيه : التوسيع والتنفيس . ويقال رفّهت البعيرَ ، إذا تركت الحمل عليه ، وعيشٌ رافهٌ ورَفيهٌ : فيه رَفاهةٌ وخِصْبٌ . وانتصب قليلاً على الظرف ، ويجوز

(١) كذا فى النسختين بالحاء المهملة . وعند التبريزى : « الخطيم » بالخاء المعجمة .

أن يكون صفةً لمصدر محذوف ، كأنَّه قال نُطِها دواءَها إعطاءً قليلا ، أو وقتاً قليلا .

والأنضاء : جمع النِّضْو ، وهو المهزول .

وقوله « فقلت له كيف الإناخة » ، يريد كيفَ الوصول إلى النُّزول وقد أصبحنا وساقَ اللَّيلَ صُبْحٌ واضحُ الطَّريقة ، متكشِّف الشريعة ، يجلِّي الظَّلامَ فيه ويفرِّق . يريد أنَّ الرأيَ وقد انصرَمَ اللَّيلُ أن نتبلَّغ إلى الماء الذى نقصِده ثمَّ ننزل .

٨٢١

آخر :

١ ـ وفِتيانٍ بَذَلْتُ لهمْ ردائى على أسْيافِنَا وعَلَى القِسِىّ

٢ ـ فظَلُّوا لائذِينَ به وظلَّتْ مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ باللَّحِىِّ

٣ ـ فلما صَارَ نِصْفُ الظِّلِّ هَنَّا وهَنَّا نِصْفُهُ قَسْمَ السَّوِىِّ

يقول : ربَّ فتيانٍ أثَّر فيهم الحرُّ ، وماوا إلى النُّزول ، فبذيتُ لهم ما أظلَّهم على الأسياف والقِسِىّ ، وقد غشِّيتُ بردائى فظَلُّوا من نهارهم مُلْجَئين إليه ولائذين من الحرِّ به ، وبقِيَتْ مطاياهم لتأثير أوَاره فيها ، وإحراقها بتوقُّد الهاجرة عليها ، تَضرِب بلُحِيِّها على الأرض ، فلَّما زالَ قائم الظهيرة ، وصار الظِّلُّ نِصفين لا شَطَط فى انقسامه ، ولا اعوجاجَ فى تَسوِيِّه . وجواب لمَّا مُنتظَر .

وقوله « هَنَّا » انتصبَ على الظَّرف ، وقد وقع موقع خبر صار .

وسمعت شيخنا أبا علىٍّ الفارسىَّ رحمه الله يقول : ليس هَنَّا من لفظ هُنا فى شىء ، ووزنه فَعْلَل مثل جعفر ، فهو رباعى ، وهُنا ثلاثى . كأنَّ أصله هَنَنُ ، فأبدلوا من إحدى نوناته الألف هرباً من التضعيف (١) .

(١) نظيره إبدال النون ياء فى قولهم « التظنى » و « التقصى » فى « التظنن » و « التقصص » .

وقوله « قَسْمَ السَّوِىّ » انتصب على المصدر ، والمراد وقد قَسَمَ قَسْمَ الإنصاف . ودلّ على الفعل قوله « نصفُ الظِّلِّ هَنَّا » .

والسَّوِىّ أكثر ما يجىء في آخره هاء التأنيث: السويّة ، قال الشاعر :

* أَلَا إنَّ السَّوِيَّةَ أن تُضَامُوا[1] *

ويجوز أن يريد بالسوِىّ المسوَّى ، كما جاء في الخبر : « لا تحلُّ الصَّدقةُ لغَنِىٍّ ، ولا لذى مِرَّةٍ سَوِىٍّ » .

٤ ـ دَعَوْتُ فَتًى أجابَ فَتًى دَعَاهُ بلَبَّيْهِ أَشَمَّ شَمَرْدَلِىّ

٥ ـ فقامَ يُصَارِعُ البُرْدَيْنِ لَدْناً يَقُوتُ العَيْنَ من نَوْمٍ شَهِىّ

٦ ـ فقاموا يَرْحَلُون مُنَفَّهاتٍ كأنّ عُيُونَها نُزَحُ الرَّكِىّ

قوله « دعوت » جواب لما من قوله « فلما صار نصفُ الظّلّ » ، وهو العامل فيه ، لكونه عَلَماً للظرف . وقوله « أجابَ فَتًى دَعَاهُ » يريد أجابنى ، لأنّه هو الداعى له . وقوله « بلَبّيْهِ » أراد أجاب بالتَّلبية ، أضاف لَبَّىْ إلى ضمير المجيب ، وحكى ما لُفظ به . ولَبَّيْك ، من قولهم : أَلَبَّ بالمكان ، إذا أقام به ، وهذه اللفظة مثنًّى ، والتَّثنية فيها إيذانٌ بأنَّ المراد إلبابٌ بعد إلباب ، لأنّ قد تفيد التكثير ، فكأنّ المراد : دوامٌ على طاعتك[2] ، وإقامةٌ عليها مرّةً بعد أخرى . قال سيبويه : انتصابُه على المصدر كانتصاب سبحان الله ، ولا ينصرف كما لا ينصرف سبحان . وقال يونس : إنّه واحدٌ غيرُ مثنًّى ، والياء فيه كالياء في عليك ولديك ، وأنشد الخليل وسيبويه عن العرب ، قول القائل[3] :

(١) للبراء بن عازب الضبي ، كما في اللسان (سوا) . وصدره :
* أتسألني السوية وسط زيد *

(٢) في النسختين : « طلعتك » ، تحريف .

(٣) غير معروف . والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل . انظر سيبويه (١ : ٢٧٦) والخزانة (١ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

* فلبَّى فلبَّيْ يَدَىْ مِسْوَرِ (١) *

وموضع الحجّة أنه لو كان كَلَدَى وعَلَى لكان يجىء بالألف إذا أضيف إلى الظّاهر ، كما تقول لَدَى زَيْدٍ وعلى عمرو ، والشّاعر قال : لَبَّيْ يدَىْ .

وقوله « أشمَّ » فى موضع الجر على أن يكون بدلاً من الضّمير المتّصل بلبَّيْه .

وأصل الشَّمَم الطُّول فى الأنف ، لكنّه جعل لفظة أشمّ كناية عن الكريم .

والشَّمردل : الطويل . وزاد ياءَ النِّسبة فى آخره توكيداً للوصفية ، فهو كقول رُؤْبة :

أَطَرَباً وأنتَ قِنَّسْرِىُّ والدَّهرُ بالإنسانِ دَوَّارِىُّ

يريد قِنَّسْرًا ودَوَّارا ، فزاد الياء لمثل ذلك .

ومراد الشاعر : لمّا اقسَم الظّلُّ هذا الانقسام ، وخفّ احتدامُ الوقت واشتدّ أمرُ الحرِّ على مُواصلِ السَّير والسُّرَى ، دعوتُ فتًى أجابَنى بلبَّيك ، كريمٍ مَديدِ القامة ، تامِّ الخلقة ، فقام ولِما لحِقَه من التّعب والكلال وترْك النَّوم يَتمايَلُ ، فكأنَّه يصارع بُرْدَيْه . وهو ليِّن الأعطاف ، يهتزُّ اهتزاز الرمح اللَّدْن ، وهو يَنفِى عن عينه نوماً لذيذاً تمكَّنَ [منها(٢)] ، فهو لها قوتٌ وقوام [وينفضها منه شيئاً بعد شىء . وإنما قال ذلك لأنّه لم يكن استوفى من الرّاحة والنوم ما يكتفِى ويتماسك له (٢)] إذ كان هيَّجَه وبعثه للارتحال قبلَ ذلك .

وقوله « وقاموا (٣) يَرحَلون » يريد : قامَ هو وأصحابه يرحلون رواحلَ لهم قد أسقطَها واستَنْفَدَ قُواها السَّير المتصل الحثيث ، فهى غائرةُ العيون ، ساقطةُ القوَى ، قد دخلت مُقَلُها فى أقفائها ، فكأنّ عيونَها آبارٌ نُزِحَتْ مِياهُها .

ويقال : نَفِهَتْ نَفْسُه ونفَّهْتُها أنا . والنُّزُح : جمع نَزِيح .

(١) صدره : * دعوت لما نابنى مسوراً *

(٢) التكملة من ل .

(٣) كذا فى النسختين . وهو فى المتن « فقاموا » بالفاء .

٨٢٢

آخر (١) :

١ – ولقدْ هَدَيتُ الرَّكْبَ فى دَيْمُومَةٍ فِيها الدَّلِيـــلُ يَعَضُّ بالخَمْسِ

٢ – مُسْتَعْجِلِينَ إلى رَكِيٍّ آجِنٍ هَيْهـــاتَ عَهْدُ المــاءِ بالإنْسِ

يريد أنّه يتعسّف البلادَ ، ويركبُها بأصحابه ، وهو هاديهم ، وأنّه وَرَّادٌ للمياهِ التى انقطَعَ النّاسُ عنها فلا يَرِدُها إلّا السِّباعُ والطَّير . ولاخلافَ بينهم أنّ القَطا أهدَى الطّير ، وأنّ الذئبَ أهدَى السِّباع ، وهما السابقان إلى المياه؛ لذلك وصفَهُما الشُّعراء وضربوا الأمثالَ بهما . والرَّكْبُ : رُكْبان الإبل . والدَّيْمُومَة : المَفازة ، واشتقاقه من دَمَّهُ ، أى أهلَكه ، وهو يجرى مجرى مَهْلَكَةٍ ومَفازةٍ ، والياء فيه زائدة . وقوله « يَعَضُّ بالخمس » ، يقال عَضَّ كذا ، وعضَّ على كذا ، وعضَّ بكذا ، قال :

* فعَضَّ بإبهامِ اليمينِ ندامةً *

وقال غيرُه :

* عَضَّ على شِبْدِعِهِ الأريبُ (٢) *

وفى القرآن : ﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنامِلَ مِنَ الغَيْظِ ﴾ . وإنّما جعل الدَّليلَ يفعلُ ذلك لخوفه الهلاكَ والضَّلالَ على نفسِه ومَنْ مَعَه . ويريد بالخَمْس ، الأصابعَ ، وهى مؤنَّثة ، لذلك قيل : السَّبَّابة ، والدَّعَّاءة ، والوُسْطَى .

وقوله « مُستعجِلينَ إلى رَكِيٍّ آجنٍ » ، أراد مُبادِرِينَ إلى بئرٍ متغيِّرة

(١) التبريزى : « وقال رجل من بنى بكر » .

(٢) الشبدع بكسر الشين وكسر الدال أو فتحها : اللسان . وبعده فى (المداخل) لغلام ثعلب :
* فظل لا يلحى ولا يحوب *

الماء، فلمَّا وَردُوها بعيدةَ العهدِ بالإنسِ، لأنّ المفازةَ التى يَقصِدُها بالوصف كانت غيرَ مسلوكةٍ لهم إلّا فى النادر، وإنّما يَرِد الماء بها الطّير والوحش. وارتفع «عَهْدُ الماء» بقوله هيهات، وهو اسم لِبُعْد. والمراد رَكِىٌّ متغيِّرٌ بَعُدَ عَهْدُ مائه بالإنس. وقد رُوى عَهدُ الماء بالأمس» ويكون على هذا عهد الماء مرتفعاً بالابتداء، وبالأمس خبره: وأتى بلفظة «هيهاتَ» على طريق الاستبعاد، كأنّه قال: إلى رَكِىٍّ آجنٍ بَعُدَ المطلوبُ والمبتغَى. ثم قال «عهدُ الماء بالأمس»، أى كان الماء فى وقتٍ متقادمٍ. والرواية الأولَى أصحُّ وأجْوَد وأحسن. وفى طريقته قولُ الشَّمّاخ:

وماءٍ قَدْ وَرَدْتُ لوَصْلِ أَرْوَى ... عليهِ الطَّيرُ كالوَرَقِ اللَّجينِ

ذَعَرْتُ به القَطَا ونَفَيْتُ عنهُ ... مَقامَ الذِّئب كالرَّجُلِ اللَّعينِ

وقال ذو الرُّمَّة:

وماءٍ بعيدِ العَهْدِ بالنَّاس آجنٍ ... كأنَّ الدَّبَا ماء الغَضَا فيه يَبصُقُ

وَرَدْتُ اعتسافاً والثُّريّا كأنّها ... على قِمَّةِ الرَّأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ

٣ ـ مستَعجِلينَ، فَمُشْتَوٍ ومُعالِجٌ ... نَقَباً بخُفٍّ جُلالةٍ عَنْسِ

٤ ـ ومُهوِّمٍ رَكِبَ الشِّمالَ كأنّما ... بفُؤاده عَرَضٌ مِنَ المَسِّ

أعاد لفظ «مستعجلين» تأكيداً، والأول منهما حال للرَّكْب. وقوله «فمُشْتَوٍ» مبتدأ وخبره مضمر. كأنّه قال على الاستئناف: فمنهم مشتوٍ ومنهم معالِجٌ نَقَباً، ومنهم مُهوِّمٌ. وذِكْرُه للمشتوى وغيره لِيُرِىَ ضِيقَ الوقت، وأن آرَاءهم لم تُقضَ فيه عند نزولهم: من الأكل وإصلاح عوارِضِ السفر(١)، إلى سائرِ ما أحاط التَّعدادُ به ودلّ عليه، فإنّه أزعَجَهم وهيَّجهم للارتحال. والنَّقَب: الحَفَى. والجُلالة: النّاقة العظيمة الجسم. وَالعَنْسُ: الصُّلْبة.

(١) ل: «عارض السفر». فلعلها «عوارض».

وقوله « ومُهوِّم » أراد : وربَّ رجلٍ نائمٍ لمَّا نبَّهه رَكِبَ شِمالَه لغَلَبةِ النوم عليه ، وكأنما بقلبه عَرَضٌ من الجنون . والمراد بقوله « رَكِب الشِّمال » أنه أخطأ في القَصْد . من قولهم ركِب شُؤمَه (١) وركب الشِّقَّ الأشْأَم ، للعادل عن سَواء السبيل ، والمنهزِم والمخطِيء . ويجوز أن يريد بقوله : « ركب الشمال » شِمالَ نفسه والراكب إذا لم يَزِغْ من شَرْطِه أن يركبَ من يمينِ نفسه وشِمالِ مركوبه ، ومتى ركب من شِمال نفسه ويمين مركوبه كان معكوسَ الرُّكوب . ويجوز أن يريد : ركِب الشمال مرّةً واليمينَ أخرى ، فاكتفى بذِكر أحدِها . والمعنى : لا يُبالى على أيِّ جنبيه سقَط ، لغَلَبة النُّعاسِ عليه .

وفي هذه الطريقة قولُ لبيد :

قَلمـــا عَرَّسَ حتى هيَّجتْهُ ... بالتباشيرِ من الصبـح الأُوَلْ

يَلمُسُ الأحـــلاسَ في مَنزِله ... بيــــديه كاليهوديِّ المُصَلّْ

يَتمارَى في الذى قُلتُ له ... ولقد يَسْمَعُ قولى حيَّ هَل

٨٢٣

آخر :

١ ـ وهُنَّ مُناخاتٌ يحاذِرْنَ قَوْلَةً ... من القوم أنْ شُدُّوا فَتُودَ الرَّكائبِ

٢ ـ تَكادُ إذا قمنا يُطِيرُ قلوبَها ... تَسرْبُلنا ولَوْثُنا بالعَصـــائبِ

قوله « هُنَّ مُناخات » ، يريد الإبل . و « يحاذرن » في موضـع الصِّفة أي خائفةٌ محاذرة . وقوله « من القوم » اتصل بقولةً . و « أن شُدُّوا » في موضع المفعول لقولة . وأنْ مخففةٌ من الثّقيلة واسمهُ مضمر . والمراد أنّ الأمر والشأن

(١) ل . « شؤما » .

شُدُّوا فَـتودَ ركائبكم . و « شُدُّوا » بما بعدَه فى موضع الخبر . ويريد أنّ مطاياهم وهى مناخة فى ركائبها خائفات قولَ مُنادى القوم تهيّئوا للانفصال وشُدُّوا على رواحلكم الرِّحال .

ثم قال « تكادُ إذا قمنا يُطِيرُ قلوبَها » أى قلوبَ الإبل ، أى إنها لما استشعرتْ من هَول السَّير ولما تخوَّنَها وأثَّر فى قُواها من الكلال والتَّعب ، إذا رأتنا نتسربلُ ونَلُفُّ عمائمنا على رءوسنا ، تكاد تطيرُ قلوبُها انزعاجا وخوفا ، لعلمها بما تُكابدُه وتعانيه .

٨٢٤

آخر :

١ – حُبِسنَ فى قُرْحَ وفى داراتِها
٢ – سَبْعَ لَيالٍ غَيْرَ معلوفاتِها
٣ – حتى إذا قَضَّيْتُ من بَتاتِها
٤ – وما تُقَضِّى النَّفْسُ من حاجاتِها
٥ – حَمَّلتُ أثقالِي مُصَمِّماتِها
٦ – غُلْبَ الذَّفارَى وعَفَرْنَيَاتِها

قُرْح : موضع[1] . ويريد بالداراتِ الرَّمل . ودارات العرب نيِّف وعشرون ، قد ذكرناها فى موضعٍ آخر . وانتصب « سبع ليال » على الظَّرف . و « غير معلوفاتها » فى موضع الحال ، والمراد : غير معلوفاتٍ فيها ، لكنَّه قدَّر

١) هو سوق وادى القرى ، كما فى معجم البلدان .

الظَّرف تقديرَ المفعول الصحيح ، وحذَف فى . والبَتات : المَتَاع . والمصمِّمات هى التى لا تَرْغو . والغُلْبُ : الغِلاظ الأعناق . والذَّفارَى : جمع الذِّفْرَى ، وهى الحَيْد النَّاتىء عن يمين النُّقْرَة وشمالها . والعَفَرْنيَات : الصُّلبة السريعة ، والواحدة عَفَرْناة . فيقول : حُبِست هذه الإبلُ فى هذا الموضع ، وفى داراتِ رمالها ليالىَ سبعاً غيرَ مستوفيةٍ من عَلَفِها حظوظَها وكِفايتَها ، حتى إذا أَصلَحْتُ أحوالَها ، وفَرَغْتُ من قضاء حاجاتِ نفسى فيها وفى غيرها ، من رفيقٍ وصاحب ، حمَّلتُ أثقالى صابراتِها فى السَّير ، وهى التى لا تَرغو ولا تَشكو ، وقد غلُظَت أعناقُها ، وعادتُها أن تخِفَّ فى السَّير وتُسرع .

والبَتاتُ : المَتَاع . والبِتات ، بكسر الباء : جمع البَتِّ ، وهو الكساء . وانعطف «وما تُقضِّى النَّفسُ» على بتات ، يريد : وما تقضِّيه النَّفْسُ من مُهِمَّاتها .

وقوله « حَمَّلْتُ أثقالى » جواب إذا ، والمصمِّمات : الصَّابرات على السَّير الماضياتُ ، وهى لا تَرغو .

وغُلْبَ الذَّفارَى ، انتصبَ على البذل من مصمِّماتها .

٧ — فانْصَلَتَتْ تَعْجَبُ لانْصِلَاتها
٨ — كأنَّما أَعْنَاقُ سامياتِها
٩ — بَيْنَ قَرَوْرَى وَمَرَوْرَياتها
١٠ — قِسِيُّ نَبْعٍ رُدَّ مِن سِيَاتِها
١١ — كيفَ تَرَى مَرَّ طِلَاحِيَّاتِها
١٢ — وَالْحَمَضِيَّات على عِلَّاتها[1]

(١) الحمضيات تقال بفتح الميم كما هنا . وتقال أيضاً بإسكانها كما فى اللسان (حمض ٤٠٩) .

١٣ — يَبِتْنَ يَنقُلْنَ بأَجْهِزَاتِها

١٤ — والحَادِيَ اللاغِبَ من حدَاتِها

قوله « فانصلتت » أى مضت جادَّةً حتَّى تعجب لمُضِيِّها ، وكأَنَّ أعناقَ اللاَّتِى تسمُو بأثْنِيها ، وترفع وسَها ، وتمدُّ فى المَسِير أضباعَها ، بين هذه المواضع ِ قَرَوْرَى وما حولَها ، من الأرَضين التى لا نبات فيها ، فى طُولِها وتجرُّدها — قسىٌّ نَبْعِيَّةٌ رُدَّ ما عُطِف من أطرافها .

ثم قال : « كيف ترَى مَرَّ طُلاحيَّاتِها » على طريق التعجُّب منها ، والإعجاب بها . وطِلَاحٌ بكسر الحاء : جمع طَلْحَة ، ويقال إبل طِلاحِيَّةٌ ، إذا ألفَتْ الطَّلْح وأكَلَتْهُ ، وقياسُه إذا كسَرتَ الطَّاء طِلْحيَّة ، لأنَّ الجمع يُرَدُّ إلى واحِدِه ، وهو صِفةٌ فى النَّسب . قال الفرَّاء فى طُلاحِيٍّ إذا نُسِب إلى الطَّلْح : هو بمنزلة أُذانِيٍّ و[رُؤاسيٍّ ، و(١)] أُنافيٍّ ، وإنَّما هذه النسبة تكون للأعضاء ، فشُبِّه طُلَاحِيٌّ به إذْ كان ملازماً له ، فصار كأنَّه منه . وقال غيره : قيل طُلَاحِيٌّ كما قيل نُباطِيٌّ ، وهو منسوب إلى النَّبَط ، وكيفما كان فإنَّه لم يجئْ على القياس الأكْثر ، وما هو الأصل . وقال الكسائىّ : إذا اشتكت الإبلُ بطونَها عن أكل الأراك قيل : إبلٌ أَرَاكَى ، وإن كان من الطَّلْح قيل طَلَاحى بفتح الحاء مقصوراً .

وقوله « والحَمَضِيّات » ، أراد ومَرَّ الحَمَضِيّات على ذِلّاتِها ، أى على ما يعترض لها من الأسباب الباعثة والمانعة ، والأحوال المهيِّجة والمبطِّئة . وحرَّك الميم من الحَمَضيات لأنَّ هذا ممّا غُيِّر فى النَّسب(٢) . وقال أبو العبَّاس المبرد : يقال حَمْضٌ وحَمَض ، وإذا صحَّ هذا فقد جاء على وجهه .

وقوله « يبِتْنَ يَنقُلْن بأجهزاتها » أى ينقُلْن أجهزاتها ، فزاد الباء تأكيداً ،

(١) التكملة من ل .   (٢) انظر ما سبق فى حواشى الصفحة السابقة .

وهو جَمْع الجمع ، يقال جَهَازٌ وأجهزة وأَجْهِزات ، وهى الأَمتعة .

وقوله « والحادىَ اللاَّغبَ » عَطَف الحادىَ على موضع « بأجهزاتِها » ، أى ويَنْقلن الحادىَ والمُعْيِىَ لدوامِ حُدائها . ويُروى « بالغَضَويَّات » ، وهى التى تَرْعَى الغضا . قال :

فَمَا وَجْدُ مِلْيَاعِ الهَوَى غَضَوِيةٍ بِلَوْذِ الشَّرَى فى غلةٍ وهُيَامِ

٨٢٥

وقال حَكِيم بنُ قَبِيصة[1] :

١ ـ لَعَمْرُ أَبِى بِشْرٍ لَقَدْ خانَهُ بِشْرُ على سَاعَةٍ فيها إلى صَاحِبٍ فَقْرُ

٢ ـ فماجَنَّةُ الفِرْدَوْسِ هاجَرْتَ تَبْتَغِى ولكنْ دَعاكَ الخُبْزُ أَحسِبُ والتَّمْرُ

ذكر المدائنىُّ (فى كتاب العَقَقَة[2]) ، أنَّ هذا الشِّعر لحكيم بن ضِرارٍ الضَّبِّى ، قاله لابنِهِ وكان غزا وترَكَ أباه وذكر غيرُه أنه حكيم بن قَبِيصة ، وأنَّ ابنَه كان فارقَه مهاجراً البَدْوَ إلى الأمصار . يقول : وبقاء أبى بِشر ـ يعنى نفسه ـ لقد خانَه بشر ، يعنى ابنَه ، فى وقتٍ كان يشتدُّ فقرُه إليه . يشير إلى أوانِ كَبْرَتِهِ وضَعْفِهِ ، وتعليقِهِ الرَّجاء بالانتفاع به وتحمُّلِهِ أعباءَ المُؤَن عنه فى ظَعْنه وإقامته . فقوله « على ساعة » فى موضع الحال ، وتعلّق عَلَى بفعل مضمَر ، كأنه قال : مُشْرِفًا على وقتٍ هكذا . وقوله « إلى صاحب » فى موضع النَّصب على الصفة المتقدِّمة ، لأنَّ المراد : فيها فقر إلى صاحبٍ ، وصِفَة النَّكرة إذا قُدِّمت عليه صارت حالا . على هذا قولُه[3] :

* لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ[4] *

(١) التبريزى : « وقال حكيم بن قبيصة بن ضرار لابنه بشر وقد هاجر » .

(٢) جمع عاق ، وهو الذى يعق والديه .

(٣) هو كثير عزة ، كما سبق فى حواشى ١٦٦٤ .

(٤) عجزه : * كأن رسومها الخلل *

وقوله « فما جَنَّةَ الفِردوس » جنةَ انتصبَ على أنّه مفعول تبتغى ، وتبتغى فى موضع الحال ، والتقدير : ما هاجرتَ مبتغياً جنّةَ الفِردوس . ووجّه هذا الكلامَ نحو الابن مُعيِّرًا . يريد أنَّ الذى دعاكَ إلى الهِجْرة (١) نَهْمَةُ بَطنِك ، ورَغْبتُك فى أطعمة الحَضَر ، لا الدِّينُ وطلَبُ الآخرة ، إذْ كان ذلك يَفرِضُ عليك طاعةَ أبويك ، وطلبَ رضاها . وقوله « أحسِب » قد حُذف فيه مفعولاه ، فهو كقول الآخر (٢) :

* ترَى حُبَّهم عارًا علَىَّ وتَحْسِبُ (٣) *

وفى الكلام مع التَّعيير تقريعٌ وتهكُّمٌ وسُخْرِىٌّ .

٣ ـ أَقُرْصٌ تُصَلِّى ظهرَهُ نَبَطِيَّةٌ بتَنُّورِها حَتَّى يطيرَ له قِشْرُ

٤ ـ أَحَبُّ إليْكَ أَمْ لِقاحٌ كثيرةٌ مُعَطَّفَةٌ فيها الجَلِيلةُ والبَكْرُ

هذا الاستفهامُ أتى به على طريق التَّبْكيت ، وأُيرِيه الخطأَ فيما اختاره من الحَضَر على البَدْو ، ومن تَرْكِ والدِه والعصيانِ له أشدَّ ما كان حاجةً إليه . فقال : أقُرصٌ تُنضِجه فى التَّنُّور امرأةٌ خبّازة نَبَطية حتَّى يصيرَ له قُرَافةٌ تتقشر عنه ، أحبُّ إليكَ أم نُوقٌ حواملُ كثيرة قد عُطفَتْ على أولادها ، وفيها الجَلالة الكبيرة والأفتاء القويّة . يريد أنَّ فِعلَه فعلُ مَن لا يَفرُق بين هاتين الخَصْلتين ، ولا يميِّز الرُّجحان فى أىِّ جانبيهما يكون فيختاره . ويقال : صَلَيْتُ الشواءَ ، إذا شويتَه . وأصليتهُ وصلَّيته ، إذا ألقيته فى النَّار . ويقال أيضاً صلَّى عصاهُ ، إذا أدارَها على النَّار ، فهو مثلُ أكرمْته وكرَّمْته ، وأفرحته وفرَّحته . وفى القرآن : ﴿ إلا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ ﴾ . ويقال : تصلَّيتُ حرَّ النار واصطليته .

(١) ل : « المهاجرة » .
(٢) هو الكميت بن زيد الأسدى . الهاشميات ٣٨ .
(٣) صدره : بأى كتاب أم بأية سنة *

٥ ـ كأنَّ أداوَى بالمدينة عُلِّقَتْ مِلاءً بأحقِيها إذا طلع الفَجْرُ(١)
٦ ـ كأنَّ قُرَى نَملٍ على سَرَوَاتِها يُلَبِّدُها فى لَيْلٍ سارِية قَطْرُ

استمرَّ فى وصف اللِّقاح ، لأنَّ تفخيمَ أمرها يزيد فى بيان الخطإ فيما اختاره . وشبَّهَ ضُروعُها بمَزَادٍ مملوءِ . والأحْقِى : جمع حَقْوٍ ، وهو من الإنسان مَعْقد الإزار من كلِّ ناحية ، ومن غيره مما يُحْلَبُ مواضع الضروع . والمعنى أنَّها بالغُدُوَات وقد حَفَلَتْ من اللَّيل ، كأنَّما عُلِّقَتْ بمواضع ضُروعها أَداوَى مملوءة ماءً . وانتصب « مِلاءً » على الحال .

وقوله « كأنَّ قُرَى نَملٍ عَلَى سرَوَاتِها » يشبهُ قولُ الآخرِ :

إلى سراةٍ مثلِ بيتِ النَّمْلِ غَنِيَّة مِنْ وَبَرٍ وَخَمْلِ

والسَّرَوَات : الأعالى . وقَرية النَّمل ربَّما تُرَى كأعظم جُثْوَةٍ ، ولذلك شبَّهَ ارتفاعَ أسنمتِها وكثرةَ اللَّحم والشَّحم عليها بها . ومعنى يلبِّدُها يصلِّبها . والسَّارية : السَّحابة تسرِى ليلاً .

٨٢٦

وقال واقِدُ بن الغِطْريف (٢)

وكان مريضاً فحُمِىَ الماءَ واللَّبَنَ :

١ ـ يَقُولُونَ لا تَشْرَبْ نَسِيئاً فإنَّهُ وإنْ كُنْتُ حَرَّاناً عَلَيْكَ وَخِيمُ
٢ ـ لَئِنْ لَبَنُ المِعْزَى بماءِ مُوَيْسِلٍ بَغَانِىَ داءً إنَّنى لَسَقِيمُ

النَّسِىءُ : الرَّثيئة . والحَرَّان : الشَّديد العطش . وعليك من صفة وخيم ،

(١) هذا البيت فى ل متأخر عن تاليه .

(٢) التبريزى : « واقد بن الغطريف بن طريف بن مالك بن طىء » . ونسب فى معجم البلدان (٨ : ٢٠٣) إلى واقد بن الغطريف ، او زيادة بن بحدل الطريفى الطائى .

وقد قدَّمه فانتصب على الحال . ومُوَيسل : تصغير مأسَلٍ الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله :

* وجارتِها أمِّ الرَّباب بمأسَلِ (١) *

فيما أظنُّ . يريد : قال النَّاسُ وهم يَحْمونني الماءَ واللَّبن : لا تشربْهما وإن اشتدَّ حَمْىُ كَبِدِك ، وغليلُ جوفِك ، فإنَّه يثقُل عليك ، ويزيد فى ألمِك (٢) من العارض لك . فقلتُ مجيبًا لهم : إن كان اللبنُ ممزوجًا بماء هذه العَين يُورثني خبالًا ، ويَكسِبُني إتخامًا ، وهو غذائى ومِساكُ قوَّتى منذُ كنت ، إنَّنى لمتناهى السُّقْ والله . فأطلَق لفظة سقيم ، والمراد المبالغة ، وفَعيل من أبنيتها .

ومثل هذا ممَّا رُمى به هذا المَرمَى قَولُ الآخر (٣) ، وقد مرَّ فى باب النَّسيب :

لئن كان يُهْدَى بَرْدُ أنيابها العُلَى ... لِأَفْقَرَ منِّي إنَّنى لفقيرُ

فهذا بإزاء ذاك ، وهو على منهاجه . ومعنى « بَغانِيَ داءً » كَسبنى وأنزلَ بى وقوله « بماء مُوَيسلٍ » ، الباء أفادَ الجمع والاختلاط . ويقول : خذْ كذا بذا (٤) ، والمعنى مجموعًا إليه ومخلوطًا به .

٨٢٧

وقال حُنْذُج بن حنذج (٥) :

١ ـ فى لَيلِ صُولٍ تناهَى العَرضُ والطُّول ... كأنَّما ليلُهُ بالليلِ موْصولُ (٦)

٢ ـ لافارقَ الصُّبحُ كفِّى إنْ ظفِرتُ بهِ ... وإنْ بَدَتْ غُرَّةٌ منه وتَحْجيل

(١) صدره : * كدأبك من أم الحويرث قبلها *

(٢) ل : « تألمك » .

(٣) هو عبد الله بن الدمينة ، كما سبق فى حواشى ١٣٠٥ .

(٤) فى النسختين : « كذا وبكذا » ، صوابه عند التبريزى .

(٥) التبريزى : « حنذج بن حنذج المرى . الحنذج : الكثيب اصغر من النقا » .

(٦) الأبيات أنشدها ياقوت فى رسم (صول) .

٣ ـ لساهرٍ طالَ فى صُولٍ تَململُهُ كأنَّه حَيَّةٌ بالسَّوْطِ مَقتولُ

جعل اللَّيلَ كالمُجسَّمات حتَّى صار ذا طُول وعَرْض عنده . وقال : « تناهى العَرض والطُّولُ » لأنَّه قد عَلِم أنَّهما يَّيل ، كما أنَّك تقول : زيد حسَنُ الوجهِ ، لأنَّه عُلِم أنه لم يُرَدْ إلّا وجهه . والمعنى أنّ فى ليلِ هذا المكان بلغ الطول والعَرْض نهايتهما وغايتهما ، حتى وقفا لا مستزاد فيهما ، فكأنَّما ليلُ صولٍ(١) موصولٌ بجنسهِ كلِّه ، فليس ينقطِعُ ولا ينكشف .

وقد قال أبو تمامٍ الطائىُّ مستطيلًا ليوم :

* بيومٍ كطُولِ الدَّهرِ فى عَرْض مثله(٢) *

ومن كلام الناس : عِشْنا زَمَنًا طويلا عريضًا ، والدَّهرَ الطَّويلَ العريض . وكلُّ ذلك تشبيهٌ بالأجسام . وعلى ما فسَّرناه يتعلَّق الجارّ من قوله : فى ليل صُولٍ يتنَاهَى(٣) . وقد استُعمِل العَرض منفرداً عن الطُّول والمراد به السعة ؛ على ذلك قولُه تعالى : ﴿ فَذُو دُعاءٍ عَرِيض ﴾ ، وقولُه عز وجلّ : ﴿ وَجنةٍ عرْضُها السمَّوَاتُ والأرْضُ ﴾ .

وقوله : « لا فارق الصُّبح كفِّى » ، يجوز أن يكون دعاءً ، يريد : أن ظفِرتُ بالصُّبح فلا فرَّق الله بينى وبينه ، كما يقال : لا بارك الله فى الكفّار ، ويجوز أن يكون إخبارًا . والمعنى أنَّه يتشبَّث به فلا يُخلِّيه للزَّوال . وهذا على التَّشوُّق له والتَّبرُّم بليله . واللَّيل فى الاستعمال بإزاء النهار على الإطلاق ، واللَّيلة بإزاء اليوم . وهذا يدُلّ على أنه يَقصِد إلى ليلةٍ واحدة ، وإنما أراد : اللَّيلُ فى صُولٍ هكذا علَىّ .

وقوله « إنْ بَدَتْ غُرَّةٌ منه وتحجيل » ، يريد تباشيرَه ممتزجةً بالظلام .

(١) صول ، قال ياقوت : مدينة فى بلاد الخزر فى نواحى باب الأبواب .
(٢) صدر بيت له فى ديوانه ٢٤٤ . وعجزه : * ووجدى من هذا وهذاك أطول *
(٣) فى الأصل : « يتعلق الجار من صول تناهى » ، صوابه من ل .

كأنّه جرَى على عادة النّاس فى قولهم المتشوِّف المتوقِّع : إن ظفِرتُ . زيدٍ أو رأيتُ وجهَه فعلتُ كذا ، والمراد إظهار الفاقةِ إليه وشدّةِ التشوُّف له ، وطولِ الملازمة له إذا ظَفِر به . والغُرّةُ والتّحجيل معروفان . وقد قيل : صُبْحٌ أَقْرَحُ ، مأخوذ من القُرحة ، لأنه بياضٌ فى سواد . وقوله : « لساهر » ، اللام تعلّق بقوله « وإنْ بَدَتْ » . ويعنى بالساهر نفسه ، كما أراد بذكر الغُرّة والتّحجيل نَفسَ الصبح . والتّململ : القلق والانزعاج . وإنما تَقَلْقَلَ على فِراشه لأرَقه واستطالته لِلّيل ، ثمّ شبّه نفسه فى التوائه واضطرابه بحيّةٍ قُتِل بالسَّوْطِ فطال اضطرابُه لطول ذَمائه .

٤ ـ مَتَى أرَى الصُّبْحَ قَدْ لاحَتْ مَخايِلُهُ والَّليلُ قد مُزِّقت عنهُ السّرابيلُ

٥ ـ لَيلٌ تَحيّرَ ما يَنحَطُّ فى جِهَةٍ كأنّه فَوقَ مَتْنِ الأرضِ مَشكُولُ

٦ ـ نُجُومه رُكّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كأنّما هُنَّ فى الجَوّ القَنادِيلُ

قوله « متَى أرى الصُّبحَ » لفظه استفهام ومعناه التّمنِّى والتّطلُّع ، واستبعاد المنتظَر المترقَّب . ومَخايِلُه : ما يَتَبيّن به دُنُوّه . كأنّه (١) أظهَرَ ماعليه النّفسُ من ضَجَره باللّيل واستراحته للصُّبح . ولك أن تروى « واللّيلَ » بالنّصب ، ويكون مردوداً على الصُّبح وداخلاً تحت مَتَى أرى . ولك أن تروى «واللّيلُ» بالرفع ويكون الواو للحال ، ويرتفع الّليل بالابتداء . و « قد مُزِّقت » فى موضع الخبر ، ويعنِى بالسّرابيل الظّلام .

ثمّ جعَلَ الّليلَ لامتداده واتّصال دوامِه كالمتحيِّر الواقفِ كواكبُه عن المَسير ، القائم على خدٍّ لا يزول عنه [ولا يَحُول (٢)] ، ولا يجنَح ولا يَميل .

(١) هذ ما فى ل . وفى الأصل : « كما أنه » .
(٢) التكملة من ل .

والمَشكول : المقيَّدُ . وهذا المعنى هو الذى يَؤُمُّه امرؤ القيس فى قوله :

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِهَا بأمْراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

وشبَّه النجوم فى إضاءتها بالقناديل ، وإنَّما يعلو ضوء الكواكب ويَزْهَر عند تَراكُمِ الظّلام واستحكامه . والرُّكّد : جمع الرّاكد . وجعلَ الكواكب فى الجوِّ لأنّه توهَّمَها كالقناديل المعلّقة .

٧ ـ ما أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُدْنِى عَلَى شَحَطٍ مَنْ دَارُهُ الحَزْنُ مِمَّنْ دَارُه صُولُ

٨ ـ اللهُ يَطْوِى بَسَاطَ الأَرْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُرَى الرَّبْعُ مِنْه مَأْهُولُ

قوله « ما أقدر الله » لفظُه تعجُّبٌ ومعناه الطَّلبُ والتَّمنِّى . وكان الواجبُ أن يقول : ما أقدرَ اللهَ على أن يُدْنِىَ ، فحذَف الجار ، ومثل هذا الحذفِ يكثُر مع أنْ لطولِه بصِلَته . والشَّحْطُ : البُعْد ، شَحَط شَحطاً وشُحُوطا . قال :

* والشَّحْطُ قَطَّاعٌ رَجَاءَ مَنْ رَجَا[1] *

لكنّه حرّك الحاء . ويقال : منزلٌ شاحط وشحيط . وموضعُ « على شَحَطٍ » نصبٌ على الحال .

وقوله « الله يَطوِى بَساطَ الأرض بينهما » البَساط : الأرض الواسعة . وجعلَ الكلامَ لما يتمنَّاه ، ويَطلُب قُرْبَه ويتشهَّاه ، على أنَّه إخبارٌ عن الشَّىء وقد وقَع . وكلُّ ذلك تحقيقٌ لما يؤمِّله ويَسأله . وهذا كما يُجعل الدُّعاء على لفظ الخبر ، كأنَّه لقُوَّة الأملِ يَجعل المطلوبَ فى حُكمِ ما قد حصَل . وقوله « حتى يرى الرَّبع منه » ، يعنى الرَّبع بالحزْن ممَّن هو مقيمٌ بصُولٍ .

---

(١) للعجاج فى ديوانه ٨ . وقبله :

منزلا هيجن من تهيجا من آل ليلى قد عفون حججا

٨٢٨

وقال حُمَيْدٌ الأَرْقَط (١)

١ ــ قَدْ أَغتَدِى والصُّبْحُ مُحْمَرُّ الطُّرَرْ

٢ ــ واللَّيلُ يَحدُوهُ تَباشِيرُ السَّحَرْ

٣ ــ وفي تَوَالِيــــه نُجومٌ كالشَّرَرْ

٤ ــ بِسُحُقِ المَيْعَةِ مَيَّــــالِ العُذَرْ

الطُّرر : جمع الطُّرَّة ، وهى الناحية والحرف ، ومنه أطرار الوادى وفى المثل: « أَطِرِّى فإنك ناعلة » ، أى اركَبِى أطرارَ الطَّـريق . والبَغداديُّون يروونه : « أَظِرِّى » بالظاء معجمةً ، والمعنى اركبى الظُّرر ، وهى حجارة محدَّدة يصعب المشىُ عليها . فيقول : أَبتَــكِرُ ــ والصبح محمرٌّ الأرجاء والنَّواحى ، واللَّيلَ قد تجلَّى بما يَطرُده مقدَّماتُ السَّحَر وعلاماتُه ، وفى مآخيرِه ومَدارسِ آثاره من الظَّلام نُجومٌ تتوقَّدُ كأنَّها شَرَر النَّار ــ بفَرسٍ (٢) بعيدِ غَورِ النَّشاط ، يضطرب عُذَرَه على خَدَّيهِ وجَبْهته . والمَيْعة : النَّشاط . وجعَلَه سُحُقاً لاتِّصاله ودَوامِه . والسُّحْق : البُعْد . ونَخلةٌ سَحُوقٌ ، منه ، أى طويلةٌ . والعُذَر : والخُصَل من الشَّعَر والعُذَر أيضاً : علامةٌ تُعقَد فى ناصية الفَرَس السَّابق من العِهْن ، والواحدة

(١) شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كان معاصرا للحجاج وهو حميد بن مالك ابن ربعى بن مخاشن ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم . وسمى الأرقط لآثار كانت بوجهه . الخزانة (٢ : ٤٠٤) . وكان أحد بخلاء العرب الأربعة ، وهم الحطيئة ، و حميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلى ، وخالد بن صفوان . الأغانى (٢ : ٤٤) .

(٢) أى أبتكر بفرس . وقد سبق فى ص ٧ من التقديم الإشارة إلى طول الجمل التى يفصل بها المرزوقى بين أثناء الكلام .

عَذْرَةٌ . وقال الخليل : المَيْعَةُ : مَيْعـة الشَّباب والحُضر (١) أوَّلهما . وروى السُّـكَّرىّ : « بِـشُعل المَيْعَة » وهو من إشعال النَّار والقصب (٢) .

٥ ـ كأنَّه يومَ الرِّهانِ المُحْتَضَرْ
٦ ـ وقَدْ بَدَا أوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَـظَرْ
٧ ـ دُونَ أثابِىَّ من الخَيْلِ زُمَرْ
٨ ـ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبانَ المَـطَرْ

قوله « كأنَّه يومَ الرِّهان » ، يريد : كأنَّ هذا الفرسَ يومَ السِّباق وقد حَضَرَه النَّاسُ فصار يوماً مشهوداً . والمحتضَر : الذى يَحضره النَّاس . ويروى « يومَ الرِّهان المُبْتَدَر » . والأثابىُّ : الجماعات ، وليس لها واحد ، وقيل واحدها أُثْبِيَّة ، فعولة من الثُّبة ، وهى الجماعةُ الـكثيرة ؛ ومنه ثَبَّيْتُ الثناء ، إذا أكثرته . والمعنى : كأنَّه وقد جاءَ فى هذا اليومِ سابقاً وأوَّلَ طالعٍ يُنتَظَر دُون جماعاتٍ من الخيل [جاءت (٣)] زُمرةً بعد زُمرة ، صقرٌ قد ضَرِىَ بالصّيد ، ابتَـكَر وقد مُطِرَ اللَّيل ، فهو يَنْفُض صِغار القَطْر وكِبارَه عَنْ رِيشِهِ ، وهو شديد الإلحاح فى طلَب الصّيد بعد (٤) الانقضاضِ عليه (٥) .

(١) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه . فى الأصل : « والحضرة » صوابه فى ل . وفى اللسان : « وميعة الحضر والشباب والسكر والنهار وجرى الفرس : أوله وأنشطه » .
(٢) ل : « والغضب » .
(٣) التـكملة من ل .
(٤) ل : « بعيد » مع ضبط الباء بالفتح .
(٥) وصئبان ، قال التبريزى : « قال أبو العلاء : إذا روى بكسر الصاد فهو جمع صائب مثل حائط وحيطان . ويجوز أن يكون مصدراً مثل حرمان . وإذا قيل صيبان بالفتح فالمراد به ما صاب من المطر . وليس يمتنع ظهور الياء فيه لقولهم صاب يصوب ، لأن له نظائر ، منها ريحان من الروح ، وعيدان للنخل الطوال من العود . وقال غيره : شبه ما عليه من الرذاذ بالصئبان ، وهو جمع صؤاب » .

٩ ـ عَنْ زِفٍّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ المُنْكَدَرْ
١٠ ـ أَقْنَى يَظَلُّ طَيْرُهُ على حَذَرْ
١١ ـ يَلُذْنَ مِنْهُ تحتَ أفنانِ الشَّجَرْ
١٢ ـ مِنْ صادِقِ الوَقْعِ طَرُوحٍ بالبَصَرْ.(١)
١٣ ـ بَعِيدِ تَوْهِيمِ الوِقاعِ والنَّظَرْ
١٤ ـ كأنَّما عَيناهُ فى حَرْفَىْ حَجَرْ
١٥ ـ بَيْنَ مَآقٍ لم تُخَرَّقْ بالإبَرْ

قال الدُّرَيدىّ : الزِّفُّ صِغارُ الرِّيش كالزَّغَب، وقال قومٌ : لا يكون الزِّفُّ إلاَّ للنَّعام إلا على وجه التَّشبيه . والمِلحاح : بناء المبالَغة من ألَحَّ . أى يُلِحُّ فى الصَّيد على نَفْسه . ويجوز أن يكون من لَحَّتْ عينُه ولَحِحَتْ ؛ إذا التصقَتْ أجفانها بالرَّمَصِ ، كأنَّه يلتصِق بالصَّيد التصاقاً شديداً . ومن هذا قولهم : هو ابنُ عمِّى لَحًّا ، أى لاصقُ النَّسبِ . وقوله « بعيد المنكدَر » يقال : انكدَرَ ، وانصلَتَ ، وخاتَ ، وانقضَّ بمعنًى . وهذا كما قال الآخر(٢) :

ضارٍ يُضَرَّى بِطَرِىِّ اللَّحْمِ أكْدَرُ كالجُلْمُودِ يَوْمَ الرَّجْمِ
إذا تَقَضَّى من أعالِى النَّجْمِ ضَمَّ جناحَيهِ انخراطَ السَّهْمِ

وقوله « أقنَى » القَنَا يُستحَبُّ فى الصُّقورة والشَّواهين، وكذلك طولُ المُنسر، وقِصَر الذَّنَب ، وغُؤور العينَين ، وبُعْدُ ما بين المنكبين . وقال « تظَلُّ طيرُه على حَذَرْ » ، أراد ما عرَفَه من الطَّير أو رآه ، فلذلك أضافَ إليه . والمعنى

(١) التبريزى : « من صادق الودق » .
(٢) هو رؤبة . ديوانه ١٤١ .
(٣) فى الديوان : « اللجم » .

يَخافُه فيحذَره ، ويَلُوذ منه بغُصون الأشجار فيستخفى فيه ، وهو صادق الوَقْع ، أى لا يكذب فيه ، بعيدُ المطلب والنظَر ، شديدُ المواقَعة والبَغْت . ويقال طَرْفٌ مِطْرحٌ ، أى بعيدُ النَّظَر ، ورُمْحٌ مِطْرَحٌ ، أى طويل ، وفَحْلٌ مِطْرحٌ : بعيد موقعِ الماءِ فى الرَّحم .

ومثل قوله « يَلُذْنَ منه تحتَ أفنان الشجر » قولُ الآخر :

رأى أرنباً سَنَحتْ بالفضاء فبادَرَها ولَجاتِ الخَمَر[(١)]

وقوله « كأنَّما عيناه فى حَوْفَىْ حَجَرْ » ، أى فى جانِبَىْ حجرٍ ، يعنى رأسَه ، ونفسَه بين مآقٍ لم تَخَطْ ، أى لم يُصْطَد فكان فى التَّعليم تُخاط عيناه . والمآقى جمع مُؤْقٍ مثل مُعْقٍ ، وبعد القاف ياء زائدة ، فهو من الفعل فُعْلُوٌ ، نقلت إلى فُعْلٍ[(٢)] ، وفى هذه اللَّفظة لغاتٌ كثيرة ، وقد عمِلْتها مسألةً وشرحتُها .

تم الباب[(٣)] بحَمْدِ الله ومَنِّه[(٤)] وحُسن توفيقِه وعَوْنه ، والصَّلاة على خيرته من خلقه محمد وآله من بعده

---

(١) سبق عجزه فى ص ١٠٣ .
(٢) توضيحه ما ذكر فى اللسان أن أصله « مُؤْقُوٌ » بزيادة الواو للالحاق كعنصوة ، إلا أنها قلبت فى أدل » . وأدل : جمع دلو .
(٣) ل : « باب السير والنعاس » .
(٤) إلى هنا تنتهى خاتمة هذا الباب فى ل .

بَابُ المُلَحِ

باب الملح

٨٢٩

لبعضهم (١) :

١ ـ يقولُ لِيَ الأميرُ بغَيرِ نُصْحٍ   تَقَدَّمْ حينَ جَدَّ بنا المِرَاسُ (٢)

٢ ـ ومالِي إن أَطَعْتُكَ مِنْ حَياةٍ   ومالِي بعدَ هذا الرَّاسِ رَاسُ (٣)

ذكر أبو العبَّاس المبرِّد (٤) أنّ المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ قال يوماً وقد حَمِيتْ نائرة الحرْب بينه وبين الخوارج ، لأبي علقمةَ اليَحْمَدِيّ (٥) : أمدِدنا بخيل اليحمَد (٦) وقل لهم : أعيرُونا جماجِمَكم ساعةً . فقال : أيُّها الأمير ، إنّ جماجمَهم ليست بفَخّار فتُعار ، وأعناقَهم ليست بكُرّاثٍ فتَنْبُت (٦) ، وقال لحبيب (٧) كرَّ عَلَى القوم !! فقال : « يقول لى الأميرُ بغير نُصحٍ » .

وقوله « جَدَّ بنا المِرَاس » أي اشتدّ . والمِرَاس : المجاذَبة والمُدافَعة .

---

(١) التبريزى : « بغير جرم » . الكامل : « بغير علم . . . به المراس » .
(٢) هو حبيب بن أوس كما فى الكامل . وعند التبريزى أنه حبيب بن المهلب . وفى حبيب هذا يقول زياد الأعجم :

رماها حبيب بن المهلب رمية   فأثبتها بالسهم والسهم يغرب

الأغانى (١٤ : ١٠٠) . وقال التبريزى أيضاً : وقيل البيتان للأعور الشنى قالهما للمهلب ابن أبى صفرة .
(٣) فى الكامل : « العبدى » .
(٤) هم بطن من الأزد من القحطانية .
(٥) الكامل : « وليست أعناقهم كرادى فتنبت » . قال أبو الحسن الأخفش : « تقول العرب لأعذاق النخل كراد . وهو فاوسى أعرب » .
(٦) الكامل : « لحبيب بن أوس » .

٨٣٠

وقالت امرأة :

١ ـ فَقَدْتُ الشُّيوخَ وأَشياعَهُمْ وذَلك مِنْ بَعْض أقواليَهْ

٢ ـ تَرَى زَوْجَةَ الشَّيخِ مغمومةً وتُمسِى لِصُحْبَتِــــهِ قَالِيَهْ

٣ ـ فلا بَارَكَ اللهُ فى عَـــرْدِهِ ولا فى غُضُون استِهِ البالِيَهْ

٤ ـ وإنَّ دِمَشْق وفِتْــيانَهـا أحبُّ إلينـــا من الجاليَهْ (١)

٥ ـ نَكَحْتُ المدينىَّ إذْ جاءنى فيالَكِ من نَكْحَةٍ غاليــهْ

٦ ـ لَهُ ذَفَرٌ كَصُنَان التُّيوس أعيا على المِسْك والغَـــاليهْ

الكلامُ دعاءٌ على الشُّيوخ وإظهارُ القِلَى لصُحبتهم والسكون معهم . وأرادت بالأشياع مَنْ يرضى مُنا كحتَهم ، أو يتعصَّبُ لهم ، أو يَهْوَى هَوَاهم . وقولها « وذلك من بعض أقواليه » إيذانٌ منها بأنّ لها فى الشُّيوخ وذَمِّهم طرائقَ من القول ، وألوانا من الوَصف . وما أظهرَتْه جزءٌ من تلك الجملة . والعَرْدُ : القَرْج . وقال الخليل : هو الشَّديد المنتصب من كلِّ شيء ، ومنه وَتَرٌ عُرُد .

وقولها : « تَرَى زوجةَ الشَّيخ مغمومةً » بيانٌ للعِلّة فى الدُّعاء والذَّمِّ . والغُضون : جمع غَضَن ، وهو تكسُّر الجِلْد وتثنِّى فُضوله على الشَّيخ لبِلاه .

وقولها « وإنّ دِمَشْقَ » ، كانَ هواها ثَمَّ . وكان يجب أن تقول : أحبُّ إلينا من الجاليةِ وفِتْيانها ، فاكتفتْ بما ذكرتْ ، إذْ كان مرادُها مفهومًا .

---

(١) إلينا ، فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « إلى » .

وقولها « يا لكِ مِن نَــكهة غالية » لفظها لفظُ النِّداء، والمعنى التعجُّب. وإنّما قالت من نَــكْهة غالية، لتبيِّن أنّها مكروهة كما يُــكْرَه ما يُشترى بغَلاء. والذَّفَر: شدَّة النَّــتْن هنا، ويكون الطِّيبَ أيضاً. والدَّفَر، بالدال غير معجمة، لا يكون إلّا للنَّــتْن. والصُّنان: ريح الإبِط، ومنه الصِّنُّ: بَول الوَبْر (١). قال جرير:

* بِصِنِّ الوَبْر تَحْسِبُه المَلَابا (٢) *

وقولها: « أعْيَا على المسك » موضعه من الإعراب نصبٌ على الحال المضمَر في أعيا. ومفعول أعيا محذوفٌ، أى أعجز ذلك الذَّفَر ما يُستعمل من الطِّيب.

٨٣١

وقال آخر:

١ — مِن أيِّنا تَضْحكُ ذاتُ الحِجْلَيْنِ
٢ — أبْدَلَهــــا اللهُ بلَونٍ لَوْنَيْنِ
٣ — سَوَادَ وَجْهٍ وَبَيَاضَ عَيْــنَيْنِ

الحِجْل: الخلخال. وفى الــكلام هزؤٌ وإزراء، ثمَّ دَعا عليها بأن يغيِّر الله لونَها ويبدِّلها منه لونَين. وقال بعضهم « بلونٍ لونَين » هو كقولك بُدِّلَتْ بالشَّباب هَرَماً وضَعْفاً، وبالعِزِّ خضوعًا وقِلَّةَ ناصر. وشرحُ هذا أنه جعلَ

(١) الوبر، بسكون الباء: دويبة على قدر السنور. انظر الحيوان (٦: ٣٤٩، ٣٦٩).
(٢) صدره فى ديوان جرير ٧٣:
* تطلى وهى سيئة المعرى *

اللونَ منتظِماً للألوان ، ثمَّ أبدَل منها السوادَ والبياض. ويجوز أن يريد بقوله «بلون» لونَها المعروف ، أى أبدلَها مما خُلِقت عليه من لونٍ لونَين آخرَين ، ثمَّ فسَّرهما .

٨٣٢

آخر (١) :

١ - أعوذُ باللهِ من ليلٍ يقرِّبُنى إلى مُضاجِعةٍ كالدِّلْكِ بالمَسَدِ
٢ - لقد لَمستُ مُعرَّاها فما وقَعتْ مِمّا لمستُ يدِى إلاّ على وَتِدِ
٣ - فى كلِّ عُضْوٍ لها قَرْنٌ تَصُكُّ به جَنْبَ الضَّجيعِ فيُضْحِى وَاهِيَ الجسَدِ

الدلك : الغَمْز والفَرْك . يقال : دَلَكْتَ السُّنْبُل فانفرَكَ قِشرُه عن حَبِّه . والمَسَد : الحَبْل ، وأصله من الفتْل . ويقال : مَسدت الحبل مَسْداً ، والحبل ممسود ومَسَدٌ ، كما يُقال : نفضت الشيءَ نَفْضًا ، والشيءُ منفوضٌ ونَفَض . قال :

* ومَسَدٍ أُمِرَّ من أيانقٍ (٢) *

أى حبل فُتِل من جلود النُّوق . فأما قوله تعالى : ﴿ فى جيدِها حَبْلٌ مِن مَسَدٍ ﴾ . فقيل : المسَدُ : لِيفُ المُقْل . ولا يمتنع أن يكون اللِّيف مَسَدًا بما يؤول إليه من الفَتْل عند اتِّخاذ الحبل ، ثم استمرَّ الاستعمال به فقيل له المَسَدُ وإن لم يُمْسَد .

(١) التبريزى : « قال أبو الخندق الأسدى . وقيل إنه لدعبل » .

(٢) لعمارة بن طارق ، وقيل لعقبة الهجيمى . وقبله :

* فاعجل بغرب مثل غرب طارق *

انظر اللسان (مسد) .

قوله « لقد لمستُ مُعَرّاها » يريدُ مَسَحْتُ ظاهرَ بدنِها فما وقَعَتْ يَدِي مما مَسَحْتُهُ عَنْها إلّا على الأوتاد . يَصِفُها بالهُزال وتعرِّى العِظام عن اللَّحم ، حتّى صار لها حُجُومٌ فأشبَهَت الأوتاد . وقوله « في كلِّ عُضو لها قَرْنٌ » العِضْو والعُضْو لغتان ، والمراد بالقرن نُتوٌّ عِظامِها . والصَّكُّ : الدفع . يقال : صَكَّهُ ، إذا ضربَه بحجرٍ أو غيرِه . وصَكَّ البازِى صَيْدَهُ ، إذا ضَرَبَهُ بكفِّه يَحُطُّه ، قال :

إذا اجتمعُوا عَلَيَّ فَخَلِّ عنِّى وعَنْ بَازٍ يَصُكُّ حُبارَيَاتِ

٨٣٣

آخر (١) :

١ — وإذا مَرَرْتَ به مَرَرْتَ بقانِصٍ مُتَشَمِّسٍ في شَرْقَةٍ مَقْرُورِ
٢ — للقَمْلِ حَوْلَ أَبِى العَلاء مَصَارِعُ مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وبَيْنِ عَقِيرِ
٣ — وكأَنَّهنَّ لَدَى دُرُوزِ قَمِيصِه فَذٌّ وتَوْءَمُ سِمْسِمٍ مَقْشُورِ
٤ — ضَرِجِ الأَنامِلِ مِنْ دِمَاءِ قَتِيلِها حَنِقٍ على أُخْرَى العَدُوِّ مُغِيرِ

تَشَمَّسَ : جَلَس في الشَّمس . ويقال شَمَسَ يَوْمُنا وأشْمَسَ ، إذا اشتدَّت شمسُه . والشُّرْقَةُ والمَشْرُقَةُ بمعنى ، وهما المكان الذى يُتشرَّق فيه . والفَذُّ الفَرْدُ . والتَّوْءَم : اثنان . وقد بسَطْنا القولَ فيه في شرح الفصيح .

ويقال ضَرَّجْتُ الثَّوْبَ ، إذا صبَغْتَه بالحُمْرَةِ خاصّة ، فَضَرِجَ وانْضَرَجَ . ومنه قيل تَضَرَّجَ الخَدُّ عِنْدَ الخَجَلِ إذا احْمرَّ . والحَنِقُ : المغتاظ الشَّديد الغَيظ .

(١) في الحيوان (٥ : ٣٧٨) : « وقال بعض العقيليين ومر بأبي العلاء العقيلي وهو يتفلى » . وكذا في نهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) .

٨٣٤

آخر (١) :

١ ـ خَبَّرُوهَا بأَنِى قَدْ تَزوَّجْـ ـتُ فَظلَّتْ تُكَاتِمُ الغَيْظَ سِرَّا
٢ ـ ثم قالتْ لأُختِها ولأخْرَى جَزَعاً لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرَا
٣ ـ وأشارَتْ إلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا ما تَرَى دُونَهُنَّ للسِّرِّ سِتْرَا
٤ ـ ما لِقَلْبِى كأنَّه لَيْسَ مِنِّى وعِظَامِى أخَالُ فِيهِنَّ فَتْرَا (٢)

يقال : خَبَّرْتُه كذا وبكذا . والكَتْمُ : نَقِيضُ الإعلانِ . ويقالُ : كاتَمْتَ ، إذا كان الكتمانُ من اثنين . وقد حذَف المفعول الأوّل من تُكاتِم . ويجوز أن يكون تُكاتم بمعنى تَكْتُمُ ، فلا يكون من اثنين ، ولكن كما يقال : قاتَلَه الله . والكَتُوم فى النَّاقة : التى لا تَرْغُو ، وفى القَوس التى لا شَقَّ فى نَبْعها . و « سرًّا » يجوز أن يكون مصدرًا من غير لفظه ، لأنّ تُكاتِمُ بمعنى تَسْتُر ، ويكون كقوله :

* ورُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أىَّ إذْلالِ (٣) *

ويجوز أن يكون مصدراً فى موضع الحال . وجَزَعاً انتصبَ على أنه مفعول له . وموضع قوله « لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرا » نصبٌ على أنه مفعول ثالث ، وقوله « للسرّ سِتْرَا » ، يجوز أن يُرْوَى « سَتْراً » بفتح السين ، فيكون مصدر سَتَرْتُ

(١) التبريزى : « هو لبعض الحجازيين » . وهو عمر بن أبى ربيعة . ديوانه ٣٨٤ بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد .
(٢) التبريزى : « كأن فيهن فترا » . وروى التبريزى بعده :
من حديثٍ نمى إلىَّ فظيعٍ خِلتُ فى القلب من تلظِّيه جمرا
(٣) لامرىء القيس فى ديوانه ٥٩ . وصدره :
* وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا *

ويجوز أن يُرْوَى «سِتْرًا» بكسر السين فيكون واحدَ السُّتُور ، والمعنى فى الوجهين ظاهر . وقوله « فيهنّ فَتْرًا » ، يقال : فَتَرَ الإنسانُ ، إذا لانَتْ مَفاصلُه وضعُفت فَتْرًا وفُتُورًا ، وإخالُ كَسْرُ الهمزِ منه لغة هُذَيْل ، ثم فَشَتْ فى غيرها .

٨٣٥

آخر :

١ ـ جَزَى اللهُ عنَّا ذاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ ... عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَهْلُ

٢ ـ فإنَّا سَنَجْزِيها بما فَعَلَتْ بِنَا ... إذا مَا تَزَوَّجْنَا ولَيْسَ لَهَا بَعْلُ

٣ ـ أَفِيضُوا عَلَى عُزَّابِكُمْ بِنِسَائِكم ... فَمَا فى كِتَابِ اللهِ أن يُحْرَمَ الفَضْلُ

روى مُحَمَّدُ بنُ حَبِيب أنّ هذا الشَّاعرَ صَعِدَ إلى مِئذنة وَسْطَ الحىّ وأنشد هذه الأبيات ، فاجتمعَ عليه غَيَارَى الحىِّ وقُتَّابُه فقتلُوه .

وقوله « عُزَّابكم » ، هو جمع العازبِ ، وقَصْدُه إلى جَمْع العَزَبِ ، وهو الأعزابُ ، لكنَّه تَصَوَّرَ بُعْدَهُما عن الأهل وتساويَهما فيه ، فجعل العَزَبَ والعازبَ بمعنًى واحدٍ ، ثم استعار بِناءَ جمْعِ العازب للعَزَب . وهذا كما قيل نَمِرٌ ونُمْرٌ ، لأنَّه لما تُصُوِّرَ أنه أَنْمَرُ فى لونه جَمَعُوه جَمْعَ أَنْمَر ، فأجرَوْهُ مجرى أَحْمَرَ وحُمْر .

وقوله « أفيضوا على عُزَّابكم بنسائكم » توهَّمَ فى أَفِيضُوا معنى تصدَّقوا ، فعدَّاه تعديتَه ، فلذلك زاد الباء فى « بنسائكم » . ويجوز أن يكون من قولهم أفاض الإناءَ بمائه علينا ، ويكون التَّقدير : أفيضوا العطاءَ بنسائكم . وقوله « فما فى كِتاب الله » يجوز أن يريد بالكِتاب المصدرَ ، والمعنى فيما كتبَه وفرَضَه . ويجوز أن يُرِيد به القرآن .

٨٣٦

آخر :

١ ـ أَنْشُدُ باللهِ وبالدَّلْوِ الخَلَقْ

٢ ـ يا رَبِّ مَنْ أَحَسَّها مِمَّنْ صَدَقْ

٣ ـ فَهَبْ له بَيْضاءَ بَلْهاءَ الخُلُقْ

٤ ـ ومَنْ نَوَى كِتْمَانَ دَلْوِى فاحْتَرَقْ

٥ ـ فابعَثْ عليه عَلَقًا من العَلَقْ

أَنْشُد بالله ، أى مستعيناً بالله أو مذكِّراً بالله . وقوله : « وبالدَّلو الخلق » ، يريد وبسبب الدلو نشْدَانى وطَلَبِى . ففصَل بين دخول الباءين .

وقوله « مَنْ أَحسَّها » أى من رآها وأدركها بعلمه ، ثم صدَّقنى عند السُّؤال عنها . فقوله « ممن صَدَق » يجوز أن يكون « مِن » نكرةً ، والمراد من إنسان يَصْدُق أو عادتُه الصِّدق . ويجوز أن يكون « مِنْ » معرفة ، والمراد من الذين يَصْدُقون فى المقال .

وقوله « فهبْ له بيضاءَ بَلْهاء » دعاء له بأن يمِّكه الله تعالى امرأةً كريمةً مستقيمة الطريقة ، سليمةَ الصَّدر ، لا غائل لها ولا غُلولَ لديها .

ومثل هذا قولُ الآخر (١) :

* بَلْهاءَ لم تَحْفَظْ ولم تُضَيِّعِ *

وقوله « ومَنْ نَوَى كِتمانَ دَلوى فاحترَقْ » يريد فأحرَقَه اللهُ ولا تَهَنَّأَ بعَيش . والعَلَق : دويبَّة حمراء تكونُ فى الماء وتأخذ بالحلْق . ويجوز أن يكون العلقُ مصدرَ عَلِقَتْ به العَلُوقُ للدَّاهية . وسُمِّى الأذى نفسه العَلَق ، واسم الحدَثِ

(١) هو أبو النجم العجلى كما فى مقاييس اللغة (عجز) وشروح سقط الزند ٩٢٩ . وقبله :

* من كل عجزاء سقوط البرقع *

قد يجعل صِفةً للفاعل، ويكون على هذا عَلَقاً يتناول واحداً من الجِنْس. وَالعَلَقُ يتناوَلُ الجنسَ كله.

٦ ـ إنْ لم يُصَبِّحْه بما ساء طَرَقْ
٧ ـ وَباتَ فى جَهْدِ بَلَاءٍ وأَرَقْ
٨ ـ وهَبْ لَهُ ذاتَ صِدَارٍ منْخَرِقْ
٩ ـ مَشْئومةً تَخلِطُ شُؤْماً بخُرُقْ

فاعل يصبِّحه العلَقُ المذكور. والطُّروق يكون بالليل. وقوله « فى جَهْدِ بَلَاء »، أى فيما يجهده ويشقُّ عليه من مقاساة البَلاء. والأرَق: السهر بالليل. والصِّدارُ: الثَّوب الذى يبلغ الصَّدر. وجعَله منخرِقاً لجنون صاحبته، لأنه دعا على من يكتم دلوَه بأن يَهبَ له امرأة مجنونة تُخْرِجُ يدَها من جيب صِدَارِها فتمزِّق على نفسها.

وفى هذه الطريقة قول الآخر (١):

كجَيبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهاء ريعتْ بعـد إجفالِ

وإنما وصف طَعْنَةً. فشبَّه سَعتَها بسَعَةِ جَيْبِ الوَرْهاء. ويقال: رجلٌ مشئوم، وقد شُـئِم، وشَأَمَ فلانٌ أصحابه إذا أصابهم شُؤْمٌ من قِبَله. وتقول: هذا طائرُ أَشْأَمُ، وطَيْرٌ أشائم، أى جارية بالشؤم. والخُرْقُ: ضدُّ الرِّفْق.

٨٣٧

وقال أعرابيٌّ:

١ ـ كأنَّ خُصْيَيْه من التَّدَلْدُلِ

(١) هو الفند الزمانى. الحماسية ١٧١ ص ٥٤١.

٢ ــ سَحْقُ جرابٍ فيه ثِنْتا حَنظَلِ

التَّدلدل: الاضطراب. ويقال: ثوب سَحْقٌ وَجَرْدٌ، وقد انسحَقَ وانجرَد. وإنما قال «ثِنْتا حنظَلٍ» لأنّ مرادَه ثنتان من الحنظل. ولو أراد تثنية حنظلة لم يَجُزْ إلا حنظلتان. وقد أُحكِم القول فيه وفى أمثاله فى غير هذا الموضع.

٨٣٨

آخر:

١ ــ كأنّ خُصْيَيْهِ إذا تَدَلْدَلا

٢ ــ أُثفِيّتَان تَحْمِلان المِرْجَلا (١)

قوله «أُثفِيَّة» يجوز أن يكون أفعولةً بدلالة قولهم: أثفيتُ القِدْرَ وثفيتُها. ويجوز أن يكون فُعْلِيَّةً، بدلالة قولهم أثَفتُ القِدرَ. ألا ترى النابغة يقول:

* وإنْ تأثَّفَكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ (٢) *

فتأثَّفَ تفعَّل، والهمزة أصليّة. وإنما يتّفق مثلُ هذين التقديرين فى الكلمة الواحدة من لغتين. ويقتضى كيفيّةُ وقوعِ الاختلاف فى مثلها كلاما ليس هذا موضعَه، فاعلَمه إن شاء الله.

٨٣٩

آخر (٣)

١ ــ كأنّ خُصْيَيْهِ إذا ما جَبَّى

(١) التبريزى: «مرجلا».

(٢) صدره: * لا تقذفنى بركن لا كفاء له *

(٣) التبريزى: هذه الأرجوزة لامرأة تهجو زوجها وأراد زوجها أن يسافر فقال لها: =

٢ ـ دَجَاجَتَانِ تَلْقُطَانِ حَبا

جَبَّى : قام منحنيا للاحتراش ، وهو إثارة الضّبّ . ويقال : جَبَّى تجبيَة ، إذا سقطَ لركبتيه وطأمنَ بدنَه ويديه .

٨٤٠

وقال اخر :

١ ـ وفَيْشَةٍ زَيْنٍ ولَيسَتْ فَاضِحَهْ
٢ ـ نَابِلَةٍ طَوْراً وطَوْراً رَامِحَهْ
٣ ـ على العَدُوِّ والصَّديقِ جامِحَهْ
٤ ـ مَنْ لَقِيَتْ فهْيَ لَهُ مُصَافِحَهْ
٥ ـ تَسُدُّ فَرْجَ القَحْبَةِ المُسَافِحَهْ
٦ ـ مُفْسِدَةٍ لابن العجوز الصَّالحَهْ
٧ ـ كأنَّها سَنْجَةُ ألْفٍ راجِحَهْ

الفَيْشَةُ : رأس القَضيب ، والفَيْشَلَةُ فى معناه ، وليس من بنائه ، لكنَّه من باب سَبِطٍ وسِبَطْرٍ وما أشبهه . والرامح : صاحبُ الرُّمح . والنَّابل : صاحب

ـــ إن لم أقيدك بقيد فاجحى يرد من غرب الدواهى الطمح
عن الغدو وعن التروح ودلج الليل إلى أن تصبحى
فاعتكفى فى مسجدى وسبحى

فأجابته :

من يشترى منى زوجا خبا أخب من ضب يداهى ضبا
* كأن خصييه إذا أكبا *

فأجابها : يارب إن كنت لربا ربا فاقدر لها أربد مسلحبا

النَّبل . ورَمَحَت الدّابّةُ رَمْحًا : ضربَتْ بِرِجْلها . ويقولون : برئتُ إليك من الجِمَاح والرِّماح ؛ لأنّ الجموحَ صلابةُ الرأس وأن يمضيَ الشيء لوجهه فلا يُضبَط . وفَرَسٌ جَمُوحٌ وجامحٌ . والمُصَافحة أصله فى الالتقاء والتسليم ووضع اليدِ فى اليد . ويقال : لقيتُه صِفَاحًا ، أى مُفاجَأةً ، والقَحْبةُ : الفاجرة . وأهل اللُّغة يقولون : هو من القُحَابِ : السُّعال ، لأنّ مُراوِدَها إذا مشى فى إثْرِها تَقْحَب لتلتفتَ إليه ، فيُشير إليها بما يريد . والمُسافِحة : الزّانية ، أصله من سَفْح الماء عندَ الجِمَاع . وهذا كما يقال مِنَ المَذْى : ماذَيْتُه . واشتهر السِّفاح بمضادّةِ النِّكاح .

٨٤١

آخر :

١ – وفَيْشَةٍ ليست كهٰذى الفَيْش
٢ – قد مُلِئَتْ من خُرُوقٍ وطَيْش
٣ – إذا بَدَتْ قُلْتَ أميرُ الجَيْش
٤ – مَنْ ذَاقَها يعرفُ طعْمَ العيْش

٨٤٢

آخر :

١ – لا أَكْتُمُ الأسرارَ لٰكِنْ أُنِمُّها   ولا أَتْرُكُ الأسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِى
٢ – وإنَّ قليلَ العَقْلِ مَنْ باتَ ليلةً   تُقَلِّبُه الأسرارُ جَنْبًا إلى جَنْبِ

أُنِمُّها : وأُفْشِيها أُظْهِرُها . وقوله « جنبًا إلى جنب » فى موضع الحال .

(١) هو سحيم الفقعسى ، كما فى الحيوان (٥ : ١٨٤) .

والمعنى : يَقلقُ فى مضجَعِه محافظةً على السِّرِّ ، ولا يَعرُكُها بجنبه . ويجوز أن يكون بدلاً من الهاء فى تقَلُّبُه .

٨٤٣

آخر :

١ - فجاءوا بشَيخٍ كَدَّحَ الشَّرُّ وَجهَهُ جَهُولٍ مَتَى ما يُنْفَدِ السَّبُّ يَلْطِمِ

الكَدْح والخَدْش والخَمْش ، تتقاربُ فى المعنى . ويقال نفِدَ الشىء إذا فَنِىَ ، وأنفدتُه أنا .

٨٤٤

وقالت قابلةٌ لامرأةٍ أخذَها الطَّلْق ، واسمها سحابة[1]

١ - أيا سَحَابَ طَرِّقى بخيرِ

٢ - وطَرِّقى بخُصْيَةٍ وأيْرِ

٣ - ولا تُرِينى طَرَفَ البُظَيْرِ

التطريق : أن يظهر عند الولادة طَرَفَة الولد ، وهى أطرافُه : رأسُه ويداه . ولك أن تروى « يا سحابَ » بفتح الباء على أصل الترخيم ، ولك أن تضمَّها نَوَيْتَ تمام الاسم بعد ذهاب الهاء ثم بنيتَ على الضَّمِّ للنِّداء .

٨٤٥

آخر :

١ - فإنكَ إن تَرَى عَرَصَاتِ جُمْلٍ بعاقبةٍ فأنتَ إذًا سَعيـــدُ

٢ - لها عَيْنَانِ من أَقِطٍ وتَمْرٍ وسائرُ خَلْقِها بَعْدُ الثَّرِيدُ

(١) انظر الحيوان (٥ : ٥٨١) والبيان (١ : ١٨٥) .

قوله « إن تَرَى » أتى بتَرَى تامًّا وإن كان فى موضع الجزْم . فهو كقول الآخر (١) :

* ولا تَرَضّاهَا ولا تَملّق *

وكقول الآخر (٢) :

ألم يأتِيكَ والأنباء تَنْمِى بما لاقَتْ لَبُونُ بنِى زِيادِ

وُجمْل : اسمُ امرأة . وعَرْصَةَ الدَّارِ وحَرْصَتُها بمعنًى . ويكون الذى حذَفه الحزم فى تَرَى حركةً كانت فى النيَّة فى موضع الرَّفع . وحروفُ المدّ تُحذف من الأواخر ، ليكون بين الأفعال وهى فى موضع الرَّفع وبينها وهى فى موضع الجزم فَصْلٌ ، فلذلك جاز أن تأتىَ بها تامَّة ، ولولا ذلك لكان لحناً . وقوله « فأَنت إذا سعيد » جَمَع بين الفاء وبين إذًا فى جواب الشرط تأكيداً للجزاء ، ولو قال فأنت سعيد لكفَى وأغنَى ، ويكون إذًا للحال ، كأنَّه يحكى الكائنَ من الأمر فى ذلك الوقت ، وكذلك لو قال فأنت إذ سعيدٌ ، لجاز كما قال الهذلىّ (٣) :

* بعاقبةٍ وأنت إذٍ صحيحُ (٤) *

وقوله « سعيد » يجوز أن يكون اسمَ الفاعل من سَعِد ، ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول ، ويقال سَعَدَه الله بمعنى أسعدَه الله . وقوله « بعاقبةٍ » أى بعَقِب ما عَرَفْتَهَا ودُعِيتَ إليها . ومن روى « فأنتَ إذٍ » يريد فأنت إذِ الأمرُ ذلك فى ذلك الوقت . ونوّن إذٍ ليكونَ التَّنوينُ فيه عوضاً مما كان يُضاف إليه من الجمل . وعلى هذا حينئذٍ ، ويومئذٍ .

(١) هو رؤبة بن العجاج . الخزانة (٣ : ٥٣٤) وملحقات ديوانه ١٧٩ .
(٢) هو قيس بن زهير العبسى . الخزانة (٣ : ٥٣٦) .
(٣) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٦٨) .
(٤) صدره : * نهيتك عن طلابك أم عمرو *

٨٤٦

آخر :

١ ـ أَنِخْ فاصطنِعْ قُرْصاً إذا اعتادَكَ الهوَى بِزَيْتٍ كما يَكفيكَ فَقْدَ الحبائبِ

٢ ـ إذا اجتَمعَ الجوعُ المبرِّحُ والهوَى نَسِيتَ وِصالَ الآنساتِ الكَواعبِ

رواه بعضهم : « فاصطنِعْ » كأنَّه يجعله من الصُّنع ، كما قال الآخر (١) :

إذا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فالتمِسِي لَهُ أكيلاً فإنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

وليس هذا بشيء ، وإنَّما الرِّواية « فاصطبِغ » من الصِّباغ وهو الأُدْم ، يدلُّ على صِحَّة هذه الرِّواية قوله « بزيت » . ومثل هذا قولُ الآخر :

كُلْ إذا كُنْتَ عاشقًا ما تَهَيَّا من الدَّسَمْ
وادفَعِ الشَّوقَ والصُّدو دَ عن القَلْب بالتُّخَمْ
وصاحِبُ الأكلِ في الهوَى ليس يَخْشَى من السَّقَمْ

وقوله « كما يكفيك » رواه الكوفيُّون ، ويقولون كما في معنى كَيْما . ورَوَوْا أيضاً فيه قولَ الآخَر (٢) :

إذا جِئْتَ فامنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنا كَمَا يَحْسِبُوا أَنَّ الهوَى حيث تَنْظُرُ

وأصحابُنا البصريُّون يروونه « لكَي يحسبوا » . وكذلك رووا البيت الأوَّل « لكَيْ يَكفيكَ » ، ولا يعرفون ما ذكروه . والآنسات : ذوات الأُنس . والكواعب : اللاَّتى نَهَدَت ثُديُّها .

٨٤٧

آخر :

كأنَّ ثَنَاياها وما ذُقْتُ طَعْمَها لِبَا نعجَةٍ سَوَّطتَه بدَقيقِ

---

(١) هو حاتم الطائي . انظر الحماسية ٧٣٢ ص ١٦٦٩ .

(٢) هو عمر بن ربيعة في رائيته المشهورة . ويروى أيضاً لجميل . انظر شرح شواهد المغني للسيوطي ١٧٠ .

يقال: سُطتُ الشَّيء ، إذا جمعْتَه مع غيره فى الإناء وضربتَهما حتَّى يختلطا .
قال الدَّريدى: وبه سمِّى السَّوطُ الذى يُضْرَبُ به لأنَّه يَسُوط اللَّحمَ بالدَّم .

٨٤٨

آخر:

١ ـ رَمَتْنِي بسَهْمِ الحبِّ أمَّا قِذاذُه فَتَمْرٌ وأمَّا رِيشُه فَسَوِيق

يريد أنَّها كانت تطعِمُه التَّمرَ والسَّويق ، فلذلك أحبَّها . والقِذَاذ: جمع القُذَّة ، وهى الرِّيش ، ويقال: قَذَذْت السهْمَ ، إذا جعلتَ له قُذذا[1] . وكان أبو زيد يُجيز: أَقْذَذْتُ أيضاً ، وأباه الأصمعىُّ . وكل شىء سويتَه وأصلحتَه فقد قذذته . والسهم الأَقذّ ، الذى لا ريش له . ومن أمثالهم ما أصبْت منه أقذَّ ولا مَريشا .

٨٤٩

آخر:

ألا رُبَّ خَوْدٍ عَيْنُها من خَزيرةٍ وأنيابُها الغُرُّ الحِسَانُ سَوِيقُ

الخَوْدُ: المرأة الناعمة الجسم . والخزيرة: دقيقٌ يُلَبَّك بشحمٍ . وكانت العرب تُعيِّر بأكله . وقيل: إنّ المقصود بذلك بنو مُجاشعٍ وقريشٌ ، وهى السَّخينة .

٨٥٠

آخر:

وما العَيشُ إلاّ نَوْمَةٌ وتَشَرُّق وتَمْرٌ كأكباد الجرادِ وماء[2]

(١) ل: « قذاذا » .
(٢) فى البيان (١ : ١٧٩) : « كأخفاف الرباع » .

٨٥١

آخر :

١ ـ قامتْ تَمَطَّى والقَميصُ مُنْخَرِقْ

٢ ـ فصادَفَ الخرقُ مكاناً قد حُلِقْ(١)

٣ ـ كأنَّه قَعْبُ نُضَارٍ مُنْفَلِقْ(٢)

تَمَطَّى ، أراد تتمطَّى ، أي تتمدَّد ، فحذف إحدى التاءين . والنُّضار : شجرٌ يُتَّخذ من خَشَبِه القِصَاع . ومثل هذا قول الآخر :

إذا قعَدْتُ مَقْعَدًا نَبَا بِيَهْ كالقَدَحِ المَكبُوبِ فوقَ الرَّابِيَهْ

٨٥٢

آخر :

إذا اجتمع الجُوع المبرِّحُ والهوَى على الرَّجُلِ المِسْكين كادَ يَمُوتُ

٨٥٣

آخر :

١ ـ يا رَبِّ إنْ قَتلْتَها فَعُدْ لها

٢ ـ فلَنْ تموتَ أو تشُدَّ قتْلَها(٣)

(١) هذا ما فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « فصادف القلب » .

(٢) فى الأصل : « كأنه كعب » ، صوابه فى ل والتبريزى .

(٣) التبريزى : « أو تجيد قتلها » ، ثم ساق التبريزى الشرح مطابقا لشرح المرزوقى .

٨٥٤

آخر :

١ ـ وأُبغِضُ الضَّيفَ مابى جُلُّ مأكَلِهِ ... إلاّ تَنَفُّجُهُ حَولِى إذا قَعَدَا

٢ ـ مازال يَنفُجُ جَنْبَيهِ وحُبْوَتَهُ ... حَتَّى أقولَ لعلَّ الضيفَ قد وَلَدَا[1]

قوله « إلا تنفُّجه » استثناء خارج . و التنفُّج قيل هو التجشُّؤ . ويقال : تنفَّج فلانٌ ، أى توسَّعَ فى جُلوسه . ومنه : هو مُتَنَفِّجُ الجنبين . وهذا غَرَضُ الشاعر ، بِدَلالة قوله : مازالَ ينفُج جنبيه وحُبْوَتَه . والنَّفْجُ : الكِبْر ؛ وفى التنفُّجِ زيادةُ تكلُّف .

٨٥٥

آخر :

وإنا لنَجفُو الضيفَ مِنْ غيرِ عُسْرَةٍ ... مَخافةَ أن يَضْرَى بنا فيعودُ[2]

---

(١) روى التبريزى بعده مقطوعة لم يروها المرزوقى . ونصها مع تفسيرها :

وقال بلال بن جرير :

بلال : أحد أسماء الماء . والجرير : حبل الزمام .

قال أبو العلاء : كان البغداديون ينشدون علقا بالقاف والعين . وقدم الوزير ابن أبى خالد التبريزى ومعه سبط له فقرأ الغلام الحماسية على بعض أهل العلم . وأنشد هذا البيت بالغين والفاء « غلفا » وذكر بعده بيتا وهو :

فقالت لها جاراتها إذ سمعنها ... نعم حبذا بل حبذا مثله إلفا

وزعم أن هذه الرواية وقعت إليهم عن أبى عبدالله الأسدى البصرى صاحب كتاب المشاكهة ، وكان من أروى البصريين الذين فى زمانه لشعر العرب . والغلف : الشىء الذى يجعل فى الغلاف .

(٢) بعده كما نص التبريزى :

ونشلى عليه الكلب عند محله ... ونبدى له الحرمان ثم نزيد

قال التبريزى :

« وهذا البيت ـ يعنى الأول ـ يروى لحاتم الطائى . ويقال إنه أرد بالضيف الأسد . وهذا لا يمتنع من مذاهب العرب ، لأنهم يسمون كل طارق ضيفا ، حتى جعلوا الأسد كالضيف » .

قوله « فيعود » لم يعطفه على أن يَضْرَى بنا ، لكنه قَصَد به إلى الاستئناف ، والمراد فهو يَعود ، ويقال : إنّ بعضَ المتحذلقين فى زمن الأصمعيّ خالفَه فى هذا وزَعمَ أنّ الشاعر تمدَّحَ بهذا ولم يتملَّح [1] ، وزعم أنّ المرادَ إنَّا لا نتكلّف للضيف ولا نحتشد له ، بل نُقدِّم إليه ما يحضُرنا لئلّا يَنفِر من احتشامنا له ، فينقبضَ عنَّا ، ولا يعودَ إلينا . قال : ومعنى « مخافةَ أن يَضْرَى » أن لا يَضْرَى بنا ، ولا مُضمرة ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يُبيِّن اللهُ لكم أنْ تَضلُّوا ﴾ . وهذا كما تكلَّفَ بعضُهم القولَ فى قوله :

قومٌ إذا استَنبح الأضيافُ كلبَهُمُ   قالوا لأمِّهِم بُولِى على النَّارِ [2]

وزعم أنّه مَدْح مع اتِّفاق النَّاس على أنه أهْجَى بيت .

٨٥٦

آخر :

وَنظرَ إلى جاريةٍ سوداء تَخْضب كفّها فقال :

١ — تَخضِبُ كَفًّا بُتِكَتْ مِنْ زَنْدِهَا

٢ — فَتَخضِبُ الحِنَّاءَ مِن مُسْوَدِّها

٣ — كأنّها والكُحلُ فى مِرْوَدِّها

٤ — تَكحَلُ عَيْنَيها ببَعْضِ جِلْدِها

وقوله « بُتِكَتْ من زَنْدِها » منقطعٌ مما قبله ، كأنه خبَّر عنها ، ثم دعا على كَفِّها . ولا يجوز أن يتّصل بما قبله ، لأنّه حينئذ يكون واقعاً موقعَ الصِّفة

(١) ل : « ولم يستملح » .
(٢) للأخطل فى ديوانه ٢٢٥ والكامل ٧٣٤ ليبسك .

كفٌّ ، والأمرُ والنَّهْىُ والدعاء لا تكون صفاتٍ ولا صلاتٍ ولا أخبارًا إلّا بتأويل .

وقوله « فتَخْضِبُ الحِنّاءَ من مُسْوَدِّها » ، يريد أنَّ سَواد لونِها يغيِّر من الحِنّاء فيَخْضِبه . والحِنّاء وزنه فِعّالٌ ، والهمزة منه أصلية ، بدلالة قولهم : حنَّأْته بالحِنّاء .

وقوله « فى مِرْوَدِّها » استقبحَ الزِّحاف فشدَّد الدال ، ومثله :

* تعرُّضَ المُهْرَةِ فى الطِّوَلِّ[1] *

٨٥٧

آخر[2] :

١ ـ لَعَمْرِى لقد حَذَّرتُ قُرْطًا وجارَه ... ولا يَنفعُ التَّحذيرُ مَنْ ليس يَحْذَرُ

٢ ـ نَهيتُهما عن نُورَةٍ أَحْرَقَتْهُمَا ... وحَمّامِ سَوْءٍ ماؤُه يَتَسَعَّرُ

٣ ـ فما مِنْهُما إلا أتانى مُوَقَّعًا ... به أَثَرٌ من مَسِّها يَتَقَشَّرُ

٤ ـ أَجِدَّكُما لم تَعْلَما أَنَّ جارَنا ... أبا الحِسْلِ بالصَّحْراء لا يَتَنَوَّرُ

٥ ـ ولم تَعْلَما حَمَّامَنا ببِلادنا ... إذا جعلَ الحِرْباء بالجِذْلِ يَخْطِرُ

قوله « أتانى مُوَقَّعًا » ، انتصب على الحال . ويقال : بعيرٌ موقَّع الظَّهر ، إذا كان به آثار الجَرَب . ورجلٌ موقَّعٌ ، إذا كان به آثار الجراح . قال :

مثلَ الحمارِ الموقَّعِ السَّوْءِ لا ... يُحْسِنُ مَشْيًا إلّا إذا ضُرِبا[3]

(١) أراد الطول ، بكسر ففتح ، وهو الحبل الذى يطول للدابة فترعى فيه . والبيت لمنظور ابن مرثد الأسدى . انظر حواشى مجالس ثعلب ٦٠١ ـ ٦٠٢ .

(٢) التبريزى : « وقال أعرابى لابنه وكان قد دخل الحمام فأحرقته النورة » .

(٣) للحكم بن عبدل الأسدى . الحماسية ٤٥٠ ص ١٢٠٥ .

وقوله : « لا يَتَنَوَّرُ » الأجود فى هذا أن يقال : لا يتنأر ، وقد قيل تَنَوَّر أيضاً .

وقوله «أجِدَّ كُما» انتصب على المصدر من فعلٍ مُضمَر ، كأنَّه قال : أتجدَّان جِدَّ كُما .

وذكر سيبويه فى باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله ، كقولك هذا زَيْدٌ حقًّا لا باطلا ، وهذا القولُ لا قولَكَ ، وهذا زيدٌ غيرَ ما تقول ، والتقدير: هذا القول لا أقول قولَكَ . قال سيبويه : ومثلُه فى الاستفهام أَجِدَّكَ لا تفعَلُ كذا ، ولا يُستَعمَل إلَّا مضافاً ، والتقدير أجِدًّا منك . وَجَرَى هذا مجرَى ما لزِمَتْهُ الإضافةُ نحو لبَّيك وما أشبهه ، ومَعاذَ الله . والمعنى أعلى جِدٍّ لم تعلما ما ذكرتُ . والحِرباء أعظَمُ من العَظَاءة ، وهو أغبَرُ ما ام صغيراً ، ثم يصفرُّ إذا كَبِرَ ، فإذا حَمِيَت الشَّمسُ عليه أخذَ جلدُه يخضرُّ . ولذلك قال ذُو الرُّمَّة لمَّا وصفه :

* ويخضَرُّ من لَفْحِ الهَجيرِ غباغِبُهْ(١) *

وقال الطِّرِمَّاح :

وانتَمَى ابنُ الفلَاةِ فى طَرَفِ الجِذْ لِ وأَعيَا عَلَيْهِ مُلتَحَـــدُ

وابنُ الفلَاة : الحرباء . والجِذْلُ : العُود وأصلُ الشَّجرة . وقال آخر(٢):

أَنَّى أُتيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبةٍ لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلَّا مُمسكاً ساقا

(١) صدره فى ديوان ذى الرمة ٤٧ :

* إذا جعل الحرباء يبيض رأسه *

(٢) هو أبو دواد الإيادى من أبيات رواها العسكرى فى الجمهرة ٢١٢ . وانظر اللسان (١ : ٢٩٧ / ٢ : ٣٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٩٢) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وديوان المعانى (١ : ١٣٨) والمخصص (٨ : ١٠٣) .

تَنضُبَةٌ : شجرة . والحِرْباء يَستقبل الشَّمسَ فيدورُ معها في سُوق الأشجار .

وقوله « جَمَل الحِرْباء » بمعنى طَفِقَ .

وقوله « لا يُرْسِلُ السَّاقَ » مَثَلٌ للمُلْحِف الذى لا يَقضِى حاجَةً إلاّ سَأَل أخرَى .

٨٥٨

آخر :

١ ـ أَلَا فَتًى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِى   عَلَيْهما إنّنى شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

٢ ـ أَشْكُوا إلى اللهِ أَخْوالًا أُمارِسُها   مِن الجِبالِ وَأَنِّى سَيِّئُ النَّظَرِ

٣ ـ إذَا سَرَى القَوْمُ لم أُبْصِرْ طَرِيقَهُم   إنْ لم يكن لَهُمُ ضَوْءٌ من القَمَرِ

وَى « إنَّنى شَيخ على سفر » بكسر الهمزة على الاستئناف ، ويروى « أنّنى » بفتح الهمزة ، والمعنى لأنّنى شيخ .

وقوله « لم أُبصِر طَرِيقَهم » ، يريد أنَّه لا جادَّةَ فى بلادهم . وهذا خلاف قول الآخر :

. . . . تَرى   للسَّائلين إلى أبوابه طُرُقا[(١)]

كأنّه عيَّرهم متملِّحا .

٨٥٩

وقالت جارية فى جاريةٍ تَسُبُّها[(٢)] :

١ ـ سُبِّى أبى سَبَّكِ لنْ يَضِيرَهْ

٢ ـ إنَّ مَعِى قَوَافياً كَثِيرَه

(١) هذا غير بيت زهير المشهور ، وهو :
قد جعل المبتغون الخير فى هرم   والسائلون إلى أبوابه طرقا

(٢) هذا ما فى ل . وعند التبريزى : « وقالت جارية فى نساء يتسابين » . وفى الأصل : « فى نساء بين » .

٣ ـ يَنْفحُ منها المِسْكُ والذَّريرهْ

يروى : « سَبكِ لى بَصيره » . وإذا رويتَ « سَبُّكِ لى بصيرة » يرتفع سَبك بالابتداء . وتنصب سَبَّك على المصدر ، أى كما تسبِّيننى ، فسُبِّى أبى أيضاً ، و « بصيرة » على النِّداء .

٨٦٠

وقالت أخرى :

١ ـ إنَّ أباكِ زَهزَقٌ دَقيقُ

٢ ـ لا حَسَنُ الوجهِ ولا عَتيقُ

٣ ـ تَضْحَكُ من طُرْطُبِّهِ العُنُوقُ

الزَّهْزَقُ اللَّئيم الدَّقيق الحسَب . والعتيق : الكريم الرائع مِن كلِّ شىء . والفعل منه عَتُق عِتْقاً . والطُّرطُبُّ : صوت الرَّاعى إذا سَكَّن معزَاه . والعُنُوق : إناثُ أولادِ العزى ، أى كأنَّها تَسَرُّ لفَعلته تلك[١]. ويُروى : «تَضْحَكُ من طَرْطَبِّه العَبُوقُ » ، وذكر أن المخاطب كان لثديه حَلمة طويلة ــ والضَّرع الطويل يقال له الطُّرْطُبّ ــ وأنَّ العَبوق امرأةٌ . يريد أنَّها تَسْخَر منه وتُعجِبُها خِلقته .

٨٦١

وقالت أخرى :

١ ـ يارَبِّ مَنْ عادَى أبى فَعادِه

٢ ـ وارْمِ بِسهمَين على فؤادِه

٣ ـ واجعَلْ حِمامَ نَفْسِهِ فى زَادِه

(١) يعنى صوته بمعزاه . وفى الأصل : « لعفلته » ، صوابه فى ل .

٨٦٢

وقالت أمُّ النحيف(١) :

١ – لَعَمْرِى لَقَدْ أخلفتَ ظَنِّى وسُؤْتَنى ... فَحُزْتَ بعِصْيانِى النَّدامَةَ فَاصْبِرِ
٢ – ولا تَكُ مِطْلَاقًا مَلُومًا وَسامِحِ الـ ... قَرِينةَ وافعَلْ فِعْلَ حُرٍّ مُشَهَّرِ
٣ – فَقَدْ حُزْتَ بالوَرْهاءِ أَخبثَ خِبْثةٍ ... فَدَعْ عَنْكَ ماقد قُلْتَ ياسَعْدُ واحْذَرِ
٤ – تَرَبَّصْ بِها الأيّامَ عَلَّ صُرُوفَها ... سَتَرْمِى بها فى جَاحِمٍ مُتَسَعِّرِ
٥ – فَكَمْ من كَرِيمٍ قَدْ مَناهُ إِلٰهُهُ ... بمَذْمُومةِ الأخلاقِ وَاسعةِ الحِرِ
٦ – فَطاوَلَها حَتَّى أتَتْها مَنِيَّةٌ ... فصارَتْ سَفَاةً جُثْوَةً بينَ أَقْبُرِ
٧ – فأَعقبَ لمَّا كَانَ بالصَّبْرِ مُعْصِمًا ... فتاةً تَمَشَّى بين إتْبٍ ومِئْزَرِ
٨ – مُهَفْهَفةَ الكَشْحَيْنِ مَخْطُوطَةَ الحَشَا ... يَهِمُّ الفَتَى فى كلِّ مَبْدًى ومَحْضَرِ(٢)
٩ – لها كَفَلٌ كَالدِّعْصِ لَبَّدَهُ الثَّرَى ... وثَغْرٌ نَقِيٌّ كَالأَقاحِي المُنَوِّرِ(٣)

كأنَّ المخاطَب كان تزوّج بامرأةٍ لم تَرضَها له ، فلم تَحمَد العاقبة ، فأخذَتْ توبِّخه فى الخلاف عليها ، والعصيان لها ، وتشير عليه بمصا بَرتها وإنْ لم يستوقِفها منتظِرًا رَيْبَ الزّمان وأحداثه فيها . فقالت : عامِلْها معاملةَ الأحرار(٤) الكرام ، فلا تطلِّقها وإن تكُ قد حُزْتَ بها وَرهاء ، وهى الحمقاء . وأصل الوَرَه الخُرْق

(١) التبريزى : « وهو سعد بن قرط ، أحد بنى جذيمة ، وكان تزوج امرأة نهته أمه عنها » . والنحيف كذا ضبط فى النسختين . وضبطه التبريزى بالتصغير ، قال : « فيجوز أن يكون النحيف تحقير ترخيم النحيف » . (٢) التبريزى : « مخطوطه الحشا » .
(٣) ل والتبريزى : « لبده الندى » . والثرى والندى واحد . وبعده عند التبريزى :
« وقال سعد وليس من الكتاب – أى ليس من الحماسة – :

ياليتما أمنا شالت نعامتها ... أيما إلى جنة أيما إلى نار
تلتهم الوسق مشدودا أشظته ... كأنما وجهها قد طُلِىَ بالقار
ليست بشبعى ولوأوردتَهاهجراً ... ولا بريا ولو قاظت بذى قار»

وفى كتاب العقة من نوادر المخطوطات أن هذا الشعر الأخير لمعبد بن قرط العبدى .
(٤) ل : « بمعاملة الأحرار » .

فى كلِّ عمل . ويقال : تورَّه الرجلُ فى عمله . وقولها « أَخْبَثَ خِبْثَةٍ » فالخبيث نعت كل فاسد ، وكذلك الخابث . وقد استُعمِل الْخِبْثة فى العجوز أيضاً . والأخبثان : البَخَر والسَّهر ، وقيل الرَّجيع والبَوْل .

وقولها « دع عنكَ ما قد قلت » ، كأنه كان هَمَّ بمُبايَنتِها فأنكرتْ ذلك وقالت تربَّصْ بها . والجاحم : النار الشديدة التأجُّج . ومنه جاحِم الحرب ، وجَحَمت النارُ والحربُ جَحْمةً : اشتدَّت . والسَّفَاةُ : التُّراب . والجُثْوَة : الكُبَّةُ منه . والإتبُ : الدِّرْع . وأعصَمَ من الشرِّ واعتصَمَ : التجأَ وامتَنَع . مَحطوطةُ الحَشا ، أى كأنها قد صُقِلت بالمِحَطّ ، وهو ما يُحطُّ به السيف والجلد . والمُهفهَفة : الخميصة البَطْن الدقيقة الخَصْر .

وقولها « كَهَمِّ الفَتَى » أى كما يهواه ويَهُمُّ به حيثما تصرَّف . والدِّعْص : المجتمِع من الرَّمل . ولَبَّده : صَلَّبَه . يعنى أنّ لحمَها فى تراكُمِه واكتنازِه كذلك

٨٦٣

وقال أبو الطَّمَحان الأسدىُّ (١) :

١ ـ وبالحِيرَةِ البيضاء شَيْخٌ مُسَلَّطٌ ‏ إذا حَلَفَ الأَيمانَ باللهِ بَرَّتِ

٢ ـ لقَدْ حَلَقُوا مِنْها غُدافاً كأنَّه ‏ عَناقِيدُ كَرْمٍ أَيْنعَتْ فاسبكرَّتِ

٣ ـ فَظَلَّ العَذارَى يومَ تُحْلَقُ لِمَّتِي ‏ عَلَى عَجَلٍ يلْقُطْنَها حيثُ خرَّتِ

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٧٨ ص ١٢٦٦ . قال التبريزى : « وحلقه صاحب شرطة يوسف بن عمر » . وذكر التبريزى عن أبى محمد الأعرابى أن القائل هو طخيم أبو الطخماء الأسدى . والذى حلق لمته هو العباس بن معبد المرى صاحب شرطة يوسف بن عمر .

بَرَّت اليمينُ بَرًّا ، وهى بارّة وبَرّةٌ ، وأبررتها أنا . قال :

* إنى [حَلَفتُ] على يمينٍ بَرّةٍ[1] *

ويقال : يَنَعت الثمرةُ ، إذا نَضِجَت ، وأينَعَت أيضاً واسبكرّت : استرخت ولانت . وخَرّت : سقطَت خُروراً . وخرّ الماء خريراً . شبَّه الشَّعَر فى طُوله ولينه ولونه[2] بعناقيدَ من الكَرْم استرسلَت .

وقوله « لقد حلَقوا منها » ، أى من الهامَة . والغُداف : الأسود ، ووُصِفَ به الغُرابُ لذلك . وظَلّ العذارى ، بمعنى صار . وإنما التقطن لِمَّتها لحسنها وولوعهن بها مِن قَبل .

(١) كلمة « حلفت » ساقطة من النسختين . والبيت من قصيدة الراعى المشهورة . جمهرة أشعار العرب ١٧٢ . وعجزه :

* لا أكذب اليوم الخليفة قيلا *

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « فى طولها ولينها ولونها » . والشعر مذكر .

باب مذمة النساء

باب مذمة النساء

٨٦٤

قال بعضهم :

١ ـ دِمَشْقُ خُذِيها واعلمي أنّ ليلةً ... تَمُرُّ بِعُـــودَىْ نعشِها ليلةُ القَدْرِ

٢ ـ أكَلْتُ دَمًا إنْ لم أرُعْكِ بِضَرَّةٍ ... بعيدةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبةِ النَّشْرِ

أظهرَ التضجُّر بها وبالكونِ معها ، وطلب الخلاصَ منها ، وبَعثَ البلدةَ على أخْذِها وقبضها إلى نَفسها . وقوله « تَمُرُّ بعودَىْ نَعْشِها » إنْ جَعَلْتَ الفعْل لدمشقَ اقتضى أن يكون فى قوله تَمُرُّ بعودَىْ نعشِها ضميرٌ يرجع إلى ليلةٍ ، والمراد تمرُّ بعودَىْ نعشها فيها ليلةُ القدر . فإن جعلتَ الفعلَ لليلة يكون المعنى أن الليلة التى تموت فيها أو تُميتُها تَحُلّ منها فى عِظَمِ موقعِها محلَّ ليلة القدر التى هى خيرٌ من ألفِ شهر ليس فيها ليلةُ القدر . وجاء فى الخبر أنه إنّما (١) عَظُم موقِعُها لأنّ الله تعالى أنزَلَ فيها جملةَ القرآنِ إلى سماء الدنيا ، ثم أنزَلَ منها نجومًا الشىء بعد الشىء على ما عَرَف من المصلحة فيه .

وقوله « أكلتُ دمًا يجرى مَجرَى اليمين ، وإنْ كان لفظُه لفظَ الدُّعاء . وأكْلُ الدَّمَ يَسُوغ عند الإشفاء على الهَلَكة وجَهْدِ البلَاء فى الإعواز . والمعنى : إنْ لم أُفزِّعْكِ بأن أتزوَّجَ بامرأةٍ حسنةِ السّالفة ، طَيِّبة الرّائحة ، فابتلانى الله تعالى بما يَحِلُّ معه أكْلُ الدّمِ .

---

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « أنه إذا »

٨٦٥

آخر :

١ ــ سَقَى اللهُ دارًا فرَّقَ الدهرُ بَيْنَنا وَبَيْنَكِ فيها وَابِلًا سائلُ القَطْرِ
٢ ــ وَلَا ذَكَرَ الرَّحْمٰنُ يومًا ولَيلةً مَلَكْناكِ فِيهَا لم تَكُنْ لَيْلَةَ البَدْرِ

دعَا للدَّار المُفرِّقةِ بينهما بالسُّقيا الغَزيرة وعلى ما جَمَع بينهما من أيَّام الدَّهر ولياليها بمَنْعِها الخير، وحِرمانِها الحيَا والقَطْر ، ثم قال « فيها » فردَّ الضَّمير على أحدِها واختار الأقربَ ، إذ عُلِمَ أنَّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه يستويان فى الإخبار . ومثله قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَها فى سَبِيلِ اللهِ ﴾ . وقوله « لم تَكُنْ ليلةَ البدر » من صفة اللَّيل ، أى كانت تلك الليلةُ مظلمةً لا نُورَ فيها ولا سُعود . ومعنى « ولا ذَكَر الرَّحمن » ، أى لا تعطَّفَ عليها ، ولا قَسَم لها خيرا .

٨٦٦

وقال آخرُ فى امرأتين تزوَّجَ بهما(١) :

١ ــ رَحَلَتْ أُنَيسَةُ بالطَّلَاقِ وَعَتَقْتُ مِن رِقِّ الوَثَاقِ
٢ ــ بانَتْ فلم يَأْلَمْ لهَا قَلْبِي ولم تَبْكِ المَآقِي
٣ ــ ودَوَاءُ ما لا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ تَعجِيلُ الفِراقِ
٤ ــ لَوْ لَمْ أُرَحْ بِفِراقِها لَأَرَحْتُ نَفْسِي بالإِبَاقِ
٥ ــ وخَصَيتُ نَفْسِي لا أُرِيدُ حَلِيلةً حَتَّى التَّلاقِي

(١) ل : « فى امرأة تزوج بها » . التبريزى : « فى امرأة طلقها » .

يريد طلَّقتها فبانت منِّى وفارقتنى ، فصِرتُ حُرًّا عتيقا . ومعنى « رِقّ الوَثاق » يريد أنِّى كنتُ كالمُوثَق لأسير ففككْتُ وَثاقى ، وجعَلَ البكاء للمآقى مجازًا ، وهو جمع المُؤقِ على وزن المُعْقِى ، وهو طرَف العَين الذى يَلِى الأنْف ، وهو مَخْرج الدَّمع ، فلذلك جعل الفعل لها . وفى هذه اللفظة عدة لغات : مَأْقٌ على وزن المَعْق وجمعه آماقٌ ، وماقٍ على زنة قاضٍ والجميع مَوَاقٍ . وحكى أبو زيد ماقِئ والجمع مواقئُ . وقال امرؤ القَيْس فى المآقى :

* شُقّتْ مآقيهما من أُخَرْ[١] *

وحكى يعقوب (فى المنطق[٢]) عن الفرَّاء ، أنه ليس فى كلام العرب مَفْعِلٌ بكسر العين إلَّا حرفان : مَأْقِى العَين ، ومَأْوِى الإبل ، وهذه اللَّفظةُ على اختلاف اللُّغات قد عمِلتُها مسألةً ، وتكلَّمتُ فى وُجوهها ، وبيَّنتُ خطأً من وزنَ مَأْقِى العَين بمفعِلٍ بكسر العين . وقوله « تعجيل الفِراق » ، يريد تعجيل فراقِه ، فجعل اللَّفظ عامًّا ، والمراد الخاصّ ، وعلى هذا قوله « من رِقّ الوَثْقِ » ، يريد وثاقِها . والإباق : الهرَب . والرَّاحة : وِجدانك الرَّوح بعد مَشقَّةٍ . وما لكَ رَوَاح ، أى راحة . والتَّراويح فى رمضان منه ، وكذلك قولهم : تراوحَتْه الأمطار ، وأَفعلُ ذلك فى سَرَاحٍ ورَوَاحٍ . والحَليلةُ : الزَّوجة ، سمِّيت بذلك لأنَّها تُحالُّ بعلَها ، أى تُنازله وينازلها[٣] . وقوله « حتَّى التَّلاقى » ، أى إلى وقتِ تلاقِى الخَلْق فى يومِ القيامة .

وانعطف « وخَصَيْتُ » على قوله « لأرحتُ نَفسى » . وموضع لا أريد نصبٌ على الحال ، والعامل فيه خَصَيْتُ .

(١) يروى : « فشقت » . وصدره فى ديوانه ١٦ :

* وعين لها حدرة بدرة *

(٢) يريد كتابه « إصلاح المنطق » . انظر ص ١٢٧ طبعة دار المعارف .

(٣) فى النسختين : « أى تنازلها » فقط .

٨٦٧

وقال آخر :

١ ـ أَلْمِمْ بجَوْهرَ بالقُضْبانِ والمَدَرِ وبالعِصِيِّ التى فى رُوسِها عجَر

٢ ـ أَلْمِمْ بها لا لتسليـــم ولا مِقَةٍ إلَّا ليَكسرَ مِنْها أَنفَها الحجَر(١)

٣ ـ أَلْمِمْ بوَطْباءَ فى أشداقها سَعَةٌ فى صُورةِ الكَلْبِ إلَّا أنَّها بَشَرُ

٤ ـ حَدْباءَ وَقْصاءَ صِيغَتْ صِيغةً عَجَباً وفى تَرائبِها عن صَدرِها زَوَرُ

الإلمام : الزِّيارة الخفيفة ، والباء من قوله « بجوهر » تعلَّق به . وقوله « بالقضبان » أى والقُضبان معكَ ، وهذا كما يقال : خرج بسلاحه ، أى والسِّلاح عليه . والعُجَر : جمع عُجْرة ، وهى العُقدة ، وخَيطٌ عجِرٌ وعَصًا عَجْراء : فيهما عُقَد . وقالوا فى روس جمع رأْس ، لأنَّه جمع فَعْلاً على فُعُل ، كقولهم سَقْفٌ وسُقُف ، ورَهْنٌ ورُهُن .

وقد أقوَى فى بيتٍ واحد(٢) ، فهو أقبح .

وقال « فى أشداقها » جمعاً على ما حواليه ، كما يقال هو ضَخْم العَثانِين . والوطْباء : العظيمة الثَّدْيين ، وهى فعلاء ولا أَفعَلَ لها . ومثله دِيمَةٌ هَطْلاء ، والحَلْواء . وقد مرَّ نظيرُه . وقوله « إلّا أنّها بشر » ، البشر يقع على الواحد والجمع ، ويتناول الإنس دون سائره(٣) . والوقصاء : القصيرة العنُق . والترائب : جمع التَّريبة ، وهى موضع القِلادة . وإنَّما يصف اعوجاجَها فى خِلْقتها وهُزالها .

---

(١) كلمة « منها » ساقطة من ل .

(٢) يعنى البيت الأول .

(٣) ل : « غيره » .

٨٦٨

آخر :

١ ـ تَمّتْ عُبَيْدَةُ إلّا فى مَحاسِنِها والمِلحُ منها مكانَ الشَّمسِ والقَمَرِ (١)

٢ ـ قُلْ لِّذِي عابَها مِنْ عائبٍ حَنِقٍ أقصِرْ فرأسُ الذى قدعِيبَ والحَجَرُ (٢)

قوله « تَمّتْ عُبيدةُ إلّا فى محاسنها » ، أطلَقَ القولَ بتمامها ، ثمّ استثنى المحاسنَ من خِصالها ، فخلَصَ التّمامُ فى المَقابح لا غير . وقوله « والمِلحُ منها مكان الشّمس » ، لك أن تنصب مكانَ على الظّرف ، يريد أنّ الملحَ بعيد ، فهو فى السّماء ، ولك أن ترفعه كما تقول : هو منّى فرسخانِ ، فتجعلَ الملحَ منها نفسَ السّماء ، كما تجعل المُخبَر عنه فى قولك : هو منّى نفسَ الفرسخَين ، وعلى هذا ينعطف قوله « والقمر » ، فإمّا أن تُجرِيَ على موضع مكانَ وقد نُصب لأنّه وهو ظرفٌ فى موضع الرّفع ؛ وإمّا أن تُجرِى على لفظ مكان وقد رُفع لأنّه يصح أن يقال الملح منها القمرُ كما يصحّ أنْ يقال الملحُ منها مكانُ القمر . وإذا جررتَ « والقمر » كان معطوفاً على الشّمس ، ويكون الشّاعرُ مُقوِياً فى البيت الذى بعده .

وقوله : « فرأس الذى قد عيب (٣) » ، أى رأس الإنسان الذى قد عيب ، لذلك لم يقل فرأس التى . وعطْف الحجر على الرّأس على أحد وجهين : إما أن يريد رأسُه والحجرُ مقرونانِ على طريق الدّعاء لا على طريق الإخبار ، فحذَفَ الخبرَ لأنّ المراد مفهوم . وهذا كما يقال : كلُّ امرئٍ وشأنه . وإما أن يريد بالواو معنى مع ، كأنه قال رأسه مع الحجر ، وحينئذ يكون الخبر فى الواو ، وهذا

(١) التبريزى : « من محاسنها » .
(٢) ل : « عبت » التبريزى : « عبت الحجر » .
(٣) ل : « عبت » .

يكون كقوله : الرِّجال وأعضادُها، والنساء وأعجازها، لأن المراد الرجال بأعضادها والنساء بأعجازها . وإنما قال : « قُلْ للذى عابَها من عائبٍ حنق » تخفيفاً لقُبحها وتسليا(١) لانتهاء عَيْبها . والحَنَق : أشدُّ الغيظ .

٨٦٩

وقال آخر :

١ ـ لا تَنْكِحَنَّ الدهرَ ما عِشْتَ أَيِّمًا مُجَرِّبَةً قد مُلَّ منها ومَلَّتِ (٢)
٢ ـ تَحُكُّ قفاها مِنْ وَرَاءِ خِمارها إذا فَقَدَت شيئاً من البيتِ جُنَّتِ
٣ ـ تَجُودُ بِرِجليها وتَمْنَعُ دَرَّها وإنْ طُلِبَت منها المودَّةُ هَرَّتِ

قوله « لا تَنكحنَّ » أراد بالنِّكاح العَقْد لا الجماع . والأَيِّم : التى قد مات عنها زوجُها . وقد آمَت تَئيمُ أَيْمةً .

وقوله « قد مُلَّ منها ومَلَّت » يريد أنها طَعنَتْ فى السِّن ، فقضَت مآربَ الشهوات وقُضِيَت منها .

وقوله « تَحُكُّ قفاها من وراءِ خمارها » أى تركَت التنظُّف والتنطُّس ، ونسِيَت الحياء والأَنفة ، فرأسُها تَحُكُّها دائبا ، ومحبّتها للحقير تُجَنِّنُها ، حتى إذا فَقَدت ما لا خطَرَ له ، كان عندها كالكبير الذى لا عِوَضَ منه .

وقوله «تَجُود برجليها وتَمنع دَرَّها » ، ويجوز أن يكون مثلا لقلَّة خيرها ، فشبَّهها بالشَّاةِ التى تُفاجُّ رِجلَيها ، فإذا أُريدَ حَلَبُها مَنَعَتْ . ويجوز أن يكون المراد أنَّها قَعدتْ عن الوِلادِ فهى تُساعِدُ فى الجماع ولا تَحْمِلُ ولا تَلِد .

---

(١) فى الأصل : « تسليا » ، صوابه فى ل .
(٢) التبريزى : « مخرمة » .

وقوله « وإن طُلِبَتْ منها المودَّة هَرَّتِ » يريد أنّها لا يُبتغَى عندها من نتائج الودّ وأسباب الشفقة والحبّ شيء إلا نَبحتْ نَبيحَ الكلاب. ويجوز أن يريد بهرَّت كرهت وتقبَّضت(١).

٨٧٠

آخر :

١ — لِأَسماءَ وَجْهٌ بِدْعَةٌ مِن سَماجةٍ يُرَغِّبُني في نَيْلِكِ كُلُّ أَتانِ
٢ — بَدَا فبدَتْ لي شُقَّةٌ مِن جَهَنَّمٍ فقُمتُ ومالي بالجَحيمِ يَدانِ
٣ — وغادَرْتُ أصحابي الذين تخلّفوا بما شِيتَ من خِزْيٍ وطُولِ هَوانِ
٤ — وما كُنتُ أدري قَبْلَها أنّ في النِّسا جَحِيماً أراها جَهْرَةً وتَراني

قوله « بدا » الفعل للوجه ، وشُقَّة ، أي قِطعة. ولك أن ترويه بكسر الشين ، فيكون كصِرْمة وكِسرة وجِذْوة وقِطْعة وفِدْرة ، ولك أن تضمّ الشِّين فيكون كالشُّعْبة والعُجرة والعُقدة ؛ فاروِهِ كيف شئت . وقوله « فقمت ومالى بالجحيم يدان » أي تهيَّأت للهرَب منها ، إذْ لم يكن لى طاقةٌ بالصَّبر عليها ، ولا قوّة في ملاقاتها .

وقوله « وغادرتُ أصحابى » كأنّه شايعه في النّهضة قومٌ وتخلَّفَ عنه قوم ، فقال : مَن تخلَّفَ عنِّى كانت حاله على ذلك .

٨٧١

آخر :

١ — لا تَنكِحَنَّ عَجُوزاً إنْ أُتِيتَ بها واخْلَعْ ثِيابَكَ منها مُمْعِناً هَرَبَا

(١) ل : « وتنضبت » .

٢ ـ فإنْ أتوْكَ وقالوا إنَّها نَصَفٌ فإنَّ أَمْثَلَ نِصفَيْها الذى ذَهَبا [1]

المراد بالنِّكاح العَقد ههنا ، وفى القرآن : ﴿ فانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى و ثُلَاثَ ورُبَاعَ ﴾ . وقوله « واخلَعْ ثيابَك » يجوز أن يكونَ مثلَ قول امرئ القيس :

* فَسُلِّى ثيابى من ثيابِكِ تَنْسُلِ [2] *

وكما يقال ضُمَّ إليك مِن كذا جناحَك . ويجوز أنْ يريد به تشمَّرْ وتخفَّفْ واخرجْ من مَسْكِك [3] . ومعنى « منها » أى من أجلها . ونَصب « ممعِناً » على الحال . ويقال : أمعَنَ فى السَّير ، إذا أَبْعَدَ . و « هَرَباً » يريد هاربا . وإنما سامَه ما سامَه ليكون أخفَّ سيراً وأسرع حَرَاكا .

وقوله « فإنَّ أَمثَلَ نِصفَيها » أى أصلحهما ، ويقال : فلانٌ أَمثَلُ من فلان ، أى هو أدنَى منه إلى الخَيْر . وأماثل القَوم : خيارهم .

٨٧٣

آخر :

١ ـ رَقْطَاءُ حَدْباءُ يُبْدِى الكِبْدَ مَضْحَكُها قَنْواءُ بالعَرْضِ والعَينان بالطُّولِ

٢ ـ لها فَمٌ مُلتَقَى شِدْقَيْهِ نُقْرَتُها كأَنَّ مِشْفَرَها قد طُرَّ مِنْ فيلِ

٣ ـ أسنانُها أُضْعِفَتْ فى خَلْقِها عدَداً مُظَهَّراتٍ جَمِيعاً بالرَّواويلِ

الرَّقطاء : المنقّشة [4] بالبَرَش . والقَنا : طُولُ الأنف ، وإذا كانَ بالعرض كانَ كأنف الخنزير .

(١) التبريزى : « وإن أتوك فقالوا » .

(٢) من معلقته . وصدره :

* وإن تك قد ساءتك منى خليفة *

(٣) المسك ، بفتح أوله : الجلد .

(٤) ل : « المنقطة » .

وقوله « مُلتقَى شِدقَيه نُقرتُها » ، أراد أنَّها لسعةِ فمها يلتقيان عند نُقْرة القفا . ومعنى طُرَّ قُطِع . وقوله « مُظهَّرات » أى جُعِل لها ظِهارة كما يُجعل للفرش ظِهارة ، وكما قيل من الظِّهارة ظُهِّر قيل من البِطانة بُطِّن ، ويجوز أن يكون من قولك هو ظَهيرُك أى مُعينك . ويقال : بعير مظهَّر ، أى شديد الظهر قوىّ . والظَّهْر : ما غَلُظ من الأرض وارتفع ، والظَّاهرة مثله ، وهما ممَّا تقدَّم . والرَّواويل : زوائدُ على عدد الأسنان ، والواحد رَاوُول .

٨٧٣

آخر :

١ ـ اصْرِميني ياخِلْقةَ المِجْدارِ وصِليني بطُول بُعْدِ المَزارِ

٢ ـ فلقدْ سُمْتِني بوجهك والوَصْلِ قُروحاً أَعْيَتْ على المِسبارِ

٣ ـ ذَقَن ناقصٌ وأنفٌ غليظٌ وجَبينٌ كَساجةِ القُسطارِ

٤ ـ طَالَ لَيلي بِها فبِتُّ أُنادِي يا لَثاراتِ مُستَضاءِ النَّهارِ

٥ ـ قَامَةُ القُصْعُلِ الضَّئيفِ وَكَفٌّ خِنْصِراها كَذِينقَا القَصَّارِ (١)

قوله « يا خِلْقةَ المِجْدار » يريد أنتِ غليظةٌ ثقيلة ، فكأنَّكِ فى غلظ الجدار وثقله ، وكما قيل من الجِدار مجدارٌ قيل فى الغليظ الثَّقيل من الجبل مِجْبال .

وقال امرؤ القيس :

إذَا ما الضَّجيعُ ابتزَّها من ثيابها تَميلُ عليه هَوْنَةً غَير مِجْبَالِ

ومِفعال من أبنية الآلات ، فهو كالمفتاح والمقْياس (٢) والمدْراك (٣) ، وكان

---

(١) ل و التبريزى واللسان (كذنق) : « القصعل الضئيل » . وفيها أيضاً : « قصار » . قال التبريزى : « وروى بعضهم : كوذينتا قصار » .

(٢) ل : « والمقباس » بالباء الموحدة . (٣) كذا فى النسختين .

الأصل فى الجَدْر الارتفاع والنُّتُوّ . ويقال : جَدَرْتُ الجِدار . وقال بعضهم : الجُدَرِىّ منه اشتُق .

والقروح : الجراح . والمِسْبار المُلْمُول الذى يقَدَّرُ به الجُرْح وغَوْرُه ، وهو من سَبَرْتُ ، وتُوُسِّع فى استعماله حتى وُضِع موضعَ جَرَّبْتُ . والقِسْطار : الصَّيْرفىّ ، وساجته : لَوحه الذى يَقُوم عليه كِفَّتا الشَّاهين إذا وُزِن به (١) .

وقوله « يا ثَارات » ياحرف النداء ، واللام لام الاستغاثة ، وإنَّما يستغيث بمن يَرُدّ عليه النَّهار .

والقصْعُل : القصير ، والخايلُ أهله وكذلك الخازَنْجِىُّ والدُّرَيدى . والضئيل : الدقيق . ورواه بعضهم : « قامة الفصْعُل » ، بالفاء ، وهو العقرب الصَّغير ، والرَّجل اللئيم . والمراد أنّ فى أعضائها تفاوتًا فلا يتلاءم خَلْقُها (٢) .

٨٧٤

آخر :

١ ـ أُلاَمُ على بُغْضى لما بَيْنَ حَيَّةٍ ... وضَبْعٍ وتِمْساحٍ تَعَشَّاكَ مِنْ بَحْرِ
٢ ـ تُحَاكِى نَعِيماً زالَ فى قُبْحِ وَجْهِها ... وصفْحتها لَمَّا بَدَتْ سَطْوةُ الدَّهرِ
٣ ـ هى الضَّرَبانُ فى المَفاصِل خالياً ... وشُعْبَةُ بِرْسَامٍ ضَممْتَ إلى النَّحْرِ
٤ ـ إذا سَفَرَتْ كانَت بعينيك سُخْنَةً ... وإن بَرْقَعَتْ فالفقرُ فى غاية الفَقْرِ (٣)
٥ ـ وإنْ حَدَّثَت كانتْ جميعَ مصائبٍ ... مُوَفَّرَةً تأتى بقاصِمة الظَّهْرِ
٦ ـ حديثٌ كَقَلْعِ الضِّرْسِ أوْ نَتْفِ شاربٍ ... وغُنْجٌ كَحَطْمِ الأنف عِيلَ به صَبْرى

(١) الشاهين : عمود الميزان .

(٢) فاته أن يفسر الكذينق . قال التبريزى : « تثنية كذينق ، وليس بعربى ، وهو الذى تسميه العامة كودينا » . وفى اللسان : « قال ابن برى : الكذينق مدق القصار الذى يدق عليه الثوب » . وهو بالفارسية « كدين » أو « كدينه » . استينجاس ١٠١٩ .

(٣) ل : « لعينيك » التبريزى : « لعينك »

٧ ـ وتَفْتَرُّ عن قُلْحٍ عَدِمْتُ حديثَها　　وعن جَبَلَىْ طَيٍّ وعن هَرَمَىْ مِصْرِ

جمَع بين الحيَّة والضَّبُع والتِّمساح، لأنه ليس يقصد التَّشبيهَ من وجهٍ واحد، وإنَّما يريد التَّشبيه من وجوهٍ كثيرة من الخَلْق والخُلُق. والتِّمساح: الدابة المعروفة، والرَّجلُ الكذَّاب. وجاء على هذا البناء شيءٌ من الأسماء قليل لأن المصادر كلّها على تَفْعال بفتح التاء، إلّا حرفين وهما تِبْيان وتِلقاء، وقد حصرتُها فى كتابى المسمَّى بـ «عنوانِ الأديب».

وقوله «تُحاكِى نعماً زال»، يريد به المَثَلَ السَّائر: «أقبح زَوال النِّعمة». يريد: تحاكى فى قُبح وجهِها قُبحَ زوالِ النِّعمة، فجعل اللّفظَ توسّعاً على ما ترى، ثم جعل جانبها وما تُصافِح به مُلاقِيَها كسطوة الدَّهر. والسَّطوة: البَسْط على الإنسانِ تَقهَرُه من فَوق، وتقول: سَطَوتُ به، وفى القرآن: ﴿يَكادُونَ يَسطُونَ بالَّذِينَ يَتلُونَ﴾. قال الخليل: سُمِّى الفرسُ ساطياً لأنّه يَسطُو على غيره فيقوم على رجلَيه ويَسطُو على يديه. وقوله «هى الضَّربانُ فى المَفاصل خالياً»، أى إذا خلوتُ بها كانت خَلوتُها كموَجان العُروق بالألم فى مفاصل المُنقرِس، وإنْ جذبتَها إلى نفسك مرتدياً بها قاسيتَ منها ما يُقاسى المُبرسَمُ من عارضِه، وإنْ ألقت قِناعَها سَخِنت العَينُ بالنَّظر إليها. كأنّها إذا تبرقعَتْ تناهى افتِرارُك من كلِّ منظرٍ يروق، ومَطلَع يُعجِب ويَروع، فى ردِّ الطرفِ إليها. وقوله «فالفقرُ فى غايةِ الفقر»، أى إذا تناهى الفقرُ، حتّى لا يكونَ وراءه شيءٌ منه.

والمصائب: جمع مُصيبة، وهى مُفْعِلة وشُبِّه مَدَّتُها بمَدَّة فَعيلة، وجمعت جَمعَها، والقياس مصاوِب وقد جاء ولكنَّه فى الاستعمال دونَ مصائب. وهذا مما شذَّ فى القياس، أعنى مصائب. ومَصاوِب شاذٌّ فى الاستعمال مُطّرِد فى القياس. ومُوَفَّرةُ، أى مكمَّلة. وقاصمة: كاسِرة، أى رَزيَّة هكذا وداهية هكذا.

وقوله « كَحَطْمِ الأنف » ، الكسر للشَّيء اليابس . والحُطام ، ما تحطَّم من ذلك . ورجل حُطَمٌ . وعِيلَ به صَبرِى ، أى غُلِب . وفى المثل : « عِيلَ ما هو عائِلُه[1] » .

وقوله « عَدِمتُ حديثَها » دعاءٌ لنفسه وعليها ، وهو من الحَشْو الحَسَن .

ومثله فى الدعاء وحُسْنِ الموقِع قولُ الآخر[2] :

إنّ الثَّمانينَ وبُلِّغتَها ... قدأحوَجت سَمْعى إلى تُرْجُمَانْ

وتَفْتَرُّ ، أى تضحك ، ومنه فَرَرْتُ الدابة . وقوله « جبلَىْ طَىٍّ » يعنى أجأً وسَلْمَى ، وإنَّما يَعنى اختلافَ أسنانِها وعِظَمها .

٨٧٥

آخر :

١ ـ لو تَسَمَّعْتَ صَوْتَه قُلتَ هذا ... صَوْتُ فَرْخٍ فى عُشِّه مَزْقُوقِ

٢ ـ أو تأمَّلتَ رَأْسَه قلتَ هذا ... حَجَرٌ مِن حِجارةِ المَنْجنيقِ

٣ ـ مُمْمِلٌ قَرْضَ لِحيَةٍ تَراها ... قُلْتَ عُثنونُ هِرْبِذٍ مَحْلُوقِ[3]

٤ ـ لَمْ أَعِبْهُ أَلَّا يَكُونَ تَقِيًّا ... مُؤْمِنًا مُبغِضًا لأهل الفُسوقِ

٥ ـ غيرَ أنِّى أردتُ أنْ يَنظرَ النَّا ... سُ إلى خَلْقِ رَبِّنا المَخْلوقِ

مزقوق أى يزقُّه أبَواهُ زَقًّا . قال :

نَتَساقَى الرَّبـــقَ فيما بَيْنَنا ... زَقَّ أُمَّاتِ القَطَا زُغْبَ القَطا

(١) أى غلب ما هو غالبه . وفى اللسان : هو كقولك للشىء يعجبك : قاتله الله واخزاه .

(٢) هو عوف بن محلم الخزاعى . الأمالى (١ : ٥٠) .

(٣) الهربذ : واحد الهرابذة ، وهم قومة بيوت النار التى للهند ، فارسى معرب . وتقبيله بيوت النار بالهندية هو المذكور فى المعاجم العربية ، وهى مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .

وقوله «وقلت هذا حَجَر» ، يريد شبّهته فقلت من كبَره : هو حجر المَنْجنيق . والمِنْجنيق معرّبة ، وقد اختُلف في الفعل منه ، فقال بعضهم : الميم زائدة ، واحتجّ بما حكاه التوَّزيّ عن أبي عبيدة . قال : سألت أعرابيًّا عن حروب كانت بينهم ، فقال : « كانت بيننا حروبٌ عُون ، تَفقأ فيها العيون ، مرة نجْنَق ، ومرة نُرشَقُ » . قال : فقوله نُجْنَق دالٌّ على أنّ الميم زائدة ، ولو كانت أصليَّةً لقال نُمَجْنَق . وإلى هذا ذهب الدُّريديّ .

وكان أبو عثمانَ المازنيّ يقول : الميم من نفس الكلمة ، والنون زائدة ، لقولهم مَجَانيق ، فسُقوط النُّون في الجمع كسقوط الياء في جمع عَيْضَمُوز إذا قلت عَضَامِيز (١) . وحكى الفرَّاء : جَنَقوكم بالمجانيق أيضا . فهذا على الوجه الأوّل(٢) .

وقوله «مُعْمِلٌ فَرضَ لحيةٍ » أي قطْعَ لحية و « لو تراها » حَمَل اللفظ على اللحية والمراد مَنبِتَها . والعُثنُون : أصل اللَّحْيِ ، وأوائل الرِّيح والسَّحاب .

وقوله « خَلْقِ رَبِّنا المخلوق » وَصَفَ الخلْق بالمخلوق تأكيداً ، ويجوز أن يكون المراد خَلْق ربِّنا المقدَّر ، لأنَّ الأصل في الخلْق التقدير . ألا ترَى قوله :

ولأنتَ تَفْرِي ما خَلقتَ وبعـ ... ـضُ القَوم يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي(٣)

٨٧٦

آخر :

وأُقسِمُ لو خَرَّت مِن استكَ بيضةٌ ... لما انكَسَرَتْ لقُرْبِ بَعْضِكَ من بَعْضِ

(١) العيضموز : العجوز الكبيرة .

(٢) المنجنيق معرب من الفارسي « منجنيك » ، وهــذه مأخوذة من اليوناني : Magganon ، وهي آلة ترمى بها الحجارة في القتال . ويضطرب اللغويون العرب في تأصيلها من الفارسي . انظر المعرب للجواليقي بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استينجاس . وقد ذكر الأخير أنها مأخوذة من اليوناني .

(٣) لزهير في ديوانه ٩٤ .

الخرور : السقوط للوَجْه . وخَرَّ الماء المكانَ : جعَلَ فيه أخاديدَ .

والخَرْخار : الماء الكثير الجارى .

٨٧٧

آخر (١) :

أظنُّ خَليلى مِن تقارُبِ شَخْصِه　　يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِهِ وهو قائمُ

٨٧٨

آخر (٢) :

١ — ولقد غدَوْتُ بمُشْرِفٍ يافُوخُهُ　　عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤُه يتَدَفَّقُ

٢ — أَرِنٍ يسيلُ من النَّشاطِ لُعابُه　　ويكاد جِلْدُ إهابِهِ يتمَزَّقُ

كأنه ألغَزَ فى هذا ، وأراد بمُشْرِفِ اليافوخ ذلك العضو .

ورُوِىَ أنّ أعرابيًّا حضَرَ مجلسَ أبى عبيدة ، وألقى البيتين عليه ، فذهب أبو عُبيدة إلى أنّ الشّاعرَ يَصِفُ به فرساً ، وأخَذَ يفسِّره ، فقال الأعرابىّ : حَمَلك اللهُ ياشيخُ عَلَى مِثْلِه ! ففطِنَ أبو عبيدةَ وخَجِل . ومعنى يتدفق يتصبب شيئاً [فشيئاً(٣)] . والأرِن النشيط ، ويقال للمستنّ من النَّشاط : أَرِن يَأْرَنُ أَرَناً . وقيل إنّ الأَرَن نَشَاط الخيل ، كما أنّ الهَبَصَ نَشَاط الظِّباء . والسَّنَنُ : نشاط الإبل ، ومنه جاء فى المثل : « استنَّت الفصالُ حتَّى القَرْعَى » . والأَشَرُ : نشاط الإنسان . والإهاب : الجِلْد الذى هو أُهْبَةُ ما وراءه من اللَّحم . كأنَّه سُمِّى(٤) ما يمسِكُه المَسْكَ . ولذلك قال « جلد إهابه » فأضاف الجِلْدَ إليه .

(١) هو الحزين الكنانى يهجو كثيراً الشاعر . وللبيت قصة طريفة [فى الأغانى (٨ : ٢٨ — ٢٩) . وانظر الحيوان (٥ : ٣٤٩) ومحاضرات الراغب (٢ : ١٢٩) .

(٢) هذه الحماسية رواها التبريزى فى (باب الملح) ، وهو الأوفق .

(٣) التكملة من ل .　　(٤) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « كأنه سمى » .

٨٧٩

آخر (١) :

١ - لو تتى لك التَّحوُّلُ حَــتى تجْعَلى خَلْفَكِ اللطيفَ أمَامَا
٢ - ويكونَ الأمامُ ذُو الخِلْقة الجَبْـ لةِ خَلْفاً مُرَكَّناً مُسْتَكاما
لإذًا كُنْتِ يا عُبيدةُ خَيْر الـــناس خلفاً وخَــيْرهُمْ قدّاما

يَصفُها بأنّها قايلة اللّحم على العَجيزة ، عظيمةُ البطن . فيقول : لوقُدّم مؤخَّركِ وأُخِّر مُقَدَّمُكِ لارتَضِى خَلفُكِ وقُدّامُك ، لالتئام أعضائك ، واعتدالِ مقاسِمِك. واستُعمل الخلْفُ والأمام استعمالَ المُقدّم والمؤخر فجُعلا اسمين . والرَّكنُ : الذى له أركان . والجَبْلَةُ : الغَليظة . والمستكام ، من الكَوْم ، وهو الجِماع . وانتصب خلفاً وقُدّاماً على التمييز .

٨٨٠

وأنْشَدَ لأبى الغطَّمش (٢) أبو عبيَدَةَ :

١ - مُنيتُ بزَنمردةٍ كالعصَــا أَلصَّ وأخْبَثَ من كندُش
٢ - تُحِبُّ النِّساءَ وتأبَى الرِّجال وتَمْشى مع الأخْبثِ الأطْيَش
٣ - لها شَعرُ قِــرْدٍ إذا ازَّينتْ وَوَجْهٌ كبيْضِ القَطَا الأبرش (٣)
٤ - وثَدْىٌ يَجُولُ عَلَى نَحْرِها كقِرْبَةِ ذِى الثــلةِ المُعطِش

(١) التبريزى : « وقال بعض المدنيين » .

(٢) التبريزى : « لأبى الغطمش الحنفى » . وكذا جاءت نسبة الأبيات فى اللسان (كندش) . وجاءت مطولة وبدون نسبة فى مجالس ثعلب ٩٢ ـ ٩٤ . والأبيات وردت فى الأغانى (١٠ : ١٣١) منسوبة إلى إسماعيل بن عامر ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين يقولها فى هجاء أم ولد له .

(٣) التبريزى : « لها وجه قرد » ثم ذكر الرواية الأخرى .

يُروى « زَنْمِرْدَةٍ » بفتح الزاى وكسر الميم ، ويكون مما عُرِّب لا نظيرَ له فى أبنية العرب . ورُوِى بفتح الزاى وفتح الميم ويكون على مثال قَهْقَرٍ ، وهو حجرٌ يملأ الكفّ . ويروى « زِنَمرْدَةٍ » بكسر الزاى وفتح الميم فيكون على وزن فِعَّلِةٍ من الرُّباعىّ نحو عِلَّكْدٍ ، وهو الغليظ الشديد ، أو يكون فِعَلَّلٌ من الخُماسى نحو خِنْزَقْرٍ ، وهو القصير ، وقِرْطعبٌ دابّة . والمرادبها المرأةالتى خَلْقها وُخلقها كما يكون للرِّجال . وشبَّهها بالعَصا لقلَّة لحمِها وهُزالِها ، واستواء صَدْرِها وظهرها . وَسَنْدُشٌ : لقبُ لِصٍّ كان معروفاً عندهم (١) . وقوله «إذا ازَّيَّنت» أراد تزَيَّنَت، فأراد الإدغام فيها وأبدلَ من التَّاء زاءً فسكّن أوَّلَها ، فجُلِبَ ألفُ الوصل ليتوصَّل إلى النُّطق بساكن ، فصار كما ترى . والثَّلّةُ : الفِرقة والطَّائفة من الضَّأْنِ . والمُعْطِشُ : الرَّعى الذى قد عطِشت رعيَّتُه .

٥ ـ لَهَا رَكَبٌ مِثْلَ ظِلْفِ الغَزَالِ أَشَدُّ اصفِراراً مِنَ المِشْمِشِ

٦ ـ وأَبْرَدُ من ثلجِ ساتِيدَمَا وأَكثَرُ ماءً مِنَ العِكْرِشِ (٢)

٧ ـ وفَخْذانِ بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ تُجيزُ المَحَامِلَ لا تَخْدِش (٣)

٨ ـ وسَاقٌ مُخَلْخَلُها حَمْشَةٌ كَسَاقِ الجَرَادةِ أو أَحْمَش

٩ ـ كأَنَّ الثآليلَ فى وَجْهِهَا إذا سَفَرَتْ بَدَدُ القِشْمِش

١٠ ـ لها جُمَّةٌ فَرْعُها جَثْلَةٌ كمِثْلِ الخَوافى مِنَ المُرْعَش

الرَّكَبُ : أصل الفَخذ الذى عليه لحمُ الفَرْج من المرأة ومُعلَّق الذكَر من الرَّجُل . والنَّفنف : المَهْواة بين الجَبَلَيْن . والخَدْشُ والخَمْشُ والكَدْحُ نظائر .

(١) وقال قوم : الكندش العقعق . وذكر بعضهم أنه الفأرة .

(٢) هذا البيت ليس فى ل ولا التبريزى ولا فى مجالس ثعلب . وساتيدما : جبل بين ميافارقين وسعرت . والعكرش : ماء لبنى عدى باليمامة .

(٣) هذا ما فى الأصل ومجالس ثعلب وفيه الإقواء . وفى ل والتبريزى : « لم تخدش »

والحَمْشَةُ : الدَّقيقة . وإنما أنَّثَ والمُخلخَلُ مذكَّر لأنَّ المخلخلَ من السّاق ، والسَّاق مؤنَّثة ، وبعضُ الشَّيء إذا أُطلِقَ عليه اسمُ الكُلِّ أُجرِى فى الأحوال مجراه إلا أن يمنع مانع . وهذا كما قال الآخر [١] :

* كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ من الدَّمِ [٢] *

لأنَّ صدر القناة قناة ، كما أنَّ المخلخلَ يقال له السَّاق . فالبِدَدُ : جمع بِدَّة ، وهى القِطْعة المتفرِّقة . وتبادَّ القَومُ : تباعدُوا . والُجمَّة من الشعر : دون اللِّمَّة فى الطول . والجَثْلة : الكثيرة الأصول . والمُرْعَشُ : الحمام الأبيض . والخوافى : ما دُون الرِّيشات العَشْر .

٨٨١

وقال آخر [٣] :

١ ـ ماذا يُؤرِّقُنِى قِدْماً ويُسهِرُنى ‏ مِن صَوتِ ذى رَعَثاتٍ ساكنِ الدَّار [٤]

٢ ـ كأنَّ حُمَّاضةً فى رأسه نبتَتْ ‏ فى أوّل الصَّيف قد همَّت بإثمار [٥]

قوله « ماذا يؤرِّقنى » لفظه استفهامٌ ومعناه تعجُّب . وقد مرَّ القول فى لفظة ماذا [٦] . وقوله « من صَوت ذى رعثاتٍ » أى من انتظار صوته ، فحذف المضاف ورعثات : جمع رعثة وهى من الدِّيك عُثنُونه . ورعثة الشّاة : زَنَمتها . والرِّعاثُ : كلُّ معْلاقٍ من قُرطٍ أو قِلادة أو غيرها ، وربما عُلِّق من الرَّحْل

(١) هو الأعشى . ديوانه ٩٤ واللسان (شرق) .

(٢) صدره : * وتشرق بالقول الذى قد أذعنه *

(٣) نسب البيت الأول فى اللسان (رعث) إلى الأخطل . وروايته :

* ماذا يؤرقنى والنوم يعجبنى *

(٤) البيتان فى اللسان (حمض) والحيوان (٢ : ٣٤٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠١) .

(٥) الحيوان : « من آخر الليل قد همت » .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

والموْدَج رغثٌ من الصُّوف . والُحمَّاض ، من ذُكور البَقْل ، له زهرةٌ حمراء كأنّها الدَّم . والإثمار : إخراج الثَّمر . وشبَّهَ عُرفَ الدِّيك به .

٨٨٢

وقال آخر :

١ - صَوْتُ النَّواقيسِ بالأَسْحَارِ هيَّجَنى ... بَلِ الدُّيوكُ التى قَدْ هِجْن تَشْوِيقى

٢ - كأنَّ أعرافَها مِنْ فَوقها شُرَفٌ ... حُمْرٌ بُنِينَ على بَعضِ الجَوَاسيقِ

٣ - عَلَى نَعَانِـعَ سَالَتْ فى بَلاعِمِها ... كثيرةِ الوشْى فى لينٍ وتَرْقيقِ

٤ - كأنَّما لبِسَتْ أَوْ أُلْبِسَتْ فَنَكاً ... تَقَلَّصَتْ مِن حَوَاشيه عن السُّوق (١)

قوله « صَوْت النَّواقيس » أى انتظارُ صوتِ النَّواقيس هيَّجنى ، فحذف المضاف . وهذا كما قال الآخر (٢) :

لمَّا تذكَّرْتُ بالدَّيْرَيْن هيَّجَنى ... صَوْتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنواقيسِ (٣)

وقال غيرهما :

* وصوت نواقيسَ لم تُضْرَبِ *

فنبَّهَ بقوله « لم تضْرَب » على أنَّه كان منتظراً لا واقعاً . والجواسق : جمع الجَوْسَق ، وهى قريبةٌ من القُصور . وأشبع الكسرةَ فى السِّين فتولد منها ياء . ومثله :

* نَفْىَ الدَّراهِمِ تَنْقَادُ الصَّياريفِ (٤) *

---

(١) الفنك : دابه يفترى جلدها ، أى يلبس جلدها فروا .

(٢) هو جرير . ديوانه ٣٢١ والحيوان (٢ : ٣٤٢) .

(٣) ذكر صاحب العقد (٥ : ٣٧٨) أنه أراد ديرا وحداً هو دير الوليد بالشام . وقد صرح ياقوت أنه أراد ديرين « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق .

(٢) للفرزدق فى ديوانة ٥٧٠ والخزانة (٢ : ٢٥٦) وسيبويه (١ : ١٠) والكامل ١٤٣ ليبسك . وصدره :

* تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة *

والنَّعَانِيعُ : أعراف الدِّيَكَة . وأصل التَّنَعْنع الاضطراب . لذلك قيل للطويل المضطرب النَّعْنُع . ونَعانع المِنْطَقَةِ : ذِنابُها[1] . والبُلْعُوم والبُلْعُمُ : مَجرَى الطَّعام ، وباطنُ العنق .

وهذه المقطوعة وما قبلَها ، بابُ الصفات أولَى بهما ، فاتّفق وقوعُهما هنا .

وهذا آخر الاختيار . والحمد لله ربّ العالمين ، وصلواته على النبيّ محمَّدٍ وآله أجمعين .

* * *

قد سَهَّل الله وله الحمدُ ، تعالى جَدُّه ، بلوغَ المنتَظَر من تتميم شرحِ هذا الاختيار ، واللهُ بمَنّه وطَوْلِه ينفعكَ وإيّانا به ، ويعينك على تفهُّمه .

وهذا الكتابُ وإنْ عظُم حَجْمُه ، وكَثُر ورقُه ، فإنّه لا يُملُّ تصفحه وقراءته ، إذْ كان كلُّ بابٍ من أبوابه ذا فنونٍ من آثار العقول الصَّحيحة ، والقرائح السَّليمة ، فكلُّ نوعٍ من أنواعه جَمَامٌ لما يليه ، وجِلاءٌ لما يَعيه ، ولأنّ غوامضَ المَقَاصِد إذا تبرَّجَتْ لك في روائع المعارض ، وأقبَلَ فهمُك رائداً لقلبك ، يتشمّم نوادرَ الزَّهَرِ في مَغارس الفِطَن ، ويتخيّر فرائدَ الدُّرَر من قلائد الحِكَم ، فكلما ازداد التقاطاً زادك نشاطاً ، كما أنّ مَن عرَف الفَرق بين الإطناب والإيجاز ، وبين التطويل والتَّقصير ، وعلِمَ أنّ الإطناب تفخيمٌ وتكميل ، كما أنّ الإيجاز تخليص وتهذيب ، وأن التّطويل زيادةٌ على الكفاية ، وذَهابٌ عن غاية الحاجة ، كما أنّ التّقصير قُصورٌ عن الحدّ المرتاد ، ووقوفٌ دونَ مَدَى المراد ، حمِدَ الإطنابَ والإيجازَ لما نالَهما من سِهام البلاغة ، وذَمَّ التَّطويلَ والتَّقصيرَ بما فاتَهما من أقسام الفصاحة .

---

(١) كذا في النسختين . وفي القاموس : « ذباذبها » .

واعلمْ صَحِبَكَ التوفيقُ فى مباغيك ، أنّ ما جمعْتُ منتشرَهُ ، وأثرْتُ مُكْتَمِنَه ، وحَلَلْتُ معقودَه ، وأعدتُ محذوفَه ، ونشرتُ مطويَّه ، ومددتُ مقصوره من بيوتِ هذا الاختيار وفصوله ، فإنّى لم أُدْرِكْهُ إلّا فى مدّةٍ طويلةٍ لا أذكر طرَفَيْها ، وبمجاهداتٍ لشُيوخ الصّناعة عجيبة لا أنسى مُجاذَبَاتى فيها ، حين كان فى التَّوَل إمكانٌ ، وللتّحصيل إرصاد ، وأسهمِ النِّضال تشديد ، وفى قوسِ الرِّماءِ مَنْزَعٌ وتوتير ، وكانَ الرَّأْىُ وَلُودًا ، والخاطر عُولا ، والحدُّ حديداً ، والحِرْصُ عتيداً ، مع تَمام البَراعة ، واجتماع المادّة والآلة .

فلا تظُنّنّ فيه ما يظنّه الوادعُ فى جَهْدِ المكدود ، فإنَّ أَهْوَنَ السّقى التَّشْرِيع[(١)] ، ولن تناله إلّا بتعبٍ شديد . وتيقَّنْ أنى أمليتُ هذا الشّرح مُسْتَعْمِلا أرفقَ الآلات فى اختراعه ، وأوفق الألفاظ فى تصويره وبيانه ، ومستحضراً من الشّواهد والمُثُل ما لم يكملْ إلّا بتعاونِه وحضوره ، ولو عَدَلْتُ عن نَهْجِ التَّقريب مشتغلًا بأبواب الإعراب والغريب إلى غيرها مما يُعَدُّ فى الفضول ، لتضاعفَتِ المُؤَن ، وضاعت فى غُمارها النُّكت . على أنّى أرجو أن يكون ضنُّنا فى تحصيله وحصره ، وسماحتُنا بَعدَه بتصنيفه وبَذْله ، يكسِبُنا من القلوب استحلاءً ، ومن النّفوس ميلًا واستحبابا ، وأنّه لا تزال تلك المحبّةُ زائدةً نامية ، ما دامت فوائدُه قائمةً باقيةً . وعلى الله تعالى جَدُّه مُعوّلنا فى أنْ يوفّقنا لمرضاته ، وأنْ يجعلَ سعيَنا له وفيه ، وحسبنا هو ونِعْمَ الوكيل . والحمدُ لله الواحد القهّار ، وصلواتُه على نبيّنا محمدٍ وآله الطّيّبين الطّاهرين الأخيار[(٢)] .

(١) التشريع : إيراد الإبل شريعة لا يحتاج معها إلى نزع بالعلق ولا سق فى الحوض .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

[صورة ما كتبه ناسخ الأصل]

مَشَقَه لنفسه سعد بن إبراهيم بن أحمد الفرّائيُّ ، وفرغ منه يوم الجمعة وقت صلاة العصر منتصف جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، حامداً لله عز وجل ومصلياً على رسوله وآله وأصحابه من بعده ومسلما (١).

[صورة نص الوقف المسجل فى نسخة الأصل]

قد وقف هذا الكتاب الجليل والأثر الجميل والدة السلطان الأعظم والخاقان المفخم السلطان عبد المجيد خان أدام الله أيامه وعمر دولته إلى آخر الدوران أعنى بها حضرة بزم عالم سلطان علية الشان جعل الله سعى الوقفة مشكوراً وجزاها جزاء موفورا . لسنة ست وستين ومائتين وألف .

(١) وفى نهاية نسخة « ل » : « وفرغ من تسويد بياض هذه النسخة أضعف عباد الله وأرجى لرضوانه محمد بن أحمد بن أيوب فى صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ... لله ومصلياً على محمد وآله » .

الفهارس العامة

صنع وترتيب

عبد السلام محمد هارون

١ — فهرس الأشعار

١ — فهرس الأشعار (*)

أ — الحماسيات

(أ)

(ب)

(*) ما وضع من أعلام الشعراء بين قوسين فهو مما لم يذكره المرزوقي وأمكن التحقيق أن يعرفه . والأرقام في هذا القسم من الفهرس هي أرقام الحماسيات .

(١) أو الأقرع بن معاذ القشيري .

(١) وتروى لمحمد بن بشير .

(س)

(ش)

(ص)

(ص)

(ع)

(ف)

(ك)

(١) هذه هى نسبة ابن جنى فى التنبيه .

(ه)

ب ـ الشواهد

(أ)

(*) ما وضع بين قوسين (ـ) من القوافي أو الأرقام فهو ما ورد صدره وأمكن معرفة عجزه .

وما وضع قبله نجم من القوافي أو الأرقام فهو ما ورد عجزه فقط .

وما وضع بين معقفين [ ] من الأرقام فهو ما ورد في حواشي التحقيق.

وما وضع بين قوسين ( ) من أسماء الشعراء فهو ما لم يذكره المرزوقي واهتديت إليه في التحقيق .

(ت)

(د)

(١) صوابه دريد بن الصمة .

(ر)

(١) وللفرزدق أيضا .

(ع)

(١) أو شقران السلاماني .

ثعل	طويل	عبد الله بن همام	[١٤٦٩]
القتل	»	—	١٢٥٠
البقل	»	—	١٤٥٠
* تأمل	»	أوس بن حجر	٢٢٨، ٩٥٣
(أطول)	»	أبو تمام	٧٤٥، ٨٢٩
* عجل	»	(رفر بن الحارث	١٢١
أول	»	الشنفرى	٤٩٠، ٧٢٤
متمهل	»	»	٧٢٨
(جرول)	»	(كعب بن زهير)	١٢٥
مزحل	»	(معن بن أوس)	٦٧٤
أعزل	»	—	٧٦
وجندل	»	—	١٣١٨
* وأخيل	»	—	٩٦٩٠
جائل	»	أبو تمام	١٢٤٩
(الأنامل)	»	جعفر بن علبة	٥٠
السلاسل	»	(أبو خراش) الهذلي	١٣١٤
خامل	»	(المزرد بن ضرار[1])	٣٧
* يحاول	»	ابن هرمة	٧٤
باطل	»	—	١٣٠٣
وصول	»	(أبو الأبيض العبسي)	٨٥١
طويل	»	(أحد الفزاريين)	٧١٢
(سبيل)	»	(السموأل)	٥٥٢
(قليل)	»	(»)	٨٢٤
ذليل	»	(طرفة ، كعب بن سعد)	٦٥٤

(١) انظر المفضليات ١ : ٩٣.

(ن)

(ه)

(ى)

(أجزاء الأبيات)

(١) انظر ص ١٧٩٥ .

٢ ـ فهرس الأرجاز

٢ — فهرس الأرجاز

ا — الحماسيات

(١) الرقم فى هذا القسم هو رقم الحماسية ولا رقم الصفحة .

ب — الشـــواهد

(١) الرقم فى هذا القسم رقم الصفحات.

(٢) انظر قافية (عيناها) فى فهرس الاشعار (الشواهد).

(٣) من الرجز المزدوج.

(١) من الرجز المزدوج .

(٢) وقيل لعقبة الهجيمى .

(١) الصحيح أنه للعجاج .

٣ — فهرس اللغـــة

٣ — فهرس اللغة

(ت)

(خ)

(د)

(ر)

(ش)

(ص)

(ض)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(و)

كلمات ليست فى المعاجم المتـــداولة

كلمات أعجمية

٤ – فهرس الكلمات النحوية

٥ — فهرس الأمثال

٥ — فهرس الأمثال

٦ ـ فهرس الأعلام

٦ — فهرس الأعلام(*)

(*) الأرقام الموضوعة بين الأقواس فى هذا الفهرس وتاليه تدل على صفحات الحماسيات، وما وضع قبله نجم من الأعلام فهو ما ورد فى متن الشعر .

(ب)

(ح)

(د)

(ز)

(ش)

(١) هذه نسبة ابن جنى فى التنبيه للحماسية رقم ٦٧٩ .

(و)

(١) انظر الخزانة (١ : ١٠٢)

٧ — فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٧ – فهرس القبائل والطوائف ونحوها (*)

(*) حذفت من الفهرس كلمة «بنو» و«آل» ونحوها.

٨ — فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٨ — فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٩ — فهرس الكتب

وهى الكتب التى ذكرها المرزوقى فى شرحه

---

١٠ – فهرس مراجع التحقيق

أبيات الاستشهاد ، لابن فارس ، فى سلسلة نوادر المخطوطات

إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطى . حنفى ١٣٥٩

إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى . السعادة ١٣٢٦

الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى . حيدر أباد ١٣٣٢

أساس البلاغة ، للزمخشرى . دار الكتب ١٣٤١

الاستيعاب ، لابن عبد البر . حيدر أباد ١٣١٨

أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٦

الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق وستنفلد . جوتنجن ١٨٥٣ م

الإصابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣

إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، بتحقيق أحمد شاكر ، عبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٨

الأصمعيات ، للأصمعى . ليبسك ١٩٠٢ م

« « بتحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٨

إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، لابن خالويه . دار الكتب ١٣٦٠

الأغانى ، لأبى الفرج . التقدم ١٣٢٣

إقليد الخزانة ، لعبد العزيز الميمنى . طبع لاهور ١٩٢٧ م

الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير . بيروت ١٩٠٨ م

أمالى ثعلب ، هى مجالس ثعلب

« الزجاجى . السعادة ١٣٢٤

« ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٩

« القالى . دار الكتب ١٣٤٤

« المرتضى . السعادة ١٣٢٥

إنباه الرواة ، للقفطي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الكتب
إنجيل لوقا ، إنجيل متى
الأنساب ، للسمعانى . ليدن ١٩١٢ م
الإنصاف ، لابن الأنبارى . الاستقامة ١٣٤٦
بغية الوعاة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٨
بلوغ الأرب ، للآلوسى . الرحمانية ١٣٤٣
البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون. لجنة التأليف ١٣٦٩
تاج العروس ، لمرتضى الزبيدى . القاهرة ١٣٠٦
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى . القاهرة ١٣٤٩
« الطبرى . الحسينية ١٣٢٦
تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى . القاهرة بدون تاريخ
التصريح ، بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد . الأزهرية ١٣٤٤
تفسير أبي حيان ، وهو البحر المحيط . السعادة ١٣٢٨
التنبيه والإشراف ، للمسعودى . الصاوى ١٣٥٧
« على أمالى القالى ، للبكرى . دار الكتب ١٣٤٤
« على شرح مشكلات الحماسة ، لابن جنى . مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٢٥
« الصحاح ، للزنجانى ، بتحقيق عبد السلام هارون وأحمد عطار . دار المعارف ١٩٥٢ م
ثمار القلوب ، للثعالبى . الظاهر ١٣٢٦
الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢
الجمهرة ، لابن دريد . حيدر أباد ١٣٥١
جمهرة أشعار العرب ، للقرشى . بولاق ١٣٠٨
حاشية الصبان على الأشمونى . عيسى الحلبى ١٣٦٦

حماسة البحترى . الرحمانية ١٩٢٩ م
» ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٥
حياة الحيوان ، للدميرى . صبيح بالقاهرة
الحيوان ، للجاحظ . بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبى ١٣٦٦
خزانة الأدب ، للبغدادى . بولاق ١٢٩٩ والسلفية ١٣٥١
الخيل ، لابن الأعرابى . ليدن ١٩٢٨ م
» ، لأبى عبيدة . حيدر أباد ١٣٥٨
ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١ م
» الأعشى . ڤينا ١٩٢٧ م
» امرئ القيس . هندية ١٣٢٤
» أوس بن حجر . ڤينا ١٨٩٢م
» البحترى . هندية ١٣٢٩
» أبى تمام . بيروت ١٣٢٣
» جرير . الصاوى ١٣٤٥
» حاتم الطائى . الوهبية ١٢٩٣
» حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧
» الحطيئة . التقدم بالقاهرة
» حميد بن ثور . دار الكتب ١٣٧١
» الخنساء . بيروت ١٨٨٨ م
» ابن الدمينة . المنار ١٣٣٧
» ذى الرمة . كمبردج ١٩١٩ م
» رؤبة ، بتحقيق وليم بن الورد . ليبسك ١٩٠٢م
» زهير بن أبى سلمى . دار الكتب ١٣٦٣
» سلامة بن جندل . بيروت ١٩١٠م
» الشماخ . السعادة ١٣٢٧

ديوان طرفة . قازان ١٩٠٩ م
« الطرماح . ليدن ١٩٢٧
« طفيل الغنوى . ليدن ١٩٢٧ م
« عامر بن الطفيل . ليدن ١٩١٣ .
« أبي العتاهية . بيروت ١٩١٤ م
« العجاج ، بتحقيق وليم بن ألورد . ليبسك ١٩٠٢ م
« عروة بن حزام . مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية
« « « الورد . الوهبية ١٢٩٣
« عمر بن أبي ربيعة . الميمنية ١٣١١
« « « « « بشرح محمد محيي الدين . السعادة ١٣٧١
« عنترة . الرحمانيةبالقاهرة
« الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤
« القطامى . برلين ١٩٠٢ م
« قيس بن الخطيم . ليبسك ١٩١٤ م
« ابن قيس الرقيات . ڤينا ١٩٠٢ م
« كعب بن زهير . دار الكتب ١٣٦٩
« لبيد . ڤينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١
« المتلمس . مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية
« مسلم بن الوليد . ليدن ١٨٧٥ م
« المعانى ، للعسكرى . القاهرة ١٣٥٢
« معن بن أوس . ليبسك ١٩٠٣ م
« النابغة الذبيانى . الوهبية ١٢٩٣
« الهذليين . دار الكتب ١٣٦٩
الرسالة ، للشافعى ، بتحقيق أحمد محمد شاكر : الحلبى ١٣٥٨
زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥

سفر الخروج
سمط اللآلئ ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤
السيرة لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م
شرح أشعار الهذليين ، للسكرى . لندن ١٨٥٤ م
» الحماسة للتبريزى بتحقيق فريتغ . بون ١٨٢٨ م
» ديوان المتنبى ، للعكبرى . الشرفية ١٣٠٨
» شواهد شروح الفية ، للعينى (بهامش خزانة الأدب)
» » سيبويه ، للشنتمرى (بهامش كتاب سيبويه)
» » المغنى ، للسيوطى . البهية ١٣٢٢
» القصائد العشر للتبريزى ، بتحقيق محمد الخضر حسين . السلفية ١٣٤٣
» لامية العرب ، للزمخشرى . الجوائب ١٣٠٠
» المفصل ، لابن يعيش . محمد منير
» المفضليات ، للأنبارى ، بتحقيق ليال . بيروت ١٩٢٠ م
شروح سقط الزند ، لجنة أبى العلاء . دار الكتب ١٩٤٥ — ١٩٤٩
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد شاكر . الحلبى ١٣٧٠
صبح الأعشى ، للقلقشندى . دار الكتب ١٣٤٠
صحيح البخارى . بولاق ١٣١٣
صفة الصفوة ، لابن الجوزى . حيدرأباد ١٣٥٦
الصناعتين ، للعسكرى . صبيح بالقاهرة
صيغة فعال ، بحث لجبران النحاس . طبع الإسكندرية ١٤٩٧
الضرائر ، للآلوسى شرح بهجة الأثرى . السلفية ١٣٤١
الطبقات ، لابن سعد . ليدن ١٣٢٣
طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة بالقاهرة
طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدى . السعادة ١٣٧٣ .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . الجمالية ١٣٣١ ولجنة التأليف ١٣٧٠
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤

عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣
« التواريخ ، لابن شاكر . مخطوطة دار الكتب المصرية
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية القاهرة
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق
الكامل ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨
« ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤م
كتاب سيبويه . بولاق ١٣١٦
كشف الظنون ، لحاجي خليفة . تركيا ١٣١٠
الكنايات ، للثعالبي . السعادة ١٣٢٦
اللآلئ = سمط
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٣٠
ليس في كلام العرب ، لابن خالويه . السعادة ١٣٢٧
مبادئ اللغة ، للإسكافي . السعادة ١٣٢٥
المبهج ، لابن جني . الترقي بدمشق ١٣٤٨
المثل السائر ، لابن الأثير . الحلبي ١٣٥٨
مجالس العلماء للزجاجي . الكويت ١٩٦٢
مجالس ثعلب ، بتحقيق عبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٩
المجتنى ، لابن دريد . حيدر أباد ١٣٤٢
مجلة المقتطف . القاهرة
مجلة الهدى النبوي . القاهرة
مجمع الأمثال ، للميداني . البهية ١٣٤٢
المجمل ، لابن فارس . القاهرة ١٣٣١
مجموعة المعاني ، لم يعلم مؤلفه . الجوائب ١٣٠١
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهاني . الشرفية ١٣٢٦
مختارات ابن الشجري . العامرة ١٣٠٦
مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب . جوتنجن ١٨٥٠ م

المخصص ، لابن سيده . بولاق ١٣١٨
المزهر ، للسيوطي . الحلبي ١٣٦١
المصاحف ، للسجستاني ، تحقيق الدكتور آرثر جفري . الرحمانية ١٣٥٥
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣
معاهد التنصيص ، للعباسي . البهية ١٣١٦
معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ، ومرجليوث
« البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣
« الشعراء ، للمرزباني . القدسي ١٣٥٤
« الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م
« ما استعجم ، للبكري . بتحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف ١٣٦٤
المعرب ، للجواليقي ، دار الكتب ١٣٦١
المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣
المغني ، لابن هشام . التقدم ١٣٤٨
المفضليات ، شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٦١
مقاييس اللغة ، لابن فارس بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٨
المؤتلف والمختلف ، للآمدي . القدسي ١٣٥٤
الموشح ، للمرزباني . السلفية ١٣٤٣
النقائض ، رواية أبي عبيدة . ليدن ١٩٠٥م
نقد الشعر ، لقدامة الجوائب ١٣٠٢
نكت الهميان ، للصفدي . القاهرة ١٩١٠م
نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢
النوادر ، لأبي زيد . بيروت ١٨٩٤
نوادر المخطوطات ، بتحقيق عبد السلام هارون . التأليف والسعادة
الهاشميات ، من شعر الكميت . شركة التمدن ١٣٣٠
همع الهوامع ، للسيوطي . السعادة ١٣٢٧

الوحشيات ، لأبى تمام ، مصورة دار الكتب ٢٢٩٧
الوزراء والكتاب ، للجهشيارى . الحلبى ١٣٥٧
الوساطة ، للجرجانى ، صيدا ١٣٣١
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، بتحقيق عبدالسلام هارون : عيسى الحلبى ١٣٦٥

تفسير بعض الإشارات إلى المراجع

ابن الأثير = الكامل
الأمثال = مجمع الأمثال
الجمحى = طبقات الشعراء
ابن جنى = التنبيه
الجهشيارى = الوزراء والكتاب
الدميرى = حياة الحيوان
ابن سلام = طبقات الشعراء
السمعانى = الأنساب
الشنتمرى = شرح شواهد سيبويه
الطبرى = تاريخ الطبرى
العينى = شرح شواهد شروح الألفية
المرزبانى = معجم الشعراء
الميدانى = مجمع الأمثال

استدراك وتعليق

استدراك وتعليق

١ — ص ٢٢ — ٢٣ من المقدمة « نسخة روان كشك » ، هذه النسخة قد أسقطناها من أصول التحقيق وضربنا عنها صفحا لرداءتها وحداثتها ، واستبدلنا بها نسخة « لاله لى » ، وهى نسخة عتيقة جيدة كتبت فى سنة ٥٨٨ ، من مجلوبات معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وهى التى رمزنا إليها فى الحواشى برمز « ل » . وانظر ما كتبناه فى حواشى ص ٧٢٠

٢ — ص ٢٥ س ٢ « فى رِخوِه » ، وكذا فى ص ٩٢٤ . الأجود ما ورد فى نسخة م ، أى « فى رِخوةٍ » . يؤيده ما جاء من قول عمارة بن عقيل ص ١٤٣١ :

وأما إذا آنست أمناً ورِخوةً فإنك للقربى ألدُّ خصومُ

٣ — ص ١٩٦ س٣ . صحة كتابة البيت :

قاتلى القوم يا خزاع ولا يدخلكم من قتالهم فشـــل

٤ — ص ٢٩٢ س ١٤ « وقال آخر » . فى حماسة البحترى ٣٨٦ أنه عدى بن عدى النبهانى .

٥ — ص ٣٣٥ س ٦ من الحواشى « وكان سراة التيم رهط جساس » كذا جاءت رواية البيت عند التبريزى وكذا فى ديوان جرير ص ٣٢٧ . وفيه قبض « فعولن » بحذف آخره الساكن . وهو جائز فى بحر الطويل أينما كان .

٦ — ص ٣٦٥ س ٨ « وقال آخر » . فى حماسة البحترى ص ٢ أنه « معقل بن جوشن الأسدى » .

٧ — ص ٤٠٧ س ١٧ « وقال آخر » فى حماسة البحترى ٢٠٧ أنه « طرفة » . على أنه لم يُروَ فى ديوانه .

٨ — ص ٤١٤ س ٩ « فخلى مكانانى هذا » في نسخة الأصل . وفي ل والتبريزى : « فخل مقاما » وهو المتساوق مع الشرح .

٩ — ص ٤٧٤ س ١١ « الإله » لم يعرض المرزوقى هنا للكلام على ندرة استعمال هذا اللفظ الكريم . وقد عرض له في الحماسية ٢٦٢ ص ٧٨٤ .

١٠ — ص ٤٨٥ س ١٣ « بآل الرباب » ، علق التبريزى على ذلك بقوله : « الرباب بفتح الراء : اسم المرأة ، وبكسرها اسم القبيلة » .

١١ — ص ٥٩٨ س ١٠ وقع عن غير قصد ضبط كلمة « يقدر » بفتح الدال ، وقد صادفت صواباً ، ففي مادة (قدر) من القاموس : « والفعل كضرب ونصر وفرح » .

١٢ — ص ٦٢٩ س ١ من الحواشي . هذه المقطوعة التي رواها التبريزي ستأتي عند المرزوقي برقم ٢٥٣ ص ٧٥٠

١٣ — ص ٦٤٠ س ١٣ « قال قوال » نسبت هذه الحماسية في معجم المرزباني ٤٠٧ إلى « معدان بن عبيد الطائي » .

١٤ — ص ٦٤٩ س ١٢ هذه الحماسية أجابه عليها عبد الرحمن بن الحكم بالحماسية ٦٣٤ . انظر الطبري (٧ : ٣٢) .

١٥ — ص ٦٥٠ س ٩ « على الهوَى » كذا ورد في النسختين والتبريزى . فلعل المراد : على ما نهوى . والأجود ما ورد في آخر الحماسية ٦٣٢ ص ١٤٩٦ : « على الهُدَى » .

١٦ — ص ٧٢٤ س ٣ وص ٤٩٠ س ١١ « عقيرته لايا » كذا وردت في النسختين ، مع ظهور الهمزة في كلمة « لأيا » بنسخة الأصل . والرواية عند الزمخشري في شرحه للامية العرب ص ٥٥ : « عقيرته لأيِّها حُمَّ أوّلُ » .

مضامين الكتاب